



وقائع مؤتمر إمام الحسين
عليه السلام السنوي السادس

الجزء الثاني

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026

ISBN 9789922778334

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/٢/٢٠٢٥: كربلاء، العراق).

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين: قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/٢/٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ. ٥ مجلد؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).

يتضمن ارجاعات بيليو جرافية.

١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة - ٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه - مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان. تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239,3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين: قراءة في المنهج والادوات/ مؤتمر. ط ١- كربلاء:

دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الثاني، (٥٢٨ صفحة)، ٢٤ سم.

١. الإمام الحسين بن علي عليه السلام - الإمام الثالث - مؤتمرات.

م. العنوان.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٢) - لسنة ٢٠٢٦م

وقائع مؤتمر الأيام الحسنية
الدولي السنوي لسجاد حسين

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين عليّ القرائي في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة
بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٦/٢/٢٠٢٥)



جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارة الى كتابكم ذي العدد (ع.ش.٩ / ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرافقه الاولييات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين - قراءة في المنهج والادوات) والمزمع انعقاده للمدة (٢٠٢٥/٢ / ٢٠٥) ، وبالنظر لاستيفانكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٣٥٩/٢) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر اعلام.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي

المدير العام لدائرة البحث والتطوير

٢٠٢٥/ ١ / ٢١

نسخة منه الي//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاولييات.

م.م. مزود ١/٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا، فَأَدَّى أَمِينًا، وَمَضَى رَشِيدًا، وَخَلَّفَ فِيْنَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَهُ الطَّاهِرِينَ، صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ...

خلق الله تعالى أمثلة للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجته في أرضه التي لا تخلو من مثال لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثل أعلاها نبينا محمدًا ﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمّن يليه في هذه المرتبة فلا بد من الاستعانة بخطّ شروع متفق عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبي ﷺ: ((عَلَيَّْ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرک وصححه، ووافقه الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدد - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمّا في مصادر أهل البيت عليه السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متفق على صحته ونسبته إلى رسول الله ﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدم أقيم هذا المؤتمر العلمي الدولي لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العملي عبر البحث في مدونات المسلمين عن الأثر القرآني لأمر المؤمنين ﷺ، وبيان ما له من علوم قرآنية تفرّد بها؛ وصولاً إلى الإثبات العملي لدلالة الحديث المذكور آنفاً.



وقد حدّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيّة على وفق منهج أمير المؤمنين (ع)، والبرهنة العمليّة على كماليّة القرآن الكريم بشموله لكلّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمّ مشكلاتها في ضوء ما قدّمه أمير المؤمنين (ع) من أثر قرآنيّ امتدّ ليشمل الحاجات الإنسانيّة على مختلف العصور، مركزاً في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشتها، ومن هنا فإنّ المؤتمر يركّز على الأثر القرآنيّ لأمر المؤمنين (ع) تفسيراً وعلومًا، ومقاربتة على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيّة في التخصصات الإنسانيّة والعلميّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين (ع) بوصفه حلًّا لكلّ التقاطعات، والمرجعيّة الأصيلة التي يمكن أن تنتهي إليها بمعنيّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستين بحثاً في شتّى التخصصات المعرفيّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمّ المسارات التي حدّدت بشأن أقامته، وما هذه الوقائع إلّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيّة من لدن الباحثين والمتخصّصين والمتابعين بشكل عام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله

الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان / رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين / معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى / مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة / مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج / مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز / مدقق لغوي
أ.م.د. حامد شاكر / مدقق فني

الفهرس

أثر الإمام عليؑ في المدونات الإسلامية بالتحليل الاستقصائي والبياني ١١

أ.د. أحمد الصفار

مرتكزات الحكم الرشيد في فكر الإمام علي بن أبي طالبؑ ٧١

أ.د. بشير هادي عودة الطائي

الأثر القرآني في شخصية الإمام عليؑ (دراسة المعنى للمفاهيم القرآنية التي استقاهها الإمام عليؑ من معين القرآن الكريم) ١١٥

أ.د. عبد علي سفيح

التكامل الدلالي بين لغة القرآن الكريم ولغة أمير المؤمنينؑ (وصف القرآن الكريم مثلاً) ١٤٥

أ.د. فضيلة عبّوسي محسن العامري

الظواهر اللغوية فيما روي عن الإمام علي بن أبي طالبؑ القراءات القرآنية نموذجاً .. ١٦٥

أ.د. وليد السراقبي



..... وَقَائِعُ مُؤْتَمَرِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (ع) الدَّوِيُّ السَّنَوِيُّ السَّادِسُ / الْجُزْءُ الثَّانِي

أثر عقيدة الدين في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ٢٠٧

أ.د. حاتم كريم جواد

الأثر القرآني للإمام علي (ع) في الفكر الاستراتيجي وسياسة الحكم الرشيد ٢٤٧

أ.م. أحلام أحمد عيسى

المواعظ القرآنية في الحكم التربوية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ٢٧٥

أم د. خالد يونس النعماني / أم د. محمد خضير عباس الجيلاوي

تحليل الأثر القرآني لأمر المؤمنين (ع) في فكر الاقتصاد الإسلامي (الشهيد الصدر
أنموذجاً) ٣٢١

أ.م.د. أصغر طهاسبي البلداجي

الإجراءات المالية والاقتصادية للإمام علي (ع) وأثرها في فهم النص القرآني ٣٥٩

أ.م.د. جمعة ثجيل عكلة الحمداني

دور الإمام علي (ع) في مواجهة الإرهاب الفكري ٣٨٣

أ.م.د. حسين رشك خضير



الولاءُ في فكر الإمام عليّ عليه السلام ٤٠٥

أ.م.د. حيدر عليّ كاظم حسين التميمي

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في التخصصات العلمية (الجدال أنموذجاً) ٤٣١

أ.م. د رعد جلال فتحي العطار

توظيف الشاهد القرآني في خطب الإمام عليّ عليه السلام دراسة تحليلية ٤٥٩

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي

أخلاقيات الإعلام في فكر أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ٤٨٣

أ.م.د. علي شمخي الفتلاوي

المفاهيم القرآنية في إحدى خطب نهج البلاغة قراءة في الأبعاد التربوية ٥٠٣

أ.م.د فاضل كاظم صادق العليّ

أثر الإمام عليؑ في المدونات الإسلامية بالتحليل الاستقصائي والبياني

أ.د. أحمد الصفار / مانشستر - بريطانيا

الملخص:

يتناول هذا البحث كشف أثر الإمام علي بن أبي طالبؑ في المدونات الإسلامية من جوانب متعددة، تشمل التفسيرات الفقهية، العقائدية، والأدبية، من طريق البحث الاستقصائي والتحليلات البيانية. يستعرض الباحث الأهمية الكبيرة للإمام عليؑ في تفسير القرآن الكريم، ونقل أحاديث النبي محمدﷺ، وكذلك دوره في الأحكام الفقهية والاجتماعية والسياسية. اعتمدت الدراسة على مراجعة عدد وفير من المصنفات الإسلامية في مختلف جوانب المعرفة؛ للبحث عن استشاداتها بأقوال أمير المؤمنينؑ، ومن طريق هذا الاستعراض، تبين أن أقوال الإمام عليؑ وخطبه كانت مرجعاً أساسياً لكثير من الفقهاء والمفسرين عبر العصور المختلفة، وهو ما يعكس تأثيره العميق والشامل في التراث الإسلامي. تناول البحث آثار الإمام عليؑ في الفقه، واللغة، والآداب، والأخلاق، كما تم إجراء تحليل بياني لـ (٥٤) تفسيراً مختلفاً للقرآن الكريم من مدارس مذهبية متنوعة؛ لتقييم مدى تأثير الإمام عليؑ فيها. وتبين من الدراسة أن الإمام عليؑ كان له حضور بارز في هذه التفسيرات، خاصة في التفسيرات الشيعية، إذ تم الاقتباس من كلامه بشكل واسع.



وعلى الرغم من الضغوط التاريخية والسياسية التي مارسها الأمويون والعباسيون لتقليل ذكره في المدونات السنّية وعدم الرواية عنه، إلا أن الدراسة أوضحت أن تأثيره لا يمكن تجاوزه. وقدّمت الدراسة رسوماً بيانيّة توضح مقدار الرجوع إلى الرواية عن الإمام علي (ع) في هذه التفاسير، وأوضحت حجم التباين بين المذاهب المختلفة قريباً وبعيداً عن الرواية عنه، ممّا يؤكّد الأثر الواضح والعميق للإمام علي (ع) في التراث الفكريّ الإسلاميّ، وتجنّد إرثه كجزء لا يتجزأ من التراث الإسلاميّ.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي (ع)، المدونات الإسلامية، التحليل الاستقصائي.

Abstract:

This research aims to uncover and highlight the influence of Imam Ali ibn Abi Talib (A.S.) in Islamic writings across various aspects, including jurisprudential, theological, and literary interpretations, through exploratory research and data analysis. The researcher emphasizes the significant role of Imam Ali (A.S.) in interpreting the Holy Quran and transmitting the sayings of Prophet Muhammad (PBUH), as well as his contributions to jurisprudential, social, and political matters. The study relied on reviewing a vast number of Islamic works across different fields of knowledge to investigate their references to the sayings and words of Imam Ali (A.S.).

Through this examination, it became clear that the sayings and speeches of Imam Ali (A.S.) served as a primary reference for many scholars and interpreters across different eras, reflecting his profound and comprehensive influence on Islamic heritage. The research examines Imam Ali's (A.S.) impact on jurisprudence, language, literature, and ethics. Additionally, a data

analysis of 54 different Quranic interpretations from various doctrinal schools was conducted to assess the extent of Imam Ali's (A.S.) influence on them.

The study revealed that Imam Ali (A.S.) had a prominent presence in these interpretations, particularly in Shia exegesis, where he was extensively quoted. Despite the historical and political pressures exerted by the Umayyads and Abbasids to minimize his mention in Sunni writings and suppress narration from him, the study shows that his influence remains undeniable. The study also presented graphs illustrating the frequency of references to Imam Ali (A.S.) in these interpretations and demonstrated the variation between different sects, confirming the clear and deep-rooted impact of Imam Ali (A.S.) on Islamic intellectual heritage, with his legacy being an inseparable part of Islamic tradition.

The research included a summary, an introduction, and four chapters: Chapter One: The Influence of Imam Ali (A.S.) in Quranic Interpretation, with 12 examples provided. Chapter Two: A Model of the Words of Imam Ali (A.S.) from Nahj al-Balaghah and its Influence on Islamic Writings. Chapter Three: Imam Ali's (A.S.) Impact on Arabic Literature and Linguistics. Chapter Four: An Analytical Study with Graphs on the Impact of Imam Ali (A.S.) in Muslim Interpretations. The study examined Shia interpretations (8), Ibadi interpretations (3), Zaidi interpretations (4), Salafi interpretations (2), and Sunni interpretations (38). The study concluded with an analysis of the graphs, a conclusion, and references, where 244 sources were reviewed in this exploratory and analytical study.

Keywords: Imam Ali (PBUH), Islamic Codices, Investigative Analysis.



مقدمة

في هذه الورقة البحثية سنتناول ما يمكننا تغطيته في هذا المجال بما يتناسب والمقام، وعلينا مراجعة عدد كبير من المصنّفات؛ لاستقصاء المعلومات وإظهارها، وكشف مدى تأثيرها بما ينقل عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها نستخلص حجم آثار أمير المؤمنين في الفكر الإسلاميّ بالتحليل البيانيّ. ولا يعيننا هنا دراسة تأثيرها في تشكيل النظريّات والأفكار، أو تحليل الأحكام الفقهيّة، وكيف أسهمت حكم الإمام علي عليه السلام في بناء الأخلاق، وتشكيل مجتمع منسجم يسوده التسامح وتحقق العدالة الاجتماعيّة فيه، ولا نهدف إلى مناقشة مركّزات الحوار الإنسانيّ، والوحدة الإسلاميّة، والتعامل الدوليّ، والتسامح الدينيّ، أو البحث في عوامل نجاح القائد والحاكم في مختلف مجالات الحياة. ولا يهمننا أيضًا تقييمها من ناحية جزالة المفردات، وقوّة الإنشاء، ورسالة العبارة من الناحية البلاغيّة.

تناول البحث بعد المقدّمة أربعة محاور: المبحث الأوّل: آثار أمير المؤمنين في التفسير، المبحث الثاني: نموذج من كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة، وأثره في مصنّفات المسلمين، المبحث الثالث: كلام أمير المؤمنين وتأثيره في أدبيّات لغة العرب، المبحث الرابع: دراسة تحليليّة بيانيّة لآثار أمير المؤمنين عليه السلام في تفاسير المسلمين. ثمّ الاستنتاجات من الرسوم البيانيّة، والخاتمة، والمصادر. ولأنّ الدراسة استقصائيّة وتحليليّة فقد تمّ مراجعة ٢٤٤ مرجعًا.

المبحث الأوّل: آثار أمير المؤمنين عليه السلام في التفسير:

سنتناول أمثلة على آثاره عليه السلام في التفسير، ويجدر بنا أن نستعرض منزلة أمير المؤمنين عليه السلام كما ورد في المدوّنات القديمة، يروي البلاذريّ (ت: ٢٧٩هـ) ((عن نصير بن سليمان الأحمسيّ عن أبيه عن عليّ، قال: واللّه ما نزلت آية إلّا وقد علمت



فيم أنزلت وأين أنزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤلًا^(١)، وذكره بنصّه الحاكم الحسكانيّ (ت القرن ٥ هـ)^(٢)، وابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)^(٣).

وقال الثعالبيّ (ت ٨٨٥ هـ) إن أمير المؤمنين عليه السلام من أشهر مفسري القرآن بين الصحابة وغيرهم، هكذا قيل: ((أما الخلفاء الثلاثة الأوّل، فالرواية عنهم في التفسير قليلة جداً، وذلك بسبب تقدّم وفاتهم، ولا نشغالهم بمهام الخلافة))^(٤)، وأنّه ((أكثرهم تفسيراً للقرآن؛ وذلك لأنّه لم يُشغَل بالخلافة، وإنّما كان متفرّغاً للعلم حتّى نهاية عصر عثمان... وكثرة مرافقته للرسول صلّى الله عليه وآله، وسكناه معه، وزواجه من ابنته فاطمة، إلى جانب ما حباه الله من الفطرة السليمة... كلّ ذلك أورثه العلم الغزير حتّى قالت عائشة: أما إنّه لأعلم الناس بالسنة^(٥) في زمن كان الصحابة - رضي الله عنهم - متوافرين))^(٦).

ونقل السيوطيّ (ت ٩١١ هـ): ((أخرج أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود، قال: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن))^(٧). ويذكر آخرون: ((أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم عليّ بن أبي طالب والرواية عن الثلاثة نزره جدا))^(٨).

(١) أنساب الأشراف: ٩٩ / ٢ .

(٢) شواهد التنزيل: ٤٥ / ١ .

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٤٣ / ٢ .

(٤) تفسير الثعالبي: ٥٢ / ١ .

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١٠٤ / ٣ .

(٦) تفسير الثعالبي: ٥٢ / ١ .

(٧) الإتقان في علوم القرآن: ٢٣٣ / ٤ .

(٨) تفسير الثعالبي: ٥٢ / ١، وتفسير ابن عادل: ٣٤ / ١، والإتقان في علوم القرآن: ٢٣٣ / ٤ .



١ - تفسير الصراط المستقيم

ينتهي الطبري (ت ٣١٠هـ) إلى أن هناك اختلافاً بين تراجمة القرآن في تفسير الصراط المستقيم، ولكنه يثبت أن الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو من فسره، فيقول: ((جاء في تأويل الصراط المستقيم في الآية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، أنه اختلفت تراجمة القرآن الكريم في المعنى بالصراط المستقيم: وما روي عن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: وَذَكَرَ الْقُرْآنَ فَقَالَ: هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ^(١)، ويؤكد ذلك الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): ((في معنى الصراط وجوه: أحدها أنه كتاب الله، وهو المروي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٢).

٢ - تفسير الحروف المعجمة المفتحة بها السور

يستتج من استعراض مجموعة من التفاسير أن الرجوع النهائي في تأويل الحروف المقطعة في بداية السور يعود إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ. نقل المفسر الصوفي التستري (ت ٢٨٣هـ) أن أمير المؤمنين يقول: ((هذه أسماء مقطعة، إذا أخذ من كل حرف حرف لا يشبه صاحبه فجمعن، كان اسماً من أسماء الرحمن، إذا عرفوه ودعوا به كان الاسم الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب))^(٣). ونقل الثعلبي (ت ٤٢٧هـ) عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي))^(٤). ولكن السمعاني (ت ٤٨٩هـ) يروي حديثاً عن الشعبي بلفظ قريب لما ذكره المفسر الصوفي التستري، إلا أنه لم ينسبه للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فيروي: ((لكل كتاب سرّ،

(١) تفسير الطبري: ١ / ١٧١ .

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١ / ٤٢، مجمع البيان: ١ / ٦٦ .

(٣) تفسير التستري: ١ / ٢٥ .

(٤) تفسير الثعلبي: ١ / ١٣٦ .

وسر القرآن: حروف التهجي في فواتح السور))^(١). ونقل الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) أنّ العلماء اختلفوا في الحروف المعجمة المفتوحة بها السور، ((فذهب بعضهم إلى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله تعالى، ولا يعلم تأويلها إلا هو، هذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام. وروت العامة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إن لكل كتاب صفوة، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي))^(٢).

ونقل ابن عطية (ت ٥٤٦هـ) ((أنه اختلف في الحروف التي في أوائل السور على قولين: قال الشعبي عامر بن شراحيل وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين: هي سر الله في القرآن، وهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه، ولا يجب أن يتكلم فيها، ولكن يؤمن بها وتمرّ كما جاءت. وقال الجمهور من العلماء: بل يجب أن يتكلم فيها، وتُلمَس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرّج عليها، واختلفوا في ذلك على اثني عشر قولاً، فقال علي بن أبي طالب وابن عباس عليهما السلام: الحروف المقطّعة في القرآن هي اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها))^(٣). ونقل البيضاوي (ت ٦٨٥هـ): ((إنها أسماء لله تعالى، ويدل عليه أن علياً عليه السلام كان يقول: يا كهيعص، ويا حمعسق، ولعله أراد يا منزلهما))^(٤). ونقل الفاكهاني (ت ٧٣٤هـ) رواية عن الإمام علي عليه السلام تقول: أن ((الحروف المقطّعة في القرآن اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها))^(٥).

وأورد الخازن (ت ٧٢٥هـ) على هذا القول: ((بأنه لا يجوز أن يُخاطب الله

(١) تفسير السمعاني: ١٦٣ / ٢.

(٢) مجمع البيان: ١١٢ / ١.

(٣) تفسير ابن عطية: ٨٣ / ١.

(٤) تفسير البيضاوي: ٣٥ / ١.

(٥) رياض الأفهام في عمدة الأحكام، الفاكهاني: ٢٥ / ٣، وينظر: تفسير الثعالبي: ١٨١ / ١.



عباده بما لا يعلمون، وأجيب عنه بأنه يجوز أن يُكَلِّفَ اللهُ عباده بما لا يُعقل معناه كرمي الجمار، فإنه ممَّا لا يُعقل معناه؛ والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة، فكَذَلِكَ هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث عنها^(١).

ويذهب المفسر الزيدي الأعقم (ت ٩٠هـ) إلى التصوّر الذي ذهب إليه الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) بالقول إنّها من أسماء الله، واعتمد على قول الإمام علي عليه السلام فيقول هي: ((مأخوذة من أسماء الله تعالى، وقيل: أسماء كانت العرب تُكاتب بها، فنزل القرآن عليها فلم يأتوا بمثله فدلّ على أنّه معجز، ما روي: ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول في دعائه: يا حم يا طس يا كفها))^(٢).

ونقل العلامة المجلسي (ت ١١١١هـ): ((أنّ المراد بها أسماء الله تعالى؛ لأنّ عليّاً عليه السلام كان يقول في دعائه يا كهيعص ويا جمعسق ولعله أراد يا منزلهما))^(٣) ويكرر الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) بأنّها أسماء الله تعالى مستنداً على قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((إنّها أسماء لله تعالى، ويدلّ عليه أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول: يا كهيعص، ويا جمعسق، ولعله أراد يا منزلهما))^(٤).

٣- الإيمان بالغيب وصلاة الإمام علي عليه السلام

مع سعي النظام الأمويّ إلى طمس آثار أمير المؤمنين عليه السلام ودأبه على تضييع القيم الإسلاميّة التي نذر الإمام نفسه لإقامتها، عمل النظام الأمويّ جاهداً على تغيير معالم الدين، فقد ضيّعت الصلاة، كما جاء على لسان أنس

(١) تفسير الخازن: ١ / ٢٢ .

(٢) تفسير التستري: ١ / ٢٥ .

(٣) بحار الأنوار، المجلسي: ٩١ / ١٠ .

(٤) رياض الأفهام في عمدة الأحكام، الفاكهياني: ٣ / ٢٥، وينظر شرح الزرقاني: ٨ / ٤٣٥ .



بن مالك^(١)، ولم يعرفوا الصلاة كما صلاها الرسول ﷺ إلا بعدما صلوا خلف أمير المؤمنين ﷺ^(٢).

نقل أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) في وصفه لصلاة الإمام عليؑ عن مُطَرِّف بن الشخير عن عمران بن حصين: ((قال صليت خلف علي بن أبي طالب ﷺ صلاة ذكّرني صلاة صليتها مع رسول الله ﷺ، والخليفين. قال: فانطلقت فصليت معه، فإذا هو يكبر كلما سجد وكلما رفع رأسه من الركوع، فقلت: يا أبا نجيد من أول من تركه؟ قال: عثمان بن عفان حين كبر وضعف صوته تركه))^(٣).

ويُفسر أبو الحسن الحرالي (ت ٦٣٨ هـ) هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]. فيقول: ((بعد ترتيب الإيمان بالغيب على التقوى... وفي أول السورى كلام في الإيمان عن علي ﷺ نفيس))^(٤)، منطلقاً من كلام أمير المؤمنين ﷺ في الإيمان وهي خطبة طويلة، فقال: ((الإيمان عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ وَالصَّبْرِ))^(٥).

((ويروى أن رجلاً من أصحابه قام إليه يُقال له همّام - وكان عابداً مجتهداً - فقال: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين كأتى أنظر إليهم، فتثاقل عن جوابه وقال له: يا همّام، اتق الله سبحانه وأحسن ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

(١) صحيح البخاري: ١/ ١٩٨، حديث: ٥٠٧. ومالك بن أنس لا يرى شيئاً يعرفه مما كان يراه فيقول: ((حدثنا عمرو بن زرارَةَ قال: أخبرنا عبد الواحد بن واصل، أبو عبيدة الحداد، عن عثمان بن أبي رواد، أخي عبد العزيز، قال: سمعت الزهري يقول: دخلت على أنس بن مالك بدمشق، وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: لا أعرف شيئاً ممّا أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيّعت)).

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٤٣٢، وينظر: صحيح البخاري: ١/ ٢٧٢، حديث: ٧٥٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ٤/ ٤٣٢.

(٤) تفسير الحرالي: ١/ ١٥٧.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٨/ ١٤٢، كلامه ﷺ في الإيمان:



مُحْسِنُونَ ﴿النحل: ١٢٨﴾ ... ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «أَمَّا بَعْدُ ... فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ، مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشِيهُمُ التَّوَاضُعُ، غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ، نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ، وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ، شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ، عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهَمُّ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهَمُّ فِيهَا مَنْعَمُونَ، وَهَمُّ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهَمُّ فِيهَا مَعَذَّبُونَ، قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ»^(١).

٤ - تفسير الرعد

في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة: ١٩]، ينقل ابن حنبل (ت ٢١٤هـ) في علته ((أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب قال الرعد ملك، والبرق ضربه السحاب بمخراق من حديد))^(٢)، ونقله أيضا تفسير الطبري (ت ٣١٠هـ)^(٣)، ويروي الطبراني (ت ٣٦٠هـ)^(٤) الحديث نفسه، وباختلاف بسيط يروي الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) أنه ((سئل عليٌّ عن الرعد فقال: ملك، وعن البرق، فقال: محَارِقُ بأيدي الملائكة من حديد))^(٥).

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١ / ٣٧١، ونزهة الأبصار ومحاسن الآثار، المامطيري: ١ / ٤٢٥، وكنز الفوائد، أبو الفتح الكراكي: ١ / ٨٩، وكشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء، ابن معصوم القزويني: ١ / ٥٨١.

(٢) العلل، أحمد بن حنبل: ٣ / ٣٧٣، ح: ٥٦٣٨.

(٣) تفسير الطبري: ١ / ٣٤٠.

(٤) الدعاء، الطبراني: ١ / ٣٠٦.

(٥) تهذيب اللغة، الأزهرى: ٢ / ١٢٢.

٥- من هم الأخسرين أعمالاً؟

نقل الصنعاني (ت ٢١١هـ) تساؤلاً عن الأخسرين أعمالاً، قال: ((عن سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل قال: قام ابن الكوا إلى علي بن أبي طالب فقال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، قال: ويلك منهم، أهل حروراء))^(١).

جاء في تفسير الطبري ((عن أبي حرب بن أبي الأسود عن زاذان، عن علي بن أبي طالب، أنه سئل عن قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، قال: هم كفرة أهل الكتاب، كان أوائلهم على حق، فأشركوا برّبهم، وابتدعوا في دينهم، الذي يجتهدون في الباطل، ويحسبون أنّهم على حق، ويجتهدون في الضلالة، ويحسبون أنّهم على هدى، فضلل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا، ثم رفع صوته، فقال: وما أهل النار منهم ببعيد))^(٢) ونقل الطبري أقوالاً أخرى تُنسب لأمر المؤمنين عليؑ: ((عن أبي الصهباء البكري، عن علي بن أبي طالب، أنّ ابن الكواء سأله، عن قول الله عز وجل ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾، فقال علي: أنت وأصحابك))^(٣). يعارض ابن عطية ما جاء في تفسير الطبري من تكفير (الأخسرين أعمالاً)، فيقول: ((قال: سعد بن أبي وقاص هم عبّاد اليهود والنصارى، وأهل الصوامع والديارات، وقال علي بن أبي طالب: هم الخوارج، وهذا إن صح عنه، فهو على جهة مثال فيمن ضلّ سعيه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنّه يُحسن، وروي أنّ ابن الكواء سأله عن ﴿الأخسرين أعمالاً﴾، فقال له: أنت وأصحابك، ويُضعف هذا

(١) تفسير الصنعاني: ٢ / ٤١٣ .

(٢) تفسير الطبري: ١٨ / ١٢٧ .

(٣) م.ن: ١٨ / ١٢٧ .



كله قوله تعالى بعد ذلك: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾ [الكهف: ١٠٥]، وليس من هذه الطوائف من يكفر بلقاء الله، وإنما هذه صفة مشركي عبدة الأوثان، فاتَّجِه بهذا ما قلناه أولاً، وعلي عليه السلام وسعد ذكراً أقواماً أخذوا بحظهم من صدر الآية))^(١).

٦ - بناء الكعبة

في الآية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، نقل الصنعاني ((قال ابن المسيب: قال علي بن أبي طالب: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت، قال: فعلتُ أي ربَّ فأرنا مناسكنا، أبرزها لنا، علمناها، فبعث الله جبريل فحجَّ به))^(٢)

ونقل الطبري في تفسيره في رواية ((عن علي بن أبي طالب عليه السلام أن إبراهيم أقبل من أرمينية معه السكينة، تدلُّه على تبوء البيت كما تبوء العنكبوت بيتها، قال: فرفعت عن أحجار تطيقه أو لا تطيقه ثلاثون رجلاً))^(٣).

ونقل ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في تفسيره القصَّة كاملة بقوله عن ابن جرير: ((أخبرنا هناد بن السري، حدَّثنا أبو الأحوص، عن سِماك، عن خالد بن عرعة، أن رجلاً قام إلى علي عليه السلام، فقال: ألا تُخبرني عن البيت، أهو أول بيتٍ وُضع في الأرض؟ فقال: لا ولكِنَّه أول بيتٍ وُضع فيه البركة، مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، وإن شئتَ أنبأتك كيف بُني: إن الله أوحى إلى إبراهيم أن ابن لي بيتاً في الأرض، قال: فصاق إبراهيم بذلك ذرعاً فأرسل الله السكينة - وهي ريحٌ حُجوجٌ، ولها رأسان

(١) تفسير القرطبي: ٦٦/١١ .

(٢) المصنف، الصنعاني: ٩٦ / ٥، وينظر: الدر المنثور: ١ / ١٣٨، وفتح القدير: ١ / ١٤٣ .

(٣) تفسير الطبري: ١ / ١٧١ .



- فَاتَّبَعَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ، حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى مَكَّةَ، فَتَطَوَّتْ عَلَى مَوْضِعِ الْبَيْتِ كَطَيِّ الْحَجْفَةِ، وَأَمَرَ إِبْرَاهِيمُ أَنْ يَنْبِي حَيْثُ تَسْتَقِرُّ السَّكِينَةُ. فَبَنَى إِبْرَاهِيمُ وَبَقِيَ حَجْرٌ، فَذَهَبَ الْغُلَامُ يَبْغِي شَيْئًا. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: أَبْغِنِي حَجْرًا كَمَا أَمَرْتُكَ، قَالَ: فَانْطَلَقَ الْغُلَامُ يَلْتَمِسُ لَهُ حَجْرًا، فَأَتَاهُ بِهِ، فَوَجَدَهُ قَدْ رَكَبَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَاهُ، مَنْ أَتَاكَ بِهَذَا الْحَجَرِ؟ فَقَالَ: أَتَانِي بِهِ مَنْ لَنْ يَتَّكِلَ عَلَيَّ بِنَائِكَ، جَاءَ بِهِ جِرْبِيلٌ ؑ مِنْ السَّمَاءِ فَآتَمَاهُ))^(١).

٧- حكم الإمام عليؑ في رجل قتل امرأته عمدًا

نقل الطبري وغيره ((عن الربيع قال: حَدَّثَنَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَيُّمَا حُرٍّ قَتَلَ عَبْدًا فَهُوَ قَوْدٌ بِهِ، فَإِنْ شَاءَ مَوَالِي الْعَبْدِ أَنْ يَقْتُلُوا الْحُرَّ قَتَلُوهُ، وَقَاصُّوهُمْ بِثَمَنِ الْعَبْدِ مِنْ دِيَّةِ الْحُرِّ، وَأَدُّوا إِلَى أَوْلِيَاءِ الْحُرِّ بِقِيَّةِ دِيَّتِهِ، وَإِنْ عَبْدٌ قَتَلَ حُرًّا فَهُوَ بِهِ قَوْدٌ، فَإِنْ شَاءَ أَوْلِيَاءُ الْحُرِّ قَتَلُوا الْعَبْدَ، وَقَاصُّوهُمْ بِثَمَنِ الْعَبْدِ وَأَخَذُوا بِقِيَّةِ دِيَّةِ الْحُرِّ، وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّيَّةَ كُلَّهَا وَاسْتَحْيَوْا الْعَبْدَ، وَأَيُّ حُرٍّ قَتَلَ امْرَأَةً فَهُوَ بِهَا قَوْدٌ، فَإِنْ شَاءَ أَوْلِيَاءُ الْمَرْأَةِ قَتَلُوهُ وَأَدُّوا نِصْفَ الدِّيَّةِ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْحُرِّ، وَإِنْ امْرَأَةٌ قَتَلَتْ حُرًّا فَهِيَ بِهِ قَوْدٌ، فَإِنْ شَاءَ أَوْلِيَاءُ الْحُرِّ قَتَلُوهَا، وَأَخَذُوا نِصْفَ الدِّيَّةِ، وَإِنْ شَاءُوا أَخَذُوا الدِّيَّةَ كُلَّهَا وَاسْتَحْيَوْهَا وَإِنْ شَاءُوا عَفَّوْا. وَيُرْوَى فِي رِوَايَةٍ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّ عَلِيًّا قَالَ فِي رَجُلٍ قَتَلَ امْرَأَتَهُ: إِنْ شَاءُوا قَتَلُوهُ وَغَرَمُوا نِصْفَ الدِّيَّةِ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ رَجُلًا قَتَلَ امْرَأَتَهُ عَمْدًا، فَأَتَوْا بِهِ عَلِيًّا، فَقَالَ: إِنْ شِئْتُمْ فَاقْتُلُوهُ، وَرَدُّوا فَضَلَ دِيَّةَ الرَّجُلِ عَلَى دِيَّةِ الْمَرْأَةِ))^(٢)، وينقل الرازي والنيسابوري (ت٧٢٨هـ)

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٤٣٢ .

(٢) تفسير الطبري: ٣ / ٩٩، تفسير الماوردی: ١ / ٢٢٩، والعجائب في بيان الأسباب، العسقلاني: ١ /

٤٢٥، واللباب في علم الكتاب، ابن عادل: ٣ / ٢١٥ .



وغيرهما ((عن علي عليه السلام)) والحسن البصري أن الغرض أن هذه الصورة هي التي يُكتفى فيها بالقصاص^(١)، ونقل القرطبي (ت ٦٧١هـ) وابن عادل (ت ٨٨٠هـ) عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((أن المقصود من هذه الآية الكريمة التسوية بين الحرّين والعبدین والأثنيين في القصاص))^(٢).

وفي مقدار الهدي في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦] نقل مالك (ت ١٩٧هـ) والطبري وآخرون: ((أن علياً بن أبي طالب عليه السلام كان يقول: ما استيسر من الهدي: شاة))^(٣).

٨- علة تسمية البقعة عرفات: ﴿فَإِذَا أَفْضُتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ﴾ [البقرة: ١٩٨] قال الطبري، والنحاس (ت ٣٣٨هـ) وآخرون، في سبب تسميتها بعرفات ((قال ابن المسيب: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: بعث الله جبريل إلى إبراهيم فحج به، فلما أتى عرفة قال: قد عرفت، وكان قد أتاه مرة قبل ذلك، ولذلك سميت عرفة))^(٤).

٩- تأويل ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٢٠٣]

ينقل الطبري رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير هذه الآية: ((أنه قال: فلا

(١) تفسير الرازي: ٥ / ٢٢١، وتفسير النيسابوري: ١ / ٤٨٣، الناسخ والمنسوخ، النحاس: ١ / ٨٣.
(٢) تفسير القرطبي: ١ / ٢٣٢، واللباب في علم الكتاب، ابن عادل: ٣ / ٢١٥، وينظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، ابن نور الدين: ١ / ٢٠٣.
(٣) موطأ مالك: ١ / ٤٧٦، ومصنف ابن أبي شيبة: ٣ / ١٣٤، وتفسير الطبري: ٣ / ٣٥٢، والشافي في شرح مسند الشافعي: ٣ / ٤٥٩.
(٤) تفسير الطبري: ٣ / ٥١٣، ومعاني القرآن، النحاس: ١ / ١٣٧، وتفسير الثعلبي: ٥ / ١٩٠، وشرح صحيح البخاري، ابن بطلال: ٤ / ٣٥٣، وتفسير ابن كثير: ١ / ٥٥٢، والدر المنثور: ١ / ٣٣٢.



إثم عليه، قال: غُفِرَ له، ومن تأخَّر فلا إثم عليه، قال: غُفِرَ له^(١)، بينما لم يُشر لذكر أمير المؤمنينؑ كلَّ من الصنعاني، وسعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ)، وابن أبي حاتم، والبيهقي (ت ٤٥٨هـ)^(٢).

١٠ - ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾

[البقرة: ٢٠٧]

قال الطبري وابن عطية في تفسير هذه الآية: ((ما روي عن عمر بن الخطاب وعن علي بن أبي طالبؑ وابن عباس، من أن يكون عنى بها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))^(٣)، ومنهم من يقول: ((إنها أنزلت في صهيب بن سنان))^(٤)، بينما يقول ابن منده^(٥)، وغيره^(٦) ((إنها نزلت في عباس، مولى حويطب بن عبد العزى))، ويقول الطبري إنها ((نزلت في صهيب بن سنان، وأبي ذر الغفاري جندب بن السكن))^(٧).

ذكر أبو حامد العزالي (ت ٥٠٥هـ) وابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) أنه: ((بات عليؑ على فراش رسول الله ﷺ فأوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أني

(١) تفسير الطبري: ٣ / ٥٩٤ .

(٢) تفسير عبد الرزاق الصنعاني: ١ / ٣٢٩، ح: ٢٣٧، وسنن سعيد بن منصور: ٣ / ٨٢٧، ح: ٣٥٨، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٣٦١، ح: ١٨٩٦-١٩٠٥، والهداية إلى بلوغ النهاية: ١ / ٦٧٣، وتفسير الماوردي: ١ / ٢٦٣، ح: ٨٩، والسنن الصغير: ٢ / ٢٠٠، ح: ١٧٣٠، والسنن الكبرى: ٥ / ٢٤٧، ح: ٩٦٨٤-٩٦٨٥ .

(٣) تفسير الطبري: ٤ / ٢١٩، وتفسير ابن عطية: ١ / ٢٧٨ .

(٤) تفسير ابن وهب: ٢ / ١٥٢، ح: ٣١١، وأنساب الأشراف: ١ / ١٨٢، وتفسير الثعلبي: ٥ / ٨٠٠، وأسد الغابة: ٣ / ٣١، وجامع المسانيد والسنن: ٤ / ٨٢٢، ح: ٥٣٥٨ .

(٥) المستخرج من كتب الناس: ٢ / ٢٨٦ .

(٦) أبو نعيم الأصبهاني: ٤ / ٢٣٣، ح: ٥٥٥١، ومعرفة الصحابة: ٣ / ٢٩٣، ح: ٢٧٩٨ .

(٧) تفسير الطبري: ٤ / ٢٤٨ .



أخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختارا كلاهما الحياة وأحبَّها، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب، أخيت بينه وبين نبيِّ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول بخ بخ من مثلك يا بن أبي طالب والله تعالى يباهي بك الملائكة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾^(١). وقال ابن كثير إنها نزلت في أصحاب السرية^(٢).

ولا يستبعد الباحث تعدد أسماء من نزلت فيهم الآية، إذا ما أخذنا بالحسبان ما رواه ابن أبي الحديد من تأثير معاوية في تزييف الرواية، يقول: ((قال أبو جعفر: وقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٥]، وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك. قال وقد صحَّ أن بني أمية منعوا من إظهار فضائل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلَّق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: (عن أبي زينب))^(٣).

(١) إحياء علوم الدين: ٣/ ٢٥٨، وأسد الغابة: ٤/ ٨٧ ح: ١١١٦.

(٢) ينظر: السيرة النبوية من البداية إلى النهاية: ٣/ ١٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤/ ٧٣.



ونقل ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) رواية موضوعة، تقول: ((خرج علي بالسحر يوقظ الناس للصلاة، فاستقبله ابن ملجم ومعه سيف صغير، فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، فظن علي أنه يستفتحه، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ فضربه بالسيف على قرنيه))^(١). ولا عجب أن معاوية بن أبي سفيان قد أحدث كثيرا ووضع أحاديث عن رسول الله ﷺ تهيء الناس لتقبل سياسة الاضطهاد والقهر والتسلط، ومن هذه الأحاديث: ((إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي آثَرَةً وَأُمُورًا تُنْكِرُونَهَا. قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَدُّوا إِلَيْهِمْ حَقَّهُمْ وَسَلُّوا اللَّهَ حَقَّكُمْ))^(٢)، وليس بعيدا عن ذلك أن تحث العبارة التالية على طاعة المسلمين لأمرائهم حتى وإن كانوا ظالمين، وتحرم عليهم الثورة ضدّهم للمطالبة بحقوقهم كما جاء في البخاري: ((مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَضْرِبْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شَبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً))^(٣) وقد استعمل لذلك أبا هريرة وكافأه بولاية المدينة، ((وكان معاوية يبعث أبا هريرة على المدينة، فإذا غضب عليه عزله وولى مروان بن الحكم))^(٤).

١١- في عدة المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثه قروء [البقرة: ٢٢٨]

نقل الطبري وغيره ((عن سعيد بن المسيب: أن علي بن أبي طالب قال في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها تطليقة أو ثنتين، قال: لزوجها الرجعة عليها، حتى تغتسل من الحيضة الثالثة وتحلل لها الصلاة))^(٥). ((لكن أئمة أهل البيت ينكرون

(١) مقتل علي، ابن أبي الدنيا: ١ / ٤٠، ح: ٢٩.

(٢) صحيح البخاري: ٩ / ٤٧، ح: ٧٠٥٢.

(٣) م.ن: ٩ / ٤٧، ح: ٧٠٥٤.

(٤) البداية والنهاية: ٨ / ١١٣.

(٥) تفسير الطبري: ٤ / ٩٤، وينظر: مختصر خلافيات البيهقي: ٤ / ٢٨٠.



ذلك وينسبون إليه عليه السلام: أن الأقرء الأطهار دون الحيض كما مرّت في الرواية، وقد نسبوا هذا القول إلى عدّة أخرى من الصحابة غيره عليه السلام كزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعائشة ورووه عنهم^(١). والإشكالية الفقهيّة بين المذاهب قائمة في تفسير لفظ (القروء)، فيقول الشيخ الطبرسي: ((والمراد بالقروء: الأطهار عندنا، وعند الشافعيّ، وذهب أبو حنيفة إلى أنّها ثلاث حيض))^(٢)؛ ((لأنّه لا خلاف أنّ السنة في الطلاق أن يكون عند الطهر))^(٣).

١٢ - الصلاة الوسطى في الآية: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

يروى الطبرسي عن أبي الصهباء البكريّ، يقول: ((سألت عليّ بن أبي طالب عن الصلاة الوسطى؟ فقال: هي صلاة العصر، وهي التي فُتِن بها سليمان بن داود))^(٤)، وهذا غير صحيح، فإنّ المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في الروايات المروية عنهم قولاً واحداً وهي أنّ الصلاة الوسطى هي الظهر، كما ذكر العياشي^(٥)، والكليني (ت ٣٢٨هـ)^(٦)، والصدوق (ت ٣٨١هـ)^(٧).

١٣ - معنى السكينة في الآية: ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨]

-
- (١) تفسير الميزان: ٢ / ٢٥١ .
 (٢) تفسير جوامع الجامع: ١ / ٢١٤ .
 (٣) الينابيع الفقهيّة: ٢٠ / ٢٠٥ .
 (٤) تفسير الطبرسي: ٤ / ٣٤٤ .
 (٥) ينظر: تفسير العياشي: ١ / ١٢٧ .
 (٦) ينظر: الكافي: ٣ / ٢٧١ .
 (٧) ينظر: من لا يحضره الفقيه: ١ / ١٩٦ .



روى الطبري وآخرون^(١)، عدّة روايات عن الإمام عليؑ وبطرق متعدّدة أنّ معنى السكينة: هي ريح هفافة لها صورة، فيروي الطبري ((عن سلمة بن كهيل، عن علي بن أبي طالب في قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ قال: رِيحٌ هَفَّافَةٌ لَهَا صُورَةٌ. وقال يعقوب في حديثه: لها وجه، وقال ابن المثنى: كوجه الإنسان. وعن أبي الأحوص، عن علي، السكينة لها وجه كوجه الإنسان، ثم هي ريح هفافة. وقال: رِيحٌ هَفَّافَةٌ لَهَا صُورَةٌ، وقال علي: السكينة: ريح خجوج [ريح شديدة]^(٢)، ولها رأسان)). ونقل الماوردي مثل ذلك عن الإمام عليؑ^(٣). ويقول الطبرسي ((الظاهر أنّ السكينة أمانة وطمأنينة جعلها الله فيه ليسكن إليه بنو إسرائيل))^(٤)، وقريب ممّا رواه الماوردي ينقل القمي رواية عن الإمام الرضاؑ أنّه قال: ((السكينة: ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان))^(٥).

ويعرّف الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) السكينة بالقول: ((من السكون خلاف الحركة وتستعمل في سكون القلب وهو استقرار الإنسان وعدم اضطراب باطنه في تصميم إرادته على ما هو حال الإنسان الحكيم، (من الحكمة باصطلاح فنّ الأخلاق) صاحب العزيمة في أفعاله، والله سبحانه جعلها من خواص الإيمان في مرتبة كماله، وعدّها من مواهبه السامية. وأنّ السكينة روح إلهي أو تستلزم روحاً إلهياً من أمر الله تعالى يوجب سكينه القلب واستقرار النفس وربط الجأش، ومن

(١) تفسير الطبري: ٤ / ٤٦٧، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢ / ٤٦٨، ومعاني القرآن، النحاس: ١ / ٢٤٩، وعن عليؑ بلفظ لها وجه كوجه الإنسان فقط: تفسير الثعلبي: ٦ / ٥٠٨، والتبيان، الشيخ الطوسي:

٢ / ٢٩٣، وتفسير السمعاني: ١ / ٢٥١، وتفسير القرطبي: ٣ / ٢٤٩، والتفسير الصافي: ١ / ٢٧٤ .

(٢) لسان العرب: ٤ / ٢٩، خجج .

(٣) تفسير الماوردي: ١ / ٣١٥، ح: ٨٩ .

(٤) مجمع البيان: ٢ / ١٤٣ .

(٥) تفسير القمي: ١ / ٨٢ .



المعلوم أنّ ذلك لا يوجب خروج الكلام عن معناه الظاهر واستعمال السكينة التي هي بمعنى سكون القلب وعدم اضطرابه في الروح الإلهي، وبهذا المعنى ينبغي أن يوجّه ما سيأتي من الروايات، فإنّ المراد بها على تقدير صحتها: أن السكينة مرتبة من مراتب النفس في الكمال توجب سكون النفس وطمأنينتها إلى أمر الله، وأمثال هذه التعبيرات المشتملة على التمثيل كثيرة في كلام الأئمّة، فينطبق حينئذٍ على روح الإيمان، وقد عرفت في البيان السابق أنّ السكينة منطبقة على روح الإيمان^(١).

المبحث الثاني: نموذج من كلام أمير المؤمنين من نهج البلاغة وأثره في مصنّفات المسلمين

سنتناول مقولة للإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وسأفترضها محايدة للجميع، ثمّ نبحث عنها في مؤلّفات المسلمين سواء كان بالإشارة أم بالاستدلال أم بالشرح والتفصيل؛ لأجل دراسة آثار الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في مدوّنات المسلمين، والعبارة هي: ((الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))^(٢)، والعبارة جزء من عهده عَلَيْهِ السَّلَامُ لعامله مالك بن حارث الأشتر النخعيّ على مصر، هذه العبارة تعكس مبدأ التسامح والعدالة والإنسانيّة التي كان يدعو إليها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي تُستخدم بشكل واسع في الأدبيات الإسلاميّة؛ لتعزيز مفهوم الأخوة الإنسانيّة والتعامل بالحسنى مع الآخرين، وسنحلّل المصنّفات التي تناولت هذه المقولة الحياديّة بين المذاهب، والتي من حسن الحظّ أنّها لم تلقَ تشويهاً ومحاربة من الأنظمة السياسيّة على مرّ الزمن، وسأتناول جزءاً من المصنّفات التي تناولت هذه المقولة إمّا

(١) تفسير الميزان: ٢ / ٣٠٠ .

(٢) تحف العقول عن آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ١ / ١٢٧، و التذكرة الحمدونية: ١ / ٣١٦، و شرح نهج البلاغة،

ابن أبي الحديد: ١٧ / ٣٢ .



بالاستشهاد بها أو بالتحليل. ولا يهمننا هنا دراسة أثرها في رسم النظريات والأفكار، ودراسة أحكام الغضب في الفقه الإسلامي^(١)، أو في نقد الثورة الإسلامية^(٢)، أو في مناقشة مرتكزات الحوار الإنساني، والوحدة الإسلامية، والتعامل الدولي^(٣)، والتسامح الديني، أو مناقشة عوامل نجاح القائد، والحاكم أو أي قيادة كانت في كل شؤون الحياة^(٤)، أو مناقشتها من ناحية جزالة المفردات وقوة الإنشاء ورسالة العبارة بلاغيًا^(٥) وغيرهما، فذلك كله يحتاج إلى بحث منفصل.

ولم يكن المسلمون فقط من اهتم بعهد الإمام عليؑ لمالك بن حارث الأشتر النخعي بقوله: ((يا مالك... وَأَشْعُرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَ الْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَ اللَّطْفَ بِهِمْ، وَ لَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))^(٦)، بل تعنى بها الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان^(٧)، وبالتأكيد أنها ذكرت في كثير من مصنفات المسلمين^(٨)، تحليلًا، ودراسة، وإشارة، ودراسة عمقها الإنساني، والفقهية، والقانونية.

(١) ينظر: أحكام الغضب في الفقه الإسلامي: ١ / ١٩٨ .

(٢) ينظر: الثورة البائسة: ١ / ١٤٢ .

(٣) ينظر: مجلة مجمع الفقه الإسلامي: ٤ / ٢٠٤٨ .

(٤) التذكرة الحمدونية: ٣١٦ / ١، ونهاية الإرب في فنون الأدب: ٦ / ٢٠، و مآثر الإنافة في معالم

الخلافة: ٧ / ٣، ح: ٥٧، و صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ١٠ / ١١ .

(٥) جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب: ١ / ١٦٧ .

(٦) اختيار مصباح السالكين: ١ / ٥٤٠ .

(٧) بيان صحفي للأمين العام للأمم المتحدة رقم: Press Release SG/SM ٦٤١٩/HR ٤٣٤٧

١٩٩٧ December ٩ ٣٤/OBV

(٨) ينظر: نهاية الإرب: ٦، ص ٢٠، و مآثر الإنافة في معالم الخلافة: ٧ / ٣، صبح الأعشى في صناعة

الإنشاء: ١٠ / ١١، و أحكام الغضب: ١٩٨، جواهر الأدب: ١ / ١٦٧، و موارد الضمان: ٤ / ٣٧ .



المبحث الثالث: كلام أمير المؤمنين وتأثيره في أدبيات وإنشاء لغة العرب

من المعلوم أن أمير المؤمنين عليه السلام يعدّ أول من وضع أسس النحو بعدما طلب منه أبو الأسود الدؤليّ: فقال: يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب، ويوشك إن تطاول عليها زمان أن تضمحل، فقال: هلمّ صحيفة، ثمّ أملى عليه: [الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى] وتناول ذلك الكثير من المصنفات^(١)، ((وهذا القول أول كتاب سيبويه ثم رسم أصول النحو كلها فنقلها النحويون وفرعوها))^(٢)، ثمّ ((رسم له رسوما فنقلها النحويون في كتبهم))^(٣).

فكثيرة هي مزايا ومختصات أمير المؤمنين عليه السلام فاق بها الصحابة، منها الحكمة، وفصاحة الكلام، وبلاغته، وغيرهما كثير. والذي يهمننا هنا هو ما ذهبت مقولاته أمثالاً تتكرّر على الألسن، وهنا نسلّط الضوء على تنوع المؤلّفات واختصاصاتها بنقل الأمثال عن أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها: ((أبو العيال أحقّ أن يحمل)) دوّنت في العديد من الكتب^(٤)، وقوله عليه السلام يرويه المجلسي (ت: ١١١١هـ): ((اتقوا فراسة المؤمن فإن ينظر بنور الله))^(٥)، وكذلك قوله ((الكريم يلين إذا استعطف، واللييم

(١) ينظر: المثل السائر: ١/٤٤، وبناء المقالة الفاطمية: ١/١٠٢، والمدرس الأفضل: ١/٢٢٦، وشرح إحقاق الحق: ١٧/٥٣١.

(٢) سبب وضع علم العربية، السيوطي: ٣/١.

(٣) المثل السائر: ١/٤٤.

(٤) الزهد: ١/١١٠، فضائل الصحابة: ١/٤٥٦، ح: ٩١٦، الأدب المنفرد: ١/١٩٤، ح: ٥٥١، والتواضع والخمول: ١/١٣٦، ح: ١٠٢، إحياء علوم الدين: ١١/٤٩، تذكرة الخواص: ١/١١٠، مناقب الأسد الغالب: ١/٥، تهذيب الكمال: ١٣/١٠٦، تهذيب التهذيب: ٦/٤٩؛ بحار الأنوار: ٧٠/٢٠٧، كشف الخفاء: ٢/٢١، إتقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن: ١/٣١٦، ح: ٩٧١.

(٥) انفراد بنسبة هذا الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام: بحار الأنوار: ٢٥/٢١، ح: ٣٢؛ باقي المصادر ترجعه للرسول صلى الله عليه وآله منها: الأربعون الزاهرة المنسوبة إلى العترة الطاهرة: ١/١٤٧، أضواء البيان: ٢/٢٨٧، تفسير ابن كثير: ٤/٤٦٦.



يقسو إذا لطف)) الذي نقلته كثير من المدونات^(١)، وكلامه: ((كلمة حق أريد بها باطل))^(٢)، وله قول: ((الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب))^(٣) وصاغها الشافعي على أبيات قال فيها^(٤):

وما هي إلا جيفة مستحيلة
عليها كلاب حظهن اجتذباها
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها
وإن تجتذبها نازعتك كلابها

وصف الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده (ت ١٣٢٢هـ) نهج البلاغة قائلاً:
((فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرقات، وكان يُحِيل لي في كلِّ مقام أن حروباً شبت، وغارات سُنت وإنَّ للبلاغة دولة،

(١) اليعقوبي: ٣٢١/٢، روضة العقلاء: ٦٧٠/٢، ديوان المعاني: ٨٣٥/٢، الصداقة والصديق: ٢٧٧/١ وينسبه لعمر بن العاص، نثر الدر في المحاضرات: ١٢٣/٤، كنز الفوائد: ٢٨٣/١، تحف العقول عن آل الرسول: ٢٠٤/١، تاريخ مدينة دمشق: ٥١٦/٤٢، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٥٧٢/٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٩٦/٢٠، حياة الحيوان الكبرى: ١٤٨/١، كنز العمال: ٢٦٨/١٦، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى): ١٠٥/١، بحار الأنوار: ٤١/٧٥.

(٢) المدونة الكبرى، الإمام مالك: ٤٩/٢، كتاب الأم: ٢٢٩/٤، رسائل الجاحظ: ١٢٣/١، صحيح مسلم: ١١٦/٣، مختصر المزني: ٢٥٧/١، الغارات: ١١٦/١، تاريخ اليعقوبي: ١٩١/٢، السنة: ٤٣٩/١، السنن الكبرى: ١٦٠/٥، الاشتقاق: ٢٢٠/١، تأويلات أهل السنة: ١١/٩، المزكيات: ٢٥١/١، حلية الأولياء: ٢٣٨/٨، غرر الخصائص: ١٣٨/١، روضة الحبور: ٩١/١، تفسير السيوطي: ٣٠١/٣.

(٣) المزكيات: ٢٥١/١، حلية الأولياء: ٢٣٨/٨، المختار من مناقب الأخيار: ١٧٧/٥، غرر الخصائص: ١٣٨/١، روضة الحبور: ٩١/١، تفسير السيوطي: ٣٠١/٣، كنز العمال: ٧١٩/٣، طبقات الصوفية: ١٠١/١، كشف الخفاء: ٤٠٩/١، نور الأبصار: ١٧٠/١.

(٤) حياة الحيوان الكبرى: ٤١١/١.



وللفصاحة صولة، وإنَّ للأوهام عرامة وللريب دعارة، وإنَّ جحافل الخطابة وكتائب الذرابة في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج والقويم الأملج وتمتلج المهج بروائع الحجج، وتفل دعارة الوسوس، وتصيب مقاتل الخوانس فما أنا إلا والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشك في خمود وهرج الريب في ركود، وغن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحسّ بتغير المشاهد، وتحول المعاهد، فتارة كنتُ أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية، في حلال من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية^(١).

فالحديث عن آثار أمير الكلام في الثقافة الإسلامية والعربية لا ينضب، ولكننا اختصرنا الحديث لحفظ الفكرة في مضمونها.

المبحث الرابع: دراسة تحليلية بيانية لآثار أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في تفاسير المسلمين.

جرى تحليل (٥٤) تفسيراً من طريق البحث في محرك البحث (Google) عن كلمات مفتاحية وهي: (عليّ بن أبي طالب، عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ، أمير المؤمنين^(٢))، كرم الله وجهه^(٣))، عليّ رضي الله عنه، عليّاً رضي الله عنه، وهي محاولة لتقصي الأثر من خلال ذكر واحدة أو أكثر من الكلمات المفتاحية المذكورة، والتي تؤشّر إلى اقتباس

(١) نهج البلاغة: المقدمة: ٩ .

(٢) ((عن جابر عن أبي جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: قلت له: لم سمي أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أمير المؤمنين؟ قال: سماه الله، وهكذا أنزل في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأن محمداً رسولاً وأن عليّاً أمير المؤمنين)). ينظر: الكافي: ١/٤١٢، ح ٤.

(٣) في الحقيقة، هذا بيان لكرامة ثابتة لدى جميع المسلمين للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ دون غيره من صحابة الرسول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه العبارة تشير إلى منقبة متميزة، وهي مبادرته إلى الإسلام قبل بلوغه سن التكليف، وعدم سجوده لأي صنم قط، إنها كرامة إلهية خصّه الله عز وجل بها. و ذكر بن شهر آشوب: ((وَوَجَدْنَا الْعَامَّةَ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا فِي كُتُبِهِمْ أَوْ أَجْرُوا ذِكْرَهُ عَلَىٰ أَلْسِنَتِهِمْ قَالُوا: كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ عَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ)) ينظر: مناقب آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ابن شهر آشوب: ١٧٧/٢ .



قول منه أو رواية حديث ينتهي السند به أو عنه عن الرسول صلى الله عليه وآله، أو بتفسير آية عنه، أو غيرها.

تشير الدراسة إلى أنّ لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام تأثيراً بارزاً وجليّاً في تفاسير القرآن الكريم، ولا سيما في التفاسير الشيعية، وقد أخذنا عيّنة من ثمانية تفاسير.

للإمام أثرٌ محوريّ في فهم وتفسير النصوص الدينيّة، وقد أخذت الدراسة التنوع المذهبيّ بالحسبان عند دراسة التفاسير الإسلاميّة، وقد برزت النتائج أهميّة ذلك، إذ أظهرت الدراسة حجم الاستدلال بذكر تفسير الإمام عليّ عليه السلام لآيات أو تأويلها في التفاسير في العينة، وكذلك الإشارة إلى الأحاديث المرويّة عنه.

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو تقديم تحليل بيانيّ لأثر أمير المؤمنين عليه السلام في تفاسير المسلمين المختلفة، اختزالاً لدراسة موضوع واحد أو أكثر بعدد من التفاسير، فاختارت الدراسة البعد العرضيّ لجرد عدد أكبر من التفاسير بمواضيع عديدة، ومع الاعتراف بأنّها النتائج تقريبيّة وليست دقيقة جدّاً نظراً لاستخدام بعض الكلمات المفتاحية لأشخاص آخرين ممّا دفعنا لعدم استخدامها ما يؤثّر على النتيجة، فاعتمدنا الكلمة المفتاحية عليه السلام مثلاً وليس (سلام الله عليه) المختصّ بها المصنّفات الشيعية، أو عليه السلام، واستبعدنا عبارة (أمير المؤمنين) بدراستنا في التفاسير غير الشيعية، وهذا ممّا يقلّل من عدد مرات تتبّع أثر الإمام عليّ عليه السلام في هذه التفاسير. على أيّة حال، نستطيع القول إنّ هذه المعطيات وبشكل عام قد رسمت لنا صورة واضحة وجليّة للأثر، والتأثير الواضحين لأمير المؤمنين عليه السلام في المدونات الإسلاميّة.

ولا بدّ لنا من الإشارة إلى أنّ الهدف من هذه الدراسة هو تقديم تحليل بيانيّ



لآثار أمير المؤمنين (ع) في تفاسير المسلمين المختلفة.

ومن الجدير بالذكر أن التفاسير التي تمت دراستها شملت شريحة متنوعة من التفاسير في حقب زمانية مختلفة ومدارس مذهبية متنوعة ولتفاسير مشهورة وغيرها ولا يعني أنها قد غطت كل التفاسير المنشورة.

وشملت العينة التفاسير التالية مرتبة زمنيًا في كل مجموعة:

أ. تفاسير الشيعة الإمامية

١. البيان - الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)
٢. تفسير القرآن - علي بن ابراهيم القمي (ت: ق ٤)
٣. مجمع البيان - الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)
٤. تفسير صدر المتألهين (ت: ١٠٥٩هـ)
٥. التفسير الصافي - الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩٠هـ)
٦. تفسير الجنابذي (ت: ق ١٤)
٧. تفسير الميزان - الطباطبائي (ت: ١٤٠١هـ)
٨. تفسير الأمثل - مكارم الشيرازي (معاصر)

ب. تفاسير الإباضية

١. تفسير الهواري (ت: ق ٣)
٢. تفسير اطيفش (ت: ١٣٣٢هـ)
٣. تفسير الخليلي (معاصر)

ت. تفاسير الزيدية

١. تفسير الشهيد زيد (ت: ١٢٠هـ)
٢. تفسير الحبري (ت: ٢٨٦هـ)



٣. تفسير فرات الكوفي (ت: ق ٣)

٤. تفسير الأعقم (ت: ق ٩)

ث. تفاسير السلفية

١. تفسير السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)

٢. تفسير أبو بكر الجزائري (معاصر)

ج. تفاسير أهل السنة

١. تفسير مجاهد بن جبر المخزومي (ت: ١٠٤هـ)

٢. تفسير مقاتل بن سلمان (ت: ١٥٠هـ)

٣. تفسير الثوري (ت: ١٦١هـ)

٤. تفسير عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ)

٥. تفسير النسائي (ت: ٣٠٣هـ)

٦. تفسير الطبري (ت: ٣١٠هـ)

٧. تفسير السجستاني (ت: ٣٣٠هـ)

٨. تفسير الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)

٩. تفسير الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)

١٠. تفسير السمرقندي (ت: ٣٧٥هـ)

١١. تفسير ابن أبي زمنين (ت: ٣٩٩هـ)

١٢. تفسير الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)

١٣. تفسير الماوردي (ت: ٤٥٠هـ)

١٤. تفسير البغوي (ت: ٥١٦هـ)

١٥. تفسير الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)

١٦. تفسير ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ)

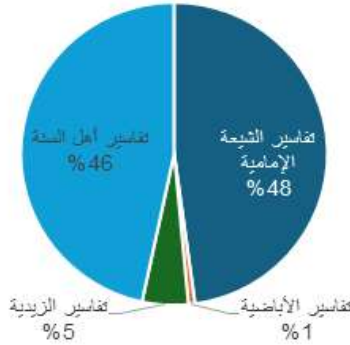


١٧. تفسير ابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)
١٨. تفسير ابن عبد السلام (ت: ٦٦٠هـ)
١٩. تفسير القرطبي (ت: ٦٧١هـ)
٢٠. تفسير البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)
٢١. تفسير النسفي (ت: ٧١٠هـ)
٢٢. تفسير الخازن (ت: ٧٢٥هـ)
٢٣. تفسير النيسابوري (ت: ٧٢٨هـ)
٢٤. تفسير ابن جزى الغرناطي (ت: ٧٤١هـ)
٢٥. تفسير أبي حيان (ت: ٧٥٤هـ)
٢٦. تفسير الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)
٢٧. تفسير ابن عرفة (ت: ٨٠٣هـ)
٢٨. تفسير الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)
٢٩. تفسير المحلي (ت: ٨٦٤هـ)
٣٠. تفسير ابن عادل (ت: ٨٨٠هـ)
٣١. تفسير الثعالبي (ت: ٨٨٥هـ)
٣٢. تفسير البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)
٣٣. تفسير السيوطي (ت: ٩١١هـ)
٣٤. تفسير أبي السعود (ت: ٩٥١هـ)
٣٥. تفسير جلال الدين (ت: ١٢٤١هـ)
٣٦. تفسير الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)
٣٧. تفسير القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)
٣٨. تفسير محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ)



في هذه الدراسة بحثنا في ثمانية تفاسير شيعية، وثلاثة تفاسير إباضية، وأربعة تفاسير زيدية، وتفسيران سلفيان، وثمانية وثلاثين تفسيراً لأهل السنة، والمجموع أربع وخمسون تفسيراً. ويمكن تلخيص النتائج بالرسوم البيانية التالية:

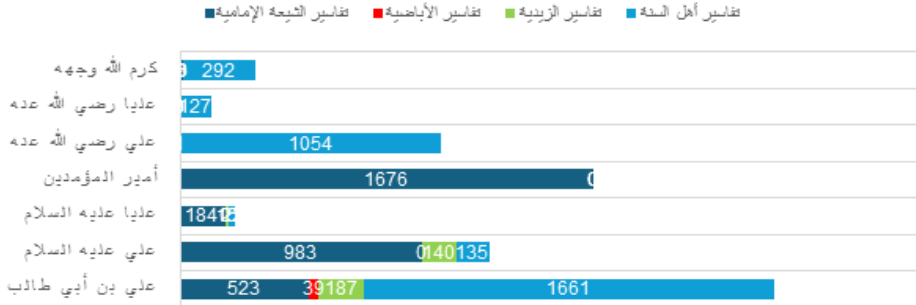
(الرسم البياني: I) إجمالي اشارات (54) من كتب التفاسير للإمام علي (عليه السلام)



من (الرسم البياني: I) نرى أن ٣٨ تفسيراً لأهل السنة ذكرت أو أشارت أو اقتبست كلاماً للإمام عليؑ بنسبة ٤٦٪ مقارنةً بـ ٤٨٪ لتفاسير الشيعة مع أن عددها أقل بكثير (ثمانية فقط)، هذا وإن دل على شيء، فإنما يدل على الضغط التاريخي الذي مورس من قبل الأنظمة السياسية بعدم ذكر أمير المؤمنينؑ ومع ذلك فهناك تأثير لا يمكن تجاوزه لأمر المؤمنينؑ على تفاسير أهل السنة. نرى بوضوح ارتباط الزيدية بإمامهمؑ من النسبة ٥٪ وهي أكثر مما أشير إلى الإمام عليؑ في تفاسير الإباضية ١٪.



(الرسم البياني: 2) تكرار استعمال المصطلح في كتب التفسير



ويشير (الرسم البياني: ٢) إلى أن تفاسير الشيعة تذكر كثيراً (أمير المؤمنين)، ثم عليّ (ع)، ثم عليّ بن أبي طالب، يتمثل ذلك باللون الأزرق في الرسم البياني. وبالترتيب نفسه في الكتب الزيدية، ولكن بنسبة أقل بكثير والمتمثل باللون الأخضر في الرسم البياني. علماً أننا لم نستعمل مصطلح (أمير المؤمنين) في التحليل البياني في باقي التفاسير لاشتراكها بين أشخاص آخرين غير الإمام عليّ (ع). أما تفاسير أهل السنة فتشير بـ (عليّ بن أبي طالب)، ثم عليّ (ع)، ثم (كرم الله وجهه) المتمثل ذلك باللون الأصفر في الرسم البياني، أما التفاسير الإباضية فتذكره بـ (عليّ بن أبي طالب)، و(كرم الله وجهه) المتمثل باللون الأحمر في الرسم البياني.

بشكل عام نتلمس الأثر الواضح لفكر الإمام عليّ (ع) في المصنفات الإسلامية. (الرسم البياني: ٣) يبين معدّل الإشارة للإمام (ع) في كلّ تفسير لكلّ مذهب في العيّنة المذكورة (٥٤ تفسيراً) وتوضيحه فيما يأتي:



وذلك بواقع ٤٢٢ مرة في كلّ تفسير شيعي من التفاسير الثمانية، بينما نجد أنّ تكرار ذكره ﷺ في كلّ تفسير سني ٨٧ مرة من التفاسير الثمانية والثلاثين تفسيرًا، وقريب منه جدًا في التفسير الزيدي ٨٦ مرة من التفاسير الثلاثة فقط، وهذا مؤشّر على شدة ارتباط الشيعة والزيدية (١٢ تفسيرًا) عمّن سواهم من السنة بكلّ مذاهبهم بالرواية عن أمير المؤمنين عليؑ مقارنة باعتماد الرواية عنه ﷺ في التفاسير السنية والسلفية والإباضية والتي مجموعها في العينة ٤٢ كتابًا.

الاستنتاجات من الرسوم البيانية

١- مع أسلوب الاضطهاد الديني والحصار الثقافي الذي فرضته السياسات الأموية والعباسية ومن ثمّ العثمانيين والأيوبيين وأخيرًا من الوهابيين والتشديد بالنقل عن أمير المؤمنين ﷺ لحجب فكره وأحاديثه ومنهجه عن الناس بشتّى الأساليب الشيطانية، وهو المعروف عنه أنّه أفصح الناس بعد رسول الله ﷺ، وأكثرهم علمًا وزهدًا وشدة في الحقّ، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ، وخطبه تشهد بذلك. وينقل ابن الجوزي (ت: ٥٩٧) في شهادته على شدة التضييق في الرواية عن الإمام عليؑ وذلك من ملاحظة حجم التقليص في مجموع ما روي عنه من الأحاديث إلى العدد المتبقيّ منها بعد الاتّفاق عليها،



فيقول ابن الجوزي في ذلك إن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((روى خمس مائة وسبعة وثلاثين (١٣٧)، أخرج له منها في الصحيحين: أربعة وأربعون حديثاً (٤٤)، المتفق عليه منها عشرون (٢٠)، وانفرد البخاري بتسعة (٩)، ومسلم بخمسة عشر (١٥)))^(١). يقول الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إملأ من فلق فيه وخطه علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج إليه الناس حتى الأرش في الخدش))^(٢)، بينما يروي البخاري نفسه في صحيحه عن نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قد أملى على علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يكتب وسميت بالصحيفة الجامعة، وأشار البخاري إلى هذه الصحيفة، ولكنه شذّب الحديث وجعله مبهماً فيقول: ((خطبنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على منبر من آجر، وعليه سيف فيه صحيفة معلقة، فقال: واللّه ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله وما في هذه الصحيفة))^(٣)، لكن سياسة البغض لأمر المؤمنين ومحاوله طمس آثاره كانت سارية على مدى قرون، وهذا جذب أحد صحابة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: يروي ما جرى له فيقول: ((فكنتُ كلّمًا ذكرتُ للناس شيئاً من فضائل علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ومناقبه وحقوقه زبروني وهروني، حتى رُفِعَ ذلك من قولي إلى الوليد بن عقبة ليالي ولينا، فبعث إليّ فحبسني حتى كلّم فيّ فخلّي سبيلي))^(٤)، ومع كلّ محاولات الطمس والتزوير ونسبة آثاره لغيره ومنع الرواية عنه، ومع أصرار أعدائه على طمس فضائله بدافع الحسد من جهة، وإخفاؤها من محبيه خوفاً وهدراً من السلطان من جهة أخرى، لكن يبقى ذكره يملأ الخافقين كما قال أحدهم: ((وماذا أقول في رجل أخفى أولياؤه فضائله خوفاً، وأخفى أعداؤه فضائله

(١) المجتبي من المجتبي: ٤٥ / ١ .

(٢) بصائر الدرجات: ١٦٣ / ١، والكافي: ٢٤١ / ١ .

(٣) صحيح البخاري: ٦ / باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، ح: ٦٨٧٠

(٤) السقيفة وفدك: ٩١ / ١، والإرشاد: ٢٤٣ / ١، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٥٨ / ٩ .



حسدًا، وشاع له بين ذين ما ملأ الخافقين^(١)، ومع ذلك كله فما زالت له اليد العليا ويشار إليه بالبنان في الأدب والبلاغة والفقه والتفسير والعدالة الاجتماعية، وألفت فيه كتب كثيرة في مختلف العلوم^(٢). فآثاره خالدة بخلود القرآن ليس لأنه عدل القرآن فحسب، بل لأن القرآن الكريم ذكره في آيات عديدة أظهرت مقامه وفضله وعظيم شأنه، ومن هذه الآيات: آية المباهلة، وآية المودة، وآية التطهير، و سورة (هل أتى) وغيرها^(٣).

٢- هو الذي تربى في حضن الرسالة وسمع منه ﷺ، وهو أول من أسلم، وصلى خلف الرسول ﷺ^(٤)، وكان يعيش مع النبي ﷺ في بيته كأحد أبنائه وأفراد عائلته^(٥)، وعندما نزل عليه الوحي آمن به وصدقته. قال النبي ﷺ عن أمير المؤمنين: ((والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة))^(٦)، ثم قال: ((إنه أولكم إيمانًا معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية))^(٧).

(١) مشارق أنوار اليقين: ١/ ١٧١.

(٢) ينظر: معجم ما كتب عن الرسول وأهل بيته: ١٤٠٣

(٣) [سورة التوبة: آية ١٠٠]؛ آية الولاية: [سورة المائدة: آية ٥٥، ٥٦]؛ آية مع الصادقين [سورة التوبة: آية ١١٩]؛ [سورة الرعد: آية ٧]؛ [سورة النساء: آية ٥٩]؛ آية التبليغ: [سورة المائدة: آية ٦٧]؛ آية إكمال الدين: [سورة المائدة: آية ٣]؛ خير البرية: [سورة البينة: آية ٧]؛ آية أهل الذكر: [سورة النحل: آية ٤٣]؛ آية الشراء: [سورة البقرة: آية ٢٠٧]؛ آية طاعة أولي الأمر: [سورة النساء: آية ٥٩]؛ وغيرها كثيرًا راجع: مناقب ابن المغازلي: ١/ ٣٢٨، مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ١/ ٢٨٠.

(٤) ينظر: كنز العمال: ١٣/ ١١٠، ح: ٣٦٣٦٢

(٥) روى البيهقي: «أخذ رسول الله ﷺ عليًا فضمه إليه، فلم يزل عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبيًا، فاتبعه عليٌّ وآمن به وصدقته» راجع: دلائل النبوة، البيهقي: ٢/ ١٦٢.

(٦) تفسير الشوكاني: ٥/ ٥٨٢، تفسير [سورة البينة: آية ١-٨]

(٧) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ: ١/ ١٠٤، و تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٣٧١، ومختصر



على آية حال فما يروى عن علي عليه السلام فهو بالنتيجة عن النبي صلى الله عليه وآله وعلمه علم الأنبياء، ألم يقل النبي صلى الله عليه وآله: ((من أراد أن ينظر إلى علم آدم، وفقه نوح فلينظر إلى علي بن أبي طالب))^(١)، وقرينه القرآن الكريم ولن يفترق عنه: ((إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإني لئن يفترقا حتى يردا علي الحوض))^(٢). فالطبيعي جداً أن تتناول المدونات الإسلامية من حديث أمير المؤمنين عليه السلام سواء ما نقله عن الرسول صلى الله عليه وآله أو من خطبه ورسائله وحكمه وغيرها.

٣- بعض التفاسير السلفية مثل تفسير السعدي، ومع أنها تعتمد على سنة السلف - كما هو مذهبهم وبه سموا أنفسهم - إلا أنها استثنت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، و لم تنقل عنه نهائياً أي رواية أو خبر أو تفسير، ويحضرني هنا قول الشاعر:

ما ضرَّ شمس الضحى في الأفق طالعة

أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر^(٣)

الخاتمة

اتضح من البحث أن للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تأثيراً عميقاً وشاملاً على المدونات الإسلامية عبر العصور، وأن تأثيره لم يقتصر على الجانب الديني والفقهية فقط، بل امتد ليشمل الجوانب الاجتماعية والسياسية والأدبية، ومن خلال تحليل ٥٤ تفسيراً قرآنياً من مختلف المذاهب الإسلامية، تبين أن أقوال الإمام علي عليه السلام وخطبه وتفسيره كانت مرجعاً أساسياً للكثير من الفقهاء والمفسرين.

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ١ / ٢٨١، ح: ٢٥٦.

(٢) م: ١ / ٣٠١، ح: ٢٨١.

(٣) روضة الأعلام: ٢ / ٢.



على الرغم من الضغوط التاريخية والسياسية التي حاولت تقليل ذكره في بعض المدونات السنية، أو حتى طمسه أو نسبة أقوله إلى غيره، إلا أن تأثيره ظل واضحاً ولا يمكن تجاوزه، يعكس هذا التأثير مدى احترام الفقهاء والمفكرين لأفكار الإمام عليؑ وتعاليمه، ممّا يبرز دوره الكبير في تشكيل الفكر الإسلامي على مدى القرون، يظهر هذا أيضاً في الاستخدام الواسع لأحاديثه وخطبه وأقواله في تفسير القرآن الكريم وتوضيح العديد من القضايا العقائدية والفقهية، ممّا يجعل إرثه جزءاً لا يتجزأ من التراث الإسلامي.

المصادر

١. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٩٩٤
٢. الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤
٣. إتيقان ما يحسن من الأخبار الدائرة على الألسن، نجم الدين محمد بن محمد الغزي الدمشقي (ت: ١٠٦١هـ)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٥
٤. أحكام الغصب في الفقه الإسلامي، بحث موازن بين المذاهب الإسلامية السبعة مقارنة بالقانون الوضعي، جامعة بغداد، عبد الجبار حمد حسين شرارة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٥
٥. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت: ٢٩٠هـ)، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤
٦. اختيار مصباح السالكين، ابن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)، مجمع البحوث



٧. الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٩هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٧٩
٨. الأربعون الزاهرة المنسوبة إلى العترة الطاهرة، شمس الدين محمد بن محمد الجزري الدمشقي (ت: ٨٣٣هـ)
٩. الأربعون حديثاً، منتجب الدين بن بابويه (ت: ٥٨٥هـ)، مؤسسة الإمام المهدي (ع)، قم، ١٤٠٨هـ
١٠. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت
١١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت
١٢. الإرشاد، الشيخ المفيد، (ت: ٤١٣هـ)، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٣
١٣. الأزمنة والأمكنة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧
١٤. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت: ٤٦٣هـ)، تح: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠
١٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، جمعية المعارف المصرية، المطبعة الوهيبية بالقاهرة، ١٢٨٥
١٦. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى)، ملا علي القاري (ت: ١٠١٤هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ
١٧. الاشتقاق، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥٨



١٨. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥
١٩. الأمالي الخميسية، يحيى بن حسين الحسيني الشجري الجرجاني (ت: ٤٩٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١
٢٠. الأمالي، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤
٢١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل = تفسير مكارم الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالبؑ، قم، ١٣٧٩
٢٢. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري) (ت: ٢٧٩هـ)، تح: الشيخ محمد باقر محمودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٤
٢٣. إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون = السيرة الحلبية، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت: ١٠٤٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧
٢٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل = تفسير البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨
٢٥. بحر العلوم = تفسير السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)
٢٦. بداية التفسير = سنن سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ)، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصميعي للنشر والتوزيع، ١٩٩٧



٢٧. البرهان في تفسير القرآن = تفسير البرهان، السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ)، مؤسسة البعثة، قم
٢٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) - القاهرة، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
٢٩. بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية، السيد ابن طاووس (ت: ٦٦٤هـ)، مؤسسة آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لإحياء التراث، قم، ١٩٩١
٣٠. تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت
٣١. تاريخ مدينة دمشق، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ابن عساكر) (ت: ٥٧١هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٣٢. تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥
٣٣. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، إحياء التراث العربي، بيروت
٣٤. تحف العقول عن آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابن شعبة الحراني (ت: ق ٤ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٤
٣٥. التذكرة الحمدونية، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت: ٥٦٢هـ)، دار صادر، بيروت، ١٤١٧
٣٦. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٨هـ
٣٧. تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي = تفسير الحرالي، علي بن أحمد الحرالي المراكشي (ت: ٦٣٨هـ)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، تح: محمادي بن عبد السلام الخياطي، ١٩٩٧



٣٨. تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير = تفسير الحرالي، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التُّجِيبِي الأندلسي (ت: ٦٣٨هـ)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٩٧
٣٩. تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩
٤٠. تفسير ابن عادل = اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨
٤١. تفسير ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨
٤٢. تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢
٤٣. تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩
٤٤. تفسير ابن وهب = تفسير القرآن من الجامع، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت: ١٩٧هـ)، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣
٤٥. تفسير أبي الجارود ومسنده، زياد بن المنذر (أبي الجارود) (ت: ١٦٠هـ)، دار الحديث، قم، ١٤٣٤
٤٦. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت



٤٧. تفسير أبي زمنين = تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَيْنِ المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، الفاروق الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢.
٤٨. تفسير الآلوسي = روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٤٩. تفسير البرهان = البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧هـ)، مؤسسة البعثة، قم
٥٠. تفسير البغوي = معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧
٥١. تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨
٥٢. تفسير التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت: ٢٨٣هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣
٥٣. تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨
٥٤. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، دار التفسير، جدة، ٢٠١٥
٥٥. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ)؛ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة



٥٦. تفسير الحرالي = تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، الحرالي أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التُّجِيبِي الأندلسي (ت: ٦٣٨هـ)، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ١٩٩٧

٥٧. تفسير الحلبي = الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، دار القلم، دمشق

٥٨. تفسير الخازن = لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥

٥٩. تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت: ٦٨٣هـ)، وتخرّيج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧

٦٠. تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠

٦١. تفسير السمرقندي = بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)

٦٢. تفسير السمعاني = تفسير القرآن، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧

٦٣. تفسير السيوطي = الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت



٦٤. تفسير الشوكاني = فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤
٦٥. التفسير الصافي = الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦
٦٦. تفسير الصنعاني = تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تح: الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٩
٦٧. تفسير الطباطبائي = الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠١هـ)
٦٨. تفسير الطبرسي = مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي (ت: ٤٥٨هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥
٦٩. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ٢٠٠١
٧٠. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠هـ)، المطبعة العلمية، طهران، ١٣٨٠
٧١. تفسير القاسمي = محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨
٧٢. تفسير القرآن = تفسير السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧
٧٣. تفسير القرآن = تفسير الصنعاني، عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تح: الدكتور مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٩



٧٤. تفسير القرآن الحكيم = تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠
٧٥. تفسير القرآن العزيز = تفسير أبي زمين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمين المالكي (ت: ٣٩٩هـ)، الفاروق الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢
٧٦. تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩
٧٧. تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩
٧٨. تفسير القرآن الكريم، صدر الدين محمد الشيرازي (صدر المتألهين)، (ت: ١٠٥٠هـ)، بيدار، قم
٧٩. تفسير القرآن من الجامع = تفسير ابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت: ١٩٧هـ)، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣
٨٠. تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤
٨١. تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام القرن الرابع)، دار الكتاب، قم، ١٤٠٤



٨٢. التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٤هـ)، دار الحديث، القاهرة
٨٣. تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥
٨٤. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٥. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٤٦
٨٦. تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠
٨٧. تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٩٩٨
٨٨. تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورجائب الفرقان، حسن بن محمد القمي النيسابوري (نظام الأعرج) (ت: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦
٨٩. تفسير الهري = تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠١
٩٠. تفسير جوامع الجامع = تفسير الطبرسي، الشيخ الطبرسي (٤٥٨هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ١٤١٨
٩١. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن = تفسير الهري، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهري الشافعي، دار طوق النجاة، بيروت، ٢٠٠١



٩٢. تفسير سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣
٩٣. تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩
٩٤. تفسير مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠
٩٥. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت: ١٥٠هـ)، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٣
٩٦. تفسير مكارم الشيرازي = الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالبؑ، قم، ١٣٧٩
٩٧. تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤
٩٨. تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورّام)، أبي الحسين ورّام بن أبي فراس المالكي الأشتري (ت: ٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه، قم، ١٤١٠
٩٩. تهذيب التهذيب، ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، جمعية دار البر، دبي، ٢٠٢١
١٠٠. تهذيب الكمال، المزي (ت: ٧٤٢هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢
١٠١. تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت: ٣٧٠هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ
١٠٢. التواضع والخمول، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩



١٠٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بـ (ابن الملقن) (ت: ٤٠٨هـ)، دار النوادر، دمشق، ٢٠٠٨

١٠٤. تيسير البيان لأحكام القرآن، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي المشهور بـ (ابن نور الدين) (ت: ٨٢٥هـ)، دار النوادر، سوريا، ٢٠١٢

١٠٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠

١٠٦. التيسير في التفسير، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (ت: ٥٣٧هـ)، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول، ٢٠١٩

١٠٧. الثقات، ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٣٩٣هـ

١٠٨. الثورة البائسة، موسى الموسوي، لوس أنجلوس (الولايات المتحدة الأمريكية) / ولندن، ١٩٨٣م.

١٠٩. جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطي والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوي، والفتح الكبير للنبهاني، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي) (ت: ٩١١هـ)

١١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ٢٠٠١

١١١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤



- ١١٢ . الجامع لما في المصنفات الجوامع من أسماء الصحابة الأعلام أولي الفضل والأحلام، أبو موسى الرُّعَيْنِي عيسى بن سليمان الأندلسي المالقي الرُّنْدِي (ت: ٦٣٢هـ)، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩
- ١١٣ . جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، مؤسسة المعارف، بيروت
- ١١٤ . الجواهر الحسان في تفسير القرآن = تفسير الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨
- ١١٥ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار أم القرى، القاهرة
- ١١٦ . حياة الحيوان الكبرى، محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (ت: ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤
- ١١٧ . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون = تفسير الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، دار القلم، دمشق
- ١١٨ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور = تفسير السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت
- ١١٩ . الدعاء، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ
- ١٢٠ . دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩٢
- ١٢١ . دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥



١٢٢. ديوان المعاني، أبي هلال العسكري (ت: ٣٩٥هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣
١٢٣. الدرّبعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرك الطهراني، دار الأضواء، ١٤٠٣
١٢٤. ذم الكلام وأهله، عبد الله الأنصاري الهروي (ت: ٤٨١هـ)، تح: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٨
١٢٥. رسائل الجاحظ، الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار و مكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٢هـ
١٢٦. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني = تفسير الألوسي، شهاب الدين الألوسي البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت
١٢٧. روضة الأعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام، محمد بن علي بن الأزرق الحميري الأصبحي الغرناطي (ت: ٨٩٤هـ)، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٤٢٩
١٢٨. روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب الجنيد البغدادي وأبي يزيد طيفور، محمد بن احمد الأطعاني البسطامي (ت: ٨٠٧هـ)، دارة الكرز للنشر و التوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤
١٢٩. روضة العقلاء، ابن حبان (ت: ٣٥٤هـ)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩
١٣٠. رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، أبو حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري المالكي، تاج الدين الفاكحاني (ت: ٧٣٤هـ)، دار النوادر، سوريا، ٢٠١٠
١٣١. الزهد، الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤٢٠هـ



١٣٢. سبب وضع علم العربية، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الهجرة، بيروت، ١٩٨٨
١٣٣. سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الشيخ عباس القمي (ت: ١٣٥٩هـ)، أسوة، قم، ١٤١٤
١٣٤. السقيفة وفدك، الجوهري (ت: ٣٢٣هـ)، شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٣
١٣٥. سلسلة ينباع الفقهية، الطلاق، علي أصغر مرواريد، مؤسسة فقه الشيعة، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤١٠
١٣٦. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت: ١١١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨
١٣٧. السنة، ابن أبي عاصم (ت: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٣
١٣٨. السنن الصغرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، ١٩٨٩
١٣٩. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣
١٤٠. السنن الكبرى، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١
١٤١. سنن سعيد بن منصور (ت: ٢٢٧هـ) = بداية التفسير، دراسة وتحقيق: د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، دار الصمعي للنشر والتوزيع، ١٩٩٧
١٤٢. السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (ت: ١٠٤٤) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧



١٤٣. السيرة النبوية من البداية إلى النهاية، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦
١٤٤. الشَّافِي فِي شَرْحِ مُسْنَدِ الشَّافِعِيِّ لِابْنِ الْأَثِيرِ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، مَكْتَبَةُ الرَّشْدِ، الرياض، ٢٠٠٥
١٤٥. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشي (ت: ١٤١١هـ)، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم
١٤٦. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت: ١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦
١٤٧. شرح صحيح البخاري لابن بطلال، ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، تح: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ٢٠٠٣
١٤٨. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت: ٦٥٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت
١٤٩. شرح نهج البلاغة، الإمام محمد عبده، المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، مصر
١٥٠. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠
١٥١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني (ت: ق ٥هـ)، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، طهران، ١٩٩٠



١٥٢. الصافي في تفسير كلام الله الوافي = التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦
١٥٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي القلقشندي (ت: ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧
١٥٤. صحيح ابن خزيمة، إمام الأئمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ)، تح: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت
١٥٥. صحيح مسلم، مسلم النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت
١٥٦. الصداقة والصدق، علي بن محمد بن عباس (أبي حيان التوحيد) (ت: ٤١٤هـ)، الفكر، دمشق، ١٤٢١هـ
١٥٧. الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت: ٨٧٧هـ)، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ١٣٨٤
١٥٨. طبقات الصوفية (الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية)، المناوي (ت: ١٠٣١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩
١٥٩. العجائب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تح: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي
١٦٠. العلل، الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، دار الخاني، الرياض، ١٤٠٨
١٦١. علي إمام البررة، الإمام السيد أبو القاسم الخوئي، دار الهدى، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٦٢. الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت: ٢٨٣هـ)، تح: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث
١٦٣. غرائب القرآن و رغائب الفرقان = تفسير النيسابوري، حسن بن محمد القمي



- النيسابوري (نظام الأعرج) (ت: ٧٢٨)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦
١٦٤. غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، محمد بن ابراهيم بن يحيى الكتبي (الوطواط) (ت: ٧١٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨
١٦٥. غريب القرآن = نزهة القلوب، محمد بن عزير السجستاني، أبو بكر العزيري (ت: ٣٣٠هـ)، دار قتيبة، سوريا، ١٤١٦
١٦٦. فتح الباري، ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت
١٦٧. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (ت: ١٣٠٧هـ)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢
١٦٨. فتح القدير = تفسير الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٤
١٦٩. الفروع من الكافي، ثقة الإسلام ابي جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران
١٧٠. فضائل الأوقات، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، ١٤١٠
١٧١. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣
١٧٢. فضائل مكة، أبو سعيد المفضل بن محمد الجندي (ت: ٣٠٨هـ)، تح: أبي عبيدة جودة محمد، ١٤٤١
١٧٣. فقه الجنائيات والحدود = المطلع على دقائق زاد المستقنع، عبد الكريم بن



- محمد اللاحم، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١١
١٧٤. قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري (ت: ١٤١٥)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٠هـ
١٧٥. كتاب الأم، الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣
١٧٦. كتاب ألف باء (في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة)، يوسف بن محمد البلوي المالقي (ابن الشيخ) (ت: ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩
١٧٧. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، دار التاج، لبنان، ١٩٨٩
١٧٨. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت: ٧٦هـ)، دليل ما، ١٤٢٢هـ
١٧٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل = تفسير الزمخشري، مع الكتاب حاشية (الانتصاف فيما تضمنه الكشاف) لابن المنير الإسكندري (ت: ٦٨٣هـ)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧
١٨٠. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (ت: ١١٦٢هـ)، المكتبة العصرية، ٢٠٠٠
١٨١. كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهداء، محمد حسن بن معصوم القزويني (ت: ١٢٤٠هـ)، قم، ١٣٨٠ ش.
١٨٢. الكشاف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧هـ)، دار التفسير، جدة، ٢٠١٥



١٨٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١
١٨٤. كنز الفوائد، أبي الفتح الكراجكي (ت: ٤٤٩هـ)، دار الذخائر، قم، ١٤١٠هـ
١٨٥. لباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥
١٨٦. اللباب في علوم الكتاب = تفسير ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩
١٨٧. لسان العرب، ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت
١٨٨. مآثر الإنافة في معالم الخلافة، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ١٩٨٥
١٨٩. المبسوط، محمد بن أحمد شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)، دار المعرفة، بيروت
١٩٠. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت: ٦٣٧هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة
١٩١. المجتبي من المجتبي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩
١٩٢. مجلة مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة، تصدر عن منظمة المؤتمر الإسلامي، جدة



١٩٣. مجمع البحرين في زوائد المعجمين = المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني، نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٢
١٩٤. مجمع البيان في تفسير القرآن = تفسير الطبرسي، الفضل بن الحسين الطبرسي (ت: ٤٥٨هـ)، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥
١٩٥. محاسن التأويل = تفسير القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨
١٩٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير ابن عطية، ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٦هـ)، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣
١٩٧. المختار من مناقب الأخيار، مجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، ١٤٢٤
١٩٨. مختصر المزني، إسماعيل المزني (ت: ٢٦٤هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت
١٩٩. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ١٩٨٤
٢٠٠. مختصر خلافيات البيهقي، أحمد بن فرح، اللّخمي الإشبيلي الشافعي (ت: ٦٩٩هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٧
٢٠١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٩٩٨
٢٠٢. المدرس الأفضل فيما يرمز ويشار إليه في المطول، الشيخ محمد علي المدرس الأفغاني (ت: ١٤٠٦هـ)، دار الكتاب، قم، ١٣٦٢ ش



٢٠٣. المدونة الكبرى، الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٣٢٣هـ
٢٠٤. المزكيات، ابراهيم بن محمد النيسابوري المزكي (ت: ٣٦٢هـ)، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٤
٢٠٥. المستخرج من كتب الناس للتذكرة والمستطرف من أحوال الرجال للمعرفة، عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق، ابن منده العبدى الأصبهاني، أبو القاسم (ت: ٤٧٠هـ)، وزارة العدل والشئون الإسلامية، البحرين
٢٠٦. المستدرک على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠
٢٠٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١
٢٠٨. مشارق أنوار اليقين، الحافظ رجب البرسي (ت: ٨١٣هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٩
٢٠٩. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، منشورات المجلس العلمي، تحقيق وتخريج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي
٢١٠. المطلع على دقائق زاد المستقنع = فقه الجنائيات والحدود، عبد الكريم بن محمد اللاحم، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١١
٢١١. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٧
٢١٢. معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨



٢١٣. معاني القرآن، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٥٢١٥هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠
٢١٤. معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت: ٣٣٨هـ)، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩
٢١٥. معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر
٢١٦. المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني = مجمع البحرين في زوائد المعجمين، نور الدين الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٢
٢١٧. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دار الصميعي، الرياض، ١٤١٥
٢١٨. معجم ما كتب عن الرسول وأهل بيته، عبد الجبار الرفاعي، وزارة الإرشاد
٢١٩. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت)، دار الوعي (حلب - دمشق)، دار الوفاء (المنصورة - القاهرة)، ١٩٩١
٢٢٠. معرفة الصحابة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٩٩٨
٢٢١. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت: ٦٠٤هـ)، دار الحديث، القاهرة.
٢٢٢. مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالبؑ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ)، دار البشائر، دمشق، ٢٠٠١



٢٢٣. الملل والنحل، الشهرستاني (ت: ٥٤٨هـ)، دار المعرفة، بيروت
٢٢٤. من لا يحضره الفقيه، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الشيخ الصدوق) (ت: ٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي
٢٢٥. مناقب آل البيت عليهم السلام، ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨هـ)، علامة، قم، ١٣٧٩
٢٢٦. مناقب الأسد الغالب ممزق الكتائب، ومظهر العجائب، ليث بن غالب، أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب (يليه خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي)، محمد بن عبد الله ابن الجزري (ت: ٦٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ
٢٢٧. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، علي بن محمد بن محمد بن الطيب بن أبي يعلى بن الجلابي، أبو الحسن الواسطي المالكي، المعروف بابن المغازلي (ت: ٤٨٣هـ)، دار الآثار، صنعاء، ٢٠٠٣
٢٢٨. موارد الظمان لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلطان (ت: ١٤٢٢هـ)، ١٤٢٤
٢٢٩. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس (ت: ١٩٧هـ)، رواية: أبي مصعب الزهري المدني (ت: ٢٤٢هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١
٢٣٠. الميزان في تفسير القرآن = تفسير الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠١هـ)
٢٣١. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ)، تح: د. محمد عبد السلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨
٢٣٢. نثر الدر في المحاضرات، أبو سعد منصور بن الحسين الآبي (ت: ٤٢١هـ)، الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤



٢٣٣. نخب المناقب لآل أبي طالبؑ، الشيخ حسين بن جبر (ق هـ ٧)، مكتبة المرعشي النجفي، قم، ١٤٣٣
٢٣٤. نزهة الأبصار ومحاسن الآثار، علي بن مهدي الطبري المامطيري (ت: ٣٦٠هـ)، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ١٣٨٧ هـ ش
٢٣٥. نزهة القلوب = غريب القرآن، محمد بن عزيير السجستاني، أبو بكر العُزييري (ت: ٣٣٠هـ)، دار قتيبة، سوريا، ١٤١٦
٢٣٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
٢٣٧. النكت والعيون = تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت
٢٣٨. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ
٢٣٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٣٦٤
٢٤٠. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ، مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، الرضا، قم
٢٤١. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمُوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨



٢٤٢. وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)، دار إحياء التراث العربي،

بيروت.

٢٤٣. ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي (ت: ١٢٩٤هـ)، دار الأسوة للطباعة

والنشر، ١٤١٦.

مرتكزات الحكم الرشيد في فكر الإمام علي بن أبي طالب

أ.د. بشير هادي عودة الطائي

جامعة البصرة - مركز دراسات البصرة والخليج العربي

الملخص

تُقدّم الدراسة عرضاً تحليلياً لركائز الحكم الرشيد في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عندما تولى الحكم كخليفة للمسلمين في السنة الخامسة والثلاثين للهجرة، هذه الخلافة التي ولّاها الله إياه عبر نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله في الثامن عشر من شهر ذي الحجة للسنة العاشرة من الهجرة في واقعة غدير خم الشهيرة، والتي شهدها القاضي والداني في حجة الوداع عندما قال صلى الله عليه وآله في جموع المسلمين (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله). هذه الولاية النورانية الربانية التي اغتصبت منه في أول الأمر بعد وفاة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، عادت إليه بعد مخاض عسير عاشت معاناتها الأمة الإسلامية، فشكّلت ولاية أمير المؤمنين عليه السلام مفترق طرق بين تطبيق تعاليم الدين الإسلاميّ الحنيف في العدل والإنصاف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين مطامع المناوئين والطامعين في السلطة، لذا كانت مدّة حكم الإمام عليّ عليه السلام التي نقل فيها عاصمة الخلافة إلى الكوفة، مدّة حكم عصية استمرّت لخمس أعوام تقريباً، وشهدت الأحداث السياسيّة المناوئة والمواقف المعادية لإمام المتقين عليه السلام، والتي احتاجت إلى الحكمة والدراية الفقهيّة بكتاب الله، فكان الإمام أهلاً لها، فشكّلت



تلك السنين صفحة ناصعة البياض في الخير والإنصاف وإقامة دولة العدل، وكانت بحق بوتقة من الحكم الصالح والعدل المطلق على وفق منظور إسلاميٍّ معزز بالنصح والمشورة والمشاركة والمعاملة الحسنة والتعاطف الإنسانيٍّ مع الرعية والحزم في عدم الحياد عن تعاليم القرآن الكريم. لذا سعت الدراسة إلى بيان الأثر التفاعليٍّ لولاية أمير المؤمنين (ع) وما تحقَّق من رفاه اقتصاديٍّ واجتماعيٍّ لعموم المسلمين في ذلك العهد الذي قاد فيها الدولة والمجتمع إلى برِّ الأمان. وقد قُسم هيكل البحث على أربعة أجزاء، الأول اهتمَّ بمدلولات الحكم الرشيد ومضموناته، والثاني ركَّز على المنظور التنمويِّ للحكم الرشيد في ولاية الإمام عليٍّ (ع)، أمَّا الثالث فتناول إدارة الحكم الرشيد والتنمية البشريَّة في ولاية الإمام عليٍّ (ع). وقد خرج البحث في جزئه الرابع بمجموعة مهمة من الاستنتاجات كان أبرزها أنَّ ولاية حكم أمير المؤمنين (ع) قد أعادت الهيبة للإسلام والمسلمين، ومكَّنت الأمة الإسلاميَّة من استرداد حقوقها المغتصبة إبان تويِّ من اغتصب الولاية من أمير المؤمنين بعد وفاة الرسول محمد (صلى الله عليه وآله)، فأعيد الحقُّ إلى نصابه بعد ما شابه من جور وظلم وعبث في بيت المال جراء الهيمنة على مقدَّرات المسلمين، فكان عهد أمير المؤمنين (ع) عهد الحقِّ والعدل والرِّفاه الاقتصاديِّ والاجتماعيِّ الذي فيه صان خليفة المسلمين (ع) كرامة الإنسان وأعاد حقوقه المسلوبة.

الكلمات المفتاحية: مرتكزات الحكم الرشيد، فكر الإمام عليٍّ، العدالة

والإنصاف.



Abstract:

This study presents an analytical review of the pillars of good governance during the reign of the Commander of the Faithful, Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH), when he assumed the caliphate in 35 AH. This divine mandate, established by Prophet Muhammad (PBUH) at the event of Ghadir Khum on the 18th of Dhu al-Hijjah in 10 AH, represented a luminous leadership that returned to him after a period of profound struggle for the Islamic nation. The Imam's reign marked a crossroads between the authentic Islamic teachings of justice, equity, and promoting virtue, and the ambitions of political rivals.

Spanning approximately five years and headquartered in Kufa, his governance was a period of rigorous challenges that required immense wisdom and jurisprudential mastery of the Quran. These years formed a pristine chapter of absolute justice, serving as a crucible for good governance through consultation (Shura), human compassion, and firm adherence to Quranic principles. The study aims to demonstrate the interactive impact of his rule on the economic and social welfare of Muslims. It operates on the hypothesis that Imam Ali's reign represents the quintessential model of good governance that restored the nation's prosperity.

The research is structured into four parts: the first addresses the definitions of good governance; the second focuses on its developmental perspective; the third explores human development and administrative management; and the fourth presents key conclusions. Most notably, the study concludes that his leadership restored the prestige of Islam, reclaimed usurped rights, and established a reign of truth and dignity through the



fair management of the public treasury (Bayt al-Mal).

Keywords: Wilayah of Ali, Economic Welfare, Kufa, Human Development, Good Governance.

المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، أما بعد، فقد قدّم الإمام عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنموذجاً فذاً يحدّثنا به في القيادة والإدارة السياسيّة العامّة للدولة الإسلاميّة، لأنّه ارتكز في حكم الرعيّة على العمل بكتاب الله وسنّة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بحقّ إماماً للمتمتقين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحفظ حقوق بيت مال المسلمين ولا ينفقها إلاّ بمرضاة الله برّاً وإحساناً. وفي عهده شهد المجتمع الإسلاميّ الرفاه الاقتصاديّ والاجتماعيّ بسبب التساوي في الحقوق والواجبات، والتعامل الإنسانيّ الممزوج بالعطف تارة والحزم تارة أخرى بين مختلف الأفراد والطوائف، فأساس الحكم لدى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ مخافة الله والعمل بتعاليم كتابه، لنشر الحبّ والخير والمودّة بين الرعيّة، وإبعاد مختلف الشبهات عن جميع المعاملات الاقتصاديّة، فكان الإمام عليه السلام ملتزماً بمنهج الشورى والمشاركة في الرأى، واعتمد سياسة ماليّة رشيدة تؤمّن تحقيق التكافل الاجتماعيّ والتوزيع العادل لعموم المسلمين، فتقسّم الإيرادات الماليّة القادمة لبيت المال بعدالة بين المسلمين، وكان عَلَيْهِ السَّلَامُ يبذل الوقت للنظر في مظالم الناس وتقديم النصّح والمشورة الفقهيّة لهم، فضلاً على منبره الشامخ في جامع الكوفة الذي تنطلق منه خطب الجمعة، فكانت كلماته تلامس القلوب والعقول لاستخدامه أسلوبيّ الطباق والجناس اللفظيين اللذين يزيدان الكلام جمالاً وسهولة في الفهم والاستيعاب، ففي خطب الجمعة يقدّم الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ



التوجيهات الدينية للأمة الإسلامية، ويعرض السياسة العامة للنظام الإسلامي المعتمد بأسلوب نحوي يمتاز بقصر العبارات ووضوحها وغازة المعرفة فيها، إذ كانت هذه الخطب تستند إلى آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله.

أهمية الدراسة:

تتأتى أهمية الدراسة من الضرورات الإنسانية للاحتذاء بمنهج قيمي للحكم الرشيد الصالح الذي طبّقه الإمام علي عليه السلام طيلة مدّة ولايته لتحقيق التنمية البشرية بمعناها الإسلامي، نظرًا للمكانة الإلهية التي حباها الله لها، فهو أخو رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب علمه، وزوج ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام أم أبيها، ووالد السبطين الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة وريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وآله، وهو إمام المتّقين وقائد الغر المحجلّين، وأوّل الأئمّة المعصومين وثاني المستسلمين بدعوة الإسلام، وبهذه المكانة كيف ستكون غزارة المعطيات القيمة للحكام في الدول الإسلامية من القيم الإنسانية النبيلة لولاية الحكم الصالح لأمر المؤمنين عليهم السلام؟ والتي استمدّ عطاها من الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله، وهو ما تحاول الدراسة تأكيد أهمية النموذج التنموي العلوي في الحكم الرشيد.

مشكلة الدراسة:

لم تنصف الكتب والبحوث والدراسات فترة الرخاء والازدهار وتحقيق العدالة في الدولة الإسلامية في عهد ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فما قيل هو غيض من فيض العطاء الزاخر، وهذا البحث يتولّى إشكالية إنصاف هذه المرحلة وتقديم بعض من الإنجازات الفكرية التي قدّمها الإمام.



هدف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى بلوغ الأهداف التالية:

- ١ - التأكيد على الدور الذي استلهمه خبراء علم الاقتصاد والقيادة الإداريّة من معطيات مدّة حكم الإمام (عَلَيْهِ السَّلَام) في مضمونات الحكم الرشيد والإدارة الصالحة في بناء الإنسان المؤمن والسلطة العادلة.
- ٢ - محاولة أبراز الرؤية الاقتصادية والحكم الرشيد الذي أتبع في عهد ولاية أمير المؤمنين (عَلَيْهِ السَّلَام)، وما تحقّق من إنجازات التنمية البشريّة للدولة الإسلاميّة في هذا العهد الزاهر.
- ٣ - إظهار الأثر التفاعليّ الذي تركته مدّة حكم الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام) على البشريّة جمعاء وما حقّقته من منجزات في الخير والعدل والإنصاف وإعادة الهيبة للإسلام والمسلمين.
- ٤ - تقديم مجموعة من المقترحات التي تعزّز الحكم الرشيد في قيادة الدولة عمومًا والقيادة الإداريّة بشكل خاص، بالاستناد إلى معطيات النموذج العلويّ الإصلاحيّ في الحكم الرشيد.

فرضية الدراسة:

تفترض الدراسة أنّ مدّة ولاية الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام) تمثّل بمجموع مدلولاتها الفكرية فترة الحكم الرشيد الصالح الذي تحقّق فيها ازدهار الأمة الإسلاميّة ورفع شأن المسلمين كما كان معهودًا قبل وفاة النبيّ الكريم محمد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

هيكل الدراسة:

قسّمت الدراسة إلى مقدّمة ثمّ المباحث الآتية:

- المبحث الأوّل: الحكم الرشيد: قراءة في المدلولات والمضامين .
- المبحث الثاني: المنظور التشريعيّ للحكم الرشيد في ولاية الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام) .



المبحث الثالث: إدارة الحكم الرشيد والتنمية البشرية في ولاية الإمام علي عليه السلام.
ثم جاءت الخاتمة والاستنتاجات والمقترحات .

المبحث الأول: الحكم الرشيد: قراءة في المدلولات والمضامين

يُعدّ مفهوم الحكم الرشيد من وجهة النظر الأكاديمية مصطلحاً حديث النشأة بدأ الاهتمام به من قبل الأمم المتحدة في نهاية عقد الثمانينات ومطلع التسعينات، مع التدهور والفسل الذريع الذي صاحب سياسات التكيف الهيكلي والإصلاح الاقتصاديّ المقدّمة من قبل صندوق النقد والبنك الدوليّين للعديد من دول العالم النامي^(١)، بيد أنّه تاريخياً قد تداول كمفهوم للإدارة الصالحة التي تحقّق العدالة والإنصاف بين المسلمين من قبل رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله منذ نشر الدعوة وقيادة الأمة الإسلاميّة، إذ قدّم لنا نبينا محمد صلى الله عليه وآله أسس التنمية البشرية والحكم الرشيد وقواعدهما في إطار الدين والأخلاق والمعاملة الحسنة في فترة كان العالم فيها يعيش الجهل والظلام، فكانت تعاليمه التي لقّنها لوصيه الإمام علي عليه السلام نبراساً أضاء للجميع جنبات الكون من حوله، وقدّم صلى الله عليه وآله مفاتيح السعادة بحسن الخلق والثقة بالله والتوكّل عليه، والتقرب إلى الله عزّ وجلّ بالصبر والصلاة وحسن الخلق والإخلاص في تأدية العمل الصالح، ضارباً لنا أروع الأمثلة في الإدارة الرشيدة والتخطيط والتنمية الذاتيّة، فكان صلى الله عليه وآله منهجاً متكاملًا وإستراتيجيّة تنموية للحياة المعاصرة^(٢)، إذ إنّ توجيهات نبينا الكريم صلى الله عليه وآله للمسلمين في إدارة الدولة منذ بدأ الدعوة الإسلاميّة تحثّ على الالتزام بالواجبات العباديّة وعدم التعدّي على حقوق الآخرين واحترام الوقت وأداء الأمانات وتأدية الفروض الدينيّة اليوميّة وعدم

(١) ينظر: الحكم الرشيد ومحاربة الفساد: ١٩٥-١٩٧ .

(٢) ينظر: محمد صلى الله عليه وآله أعظم علماء التنمية البشرية في العالم: ٥ .



التهاون في طاعة الله، والعمل بما يفرضه الدين الإسلامي الحنيف من تشريعات تنظم مختلف المعاملات الحياتية الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وهذه التوجيهات لا تكاد تخلو من النصح والإرشاد الذي يعبر عن صور مهمة من مضمونات الحكم الصالح والرشد لبناء أسس الدولة الحقيقية. فالحكم الرشيد من وجهة نظر الإسلام هو موضوع إنساني وقيمي للعدل والإنصاف ورضا الله أكثر منه اقتصادي وسياسي، بينما الجانب السياسي للسلطة يعد مفهوم الحكم الرشيد يشير إلى ممارسة السلطة الاقتصادية والسياسية والإدارية لإدارة شؤون الدولة على المستويات كافة وبمختلف الآليات والعمليات والمؤسسات التي من طريقها يعبر المواطنون والمجتمعات عن مصالحهم ويمارسون حقوقهم القانونية ويوفون بالتزاماتهم ويقبلون تدخل السلطة الحاكمة لحل مشاكلهم وخلافاتهم^(١).

بيد أن مفهوم الحكم الرشيد أو الحكم الصالح كمصطلح إداري قد ظهر لأول مرة في تقرير البنك الدولي عام ١٩٨٩ نظراً لتعاظم مستويات الفقر والبطالة والفساد بشتى أشكاله المالي والإداري والاقتصادي والسياسي بل حتى الفساد الأخلاقي على المستوى العالمي^(٢)، وذلك نتيجة للابتعاد عن تعاليم الله وتشريعاته التي فرضها على الأديان عموماً والدين الإسلامي خصوصاً، إذ قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣-٤]، والبيان في الآية الكريمة هو اللغة والفهم والتشريع الذي خصّ الله تعالى به الإنسان عن سائر المخلوقات، ويقول (أبن عباس وابن كيسان) في تفسيرهما، أن المقصود بالإنسان نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي أعطاه علم الأولين والآخرين، وعلم يوم الدين فكان بحق مدينة العلم، أما البيان فهو التشريع الإلهي عن الحلال

(١) ينظر: مفاهيم الحكم الرشيد ومعاييرها في التراث الإسلامي، منتدى كوالا لامبور للفكر والحضارة،

الموقع الإلكتروني ١٨٠١ www.https://kl-forum.org/ar/kl

(٢) ينظر: النظام الاقتصادي الدولي المعاصر: ٢٢٩ .



والحرام لبناء مجتمع ودولة فاضلة^(١)، وهذا العلم الربانيّ لرسول الله صلى الله عليه وآله قد غرسه في إمامنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي هو باب مدينة العلم لينير للأمة الإسلامية طريقها، ويحدّد المجريات الصحيحة للحياة البشريّة.

لقد أصبح الحكم الرشيد مفهوماً مقارباً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحقيق التنمية البشريّة وحقوق الإنسان، ولإصلاح ما خلفه الفساد من مخاطر كبيرة على المجتمعات الدوليّة عموماً والمجتمعات الإسلاميّة على وجه الخصوص، ولمعالجة السلوكيات المنحرفة والانتهاكات التي يتعرّض لها الإنسان بصورة متواصلة، كون تطبيق هذا المفهوم يعبر عن نظام حقوقيّ عقلائيّ لمنظومة قيمية ودينيّة وأخلاقيّة تستمد أصولها وأسسها من مبادئ الدين الإسلاميّ الحنيف المنزّل من عند الله تعالى، ففي تقرير البنك الدوليّ عن التنمية في العالم لعام ٢٠١٧ بعنوان (دور الدولة في عالم متغير)، أكّد التقرير أنّ كفاءة إدارة الدولة يعدّ متطلباً رئيساً للتطوّر وتنمية سوق العمل وتحقيق مبادئ العدالة والإنصاف بين الناس^(٢)، إذ أن تطبيق الحكم الرشيد من وجهة النظر الإداريّة يتفق مع منطلقات الدين الإسلاميّ الحنيف والحكم بما أمر الله لصيانة وحفظ أموال المسلمين وتوزيع الثروات توزيعاً عادلاً بين مختلف أفراد المجتمع وفتاته، فالحكم الرشيد يقدم رؤية رحبة تتعلّق بنموذج الحكم وارتباطه بأصول الشورى والعلاقة بين معايير الحكم ومعايير المساءلة والشفافيّة بما يؤسّس لحكم صالح، ويؤسّس لعلاقة سياسيّة سوية من جانب، ويشيد معمار العلاقات بين الدولة والمجتمع من جانب آخر، وبما يستلهم

(١) آيات وسور القرآن الكريم، تفسير سورة الرحمن، على الموقع: [www.https://surahquran.com/aya-tafsir-05-04.html](https://www.surahquran.com/aya-tafsir-05-04.html)

(٢) البنك الدولي، ١٩٩٧، تقرير تحديات التنمية حول العالم بعنوان: الدولة في عالم متغير، واشنطن:



في صياغاته معاني المرجعية الشرعية الدينية، هذا الحكم يجد في المنظور الإسلامي التقاليد الراسخة من مداخل متنوّعة يمكن الوقوف عليها من آيات القرآن الكريم وضمن سياقات تحقّق المتطلّبات الخاصّة بعناصر الرشادة في الأداء السياسيّ للحكومة في صياغة طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم وبما يحقّق مقاصد الحكم الصالح^(١)، ففي تقرير التنمية الإنسانيّة تعرف الأمم المتّحدة (UN) الحكم الرشيد بأنّه الحكم الذي يعزّز رفاهية البشر ويدعمها ويصونها بالشكل الذي يوسّع قدرات الناس وخياراتهم والفرص المتاحة لهم بما يضمن الحرّية الاقتصاديّة والاجتماعيّة وينتشل الأفراد من البؤس والفقير^(٢)، بينما يلقي البرنامج الإنمائيّ التابع للأمم المتّحدة (UNDP) المسؤوليّة كاملةً على الدولة وحاكم الدولة في تحقيق الحكم الرشيد حينما يعدّ الحكم الرشيد هو ممارسة السلطة الاقتصاديّة والسياسيّة والإداريّة لشؤون الدولة على المستويات كافّة من أجل تمكين الأفراد وتوسيع خيراتهم عبر مجموعة من الآليات والعمليات المؤسّساتيّة التي تسمح لهم من ممارسة حقوقهم القانونيّة لتحقيق مصالحهم وتمكينهم من حلّ خلافاتهم^(٣)، وقد عرّف الحكم الرشيد على أنّه اشتراك المؤسّسات السياسيّة والمجتمع جنباً إلى جنب مع بعضهم، وجعل موارد الدولة وكلّ خبراتها وقدراتها ومشاريعها لخلق تحالف جديد قائم على تقاسم الثمار بعدالة وإنصاف على وفق المسؤوليّات المناطة في عملية إعداد السياسات القادرة على تقوية تقاسم المجتمع وتنفيذها^(٤).

إنّ الحكم الرشيد يولد منظومة تؤدّي إلى احترام الوقت والتعامل بحرص

(١) ينظر: الحكم الصالح الرشيد من منظور إسلامي: ٥١ .

(٢) الأمم المتّحدة، تقرير التنمية الإنسانيّة، ٢٠٠٢، منجزات التنمية الإنسانيّة في العالم، نيويورك: ١٠١ .

(٣) ينظر: الحكم الراشد ودوره في تفعيل المشاركة المجتمعية في إدارة الميزانية العامة للدولة: ١٩٩ .

(٤) ينظر: دور تطبيق الحكم الرشيد في السلطة القضائية الفلسطينية لتحقيق التنمية المستدامة: ٢٥ .



ومسؤولية مع جميع السلوكيات الاقتصادية وعدم الإسراف والتبذير وحسن استغلال الأموال من قبل أولئك القائمين على الإدارة الاقتصادية في مختلف مؤسسات الدولة، فضلاً عن أنّ الإدارة الناجحة تقود إلى نجاح تنفيذ مشروعات خطة التنمية الاقتصادية، فالحكم الرشيد والتنمية الإنسانية المستدامة قد أضحيا وجهان لعملة واحدة، يركّزان على الإنسان باعتباره أداة التنمية وغايتها، فعُرف الحكم الرشيد على أنّه الآليات والأساليب المنضبطة من قبل البشر في التعامل السليم مع جميع المتغيرات الاقتصادية المالية والبشرية والطبيعية واحترام الوقت وإدارة الموارد بصورة عقلانية من دون تبذير أو إسراف للأموال أو إحداث إضرار أو استنزاف للعناصر الرئيسة لبيئة الإنسان^(١)، فيما يعطي مركز دراسات الشرق الأوسط دوراً محورياً للحكومة في قيادة تلك المنظومة القيمية، فيعرف الحكم الرشيد بأنه نظام الحكم القائم على خدمة مصالح الأمة، والذي يعدّ السلطة والقيادة وظيفه في خدمة الشعب وتحقيق رفاه المجتمع، ويتخذ منها منصّة لإثبات الكفاءة والقدرة على تحقيق متطلبات الشعوب وحاجاتها وسياستها بالعدل والمساواة، وأن يتّصف أداؤها بالكفاءة وبالقدرة على دمج أفراد المجتمع في السلطة والحكم والمشاركة، وأن تتمتع الحكومة بشرعية شعبية قانونية أساسها الانتخاب الشعبيّ النزيه والعام^(٢)، ووفقاً لتعريف منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) فإنّ الحكم الرشيد يمثل إجراءات السلطة السياسية لإدارة الموارد الاقتصادية والرقابة على أداء أفراد المجتمع في تنفيذ الواجبات المناطة بهم، على وفق علاقة تنسيقية معدة ببرنامج تنظيمي لتسيير عجلة الاقتصاد ومشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية،

(١) ينظر: إدارة الموارد والحكم الرشيد: ١٦ .

(٢) ينظر: مركز دراسات الشرق الأوسط، صحيفة العرب اليوم، بتاريخ (٢١/٥/٢٠١٢)، الموقع الإلكتروني: www.mesc.com.jo/OurVision. ١/٢٠١٢.html.



ويتضمّن هذا التعريف دور السلطات العامّة في إعداد البيئة المناسبة التي تمكن الفاعلين الاقتصاديين (المواطنين) من العمل بكفاءة، وفي تحديد توزيع المزايا، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم^(١)، وبذلك فإنّ الحكم الرشيد هو الطريق نحو إقامة دولة العدل والمساواة وبلوغ متطلبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحقيق العيش الكريم للإنسان والوصول بالمجتمع إلى مراتب الرقيّ في الخير والمحبة والمعاملة الحسنة، وهو ما نادى به الدين الإسلاميّ الحنيف لتحقيق متطلبات العيش الرغيد والعيش بكرامة والعمل الصالح.

لقد أولى الإمام عليّ عليه السلام تأسيس فلسفة الحكم الرشيد أهمية بالغة في مشروع الحكم، واتّضحت معالم هذا المشروع بشكل واضح وجليّ في عهده إلى مالك الأشر، عندما ولّاه حكم مصر، وأول ملامح هذا المشروع وتجلياته الإيديولوجية تتّضح في برنامجه المتضمّن إعادة إصلاح منظومة المجتمع المصريّ (استصلاح أهلها)، (جباية خراجها)، (عمارة أرضها)، (جهاد عدوها)، فكأنّ الإمام عليّ عليه السلام في هذه الرباعيّة الإصلاحية يعطي البناء المعرفيّ الفرديّ والمجتمعيّ والسياسيّ أهمّيته البالغة في عملية التأسيس لفلسفة الحكم الرشيد، بل تمثل البنية المعرفية للمجتمع أولوية بالنسبة له، ويشترط في عملية البناء الفكريّ هذه ضرورة الاهتمام بالجوانب الأخرى الكفيلة بتعميق فلسفة الحكم الرشيد وأهمّها الجانب الاقتصاديّ، والجوانب الاجتماعيّة والخدمية، فضلاً على الجوانب العسكرية، وقد حرص الإمام عليه السلام على أن يعالج المنظومة الأخلاقية والمعرفية والفكرية الاجتماعية العامّة، ويُقرن صلاحها بصلاح ذات الوالي وسلامة منظومته المعرفية والأخلاقية بل تُعدّ الأولى مقومة للثانية، وأنّ الفلسفة السياسية للحاكم المتمثلة بهذه الثلاثية (الفرد -

(١) ينظر: الحكم الرشيد، سامح فوزي: ٣٤.



المجتمع - الحاكم) من الضرورات الأساسية التي لا بدّ منها لتأسيس أو تشكيل مبدأ الانسجام والتكامل المعرفي العام. ويمثل مبدأ التكامل المعرفي والأيدولوجي المحور الأساس لمشروع الحكم الرشيد لدى الإمام عليه السلام؛ لأنه يفرض صيغة التفاهات بين الحاكم والمحكوم إذ يحلّ التفاهم والتكامل المعرفي والفكري محلّ التناحر والتشطي، وأنه حتماً سوف يتمكن من تغيير الواقع الذي يعيشه أي مجتمع من المجتمعات، بل سوف يكون المجتمع مهياً لتطبيق الفلسفة الرشيدة. ويؤكد الإمام عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر على ضرورة مراعاة التقسيمات الاجتماعية التي يتكوّن منها أو يتشكّل منها المجتمع، بحيث يتضمّن هذا التقسيم مراعاة دقيقة للحقوق والواجبات لكلّ فئة اجتماعية، فالجند والولاة وأهل الدواوين والمواطنين (العامة) وأهل الرأي والمشورة والفقراء والمساكين، والخاصة من الوزراء وغيرهم من التقسيمات الاجتماعية، لها برنامجها التكميلي لمشروع الحكم الرشيد، فلكلّ فئة من هذه الفئات منظومة أخلاقية وفكرية ومعرفية يشترط وجودها، وهذه المنظومة هي التي تؤهله لكي يتولّى مهام مجتمعية يصل من طريقها إلى تحقيق الرشد الاجتماعي والفكري والسياسي العام^(١).

المبحث الثاني: المنظور التشريعي للحكم الرشيد في ولاية الإمام علي عليه السلام

من المعروف أنّ الحكم الرشيد والسليم هو الحكم الصالح الذي يستند إلى القيم والأخلاق التي تعبر عن رؤية الحاكم في الإدارة الرشيد التي فيها صالح الأمة، فالقيادة الإدارية يجب أن تلتزم بالضوابط التي تحكم المجتمع وتطوره نحو الأفضل، وأهمّها الدين والقيم الأخلاقية الفاضلة وبثّ مبادئ الخير بين الناس والعادات والتقاليد الأصيلة التي من شأنها حفظ المجتمع من التفكك والانحلال وتطويره

(١) ينظر: الحكم الرشيد في فلسفة الإمام علي عليه السلام: ١١.



نحو الأفضل، وتحسين الموارد وتقديم أجود الخدمات للمواطنين ورفع مستوى معيشتهم وتحسين نوعية حياتهم ورفاهيتهم، وذلك عبر تحقيق رضاهم ومشاركتهم ودعمهم لقيادة الحاكم. وهذا الصدد يُعرّف الحكم الرشيد بأنه عبارة عن موقف قيمّي وأخلاقيّ إزاء ممارسة السلطة لإدارة شؤون الدولة والمجتمع باتجاه تطوير قدرات الأفراد وتنميتها من خلال كوادِر قياديّة وحكوميّة ملتزمة بمنهجية تطوير الموارد المجتمعيّة طبقاً لمعايير الحكم الصالح، تقوم على أساس المحاسبة والمساءلة والاستقرار السياسيّ وعلى فاعلية الحاكم والمحكوم وفق منهج يحقّق الغايات الصحيحة ويواجه الفساد^(١).

وهناك معايير عدّة تُعتمد لتحقيق منطلقات الحكم الرشيد يمكن تمثيلها بما يأتي:^(٢)

١- حكم القانون Rule of Law: وهو أن تتسم الأطر القانونيّة بالعدالة والحياد وأن تُطبّق دون تحييز، وينطبق ذلك بصفة خاصّة على القوانين الحامية لحقوق الإنسان، وتجنّب التعسّف في تطبيق القانون، فضلاً على الشفافيّة الإجرائيّة والقانونيّة. وحكم القانون هو الأساس الذي تُبنى عليه كلّ المبادئ والمفاهيم الأخرى بما فيها التمثيل السياسيّ والإدارة العامّة الفعّالة والمتجاوبة، وأنّ وجود القانون العادل وتطبيقه على الجميع من دون تمييز من شأنه أن يؤمّن مقوّمات الحكم الرشيد ويحقّق العدالة الاجتماعيّة، ومن ثمّ يُشكّل أهمّ ركائز الحكم الديمقراطيّ.

٢- الشفافية Transparency: تستند الشفافية على التدفّق الحرّ للمعلومات، وعلى أن تفتح المؤسّسات والعمليّات المجتمعيّة مباشرة للمهتمين

(١) ينظر: الحكم الصالح خيار استراتيجي للإدارة نحو بناء مجتمع: ٢٥ .

(٢) ينظر: آليات الحكم الرشيد في إدارة التنوّع الثقافي دراسة تحليلية مقارنة: ٣٥، والحكم الرشيد المضمون والتطبيق: ١٠ .



بها، وأن تتوفر المعلومات الكافية لتفهمها ومراقبتها، بمعنى أن صناعة القرارات وتنفيذها تجرى على وفق قواعد من الممكن أن يتم الاطلاع عليها من قبل المواطنين فضلاً على إمكانية مشاركتهم في صنعها، وهذا من شأنه أن يعزز من ثقة المواطنين بمخرجات النظام السياسي .

٣- المسؤولية *Liability*: أي أن تتضافر كل جهود مؤسسات الدولة لخدمة مواطنيها وتوفير الحياة الرغيدة لهم بقدر المستطاع، عبر إدارة كفوءة قادرة على التفاعل مع المتغيرات بإيجابية.

٤- التوافقية *Agreement*: لا بد أن يعمل الحكم الصالح على التوفيق بين المصالح المختلفة للمجتمع من أجل التوصل إلى توافق ومقبولية واسعة على ما يشكل أفضل مصلحة للجماعة.

٥- المساواة *Equity*: وتعني أن تتوفر للنساء والرجال الفرص كافة لتحسين رفاهيتهم وحمايتهم، إذ يجب أن يتساوى المواطنون بغض النظر عن انتماءاتهم وجنسهم أمام القانون، فضلاً على احترام حقوقهم الأساسية وإمكانية إتاحة فرص متساوية لممارسة هذه الحقوق والمشاركة في إدارة الحكم.

٦- الفعالية والكفاءة *Affectivity & Efficiency*: يجب أن تنتج المؤسسات والعمليات نتائج تشبع الاحتياجات مع تحقيق أفضل استخدام للموارد البشرية والمالية والطبيعية، وهذا هو الرشادة في الاستخدام الجيد الذي يدل على الحكم الرشيد .

٧- المساءلة: يتعين أن يكون متخذو القرار في الحكومة والقطاع الخاص والمجتمع المدني خاضعين للمساءلة، فهي تعني امتثال المؤسسات العامة لآليات المساءلة والتعامل معها بكل جدية، وهذا الأمر يعزز من إمكانية محاسبة المقصرين



مما يفضي إلى إدارة جيّدة بعيدة عن الفساد والتقصير في أداء الواجبات؛ لأنّها ستكون محاسبة وخاضعة للمساءلة.

٨- الرؤية الإستراتيجية Strategically Vision: يجب أن يمتلك القادة والجمهور منظوراً واسعاً للحكم الرشيد والتنمية الإنسانيّة ومتطلّباتها، مع تفهّم السياق التاريخي والثقافي والاجتماعي المركّب لهذا المنظور، إذ تعتمد الرؤية الإستراتيجية على مبدأ التقسيم الزمني للأهداف وتوزيعها عبر مراحل زمنيّة تتسم بالمرونة التي تعطي للرؤى الإستراتيجية قدرًا كافيًا من التكيف مع التغيّرات غير المنتظرة أو الطارئة.

يمتاز الفكر الإداري عند الإمام علي عليه السلام بمبادئه وتماسكه واستناده إلى قواعد ومعايير منطقيّة رصينة، ف جاء هذا الفكر متميِّزًا بخصائص قد لا يظفر بها أيُّ مفكّر إداريٍّ غربيٍّ، فهو فكرٌ إنسانيٌّ مُحصَّن بالدين والخُلق الرفيع؛ لأنّه ينظر إلى الإدارة بنظرة إنسانيّة، فالذي يتحرّك في أفق الإدارة هي الرحمة الإنسانيّة وليس الآلة، ثمّ إنّ نظرة الإمام عليه السلام إلى المؤسّسة الإداريّة كانت على أساس أنّها مجتمع مصغّر تتضامن فيه جميع المقوّمات الاجتماعيّة، وتوصف نظرتّه إلى إدارة الحكم بأنّها عمليّة أخلاقيّة منتظمة وليس خليطاً من الفوضى، ولهذا العمليّة هدف سام يتمثّل بالتنظيم، فالتنظيم لم يوجد عبثاً، بل من أجل تحقيق أهداف كبيرة في الحياة، وبهذا فإنّ الإدارة أو الحكم الرشيد عند الإمام علي عليه السلام كيانٌ اجتماعيٌّ مؤطّر أخلاقياً ودينيّاً ويحيا ويعيش في وسط المجتمع ويسعى من أجل تحقيق أهداف العدالة والخير للجميع، وقد لخصّها الإمام بأربع صفات هي الصفة الإنسانيّة والصفة التنظيميّة والصفة الجماعيّة والصفة الهديّة على وفق مبدأ الاعتقاد والعبوديّة لله سبحانه وتعالى (١).

(١) ينظر: خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٣٦.



لقد حملت ولاية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كثيرا من أسس الحكم الصالح الرشيد ومعايره، وأولها العدالة والإنصاف بين الرعية، إذ يقول عليه السلام: ((الرعية لا يصلحها إلا العدل))^(١)، بوصفه حكما قائما على تعاليم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، إذ استمرت الولاية التي بدأت في شهر ذي الحجة سنة ٣٥ للهجرة نحو أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام، واتصفت بالكثير من المميزات التي يشار لها بالبنان، إذ اعتمد الإمام عليه السلام القرآن أساسا للتشريع، ومرجعية عليا في التدبر والتفكير بأمر الرعية لجميع المعاملات وتنظيم شؤون الدولة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فكان منهجه عليه السلام منهجا علميا دينيا متقن الأصول والمعاملات في إدارة الدولة والالتزام بكتاب الله، فالقرآن يشتمل على جميع الأحكام والضوابط الشرعية التي يحتاج إليها المسلمون لبناء دولتهم، والسنة شاملة وموضحة لما ورد في القرآن من أحكام، فكان عليه السلام وصي نبي الله صلى الله عليه وآله ومقتديا بأحاديثه الشريفة وآتباع منهجه في ذلك، والمضي على آثاره^(٢)، فعن ابن عباس، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها))^(٣).

وبهذه المكانة العلمية الإلهية المرموقة للإمام علي عليه السلام فلا يجوز الدخول لأحكام العلم بالدين من غير الباب المخصص له، فيأخذك إلى غير باب النبي صلى الله عليه وآله، وغير هذا الباب مؤكّد باطل محض، لذا فعلي عليه السلام باب علم رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الوسيلة إلى رضا الله عزّ وجلّ، وهو أمير المؤمنين عليه السلام، ومن وصل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقد دخل في الرحمة الإلهية، لأنه صلى الله عليه وآله رحمة الله للعالمين، ودخل في الأمن الإلهي لأنه أمان للبشرية، واستضاء بنوره لأنه سراج منير^(٤). ويذكر المؤرّخون والمحدّثون

(١) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم، الحديث: ٨٥٩.

(٢) ينظر: القرآن الكريم في فكر الإمام علي عيه السلام: شواهد من نهج البلاغة: ٩-١٣.

(٣) المستدرک علی الصحیحین: ١٢٦.

(٤) ينظر مركز الأبحاث العقائدية، ٢٠١٣، عصمة الحوراء زينب، المحاضرة الأولى، الحوزة العلمية،

النجف الأشرف: ٦.



والمفسرون أن آية المباهلة نزلت لدعوة نصارى نجران للمباهلة، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اختار للمباهلة علياً وفاطمة وولديهما الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فخرج بهم وقال: ((إن أنا دعوت فآمنوا أنتم، وبذلك فعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو المقصود بأنفسنا في الآية الكريمة، وأن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ هي مصداق نساءنا، والحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءنا))^(١)، وقد تحدّث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في موارد كثيرة عن أفضلية الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ومكانته الخاصة لديه، والتي لا يدانيه فيها أحد من الصحابة، فعن أبي جعفر الصادق عن أبيه عن جدّه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((ما قبض الله نبياً حتى أمره أن يوصي إلى أفضل عشيرته، وأمرني الله أن أوصي، فقلت: إلى من يا رب؟ فقال الله تعالى لي: أوص يا محمد إلى ابن عمك علي بن أبي طالب، فإنّي قد أثبتته في الكتب السالفة، وكتبت أنّه وصيّك، وعلى ذلك أخذت ميثاق الخلائق وموثيق أنبيائي ورسلي، أخذت موثيقهم لي بالربوبية، ولك يا محمد بالنبوة، ولعلي بن أبي طالب بالولاية))^(٢). وفي موقع آخر قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مخاطباً الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي))^(٣).

وعلى الرغم من المرتبة العلمية العليا للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بوصفه باب مدينة علم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعرفته بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنّه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يأخذ بمبدأ المشاورة (الشورى) مع مستشاريه اقتداءً بالنبي الكريم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لبّى نداء الله عند نزول سورة الشورى، فارتبطت ولايته عَلَيْهِ السَّلَامُ بالشورى، والتزم بمنهج الشورى في اتّخاذ الرأي والتصرّف بأمر الرعية، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، إذ كان على دراية تامة بأنّ التشاور مع المسلمين، واتّخاذ مُسْتَشَارِينَ له من أهل الوَرَع، والعلم، والسياسة هو

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ٣: ٢٤٨ .

(٢) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام ١١/٢ .

(٣) بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأخيار: ٢٧٣/٣٧ .



السبیل لرضا الله تعالى والرعية وتجنب مسألة التفرد بالسلطة برغم أهليته علیه السلام، فكان يهتم ويتطلع لكل صغيرة وكبيرة تتعلق بمحاسن الدولة وعيوبها، وكان علیه السلام يَحْتِثُ وولاته على اتباع نهج التشاور في الرأي. والشورى هي من أبرز علامات المؤمن الذي يتطلع إلى هداية الناس والتعامل بالحكمة والموعظة الحسنة، فالإنسان الذي يعتمد المشورة في حياته هو المتنور بالعقل الراجح، ويتميز بين الناس بالنجاح والاجتهاد، فهو يتخذ من الشورى سبيلاً إلى الحكم الصالح، وهو من ثم محصن ضد الضلال والانحراف.

وتعدّ طريقة اختيار المستشارين من قبل الحاكم عملية معقدة للغاية؛ لأنّه يعتبرهم قرائن له، ولا بدّ أن تنعكس رؤية الحاكم على أخلاقيّاتهم وسلوكهم، ومن ثمّ يتحوّل السلوك إلى ممارسة سياسيّة تعبّر بصورة عامّة عمّا يصدر من الحاكم، فاشترط الإمام عليّ علیه السلام في المستشار عدداً من الشروط أهمّها أن يلتزم بكتاب الله وسنة نبيه، وأن لا يكون جباناً ولا بخيلاً، بل اشترط أن يكون المستشار والرفيق تقيّاً شجاعاً كريماً رحوماً بالناس، وحتّى مرافقة الأمير للناس اشترط عليه أن يرافقه ذوي الأحساب والأنساب وأهل البيوتات الحسنة الذين يتخذهم الناس قدوة وفريضة لهم إذا أصابتهم مظلمة أو ألمّت بهم المصائب؛ لأنّهم أهل الصعاب الذين تنصقل بصفاتهم وأخلاقهم نفسيّة الرعيّة، ويشترط علیه السلام أيضاً أن يؤسّس الحاكم لعمليّة البناء المعرفي للمجتمع العام، ويؤسّس إلى ضرورة مساندة الأفكار التي من شأنها أن تزيد تماسك المجتمع، وتحدّ من عمليّة تشظيّه وتناحره، فمن أهمّ الإرشادات التي وجهها الإمام عليّ علیه السلام إلى مالك الأشتر عندما وّلاه مصر قضية معاشة حياة العامّة والنظر بأمورهم صغيرها وكبيرها، وينهاه عن العزلة عن أمور الناس ومعاشهم وحياتهم؛ لأنّ ذلك يعدّه شكلاً من أشكال الفساد الذي يؤول بأمر



صاحبه إلى الزوال، والتعجيل بأمر الحاكم ودولته إلى السقوط، وتتسبب هذه السياسة على وفق نظرية الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى تراكم مشاكل الناس وهمومهم ممّا يؤدي إلى حقد العامة ورضا الخاصة، ويعدّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حقد العامة ورضا الخاصة شكلاً آخر من أشكال الحكومات الفاسدة؛ لأنّ الخاصة لا ترضى إلا بالاستئثار بمصالح العامة فيحدث الانعزال بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة فتحلّ الفوضى والتناحر بدلاً من الاستقرار والتكامل^(١).

إنّ الله سبحانه وتعالى فرض الحقّ على البشريّة دستوراً ألهياً في القرآن الكريم، وإن إقامة الحقّ الإلهيّ تعني تحقيق العدالة والإنصاف بين الناس، ففي قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وهكذا فأساس حكم الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو العدل والإنصاف اللذان يعدّان ركناً مهمّاً في حيثيات ولاية الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ على وفق تأكيد كلام الله تعالى، كون إقامة دولة الحقّ من أهمّ قواعد التشريع في النظام الإسلاميّ، ومن طريقه تمكّن نبينا الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من نشر دعوته الإيمانيّة عندما نزل عليه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن طريق العدل والإنصاف تمكّن الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ من إحقاق الحقّ ونشر المودة والرحمة والإحسان بين الرعيّة، لذا كان الإمام شديد الحرص على اتّباع العدل والإنصاف في الحكم وتطبيقهما. فالحاكم العادل هو الذي يستطيع مواجهة مختلف المشكلات التي تعترض سبيل النهوض بالدولة ومؤسساتها، وهو ما قام به الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد أسّس دولة الحقّ والإيمان، واستحقّ لقب أمير المؤمنين، فهو أوّل من لُقّب بهذا اللقب من قبل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عندما خاطبه بهذا اللقب في مناسبات عدّة، ومن الأحاديث التي بلغت حدّ التواتر قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يا عليّ، أنت أمير

(١) ينظر: الحكم الرشيد في فلسفة الإمام علي عليه السلام: ٢٣.



المؤمنين وإمام المسلمين وقائد الغر المحجلين ويعسوب المتقين))^(١). والإمام علي عليه السلام منذ أن كان رفيقاً لرسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤهلاً لإقامة العدل بين الناس وكان ثقة رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت صفاته الحميدة وعلمه بالفقه من الأسباب التي ساعدته في تحقيق القضاء بالعدل والإنصاف الشامل طوال مدة ولايته.

إن مدة حكم الإمام علي بن أبي طالب كانت مثلاً يُحتذى به في إقامة دولة الحق والعدل، فقد كان عليه السلام مُتبعاً لسياسة رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهجه في تطبيق العدل الشامل بين الرعية، فالعدل دعوة عملية للإسلام تُؤلف بها القلوب، وهي من أهم الركائز التي بُنى عليها الأمم وتستقر اقتصادياً وسياسياً، ومن الأمثلة على ذلك طلب جماعة من أصحابه أن يتقرب إلى الأشراف أكثر من الفقراء والمساكين عبر إغداق المال عليهم، حتى تستقر الأمور بيده، فإن تحقق ما يريد، عاد إلى العدل في القسمة بين الرعية، إلا أنه رفض ذلك، وقال: ((أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وَلِيَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ لَوْ كَانَ هَذَا الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فِيهِ كَيْفَ وَإِنَّمَا هِيَ أَمْوَالُهُمْ))^(٢)، وفي حادثة أخرى سأله أخوه عقيل بن أبي طالب أن يعطيه شيئاً من بيت مال المسلمين، فطلب إليه الإمام عليه السلام أن يلتقيا في المسجد يوم الجمعة، وعندما اجتمع الناس، وامتلاً المسجد بهم، قال عليه السلام: ((مَا تَقُولُ فِيمَنْ خَانَ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ أَقُولُ إِنَّهُ رَجُلٌ سُوءٍ، فَقَالَ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَخُونَهُمْ))^(٣). واعتمد الإمام مبدأ المساواة في دولته، فهو أحد المبادئ العامة التي حث الإسلام عليها وأسس الإمام ولايته عليها، إذ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]،

(١) ينظر: الأمالي للشيخ الصدوق: ٤٥٠.

(٢) الكافي: ٣١/٤.

(٣) مطمح الأمال في إيقاض جهلة العمال من سيرة الضلال: ٨٠.



فكان عليه السلام يُقْتَسَمُ المال الوارد إلى خزينة الدولة مباشرة بالتساوي بين الناس، فلا يأخذ منه شيئاً لنفسه إلاّ مثلما أخذه غيره من الناس، وورد عنه أنّه أعطى امرأتين الطعام والدرهم بالتساوي بينهما دون النظر إلى أصليهما، فاحتجّت إحداهما على ذلك؛ كونها من العرب، والثانية من العجم، فقال: ((إني والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق))^(١).

وقد اعتنى الإمام عليه السلام بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية للدولة الإسلامية، إذ كان بيت مال المسلمين في عهده يزخر بالخير والعطاء وتقسيم المال على جميع المسلمين بالعدل، غلم يكن فقيراً في عهد لا يجد مؤنة يومه، حيث انتهج أمير المؤمنين عليه السلام، سياسة اقتصادية تنتهي بالأمة إلى العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة، وتبعدها عن الفقر والمسكنة، من دون ظلم لأحد، ولا مصادرة مال أحد، إذ حققت المالية العامة للدولة الإسلامية في عهد الإمام علي عليه السلام الفائض الماليّ، فازدادت إيرادات الدولة مقارنة بنفقاتها، وتمّ توزيع الزيادة بالعدل بما يضمن تحقيق التكافل الاجتماعي، وقد تمكّن عليه السلام من تحقيق ذلك لما يتمتع به من حنكة سياسية وفطنة مالية واقتصادية فذة. وقد بنى هذه السياسة على قواعد متينة منها: التساوي في العطاء، بعد أن طبق بعض ممن سبقه سياسة التمييز في العطاء، والتي أدت إلى ظهور نمط فاحش من الطبقة، فقام الإمام عليه السلام، بإزالة هذه المشكلة، فوضع حلاً أساسياً للوضع الاقتصادي المتدهور، فاتبع سياسة سليمة في الحريات الاقتصادية والعطاء، وهي السياسة نفسها التي اتبعها من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله^(٢)، وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام، فحوى ذلك في خطبة له عليه السلام: «ألا لا يقولن رجالاً منكم غداً غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا

(١) ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأخيار: ٤١ / ١٣٧.

(٢) ينظر: الإمام علي والقضاء على الفقر: ٤٣.



الوظائف الروقة.. إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرنا ابن أبي طالب حقوقنا، ألا أيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن له الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله... فانتم عباد الله والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد...»^(١).

وتميز الإمام علي عليه السلام بعامة الناس، وخصّص يوماً للنظر في المظالم العباد، وكان حريصاً على تقديم النصح الفقهي والإرشاد لرعيته، من خلال الاحتكاك اليومي بهم، وبخاصة يوم الجمعة، فخطب الجمعة تُعدّ منبراً مهماً في توجيه الأمة إلى سبيل الرشاد، وقد عُرفت خطبته بتأثيرها البالغ في نفوس الرعية، وذلك لا تصافها بالاقتراب من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، والتأثر بأسلوب رسول الله صلى الله عليه وآله في تناول المشكلات ومعالجتها بقوة الحجّة والألفاظ اللينة، والعبارات السهلة، ووضوحها. واستخدام أسلوب الطباق اللفظي الذي يزيد المعنى وضوحاً وتأثيراً. والصدق في النصح النابع من محبة الرعية والعطف على الفقراء والمساكين، فكان كلامه يذق أبواب القلوب^(٢). إذ يعتبر الإمام علي عليه السلام عدم الاحتجاب عن الرعية من مؤهلات الحكم الرشيد والزعامة السياسية والدينية الرصينة في تأدية وظائفها، فالجانب الإنساني والاجتماعي عند أمير المؤمنين له شأن كبير في النظر في المظالم، وأن عدم الاحتجاب عن الرعية يعبر عن مبادئ ديننا الإسلامي الحنيف، فهذا السلوك يشير بجلاء إلى تحمل مؤونة الناس والاستجابة لطلباتهم واحتياجاتهم الأساسية، والواجب على الحاكم العادل الرشيد الاضطلاع بتوفير مؤونة الناس الذين يتولى إدارة شؤون حياتهم، وهذا

(١) ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأخيار: ١٧ / ٣٢.

(٢) ينظر: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ١٧٥-١٨٣.



المطلب يعد من مستلزمات ومؤهلات القيادة النيرة ومن شروطها ووظائفها، ويدل في سياق هذا المطلب سياسة الرفق بالناس ومداراتهم سبيل معيشتهم، وعدم التثاقل من تحمل هذه المسؤولية من قبل الحاكم، إذ يقول الإمام علي (ع) في ذلك: ((الرفق بالعباد لقاح الصلاح وعنوان النجاح))^(١).

وفي الحقيقة فإن التقوى عند الإمام (ع) كانت محور حياته، ومنها تشعبت صفاته العظيمة وأخلاقه الكريمة مع الرعية، فكانت حياته (ع) مثل شجرة باسقة، جذورها التقوى وجذعها الإخلاص وأغصانها الأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، إذ يقول عليه السلام التقى رئيس الأخلاق، فكانت تقواه عليه السلام مع الناس منبع أخلاقه وإدارة حكمه، وما من موقف في عمره الكريم كله إلا وكان ينافس فيه أنبياء الله العظام، في الوقت الذي كان فيه الآخرون يتنافسون فيما بينهم على مغنم الدنيا وزينتها وزبرجها^(٢).

المبحث الثالث: إدارة الحكم الرشيد والتنمية البشرية في ولاية الإمام علي (ع)
 لقد حرص الإمام علي (ع) طيلة مدة ولايته وحتى استشهاده في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، على ربط مفهوم الحكم بالدين لتحقيق العدالة والرشادة والإنصاف بين جموع البشر لبناء دولة إسلامية أساسها العيش الكريم للإنسان، وإنهاء ما مكان موجوداً فيمن سبقوه من خلفاء كرسوا مفاهيم الطبقيّة والفئويّة، وعمّقوا من فوارق المعيشة بين الناس، وهمشوا الفقراء والمساكين الذين لا يصلهم شيء من بيت المال، فبنى الإمام (ع) أسس الدولة العادلة بالقضاء على الفقر وسدّ الهوة الطبقيّة، فلا فضل لأحدٍ إلا بتقوى الله،

(١) ينظر: غرر الحكم ودرر الكلم، ٩٨٢.

(٢) ينظر: أخلاقيات أمير المؤمنين: ١ / ٣٣.



فالتقوى مفتاح التشريع لخير وكرامة الإنسان، كما في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ودينكم واحد، ونبيكم واحد، ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا أعجمي على عربي، ولا أحمري على أسود، ولا أسود على أحمري، إلا بالتقوى))^(١)، وعنه صلى الله عليه وآله لما دخل البيت عام الفتح ومعه الفضل بن عباس وأسامة بن زيد، ثم خرج فأخذ بحلقة الباب فقال: الحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، وغلب الأحزاب وحده، إن الله أذهب نخوة العرب وتكبرها بأبائها، فكلكم من آدم وآدم من تراب، وأكرمكم عند الله أتقاكم^(٢).

وما دام أساس العدل عند الله التقوى، فإن أمير المؤمنين عليه السلام قد عدَّ التقوى منطلق الخير والصالح للبشرية وتطوير المجتمع الإسلامي وتنمية قدراته نحو العمل الصالح الذي يرضي الله ويحقق الغايات التي أحلها الباري لإشباع احتياجاته، وبذلك اعتمد الإمام الحكم الرشيد أداة لتحقيق التنمية البشرية في المجتمع الإسلامي، فهناك علاقة وطيدة بين الحكم الرشيد وتحقيق التنمية البشرية، وهذه العلاقة يمكن الاستدلال عليها بخمسة مؤشرات أساسية للتنمية البشرية في ظلِّ مقرّرات الحكم الرشيد، وهذه المؤشّرات هي إلى حدّ كبير تتطابق مع المنطلقات الرئيسة للحكم الرشيد عند ولاية الإمام عليّ عليه السلام، التي يمكن أن تكون خريطة طريق لتحقيق الحكم الصالح والرشيد، وهذه المؤشّرات لخصها البرنامج الإنمائي التابع للأمم المتّحدة (UNDP) بالمبادئ الخمسة وهي:^(٣)

(١) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام: ٣/٣١٣.

(٢) ينظر: ميزان الحكمة: ٤/٣٦٢٩.

(٣) ينظر: البرنامج الإنمائي التابع للأمم المتحدة (UNDP): ١٢-١٧.



١. التمكين (Empowerment): الذي يعني توسيع قدرات البشر وخياراتهم بالشكل الذي يتيح إمكانية مشاركتهم الفعلية في القرارات التي تتعلق بحياتهم وتؤثر بها وتُلبي متطلباتهم.

٢. التعاون (Cooperation): وهو أن يتم تضمين مفهوم المساعدة والمشاركة والانتماء والاندماج والمؤاخاة كمصدر أساسي للإشباع الذاتي للفرد داخل مجتمعه، فالتعاون هو التفاعل الاقتصادي والاجتماعي الضروري بين الدولة وأفراد المجتمع للمؤاخاة بين البشر، بما يُحقق غايات التنمية.

٣. العدالة في التوزيع (Equity): وهنا لا تقتصر العدالة على مفهوم توزيع الدخل فحسب، بل تشتمل على عدالة الإمكانيات والفرص والموارد وخيرات التنمية بين مختلف فئات المجتمع كافة، بما يقلل الهوة بين الأفراد والمناطق والأقاليم ويحقق رضا الفرد على السلطة الحاكمة ويقرب الحاكم من المحكوم.

٤. الاستدامة (Sustainability) تتضمن الاستدامة الاستخدام العقلاني والرشيد للموارد من دون استنزافها بما يُلبي احتياجات الجيل الحالي، من دون التأثير سلباً في حياة الأجيال القادمة ويضمن استحقاقاتها.

٥. الأمان الشخصي (Security) ويتضمن الحق في العيش حياة كريمة مديدة منعمة بالخير بعيداً عن أية تهديدات إرهابية أو أمراض معدية أو قمع أو فقر أو تهجير أو بطش من قبل السلطة الحاكمة.

إن مبادئ الحكم الرشيد التي تحقق منطلقات التنمية البشرية لخصها الإمام علي عليه السلام في سلسلة إجراءاته إبان ولاية حكمه للمسلمين، والتي تتضح معالمها في وصية الإمام إلى مالك الاشر والي مصر في التوعية والتنوير للرعية فيما يحفظ حقوقهم ويحثهم على أداء الواجبات المناطة بهم على أكمل وجه، فهنا الإمام علي عليه السلام يؤسس



سبيلاً للتنمية البشرية ودوره في تثقيف وتطوير الناس من النواحي المعنوية والمادية والفكرية على وفق مبدأ التمكين والتكامل في ظل تحقيق العدالة والإنصاف والأمان من الفقر وعاديات الدهر، بمعنى أدق أن عملية التنمية البشرية والبناء الإنساني والتغيير المجتمعي للدولة عبر الحكم الرشيد يمثل عملية مشتركة تبدأ وكأنها ثقافة فردية من الضروري أن يتحلّى بها الفرد والجميع (الحاكم والمحكوم)، (الخواص والعوام)، (الغني والفقير)، بمعنى أدق أن يتحقّق الرشد وكأنه فلسفة اجتماعية توجه سلوك المواطن أينما كان موقعه، وكيفما كانت فئته ومستواه بحيث يكون المجتمع متهيئاً لاستيعاب الرشد على المستويات كافة، وهذا تأصيل قديم لمفهوم حديث يسميه علماء الاجتماع السياسي (المواطنة الواعية) الذي يفهم من طريقه كل عنصر من عناصر البناء السياسي دوره في المشروع العام المراد تطبيقه على المجتمع لينتقل المجتمع من حالة الجهل والرذيلة إلى حالة الرشد والوعي والفضيلة^(١).

إن رؤية الإمام علي عليه السلام للحكم الرشيد تتجسّد في تخليص المجتمع الإسلامي من الظلم والفساد بشنّى أشكاليهما، لأنّهما السبب الرئيس في استحواذ فئة معينة على خيرات الله تعالى التي وهبها للناس أجمعين، فالعدالة تنافي مفهوم الظلم والفساد، لذلك انطلقت المنظمات الدولية والإنسانية للقضاء على الفقر ومحاربة الفساد لتحقيق النمو الاقتصادي وبلوغ التنمية البشرية لجميع الناس عبر إقرار مبادئ حقوق الإنسان من أجل المساواة بالحقوق والواجبات، إذ ركّزت تقارير التنمية الإنسانية التي تصدر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) منذ عام ١٩٩٠ على مفهوم تحسين نوعية الحياة البشرية، وعلى محورية الإنسان في عملية التنمية ومحاربة آفة الفساد، ولذلك ربّبت الأمم المتحدة بلدان العالم على وفق

(١) ينظر: الحكم الرشيد في فلسفة الإمام علي عليه السلام: ٢٥.



معايير العدالة والشفافية والمستوى المعيشي كأساس للتنمية البشرية، ومن هذه المعايير ((تحسين مستوى الحياة عند الولادة، تحسين مستوى متوسط دخل الفرد الحقيقي، وتحسين مستوى الخدمات الصحيّة، وتحسين مستوى التحصيل العلمي، ومؤشرات قانونية تتعلق بمواجهة الفساد))^(١).

إن الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) يعد الحاكم الرشيد الصالح الأوّل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهو الذي واجه الظلم والظالمين وردع بؤر الكفر والضلال لإقامة دولة الحق، فاستحقّ بجدارته أن يعدّ رائد التنمية والتربية الإسلاميّة وواضع أسسها، فأراء الإمام عليّ (ع) في مجال التنمية البشرية وتطبيقاتها على أرض الواقع تتضح في مدّة حكمه خليفة للمسلمين، وما كتبه لولاته ليكون منهاجاً لهم في سياسة إدارة الأمّة، والارتقاء بالإنسان المسلم كما أمر الله تعالى بذلك، إذ إنّ الهدف الأسمى الذي سعى إليه أمير المؤمنين (ع) إنّما هو تحقيق العدالة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وصيانة حقوق الرعيّة، وتقوية الأواصر بين سلطة الحاكم والشعب، إذ يكون الحقّ والإنصاف سيّد الموقف، وحتى لا تجترأ السلطة على إتيان الباطل وتعطيل الحقوق. وأراد الإمام (ع) بناء الفرد المسلم بناء صحيحاً على وفق أنموذج تربويّ سليم قائم على احترام العمل والوقت وأداء الواجبات بالشكل المطلوب وبدون أي تقصير^(٢)، وبناء المؤمن القوي مثلما أراد الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، فأراد أمير المؤمنين (ع) أن يكون هذا الإنسان من القوّة بحيث لا يدع مجالاً لأيّ حاكم أن يظلمه ويستبدّ حقوقه، ولا لأيّ جبار أن يبطش به أو يتغطرس عليه، وأن يكون المسلمون ندّاً قوياً للحكام في قول الحقّ، وتعديل الاعوجاج، وتصحيح المسار، والمحافظة على الدين، وصون كرامة الإنسان. وأسّس الإمام عليّ (ع) في ظلّ منطلقات التنمية البشرية أنموذج الإنسان السويّ الذي يسعى إلى

(١) البرنامج الإنمائي التابع للأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٠: ٤٨.

(٢) ينظر: التربية الإسلامية وأساليب تدريسها: ٢٨.



استصلاح الأرض وإعمارها وزراعتها؛ لأنّ في الزراعة الخير الوافر الذي يقدّمه الباري عزّ وجلّ للبشريّة، ومن دون تنمية الجهد البشريّ لإعمار الأرض لا تتحقّق منفعة المسلمين، فجاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، فيقول القرطبيّ ((الاستعمار هو طلب العمارة والتعمير، والطلب المطلق من الله تعالى على الوجوب))^(١)، ويعدّ مصطلح العمارة والتعمير من أصدق المصطلحات تعبيراً عن التنمية الاقتصاديّة عموماً والتنمية الزراعيّة على وجه الخصوص، كون الزراعة هي التي تربط الإنسان بالأرض، إذ يحمل مضمونها التنمية الاقتصاديّة ويزيد عليه، فهو نهوض في مختلف مجالات الحياة الإنسانيّة، كون التنمية هي بالإنسان وبواسطة الإنسان ومن أجل الإنسان^(٢).

لذلك ينظر للحكم الرشيد على أنّه الممارسات السياسيّة والاقتصاديّة والإداريّة لإدارة شؤون الدولة على جميع المستويات، وذلك لتحقيق أقصى قدر ممكن من التنمية البشريّة، وتشمل تلك الممارسات أجهزة الدولة المختلفة بكامل مؤسّساتها العامّة والخاصّة ومؤسّسات المجتمع المدني^(٣). ويتحقّق الربط بين مفهومَي الحكم الرشيد والتنمية البشريّة بمنظور الإمام علیه السلام عبر النقاط الآتية: (٤)

١- أنّ النمو الاقتصاديّ ما هو إلّا خطوة مرحليّة لتحقيق التنمية البشريّة وليس غاية في حدّ ذاته، وأنّ واجب الحاكم الرشيد أن يتأكّد من تحقيق المؤشّرات النوعيّة لتحسين نوعية الحياة للمواطنين، وهذه المؤشّرات تتعدّى المؤشّرات الماديّة التي تقيس الثروة المادية إلى الاستثمار الضروري في رأس المال البشري،

(١) الجامع لإحكام القرآن: ١١/٢.

(٢) ينظر: التنمية البشريّة في فكر الإمام علي بن أبی طالب: ٢٦٦.

(٣) ينظر: مرتکزات الحکم الديمقراطي وقواعد الحکم الرشيد: ١٥٧.

(٤) ينظر: الحکم الرشيد: الأبعاد والمعايير والمتطلبات: ٩-١١.



فالتعليم والصحة مثلاً يندرجان ككلفة تتحملها الدولة ولكنهما في النهاية استثمار بعيد المدى وضروري لتحسين نوعية الحياة لدى القسم الأعظم من المواطنين.

٢- أنّ التنمية البشرية هي تنمية منصفة وديمقراطية تهدف إلى بناء نظام اجتماعي عادل يرفع من القدرات البشرية عبر زيادة المشاركة الفاعلة والفعالة للمواطنين، وعبر تمكين الفئات المهمّشة من المجتمع وتوسيع خياراتهم وزيادة الفرص المتاحة والفرص التي تضمن بلوغ درجة الحرّية بمعناها الواسع، واكتساب المعرفة وتمكين الإطار المؤسّساتي من أداء واجباته بيسر.

٣- أنّ مفهوم التنمية البشرية يعدّ استدامة التنمية بالمعنى الذي يضمن عدالتها بأبعادها الوطنية بين مختلف الطبقات الاجتماعية والمناطقية وحتى الدولية؛ من أجل الموائمة بين مصالح الأجيال الحالية واللاحقة، بما يجعل مشاركة المواطنين الفاعلة في التنمية، ولن تكون هذه المشاركة فاعلة إلا إذا استندت إلى تمكين أفراد المجتمع وبخاصة الفقراء والمهمّشين وجعلهم قادرين على تحمّل مسؤولياتهم والقيام بواجباتهم والدفاع عن حقوقهم.

٤- أنّ تمكين المواطنين وتوسّع خياراتهم يتطلّب تقوية المشاركة بأشكالها ومستوياتها عبر الانتخابات العامّة لمؤسّسات الحكم، وعبر تفعيل دور الأحزاب السياسية وضمان تعدّدها وتنافسها، وعبر حرّية العمل النقابي واستقلالية منظمات المجتمع المدني، مع ضرورة توعية أفراد المجتمع بحجم المسؤولية الملقاة على عاتق كلّ فرد في أداء دوره الانتخابي بكامل أرائته لاختيار الفرد المناسب.

٥- تقوم عمليّة التنمية البشريّة على وفق مفهوم الحوكمة للأمم المتحدة على محورين أساسيين كانا من ضمن المتطلّبات التي جاء بها الإمام عليّ لتمكين الناس من نيل حقوقهم وهما: بناء القدرات البشريّة المتمكّنة من التوصل إلى مستوى رفاه

إنساني راق، وعلى رأسها العيش حياة حرة كريمة مفعمة بالخير والعطاء والصحة، واكتساب المعرفة، والتوظيف الكفاء للقدرات البشرية في جميع مجالات النشاط الإنساني من دون تمييز.

إن التطورات الاقتصادية المتلاحقة وما يشهده العالم من أزمات وتغيرات متواصلة دعت صانعي القرار في المنظمات الدولية ومنظمات حقوق الإنسان إلى إعادة النظر في المناهج الإسلامية التي قدّمت للعالم الخير والعدل والسلام، فكان منهج ولاية حكم أمير المؤمنين عليه السلام يتصدّر هذه المناهج بعد منهج رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وآله، من أجل التكاتف والتشاور بشأن إقامة الحكم الصالح وتحقيق أهداف التنمية الإنسانية العالمية، لأن الأخيرة عملية مجتمعية تحتاج إلى حكم رشيد يستنفر جميع الجهود لمواصلة تنفيذ البرنامج الإنمائي، وأن الوصول إلى تحقيق أهداف هذا الحكم يكون عن طريق التعاضد والمساندة في أداء الأدوار بين الدولة كمؤسسات وسلطة إدارية حاكمة تقوم بإعداد الخطط التنموية، وبين الشعب كجمهور متلقٍ لتلبية متطلبات تلك الخطط المقترحة لتنفيذ مشروعات التنمية البشرية، وأن أيّ تلكؤ في أداء الواجبات بين الدولة والجمهور سيعيق الوصول إلى تحقيق أهداف الحكم الرشيد. ويمكن أن نلاحظ توجهات الإمام علي عليه السلام في تحقيق التنمية البشرية في أبعادها المختلفة، كانت تعتمد ثلاثة مناهج هي: ^(١)

الأول: استنهاض الإنسان ليمارس دوره الفاعل في الحياة، وليفجّر طاقاته الكامنة في الخير والصلاح، وليتسلّح بالطموح وعلوّ الهمة، وفي ما نقل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وغيره من المصادر ثروة هائلة عظيمة على هذا الصعيد.

الثاني: دعوة الناس للتعاون فيما بينهم، والتطوع لخدمة بعضهم بعضاً،

(١) شبكة المعارف الإسلامية الثقافية، الموقع الإلكتروني: <https://almaaref.org.lb/>



والاهتمام بمناطق الضعف والحاجة في المجتمع، بما نطلق عليه الآن العمل الأهلي التطوعي، كقوله في وصيته للحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَلَا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغْتُمْهَا، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمْ، وَقُولَا بِالْحَقِّ، وَاَعْمَلَا لِلْأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْمًا، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْنًا. أَوْصِيكُمْ وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللَّهِ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمْ يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ. اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِيْتَامِ، فَلَا تُعْبُوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ))^(١).

الثالث: وضع سياسة الدولة في خدمة التنمية البشرية، وهذا ما تؤكده سيرة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الرعيّة، وتوجيهاته للولاة والموظفين، ومن أبرزها واشملها عهده لمالك الأشتر حين ولاه مصر، إذ يؤكّد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في فقرات هذا العهد على تطبيق العدل والمساواة بين المواطنين، وحفظ حقوقهم المادية والمعنوية، وإن اختلفت أديانهم وتوجهاتهم.

وعند الشروع في الحديث عن الحكم الرشيد وبروزه كمفهوم لصيق بالتنمية البشرية، يظهر النموذج العلويّ لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في الإدارة التنموية الصالحة المستندة على أسس التشريع الإسلاميّ، وهذا ما دعا المنظّمات الدولية في الوقت الحاضر إلى تبني المعطيات القيمة في الحكم الرشيد للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من أجل إعادة بناء الحرية والديمقراطية وتطبيق مبادئ حقوق الإنسان ومواجهة الفساد بشتى صورته، فضلاً على تبني الإصلاحات المالية والمطالبة بزيادة حجم مشاركة الجمهور في العملية السياسية والاقتصادية، وبناء على ما تقدّم ومن منطلق أركان الحكم الرشيد التي تتوافق إلى حدّ كبير مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف التي

(١) نهج البلاغة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ، الكتب والرسائل: ٤٧.

طبّقها الإمام علي عليه السلام في فترة ولايته لتكون منطلقاً للإدارة العادلة والرشيدة، يمكن قراءة أركان الحكم الرشيد كما يلي: ^(١)

أولاً- الحرية: تعدّ الحريّات العامة جزءاً رئيساً من حقوق الإنسان الطبيعية التي كرّسها الله عزّ وجلّ عبر الخليقة، وشجّعها ونظمتها كثير من القوانين، وكذلك الشرائع السماوية وعلى رأسها الإسلام، وتعدّ إدارة الحريات العامة بشفافية وكفاءة أساساً للتنمية الاقتصادية والسياسية وحافظاً لكيان الدولة والمجتمع من الانهيار والاقتتال الداخلي، وتمثل في نفس الوقت مصدراً أساسياً من مصادر تصحيح المسار وتوجيه الكفاءات ورفع المظالم عن العباد، ومن ذلك فأن الثورة الحسينية هي ثورة لنيل الحرية من بطش واستبداد الحكام الذين تسلطوا على رقاب الناس، وهي ثورة ضدّ الاستبداد الذي مارسه بنو أمية في تغييب الحقوق وتكميم الأفواه من أجل الهيمنة على مقدرات بيت مال المسلمين والعبث بمقدرات الشعوب.

ثانياً- المساواة: تستند المساواة في المجتمع على مبدأ المواطنة، وهي القاعدة المنظمة لحياة المجتمع بشتّى مكوناته، وهي بذلك تؤسّس لبيئة اجتماعية مستقرّة، وتؤسّس فكراً اجتماعياً وسياسياً مستقرّاً يمكن أن تُبنى عليه كثير من فرص النجاح الاقتصادي والسياسي والثقافي، وتمنع التكلّسات الأثنية والطائفية، ولا تعطيها فرصة إعاقة حركة المجتمع في مجالات التنمية والحضارة والتقدّم، ممّا يتسبّب بصقل الطاقات واستثمار أقصى الإمكانيات المتاحة، وتلغي ما يعرف بالتهميش والإقصاء، كما ترفع الكثير من الظلم والحيث عن الأفراد والجماعات في المجتمع والدولة.

ثالثاً- الحقّ والعدل: قيل قديماً أنّ الحكم العادل عمره الزمان كلّهُ، والحكم غير العادل مصيره محفوف بالمخاطر، وتعدّ قاعدة العدل من قواعد الدين والعقيدة

(١) ينظر: مركز دراسات الشرق الأوسط: <http://www.mesc.com.jo/OurVision>، ١/٢٠١٢، html.



الإسلامية، وهي من أسس الرسالات السماوية للأنبياء، وتعبر عن الجزء القيم من التاريخ الثقافي والتراث الحضاري، إذ تفتخر الأمم بأنها قادرة على تحقيق العدل في الحكم والقضاء، وفي إدارة المال وتوزيع الثروة والحقوق بإنصاف بين الناس، وفي تقديم الخدمات الأساسية المتعلقة بالتعليم والصحة والسكن للجميع من دون تمييز.

رابعاً- المشاركة الجماهيرية: تعدّ المشاركة الجماهيرية من أبرز أركان وعناصر الحكم الرشيد، وأنّ المشاركة تعتمد على طبيعة البشر ومستوى فهمهم وإدراكهم والخلق التربوي والديني الذي يتحلّون به، فضلاً عن المستوى العلمي والمهاري الذي تتطلبه المشاركة الفعّالة، بيد أنّ فاعلية المشاركة الجماهيرية في عملية التنمية تعتمد على مدى الإيمان الصادق في أداء الواجبات المكلف بها. ويؤكد الكاتب سامح فوزي بأن المشاركة هي من أهمّ عناصر الحكم الرشيد وتعني أن يصبح للمواطنين الحقّ في الإسهام في صنع وتنفيذ السياسات العامّة للدولة، وهذا سيعزّز الاندماج الاجتماعي ويحول دون اتّساع نطاق التهميش، فالمشاركة تساعد على توحيد المصالح المتناقضة والآراء المختلفة وتقرب المسافات بين مختلف الطوائف الاجتماعية والدينية، وبذلك فإنّ المشاركة تخلق مناخاً حيويّاً مفعماً بالحب والألفة والنشاط المحفّز على تنفيذ قرارات الحكومة التنموية بكلّ حرص ومسؤولية^(١).

(١) ينظر: الحكم الرشيد، سامح فوزي: ٤١.



الخاتمة والاستنتاجات والمقترحات

أولاً- الخاتمة: امتازت مدّة ولاية الإمام علي عليه السلام بالعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات؛ لأنّه هو وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد استند حكمه الرشيد على كتاب الله وتعاليم نبيّه صلى الله عليه وآله، هو حكم العدل والإنصاف والشورى والشفافية التي تمثل بمجملها المرتكزات الأساسيّة للحكم الصالح الرشيد وتحقيق التنمية البشريّة بمعناها الإسلاميّ المطلق، فقد قدّم الإمام عليه السلام أنموذج الحكم الرشيد بأنصع صورة للبشريّة جمعاء، فلم يجحد عليه السلام عن طريق الحق قيد شعرة، بالرغم من أنّ مدّة ولايته التي بلغت حوالي خمس سنين قد شهدت اضطرابات وصراعات سياسيّة ومكائد يحكيها المناوئين الذين يسعون للهيمنة على سلطة الحكم ونهب بيت مال المسلمين، ولكن كان الإمام عليه السلام لهم بالمرصاد كالجبل الشامخ أمام جميع تلك التيارات العبثيّة، وواجههم برباطة الجأش والإيمان بالله واليوم الآخر. لذلك أتحنّنا الإمام علي عليه السلام بأنموذج فذّ في الإدارة السياسيّة الصلبة لقيادة الدولة الإسلاميّة نحو الخير وبر الأمان، وهذه القيادة تحمل في طياتها خصائص حكم الأنبياء والأوصياء في العدل والإحسان والنظر في مظالم العباد، كما مثل اتجاه ولايته جانباً تربويّاً مهمّاً يهذب النفس البشريّة ويشحذ الهمم نحو بناء منطلقات التنمية البشريّة المستدامة في التربيّة الإسلاميّة الصحيحة التي تستند على جانبيين، الأوّل عباديّ يتجسّد في ضخّ القيم والمبادئ والأفكار الدينيّة وأصول الدين والأحاديث الشريفة في خطب الجمعة التي يبثها للناس من مسجد الكوفة عاصمة الخلافة العلويّة، وهو بذلك يحاكي التجربة الإيمانيّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، ويقتدي بها. أمّا الثاني فكان الجانب العلمي المتمثّل بالتنظيرات والتحليلات العبادية وتفسير الآيات وضخّ المعارف العلميّة التي حباه الله بها والحثّ على الجهاد في سبيل الله. ومن هذين الجانبين يتبيّن أنّ



منهج الحكم الرشيد للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حقق الفرضية التي بنيت عليها الدراسة والتي تشير إلى أن مدة ولاية الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثل بجميع مدلولاتها الفكرية مدة الحكم الرشيد الصالح الذي تحقّق فيها ازدهار الأمة الإسلاميّة ورفع شأن المسلمين كما كان معهوداً قبل وفاة النبي الكريم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثانياً- الاستنتاجات: بعد تحقّق الفرضية التي انطلقت منها الدراسة، فقد خرجت بالاستنتاجات التالية:

١- أن ولاية حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أعادت الهبة للدين الإسلامي الحنيف، ومكّنت الأمة الإسلاميّة من استرداد حقوقها المغتصبة إبان تولّي من أغتصب الولاية من أمير المؤمنين بعد وفاة الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأعيد الحقّ إلى نصابه بعد ما شابّه من جور وظلم وعبث في بيت المال جراء الهيمنة على مقدرات المسلمين. فكان عهد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عهد الحق والعدل الذي فيه صان خليفة المسلمين كرامة الإنسان وأعاد حقوقه المسلوبة.

٢- أن المنهج الإداري للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إبان مدة ولايته للمسلمين، والتي لم تدم حوالي خمس سنين، عبر عن حكمة إلهية مفعمة بالخير والعدل والإنصاف واسترجاع الحقوق للمسلمين، هذه الحكمة التي قد وهبها الباري عزّ وجلّ في الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ عبر رسوله الكريم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان بحق إماماً للمتقين عاملاً بكتاب الله، ومقتدياً بنبيه الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- تعد ولاية الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أول من أرسى دعائم مفاهيم مصطلح الحكم الرشيد؛ لأنّ عهده قد شهد الحزم في التوجيه والنصح والإرشاد لولائه في جميع الأمصار، من أجل إحقاق الحقّ ومقارعة الفاسدين والمناوئين والناهيين لأموال بيت مال المسلمين أين ما وجدوا، فكانت النزاهة

والشفافية السمة الطاغية في عهده عليه السلام لاسترداد الحقوق وتوزيع الأموال بين المسلمين عامّة، والفقراء والمعوزين خاصّة الذين نالوا اهتمام ورعاية أمير المؤمنين عليه السلام في تلك المرحلة.

٤- أنصف أسلوب القيادة الإدارية لدى الإمام علي عليه السلام بالحزم والشدة على المناوئين والناكثين الموالين لأعداء الإسلام، وباللين واليسر على الفقراء والمساكين والمعوزين، وبالحياد على مختلف الطوائف الإسلامية العربية وغير العربية، وهذا كان مدعاة لحبّ المسلمين له، والالتفاف حوله، كون الفقراء يمثلون السواد الأعظم للمسلمين جراء سياسات الحكم للخلفاء السابقين الذين سيطروا على الحكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في حادثة سقيفة بني ساعدة.

٥- أراد الإمام علي عليه السلام في ولاية حكمه أن يُبين أنّ الظلم والاضطهاد مهما طال أمده على الناس، فلا بدّ أن يأتي اليوم الذي ينصر الله به عباده، وهذا النصر قد تكلّل بولاية أمير المؤمنين عليه السلام الذي أعاد الوجه الناصع للإسلام والمسلمين، بعدما شوّهت صورة الإسلام ولحق بأمة الإسلام الظلم الجور. فلم يشهد عهد ولايته شيء يذكر عن وجود الفقراء والمعوزين، بل أغدق العطايا على المساكين، وأنهى عصر الظلم والحرمان والفوارق الطبقية، وتمكّن عليه السلام من بناء مجتمع إسلامي يتحلّى بالقيم والأخلاق العربية الأصيلة في الكرم والجود والإيثار والعطف على الضعيف ومساعدة المسلم لأخيه المسلم، وهو بذلك يؤسس لمنطلقات التنمية البشرية المستدامة.

ثالثاً- المقترحات: من أجل تحقيق أهداف البحث، تقدّم الدراسة المقترحات

التالية:

١- إعادة النظر بالمناهج الإدارية في سياسة الدولة من أجل إنصاف الرعية وتحقيق التنمية والتطور المنشود عبر الإقتداء بمنطلقات الحكم الرشيد للإمام



عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واستلهم العبر والحكم من فكره النيّر الذي استند إلى كتاب الله ووصايا النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لمعالجة المشكلات الاقتصادية والاجتماعية التي تهم المجتمع.

٢- تبني الفكر التنموي للإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بناء الإنسان المسلم الصالح الذي يجلّل حلال الله ويحرم حرام الله، من أجل تحقيق التنمية البشرية المستدامة بمعناها الشامل عبر الارتكاز على توفير المستوى المعيشي المناسب الذي يصون فيه كرامة البشر ويمكن الفرد من مزاوله نشاطه بانسيابية ومن دون أية معرقات.

٣- اعتماد الأسلوب العلويّ في التربية الدينية الذي يستعين بعدة ركائز أولها وأهمّها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والتعاملات الإسلامية الأساسية في الحياة والعبادة، إذ يعتمد هذا الأسلوب على خطب الإمام أيام الجمع في مسجد الكوفة التي يعالج فيها مختلف الحوادث والمشكلات الاجتماعية التي تواجه المسلمين، بغية خلق مجتمع سام تسوده العبادة الخالصة لله تعالى وحبّ الخير والتعاون والتسامح.

٤- ضرورة الاهتمام الإعلامي بتنمية الفكر الإداريّ والتنمويّ في الإسلام والذي استمد أصوله من فكر الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما تولى الخلافة الإسلامية، وأعطى صورة مشرقة للحكم الرشيد الصالح المبني على أسس الخير والعدل الإلهيّ، ومحاولة تدريس أهمّ الإسهامات للفكرية للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في المراحل الدراسية الجامعية، والمتمثلة بالخطب والعبادات والتوجيهات في مواد الإدارة والتنمية البشرية والتربية الإسلامية والتربية الأخلاقية، مع ضرورة إتخاف موضوعاته العبادية والتربوية في مجال الرسائل الجامعية للدراسات العليا الماجستير والدكتوراه.

٥- إقامة ندوات ودورات وورش عمل تدريبية وتثقيفية حول الفكر الإداريّ والتنمويّ للإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكيف كان يتعامل مع ولاته على الأمصار في عهده؟

وكيف كان يرد المظالم عن العباد ويسترد حقوقهم؟ ويحقّق الإنصاف في الحقوق والواجبات بين الرعية بغض النظر عن المعتقد أو الجنس أو اللون.

المصادر

*القرآن الكريم.

١. أخلاقيات أمير المؤمنين، المدرسي، هادي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مؤسسة الباقر للدعاية والنشر والإعلان، لبنان، ٢٠١٠.
٢. إدارة الموارد والحكم الرشيد، الحموي، د. جلال أصيل، الطبعة الأولى، دار النشر للطباعة، بيروت، ٢٠١٩.
٣. آليات الحكم الرشيد في إدارة التنوع الثقافي - دراسة تحليلية مقارنة، أمين، علي محمد، رسالة ماجستير، كلية القانون والسياسة، جامعة السليمانية، ٢٠١٤.
٤. الأمالي، الشيخ الصدوق، الطبعة الأولى، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، قم المقدسة، ١٤١٧ هـ.
٥. الإمام علي والقضاء على الفقر، الجبوري، الشيخ فارس، مجلة الهدى، دار الهدى للثقافة والإعلام، العدد (٤٠)، ٢٠١٣.
٦. الأمم المتحدة، تقرير التنمية الإنسانية، منجزات التنمية الإنسانية في العالم، نيويورك، ٢٠٠٢.
٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأخيار، العلامة المجلسي، الشيخ محمد باقر بن محمد تقي، الجزء (٣٢)، الطبعة الثالثة، مؤسسة الوفاء، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٣.
٨. البرنامج الإنمائي التابع للأمم المتحدة (UNDP)، وثيقة السياسات العامة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، نيويورك، ١٩٩٧.



٩. البرنامج الإنمائي التابع للأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٠، الأمم المتحدة، نيويورك، ١٩٩٠.
١٠. البنك الدولي، تقرير تحديات التنمية حول العالم بعنوان: الدولة في عالم متغير، واشنطن، ١٩٩٧.
١١. التربية الإسلامية وأساليب تدريسها، إبراهيم، صبحي طه رشيد، الطبعة الأولى، دار الأرقم للطباعة والنشر، عمان - الأردن، ١٩٨٣.
١٢. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، الزحيلي، وهبة، الجزء الثالث، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢.
١٣. تفسير سورة الرحمن، الموقع: [www.https://surahquran.com/aya-tafsir/html.05-4-com](https://surahquran.com/aya-tafsir/html.05-4-com).
١٤. التنمية الإنسانية في عهد علي عليه السلام، شبكة المعارف الإسلامية الثقافية، الموقع الإلكتروني: <https://almaaref.org.lb/post/10787>.
١٥. التنمية البشرية في فكر الإمام علي بن أبي طالب ع، صياح، رحيم علي، مجلة دراسات تاريخية، العدد (٢٨)، جامعة البصرة، كلية التربية للبنات، ٢٠٢٠.
١٦. الجامع لإحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم طميش، الطبعة الثانية، الجزء الحادي عشر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.
١٧. الحكم الراشد ودوره في تفعيل المشاركة المجتمعية في إدارة الميزانية العامة للدولة، عقيلة، خلوف، مجلة الاقتصاد الجديد، المجلد (١)، العدد (١٦)، ٢٠١٧.
١٨. الحكم الرشيد- المضمون والتطبيق، عاد عبد اللطيف، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠١٣.

١٩. الحکم الرشید فی فلسفة الإمام علی علیه السلام، المسعودی، أحمد، مرکز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، النجف الأشرف، ٢٠١٥.
٢٠. الحکم الرشید ومحاربة الفساد، قانه زکی، مجلة معهد العلوم الاقتصادية، كلية الاقتصاد وعلوم التسيير والتجارة، المجلد (١٥)، العدد (٥)، ٢٠١١.
٢١. الحکم الرشید: الأبعاد والمعايير والمتطلبات، البابلي، د.نبيل، تقارير سياسية، المعهد المصري للدراسات، اسطنبول - تركيا، ٢٠١٨.
٢٢. الحکم الرشید، سامح فوزي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٧.
٢٣. الحکم الصالح: خيار استراتيجي للإدارة نحو بناء مجتمع، فهمي خليفة الفهداوي، مجلة النهضة، العدد ٣، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧.
٢٤. الحکم الصالح الرشید من منظور إسلامي، عبد الفتاح، سيف الدين، مجلة المسلم المعاصر، العدد (١٣٩)، ٢٠١١.
٢٥. خصائص الإدارة عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، القزويني، د. محسن باقر، مجلة أهل البيت، جامعة أهل البيت، كربلاء المقدسة، العدد الأول، بدون سنة.
٢٦. دور تطبيق الحکم الرشید في السلطة القضائية الفلسطينية لتحقيق التنمية المستدامة، حسين، حاتم ظافر، رسالة ماجستير منشورة، أكاديمية الإدارة والسياسة، دولة فلسطين، ٢٠١٧.
٢٧. عصمة الحوراء زينب، المحاضرة الأولى، الحوزة العلمية، مركز الأبحاث العقائدية، النجف الأشرف، ٢٠١٣.
٢٨. غرر الحکم ودرر الكلم: المفهرس من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الأمدي، القاضي ناصح الدين أبي الفتح عبد الواحد، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ١٩٩٢.



٢٩. القرآن الكريم في فكر الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: شواهد من نهج البلاغة، الربيعي، الشيخ سجاد عبد الحلیم، الطبعة الأولى، مؤسسة علوم ونهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ٢٠١٨.
٣٠. الكافي، الشيخ الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الملقب بثقة الإسلام، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥ هـ.
٣١. كشف الغمة في معرفة الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، الأربلي، أبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح، الجزء الثاني، المجمع العالمي لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، دار التعارف، بيروت- لبنان، ٢٠١٢.
٣٢. محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم علماء التنمية البشرية في العالم، المشنب، محمد علام، الطبعة الأولى، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠١٦.
٣٣. مرتكزات الحكم الديمقراطي وقواعد الحكم الرشيد، درويش، محمد فهميم، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٠.
٣٤. مركز دراسات الشرق الأوسط، الحمد، جواد، صحيفة العرب اليوم، بتاريخ (٢١/٥/٢٠١٢)، الموقع الإلكتروني: [www.http://mesc.com.jo](http://www.mesc.com.jo) (١/٢٠١٢/OurVision.html).
٣٥. المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
٣٦. مطمح الآمال في أيقاض جهلة العمال من سيرة الضلال، اليميني، الحسين بن ناصر بن عبد الله المهلا النيسائي المشرفي، تحقيق عبد الله بن عبد الله بن أحمد الحوثي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، عمان، ٢٠٠٢.

٣٧. مفاهيم الحکم الرشید ومعاييرہ فی التراث الإسلامي، البشير، د. عصام أحمد،
 متدی كوالامبور للفکر والحضارة، ٢٠٢١، الموقع الإلكتروني: www.
<https://kl-forum.org/ar/kl1801>
٣٨. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ابن المغازلي، أبو الحسن علي بن
 محمد الواسطي الجلابي، دار الآثار، صنعاء، ٢٠٠٣.
٣٩. ميزان الحكمة، الريشهري، محمد، الجزء الرابع، الطبعة الأولى، دار الحديث،
 قم المقدسة، ١٤٢٢ هـ .
٤٠. النظام الاقتصادي الدولي المعاصر، البيلاوي، حازم، سلسلة عالم المعرفة،
 العدد (٢٥٦)، الكويت، ٢٠٠٠.
٤١. نهج البلاغة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، مقدمة الشريف الرضي،
 الكتب والرسائل / موقع عقائد الشيعة الإمامية، ٤٧، الموقع: <https://www.aqaedalshia.com/books/nahjalbalagha/Rsael>
 htm.٠٤٧/

الأثر القرآني في شخصية الإمام عليؑ

(دراسة المعنى للمفاهيم القرآنية التي استقاها الإمام

عليؑ من معين القرآن الكريم)

أ.د. عبد علي سفيح

فرنسا/ أستاذ ومستشار في وزارة التربية والتعليم العالي الفرنسية

الملخص:

نكتب بحثاً عن سيرة نهاية بطل وولادة أسطورة، وعن ظاهرة بشرية وقرآنية وتاريخية وسياسية وفلسفية وأدبية ومعرفية نادرة، تركت آثاراً كبيرة وبقت في المقام الأول في الذاكرة الإسلامية الجمعية؛ بوصفه رمزاً للعدالة الإنسانية، وهو الإمام عليؑ.

يقع على عاتق هذه الدراسة بيان علاقة الإمام عليؑ بالقرآن، وفهمه لمعنى الأخوة، والعمل، والعدل، ووحدانية الأمة، والحوار، والمعرفة، والمعنى للوجود، باستخدام الفينومينولوجي (علم دراسة الظواهر)، والجينالوجي (علم المنشأ)، بوصفها وسائل بحثية حديثة في هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: الأثر القرآني، شخصية الإمام عليؑ، المعنى، المفاهيم

القرآنية.

Abstract:

We are writing a study on the biography of the end of a hero and the birth of a rare human, historical, philosophical, literary, and cognitive legend that left great impacts and remains primarily in the collective Islamic memory as the symbol of human justice, which is Imam Ali. All six topics of the Sixth Annual International Imam Hussein conference begin with the Quranic impact of Imam Ali on various sciences. That is, Holy Quran is the gateway of the city of this conference, and hence the title of this research was chosen, considering the concept of the Quran according to Imam Ali is the starting point of the research.

This study shows the Imams relationship with the Quran, and his concept of the meaning of brotherhood, work, justice, the unity of the nation, dialogue, knowledge, and the meaning of the existence, using the latest scientific research methods such as phenomenology and genealogy.

المقدمة:

نكتب بحثاً عن سيرة نهاية بطل وولادة أسطورة، وعن ظاهرة بشرية وقرآنية وتاريخية وسياسية وفلسفية وأدبية ومعرفية نادرة، تركت آثاراً كبيرة وبقت في المقام الأول في الذاكرة الإسلامية الجمعيّة، بوصفه رمزاً للعدالة الإنسانية، وهو الإمام عليّ عليه السلام.

كلّ المحاور الستّة في مؤتمر الإمام الحسين الدوليّ السنويّ السادس تبدأ بالأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام في شتّى العلوم، أي إنّ القرآن الكريم هو باب مدينة هذا المؤتمر، ومن هنا وقع اختيار عنوان هذا البحث للنظر في مفهوم القرآن عند الامام عليّ الذي يمثّل نقطة ابتداء البحث.

القرآن الكريم هو أحد الكتب السماوية، ويؤمن المسلمون بأنّه كلام الله المقدّس، والمصدر الأوّل للتشريع الإسلاميّ، وهو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وآله بالوحي عبر الملك جبرائيل، ويعدّ المسلمون دراسة القرآن وتعلّمه وحفظ آياته من أهمّ العلوم التي يجب عليهم تعلّمها، ويحترم المسلمون القرآن كثيراً، فهو عندهم معجزة الإسلام الخالدة.

والقرآن الكريم كان وما زال محوراً لكثير من الدراسات منذ اللحظة الأولى لنزوله على صدر الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى الرغم من تنوّع هذه الدراسات وتعدّدها، وما بذله العلماء الأجلاء فيها من جهود مضيئة للإحاطة بكثير من جوانبه، فقد بقيت هذه الجهود قاصرة، وشاهدة بذاتها على أنّ النصّ القرآنيّ يتجاوز كلّ طاقات النفس البشرية، وعلى الرغم من توالي الأحقاب والسنين، وتنوّع الأعمال التي أُلّفَت حول القرآن الكريم ودراساته، فقد بقي المجال مفتوحاً لأعمال أخرى تُضاف إلى الأعمال السابقة، وتسدّ فراغاً لا تسدّه مجتمعة أو متفرّقة.



ولم تحظ شخصية عربية أو إسلامية بمثل الاهتمام الذي أُحيط بشخصية الإمام عليّ، شخصية ملهمة للكثير من الكتاب والأدباء والعلماء عبر العصور؛ لسبر أغوارها والوقوف على أسرار عظمتها وتميّزها. ونرى أنّ ثمة من تعامل مع شخصية الإمام بأعجاب وتقدير واحترام، وهناك من تعامل معها بمغالاة، وهناك من حاول تجريدها من كلّ ما تتمتع به من فضائل، وينبغي أن اذكر أنّ دراسة الإمام عليّ الشخصية سوف لا تستوفي قدره وقيمه وحدوده مهما جدّ واجتهد الباحثون في ذلك؛ لأنّ الإمام عليّ والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجهان لشخص واحد، جعله الرسول كنفسه، أو منه بمنزلة هارون من موسى، وباب مدينة علمه، وبما أنّ الرسول هو ظاهرة كونية، فالإمام عليّ أيضا هو ظاهرة كونية.

ودراسة الظواهر الكونية تستوجب مناهج حديثة في العلوم الإنسانية، ومنها، الفينومونولوجي، والجينيالوجي، والأنثروبولوجي، والابستمولوجي، ومن طريق هذه العلوم استطعنا أن نكتشف الأبعاد الحقيقية ومفهوم الإمام لمعاني القرآن. وهذه الدراسة تبين علاقة الإمام عليّ بالقرآن، ومفهومه لمعنى الأخوة، والعمل، والعدل، والوحدة، والحوار، والمعرفة، والوجود.

المنهج المتّبع في هذه البحث:

لا شك أنّ عصرنا الحالي هو عصر العلم الحديث والبحث العلميّ الذي يتصدّى لمشكلات المجتمع ويتحمّل عبأ النهوض بالمجتمعات الناشئة، بل ويعدّ قاطرة التنمية في المجتمعات المتقدّمة، وتقدّم البحث العلميّ رهين بالمنهج، إذ يدور معه وجوداً وعدمًا، خصباً وعمقاً، صدقاً وبطلاناً، ومن هنا كان اهتمامنا البالغ بتحديد المنهج العلميّ لهذه الورقة .



أما مناهج الوصول فهي عدّة، ولكن أشهرها هو المنهج الاستقرائي، وهو المهيمن كلياً على العلوم البحتة، وأقلّ بقليل في العلوم الإنسانية وخاصة في علوم التاريخ والاجتماع.

وفي هذه الورقة البحثية اعتمدتُ المنهج الاستنباطي في ضوء التفسير الموضوعي، باستخدام وسائل بحثية حديثة، ومنها الفينومولوجي، أي علم دراسة الظواهر، دراسة نوعية لعقيدة الدين ونظرتها للعالم والإنسان، وأما الوسيلة الثانية فهي الجينيولوجي أي علم المنشأ.

١. الإمام عليّ والقرآن:

الإمام عليّ وُلِدَ مع ولادة القرآن، ونما مع التنزيل، واكتمل مع اكتماله، فهو بحق قرآن ناطق. فمن أراد أن يفهم هذه الشخصية فهماً يليق بمنزلته، عليه أن يدرس القرآن ويقراءه قراءة باحث عن أسرارهِ ومكانته حتى يتمكّن أن يفهم الأسرار العجيبة التي أدت إلى أن يكون ابن أبي طالب عليّاً وسراً إلهياً، وأنّ التأريخ الذي كتب عنه لا يكفي لفكّ مفاتيح أسرار شخصيته، فالتأريخ - ومع الأسف - لم يدوّن إلا الحروب والمعارك التي خاضها دفاعاً عن وحدة الرعيّة، وحفظاً لكرامة الإنسان، ورعاية لحدود الإسلام.

كان للقرآن مكانة خاصة في حياة الإمام عليّ، كما في وصفه إياه: ((نوراً لا تُطفأ مصابيحهُ، ولا يخبثه توقُّده، وبحراً لا يُدرِك قعره، ومنهاجاً لا يضلُّ نهجه، وفرقاناً لا يخبثه برهانه، فهو معدن الإيمان، وبحبوحته، وينابيع العلم، وبحوره، ورياض العدل وغدرانه، جعله الله ربّاً لعطش العلماء، وربيعاً لقلوب الفقهاء، وبرهاناً لمن تكلم به، وفلجاً لمن حاج به، وآية لمن توسّم به، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى))^(١).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٢ / ١١٣ .



إنّ ثنائِيّة القرآن والإمام عليّ لها خصوصيّة؛ لأنّ القرآن الكريم ينتمي إلى عالم الأمر وليس إلى عالم الخلق، وينتمي إلى عالم الغيب وليس إلى عالم الشهادة، وهنا أمامنا سؤالين يجب الإجابة عنهما:

السؤال الأوّل: إذا كان القرآن الكريم ينتمي إلى عالم الأمر وليس إلى عالم الخلق، فهل إمامة عليّ وأهل بيته جاءت بها الأحداث، أو هي التي جاءت بالأحداث؟ بمعنى آخر، هل إمامة عليّ وأهل بيته كحقيقة سبقت الوجود بالمفهوم الفلسفيّ، أو الوجود سبقها؟

إذا كانت الأحداث هي التي جاءت بإمامة عليّ وأهل بيته، أي الوجود سبق الحقيقة، فهنا تصبح الإمامة حدثاً تاريخيّاً، والكتب التي نكتبها والشعائر التي نحياها هي إحياء لذاكرة، أمّا إذا كانت إمامة عليّ وأهل بيته هي جاءت بالأحداث، أي الحقيقة سبقت الوجود، فهنا تصبح الإمامة عقيدة وليست حدثاً تاريخيّاً، أي ممكن القول بأنّ علاقة الإمام عليّ بالقرآن هي علاقة ظاهرة قرآنيّة وليست ظاهرة تاريخيّة.

السؤال الثاني: قلنا إنّ القرآن ينتمي إلى عالم الغيب وليس إلى عالم الشهادة، فما المناهج والوسائل البحثيّة التي تكشف عن العالم غير المرئيّ وإن كانت قوانين العالم المرئيّ وسننه مستمدّة من العالم غير المرئيّ؟

في هذه الدراسة استخدمنا وسيلتين بحثيّتين حديثتين هما الفينومونولوجيا، أي: علم دراسة الظواهر، والجينيالوجيا، وهو علم المنشأ، وباستخدام هذين المنهجين توصلنا إلى أنّ البؤرة الأساسيّة للقرآن الكريم هي نبوة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإمامة عليّ وأهل بيته، ويدور حول هذه البؤرة محوران أساسيان هما:

المحور الأوّل: عدم انقطاع اتّصال السماء بالأرض من يوم بدأ الخلق إلى يوم يبعثون، هذا الاتّصال يتمّ إمّا من طريق الرسل ومعهم الكتاب، وهذا الكتاب ميسّر

بلسان قومهم، أو من طريق الأنبياء، أو الأوصياء، أو الحواريين، أو الأئمة.

المحور الثاني: هو انتقال شرف الرسالة من بني إسرائيل إلى آل إبراهيم إلى بني إسماعيل العرب إلى آل إبراهيم إلى يوم الدين، وأول ما بلغ الرسول محمد ﷺ قومه هو بهذا المحور بقوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وقد أكد ووضح الإمام عليّ هذين المحورين في قوله: ((إلى أن بعث الله سبحانه محمد ﷺ لإنجاز عِدَّتِهِ، وتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه... ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه ورضي له ما عنده، فأكرمه عن دار الدنيا، ورغب به عن مقام البلوى، فقبضه إليه كريماً، وخلف فيكم ما خلف الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً، بغير طريق واضح، ولا علم قائم، كتاب ربكم مبيناً حلاله من حرامه...))^(١).

العلاقة الراسخة بين الإمام عليّ والقرآن الكريم هي وليدة الارتباط الموضوعي بين هذين المحورين في القرآن الكريم، هذان المحوران رافقا للإمام عليّ في كل مراحل نزوله، فاتخذ الإمام القرآن شريعة ومنهاجاً، مؤكداً هذا الأمر من طريق خطبه وأقواله، إذ قال: ((تعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب))^(٢).

وليس غريباً أن نجد أنّ السؤال المركزي عند الشيعة هو هوية الأئمة من أهل البيت، هذه الهوية معروفة في القرآن الكريم بمفهوم الحلول أو النزول، فالإمام عليّ وأهل البيت ليسوا شخصيات خيالية، وأنّ القرآن الكريم ليس رواية، وأنّ الله سبحانه ليس فكرة، كلّ هذا تجسّد وظهر فعلاً في هذا العالم. ومن هذا المنظور فإنّ مسألة الحلول أو النزول هي حقيقة واقعة، وهذا المفهوم يحتاج إلى توضيح.

(١) نهج البلاغة: ١ / ٢٤-٢٥ .

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٣٥٣ .



الإسلام دين كتاب مقدس؛ لأن الكتاب هو مكان حلول كلمة الله سبحانه، وهذا الكتاب ينبثق مباشرة من أم الكتاب في عالم الغيب ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يَثْبُتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٣٩]، بينما المسيحية هي دين الكلمة التي حلت في المسيح عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، عند المسيحية القدسية وليست في الإنجيل؛ لأن الإنجيل كتبه بشر، بل القدسية في المسيح؛ لأن كلمة الله حلت في جسده، أما اليهودية القدسية فهي في الأرض التي تحل فيها كلمة الله، وهي أرض الميعاد ومركز الكون، والأنبياء الذين اصطفاهم الله مع قومهم أصبحوا شعب الله المختار، والتوراة ليست مكان حلول كلمة الله؛ لأنها كتبت من بشر، واليهودية هي دين التأويل المستمر؛ لأن كثرة القصص في التوراة تدل على أهمية الوصول إلى الله عبر خطابات مشروطة، والقصص هي طريقة لصياغة المشترك بين جميع التقاليد والطقوس والرموز، وطريق التفسير عند اليهود يدعم أهمية التقليد الذي يسمح لهم بالاقتراب من الله .

أظهر تاريخ اللاهوت أن التقاليد اليهودية والمسيحية وبعض الإسلامية، تشكلت من عقيدة الحلول (النزول)، هذه العقيدة أعطت خصوصية لقصص ميلاد الأنبياء عند اليهود، والمسيح عن المسيحيين، وميلاد الإمام علي عند المسلمين، وحين نسلط الضوء على حقيقة الحلول، نرى أن العالم قد رفض الله عبر رفضهم لعقيدة الحلول أو النزول، فقتلوا كل من حلت فيه كلمة الله سواء عند اليهود بقوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، وقتل المسيح، وقتل الإمام علي وأهل بيت النبوة.

٢. نظرية المعرفة:

نظرية المعرفة بُنيت عند الإمام عليّ أن الكون مقدّس ومخلوق من البارئ عزّ وجلّ بكلّ دقّة وبكلّ نظام، وأدرك ولمس سنن هذا الكون وقوانينه بنفسه، إذ قال: ((عقلوا الدين عقل رعاية ووعاية، لا عقل سماع ورواية. فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل))^(١)، وهذه النظرية جعلت من ابن أبي طالب الإمام إذا عدّ الأئمّة، والحكيم إذا عدّ الحكماء، والفيلسوف إذا عدّ الفلاسفة، والحليم إذا عدّ الحكماء، والزاهد إذا عدّ الزهّاد، والشجاع إذا عدّ الشجعان، والتقيّ إذا عدّ التقاة.

والسؤال الذي يُطرح: كيف اجتمعت كلّ الخصال الحميدة، والقيم المجيدة، ومحاسن الأفعال، وكمال الخصال، في رجل واحد اسمه عليّ بن أبي طالب؟ لماذا لم يجتمع ولو عُشر منها في رجل ليس من قبله ولا في عصره ولا من بعده؟

الرجال الذين تركوا بصماتهم في مسيرة التاريخ الإنسانيّ بنوا جلّ أفكارهم على نقطة بداية، وفي ضوئها بنوا صرحاً من العلوم والمعرفة، إذن ما نقطة الابتداء للإمام عليّ التي بنى في ضوئها جلّ نظريته وفلسفته للإنسان والحياة؟ هذه النقطة لا يمكن معرفتها إلّا في شيء تفرد به الإمام عليّ عن عامّة الناس قاطبة، لم يشاركه أحد لا من قبله ولا في حينه.

وبحسب رؤية الإمام، فإنّ مصادر المعرفة متعدّدة منها العقل والفترة والحواس والإيحاء، كلّ هذه المصادر تعدّ قوى لمعرفة الوجود بكلّ تفاصيله، ومنها معرفة نظام الوجود، أي القوانين التي تحكم هذا الوجود التي تُسمّى بالسنن الكونية سواء المرئية أم الغيبية، هذه النظرية اقتبسها الإمام من القرآن الكريم، وكان الإمام يعدّ صدر المفسّرين للقرآن، وبحراً للعلم، قويّ الحجّة سليم الاستنباط،

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٣٢ .



وذو عقل راجح وبصيرة نافذة إلى بواطن الأمور، وكثيراً ما كان يرجع إليه صحابة الرسول، وهناك حديث للنبي قال فيه: ((عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))^(١).

لقد أكد القرآن نظريّة المعرفة للوجود بقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٢].

استخدم الإمام عليّ المنهج القرآني نفسه في معرفة الوجود وتفحص مكوناته بالتفصيل الدقيق، إذ بنى في ضوءه جُلّ نظريته وفلسفته للإنسان والحياة، وهذا المنهج قد تفرّد به الإمام عليّ عن الناس قاطبة، فلم يشاركه أحد لا من قبله ولا في حينه.

وتفرّد الإمام عليّ من دون سائر الناس جميعاً في ما يتعلّق بوصفه الدقيق والعميق لخلق الكون، والملائكة، والإنسان، والطاووس، والخفاش، والنملة، والجراد، وصفها كأتمها عالم من علماء الحيوان والحشرات والفيزياء والبايولوجي، فهل أراد الإمام عليّ من هذه الأوصاف الدقيقة أن يرينا جميل صنع الباري، وقدرته وعظمته ودقة صنعه؟ إذا كان هذا هو السبب، أولم يكف وصف اثنين أو ثلاثة من هذه المخلوقات الكونية لكي تصل رسالته إلى العالم؟ الجواب هو ليس هذا السبب الرئيس، إذن ماذا أراد الإمام عليّ بالذات من هذه الأوصاف الدقيقة؟ أراد الإمام عليّ أن يقول إنّ الله سبحانه خلق نظامين مختلفين لعالمين مختلفين، العالم الأوّل عالم غير الإنسان، وهو عالم الملائكة والشجر والحجر والطير والحيوان وباقي المخلوقات الأخرى، وصفات خلق هذا العالم أنّه عالم مسير وليس مخيراً، لم يملك حق الاختيار، إنّ مبرمج مسبق حسب قوانين الجبريّة والقدريّة، إذ يقول:

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية، سيّد عطية أبو النجا: ٥١ .



((أمرها أن تقف مستسلمة لأمره، فما منهم زائع عن سبيل مرضاته، مسخرة لأمره))^(١)، أمّا العالم الثاني وهو عالم الإنسان فهو عالم يملك حرية الاختيار، لم يكن مبرمجاً مسبقاً، إذ يقول ﷺ: ((يفرق بها بين الحق والباطل))^(٢).

ماذا نستتج من هذين التصنيفين؟ ماذا كان يدور في ذهن الإمام عليّ وفكره؟ وكأنّه أراد أن يقول إنّ الحرية هي الفيصل بين العالمين، وإنّها أعلى قيمة إنسانية، فالإنسان هو الكائن الكوني الوحيد الذي يمتلك الحرية، إنّها هبة من الله لا يُعطيها لغيره، إنّها مقدّسة، وفقدان هذه الحرية هو الانتقال من عالم الإنسان إلى عالم الحيوان، وسلب هذه الحرية هي الاعتداء على أكبر الحرمات المقدّسة، ولذا يقول: ((لا تُكروهوا أولادكم على آثاركم، فإنّهم مخلوقين لزمان غير زمانكم))^(٣)، وفي ضوء هذه النقطة بنى الإمام عليّ جلّ أفكاره، ومنها نستطيع أن نفسر مجمل تصرّفاته.

كان الإمام عليّ يُحذّر الناس من الانتقال من العالم الإنسانيّ إلى العالم الحيوانيّ، على الرغم من الضغوط التي كان يعاني منها، فلم تزحزحه قيد أنملة من عالمه الإنسانيّ، وكان الإمام عليّ إنساناً كاملاً بمعنى الكلمة، لذا كان يقول: ((أحدركم من الدنيا؛ فإنّها منزل قلعة - أي ليست مستوطنة - وليست بدار نجعة - أي محطّ رحال ومنتجع - كم واثق بها فجعته، وذي طمأنينة إليها قد صرّعه، أفهذه الدنيا تأثرون أم إليها تطمئنون أم عليها تحرصون، مُلكها مسلوب وعزبها مغلوب ومفورها منكوب وجارها محروب))^(٤).

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية، سيّد عطية أبو النجا: ٥٢ .

(٢) م.ن: ٢٤١ .

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني: ١٤٤/٢ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٦/٧ .



٣. مفهوم العمل:

وردت كلمة العمل في القرآن الكريم ٣٦٠ مرّة، هذه الآيات حثت على العمل الصالح الذي تترتب عليه سعادة الدنيا والآخرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، وقد أكد الإمام عليّ مرارًا على اتقان العمل من كلّ جوانبه بقوله: ((قيمة كلّ امرئ ما يُحسِنه))^(١).

وهنا اخترت قولاً للإمام واتخذته بوصفه نصّاً فلسفيّاً يعبر عن رؤية الإمام عليّ في مفهوم العمل، وهو:

((اعمل لديناك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً))^(٢)، إنّها فلسفة تفأوليّة في الحياة، ملتزمة بقاعدة التطوّر الإنسانيّ مع أفق واسع من الحرّيّة الشخصية، وكان الإمام يُشدّد على أنّ التغيّر والتطوّر الإيجابيّ لحياة الإنسان يخضع لضوابط يجب احترامها.

هذا النصّ هو خطاب ودعوة للإنسان، ليس فقط إلى كفيّة العيش في الحياة، بل الأهمّ منه يمثل دعوة الإنسان إلى كفيّة مواجهة الحياة، يوجد اختلاف كبير بين المفهومين، فالحيوان والنبات والإنسان يعيشون في الحياة، ولكنّ الإنسان يتميّز بشيء آخر هو أنّه يواجه هذه الحياة، والمواجهة تعني العمل بالفعل، المواجهة لا تعني حلّ المشاكل فقط، بل تعني إيجابيّة العمل وحضور الخير للإنسان.

في هذا النصّ يرسم الإمام عليّ الإنسان كنقطة ضائعة بين اللامتناهيين، الحياة والموت، الدنيا والآخرة، وتنطلق رؤيته للعمل وللحياة والدين في منظور فلسفيّ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣١٠ / ١٨ .

(٢) م: ٦٤ / ٧ .



مما يجعل الإنسان يُفكّر في معنى المفاهيم المهمّة، مثل الخلود والموت، والدنيا والآخرة، وجعل العمل كأساس لما يترافق معه من العمليّات المختلفة، كذلك يؤكّد بوضوح على أنّ محرّك الحياة والخلود، ومحرّك الموت والفناء، هما وجهان لوجود واحد وهو العمل، ففلسفة العمل تقابل فلسفة النظر، وترادف فلسفة السلوك الإنساني، أي ربط النظر بالعمل، وأحياناً يتحرّك العمل نحو الفناء، وأحياناً أخرى يتحرّك نحو الخلود، والشعور بالموت يشكّل إنسانيّة الإنسان.

الإشكاليّة في هذا النصّ هي: كيف يمكن للإنسان أن يعيش في الدنيا وكأنّه خالد، ويعمّر فيها وهو يدرك قصر عمرها و خرابها وزيفها وعدم وفائها وغدرها؟ كيف يمكن لإنسان أن يعمر شيئاً لا يحبّه وهو رأس الفتن وأصل المحن، ويقول حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة؟ من الأولى أن يخشاها وبيتعد عنها ويهرب من أمامها ويتركها كما تركها المسيح بن مريم، بقوله: ((وإن شئت قلت في عيسى بن مريم.. ولم تكن له زوجة تفتنه، ولا ولد يجزئه، ولا مال يلفته، ولا طمع يذلّه، دابّته رجلاه، وخادمه يداه))^(١)، ومن بعدهم الأنبياء والزهاد، والإمام هو واحد منهم؟

كيف تجمع بين الخلود والموت؟ وبين الدنيا والآخرة؟ وبين الخيال (كأنك تعيش أبداً وتموت غداً)، وبين الحقيقة بأنك غير خالد وغير ميّت؟ كلنا شاهد حالة الموت إلّا أنّنا لم نعشها، كذلك خلود الأشياء؛ لأننا لن نعش حالة الخلود، هذه الإشكاليّة سوف نجيب عنها عن طريق الفلسفة، فما مفهوم الوجود والقيم والمعنى للوجود عند الإمام عليّ؟ إذا توصلنا إلى معرفة هذه المفاهيم فمن الممكن أن تساعدنا في حلّ الإشكاليّة السابقة.

أعطى الإمام الجواب على هذه الإشكاليّات أوّلاً بالمعرفة الدقيقة لقوانين

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية: ٨٢ .



الوجود وما على الإنسان إلا أن يرافقتها ولا يقاومها، قال: ((إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بأجالها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها وخشوا أن يُميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سياترهم))^(١)، وثانياً بثنايئة فلسفة الشيء ونقيضه.

٤ . مفهوم العدل:

تعدّ قيمة العدل من أهمّ القيم بين قضايا الفكر الإنساني؛ لأنّ مفهوم العدل لا يتوقّف عند إعطاء الحقّ لأهله وافيّاً غير منقوص، بل يتعدّاه إلى أفق أوسع بكثير من هذا الحدّ. وقد ذكرت الكتب المقدّسة (التوراة، والإنجيل، والقرآن) والفكر الأسطوريّ الإغريقيّ قصصاً للإجابة عن سؤال طرحه الإنسان منذ قديم الأزل في الحضارات المختلفة وهو: كيف بدأ الخلق؟ الصياغة التي تبنت هذه القصص هي صياغة فلسفيّة تتكوّن من نظام من الرموز شبيه بالفلسفة.

تخبرنا جميع الأمم (السومريّة، والآكديّة، والبابليّة، والفرعونيّة، والإغريقيّة، والديانات الإبراهيميّة)، بالعديد من القصص حول نشأة الكون وخلق الإنسان، وهي قصص تختلف كثيراً في مجرياتها وتفصيلها، إلا أنّها على الرغم من الاختلاف، تحوي إطاراً مشتركاً واحداً يجمعها سوياً، هذا الإطار المشترك يرمز إلى مولد الفكر الإنسانيّ.

هذه القصص تبيّن بأنّ هناك إلهاً أو ربّاً خلق الكون، وكلّ شيء خلقه وقُدّر بنظام دقيق لا عيب فيه، وجعل الربُّ لكلّ مخلوق مكاناً محدّداً، جعل للطير مكاناً في أعالي الجبال والأشجار، فزوّدها بأجنحة للطيران وريش يكسو جسمها ويحميها من البرد والحرّ، كذلك جعل للأسماك مكاناً في أعماق البحار، فزوّدها بالخياشيم والزعانف والأصداف؛ لكي تعيش في أعماق البحار، كذلك للأرنب والفأر مكان

(١) كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية: ٥١ .



في جحور الأرض، فزوّدها بالمخالب لتحفر الجحور.

أمّا الإنسان فلم يعطه الربّ آية وسيلة؛ لأنّ الخالق لم يُحدّد مكاناً خاصّاً للإنسان في الكون، فقد جهّزه بالعقل، وبواسطة العقل يجد الإنسان مكانه الطبيعيّ المحدّد له، من هنا بدأت رحلة الإنسان المعرفيّة في اكتشاف سنن الكون وقوانينه؛ لكي يجد مكانه الصحيح، فقد طوّر البابلّيون التقنيات الحسابيّة للتنبؤ بالظواهر الفلكيّة من الخسوف والكسوف، كذلك سعى الإغريق في الطريق نفسه عن طريق فيثاغورس وأرخمديس وبطليموس، أمّا في القرآن، فقد كانت أوّل آية نزلت على صدر الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، أي طلب منه أن يقرأ الخلق، يقرأ سنن الكون؛ حتّى يجد مكانه الصحيح في هذا العالم، ويمكن القول بأنّ مفهوم قيمة العدالة هو أوسع بكثير من تحديدها بعلاقة الإنسان مع الآخر فقط، بل كذلك بعلاقة الإنسان مع الكون.

إنّ مفهوم العدل عند الإمام عليّ كان يشتمل على حقلين: الأوّل هو ما يشمل علاقة الإنسان مع الآخر، منها قوام الرعيّة، وفضيلة السلطان، وتنزيه المظالم، أي بالعدل يتمّ الإصلاح، هذا الحقل أجاد في توضيحه الأديب اللبنانيّ جورج جرداق في كتابه الموسوم بعنوان (الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة)، إذ طرق الكاتب أبواباً جديدة لم يسبقه أحد، وكان في خمسة مجلّدات، وهي: عليّ وحقوق الإنسان، وبين عليّ والثورة الفرنسيّة، وعليّ وسقراط، وعليّ وعصره، وعليّ والقوميّة العربيّة، هذه الأجزاء دفعت مكانة الإمام شخصاً وقيماً إلى الوجهة الإنسانيّة.

الهويّة الأوربيّة بُنيت على أساس ما يميّز الفرد عن الآخر، وليس بما يجمعه مع الآخر، فقد انتشرت في بيئاتهم ثقافة أنّ الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، وكثير من السوداويّات التي يعانون من مخامرتها أذهانهم، بينما نجد أنّ الإمام عليّ قد وضع



نظريّة لم يسبق لها مثيل، لا عند فلاسفة الإغريق ولا عند فلاسفة النور الأوربيين، وهي نظرية الابتلاء، أي الآخر لا دور له في سعادتنا ولا في أحزاننا، بل الآخر هو مرآة لنا؛ لنرى مواطن ضعفنا وقوتنا. ولتوضيح هذه الفكرة، نفكك نصًّا من كتاب بعثه الإمام عليّ إلى معاوية ابن أبي سفيان، وهو نصّ فلسفيّ بامتياز، يقول فيه: ((أما بعد، فإنّ الله جعل الدنيا [ساحة الوجود] لما قبلها، وابتلى فيها أهلها [نظام لعبة الوجود]؛ ليعلم أيّهم أحسن عملاً [الغاية من الوجود]، وقد ابتلاني الله بك، وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجّة على الآخر))^(١).

في نصّ هذا الكتاب كان الإمام عليّ واضح وصريح بأنّ المشكلة ليست في معاوية أو في الإمام عليّ، بل المشكلة في الحجّة، وهي الذات البشرية في قدرتها على إدارة جدليّة الابتلاء، وهذا المفهوم صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ بِسَيِّئٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فهنا الابتلاء ليس البلاء، بل هو الامتحان لمعرفة كيفيّة إجابة الإنسان عن هذه الأسئلة.

أمّا الحقل الثاني الذي يشتمل عليه مفهوم العدل، فيعني أنّ العدل هو وضع كلّ شيء في موضعه الصحيح، ((إنّ العدل ميزان الله الذي وضعه للخلق، ونصبه لإقامة الحقّ، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه))^(٢)، وقد بينّ الإمام عليّ هذا المفهوم للعدالة بقوله: ((وتحسب أنّك جُرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر))^(٣).

(١) نهج البلاغة: ١١٢/٣ .

(٢) ميزان الحكمة: ١٨٣٨/٣ .

(٣) جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ، ابن الدمشقيّ: ١٣٦/٢ .

٥ . مفهوم الحوار :

يزخر القرآن الكريم بكثير من الآيات والدلالات ذات الشكل الحواريّ، ومنها قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾ [الكهف: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

الإمام عليؑ أرسى أجمل قواعد للحوار وأكملها، إذ بها تتوحد الأمة وتُصان كرامة الإنسان وتُقدّس الحياة، وأشار إلى قواعد ومرتكزات أساسية للوصول إلى تلك الأهداف العليا. والحوار الصحيح مناظرة لا مهاترة، تعارف لا تحالف، حديث مودّة لا حديث بغضاء، الحوار الموضوعي بنظر الإمام عليؑ يفترض التسامح والتفاهم والاحترام والتقدير بين المتحاورين، فإنّ شرعة اللاعنف التي نادى بها ﷺ في مسيرة حياته هي شرعة الرسول محمد ﷺ، وشرعة الحوار الصحيح في الحقيقة الدينيّة، هي أصلاً شرعة القرآن، قال تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، فالعقيدة الصحيحة المبنية على القرآن تفرض احترام المحاور مهما كان رأيه، ويجب تقدير عقيدته، وإن كنا لا نأخذ بها، ولقد سنّ القرآن هذه السنّة بقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِي ﴾ [الكافرون: ٦].

القرآن بالنسبة للإمام عليؑ هو دعوة، وكلّ دعوة عبارة عن حوار، فالقرآن دعا الناس للحوار، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣]، ولم يُنزل للتخاصم، فالله سبحانه يبيّن في الآية المباركة أنّ الحياة هدفها التعارف، أي الحوار، وقد بيّن القرآن الإطار العام لهذا الحوار بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ



بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿[النحل: ١٢٥]﴾، وكان الإمام عليّ يرى أنّ الحوار مع الناس يجب أن يسبقه حوار مع الذات، وقد أوضح هذا المفهوم بقوله: ((مُعَلِّمٌ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبٌ أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مَعْلَمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ))^(١)، فالحياة بالنسبة إلى الإمام عليّ هي حوار، ووجود العنف دليل على انعدام الحوار، ممّا يؤدّي إلى توقّف عجلة التقدّم في الحياة.

٦. مفهوم وحدة الأمة عند الإمام عليّ:

لا يوجد دين من الأديان تأسست دعوته على مفهوم الأمة مثل الدين الإسلاميّ، مفهوم الأمة عند العرب والمسلمين مفهوم عقديّ وسياسيّ، وهو محور نظريّة وشرعيّة الحكم عند العرب والمسلمين وليومنا هذا، والإسلام عند المسلمين ليس دين طقوس وعبادات فقط، بل هو ثقافة وحضارة، ولذا فإنّ القانون (الشرعية) ومفهوم الدولة فيه أساسيّ، حتّى لو لم يكن ظاهرًا عليه. ومن جهة العقيدة فإنّ مفهوم الأمة معروف ولا لبس فيه في القرآن الكريم، إذ وردت لفظة الأمة في القرآن الكريم أربعًا وستين مرّة بصيغ مختلفة، مفهوم الأمة يحتوي على المفهوم العقدي والسياسيّ، والمفهوم العقديّ كان واضحًا في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢]، الإشكاليّة كانت في المفهوم السياسيّ لوحدة الأمة الإسلاميّة في زمن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يكن آنذاك قد تأسس نظام سياسيّ راسخ عند عرب الجزيرة؛ لأنّه ليس للعرب عهد أو سبق في هذا المجال، وجمع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثنائيّة الدين وشبه الدولة المبنيّة على العقد الاجتماعيّ، أمّا في فترة الخلفاء الأربعة، فقد أخذ مفهوم الأمة مفهومًا سياسيًا باختيارهم النموذج السياسيّ الرومانيّ غير الوراثيّ، وهو عبارة عن مجلس مقرب من المحاربين الأوائل،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨ / ٢٢٠.



وهم مسؤولون أمام تنصيب قيصر روما أو عزله، فأخذ الخلفاء هذا النظام على شكل مجلس من العشرة المبشرة بالجنة وهم الصحابة الأوائل للرسول وجلهم من عرب قريش، فأبعدوا الأنصار وغير العرب من شرعية حكم الأمة، إلا أن الإمام عليّ خالف هذه القاعدة؛ لأن انتخابه وشرعيته جاءت من الأمة الإسلامية من عرب وعجم؛ لأن التعددية والاختلاف بين الناس في نظر الإمام عليّ أمر واقع وملموس، ولكنها بدلاً من أن تكون مجالاً للخلاف والنزاع والسيطرة، ينبغي أن تفتح الطريق أمام وحدة المجتمع الإنساني. ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى بوضوح في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، والتعارف هنا إنما هو الحوار، فالحوار ظاهرة إنسانية عالمية وسنة إلهية، ونتيجة لهذا الاختلاف في الرأي، جاء الحوار كوسيلة للوصول إلى الحق والصواب، بل وسيلة لوحدة النسيج الاجتماعي للأمة، ووحدة الخالق يأتي من وحدة المخلوق، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وضع الإمام عليّ في مسيرته التي ما تزال معينا لا ينضب من الفضائل والمكارم، أصولاً كثيرة في التعامل، على أساسها تُعزز وحدة أمة الإنسان وحماية كرامته، في وقت دأبت تلك الأمة على الشقاق والانقسام، وكان يوصي المسلمين قائلاً: ((والزموا السواد الأعظم، فإن يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة))^(١).

ولقد بذل الإمام كل طاقته بعد مقتل عثمان بن عفان لإعادة وحدة الأمة، ولم يقبل الخلافة إلا من أجل ضمان وحدة الرعية، فإنه غلب الدين على السلطة، ولم يكن اهتمامه بالسلطة بقدر اهتمامه بمصلحة الناس، وكانت رؤيته لوحدة الأمة

(١) بحار الأنوار: ٢٨٩/٦٥.



نابعة من مفهومه للدين كنظام، وللقرآن كدستور يجتمع حوله الناس، والقرآن يؤكد في آيات كثيرة على وحدة الأمة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وكان الإمام عليّ يعدّ تمزق الأمة وانقسامها ناتج من سوء الفهم للقرآن، ممّا يؤدي إلى سوء الفهم لعقيدة التوحيد، إذ يقول: ((ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، وإلاهم واحد ونبئهم واحد وكتابهم واحد، فهل أنزل الله سبحانه ديننا ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه؟ أم أنزل الله ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه؟ والله سبحانه يقول ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وفيه تبيان لكلّ شيء، وذكر: أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً، ولا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وأن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تُفنى عجائبه، ولا تنقض غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلاّ به))^(١).

٧. مفهوم الأخوة:

الأخوة هي الرابطة العالمية للإنسان، فالإنسان أخ الإنسان من جهة الجنس والخلقة، وتعدّ الأخوة من أهمّ المبادئ والقيم الإنسانية التي أكد عليها القرآن الكريم في العديد من آياته الكريمة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، فمفهوم الأخوة تعمق فيه الإمام عليّ وحدّد أبعاده بشكل قلّ نظيره، قال: ((الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))^(٢)، هذه المقولة، (إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في

(١) نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١٣/١٠ .

(٢) نهج البلاغة - خطب الإمام علي: ٨٤/٣ .



الخلق)، من روائع كلمات الإمام التي تتجلى فيها النزعة الإنسانيّة الخلاقة، وتبقى فيها روح التواصل الإنسانيّ الأخلاقيّ على مستوى الناس كافة، وتجعلهم ينظرون لأنفسهم بأنهم جذعان مشتركان لا ثالث لهما، وهما رابطة الاشتراك في الدين، ورابطة الاشتراك في الخلق، والحكمة البالغة في هذه المقولة، هي أنّ رابطة الاشتراك في الدين، لا تلغي رابطة الاشتراك في الخلق، بل هي ثنائية لا فصال بينهما، وإنما جاءت لكي تفتح وعي الإنسان على هذا الرباط الإنسانيّ، وتجعل منه منظوراً إلى رؤية العالم، هذه الرؤية هي بخلاف تلك الأفكار والتصورات التي أخذت تنبعث اليوم، وتُصوّر أنّ الدين يُجرّض على القطيعة والانغلاق عن الآخر في العقيدة والإيمان.

فسعى إلى أن لا تختفي قيمة الأخوة تماماً من المشهد السياسيّ؛ لكون الإمام عليّ خليفة ورجل على راس أكبر امبراطوريّة عالمية إسلامية، وقد شهدت هذه الامبراطوريّة حروباً داخلية، وتمزّقاً في نسيج وحدة الأمة الإسلاميّة، وحروباً طاحنة بين الأخوة في الدين والوطن واللغة، وحتى بين الأخوة في الدم، فاعتبر الإمام عليّ مفهوم نظير لك في الخلق هو الجذع المشترك والذي يتعلّق بوجودنا البشريّ.

يضع لنا الإمام عليّ في نهجه نظريّات متكاملة، تتناول سبل التواصل والتوافق بين البشر، وقد أجاد في كلّ وصاياه لولائه في الأمصار المختلفة، ومنها كتابه لمالك الأشر لمّا ولّاه على مصر وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن، محور هذا النصّ كان قيمتين أساسيتين جعل الإمام منهما مظلة التعايش والتراحم بين الناس جميعاً، وهما الأخوة في الدين، وهي الرابطة التي تستوعب التعدديّة والثقافات المختلفة في عقد يُسمّى الأخوة، والقيمة الثانية وهي النظر في الخلق، وهي الاعتراف بالآخر على قدّم المساواة في الإنسانيّة، وليس العضويّة في كيان أو مجموعة، بل بالانتماء المشترك للجنس البشريّ.



وعلى سبيل المثال: في ٥ مارس من عام ٢٠٢١م تمت زيارة قداسة البابا فرنسيس للعراق، وشاهدنا لافتات عليها صورة قداسة البابا والسيد السيستاني مكتوب عليها: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ أَوْ نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ، كذلك لاحظنا عندما استقبل رئيس جمهورية العراق السيد برهم صالح البابا، قال في خطابه واستشهد بقول الإمام عليّ، إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ أَوْ نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ. والسؤال هو: ماذا كان يقصد العراقيون والسيد برهم صالح من (أخ لك في الدين ونظير لك في الخلق)؟ هل يقصدون أنّ قداسة البابا ليس أخ السيد السيستاني في الدين بل في الخلق، أو هناك تفسير آخر؟ المفهوم العام عند العراقيين وحتى في تفسيرات نهج البلاغة، أنّ المسيحيّ هو ليس أخ المسلم في الدين، بل نظير له في الخلق، وهل كان هذا المفهوم الاصطلاحيّ للنصّ عند الإمام عليّ؟ الجواب على هذا السؤال يتطلّب منا معرفة مفهوم الإمام للدين وخاصة إلى الإسلام.

بعد تفكيك قول الإمام عليّ وتحليله وشرحه، حصلنا على ثلاث قراءات متقاربة ومتباعدة في الوقت نفس، ولمعرفة أيّة قراءة هي الأقرب إلى كلام الإمام عليّ وفكره وقصده، علينا فحص كلّ قراءة بدقّة على أساس قربها وبعدها من فلسفة الإمام عليّ ورؤيته للإنسان والحياة، وكذلك قربها وبعدها من القرآن الكريم، ولا شكّ أنّ كلام الإمام عليّ هو نظريّة عامّة وقيمة عامّة لا يحدّها الزمان والمكان والشخص، بل إنّها صدرت من مكان خاصّ وهو مصر، ومن زمان وشخص خاصّة، ولكنّ الخاصّ لا يلغي العام، مثلما حدث على سبيل المثال في أثينا، فقد ولدت الفلسفة وأصبحت مفهومًا عالميًا، وكذلك القرآن نزل وولد في جزيرة العرب، إلّا أنّ خطابه عابر لحدود المكان والزمان والأفراد.



القراءة الأولى: تعني عبارة (أخ لك في الدين)، أي في الدين الإسلامي، أي بين من يشهد الشهادتين، (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، وأما بقية الخلق فهم نظير في الخلق، وما زيارة قداسة بابا الفاتيكان فرنسيس للعراق إلا دليل لهذا المعنى، فهو أمر يدعم هذه القراءة، أي المعنى بأن البابا هو نظير في الخلق، وهذه القراءة لا تحتاج إلى الإثبات.

القراءة الثانية: معنى (أخ لك في الدين)، لا تشمل فقط من يقول الشهادتين، بل تشمل اليهود والمسيح والصابئة، أي كل من يعتقد بوحدانية الله، أي أخ لك في دين التوحيد، أما من هم خارج دين التوحيد فهم نظير لك في الخلق. هذه القراءة تحتاج إلى الإثبات والدليل القاطع، هذه الأدلة يجب توفرها من القرآن وليس من خارجه، إذ لكل دين كتاب، وأتباعه يسمون باسم الدين، هل اليهودية والمسيحية والإسلام المحمدي والصابئة دين واحد هو دين التوحيد؟ إذا كان الجواب نعم، فهل لهم كتاب واحد وليس كتب؟ وإذا كان الجواب نعم، هل كلهم أتباع هذا الدين وهذا الكتاب؟ الإجابة عن هذه الأسئلة نحصل عليها من القرآن الكريم.

القراءة الثالثة: أخ لك في الدين لا تمرّ من طريق وحدة الشهادتين، ولا من طريق وحدة دين التوحيد، بل أخ لك لأنه يشترك معك بأنه يملك عقيدة دينية ومعتقد ديني ليس بالضرورة أن تكون عقيدة توحيدية، بل عقيدة وشريعة خاصة به تنظم حياته، مثل الديانة البوذية والهندوسية وحتى الديانة المتعددة الآلهة مثل الفرعونية والإغريقية، أما نظير لك في الخلق في هذه القراءة فهو يشمل كل البشر دون عوائق فكرية أو جغرافية أو طبقية، يشمل الحرّ والعبد، الأسود والأبيض، الرجل والمرأة، المؤمن والكافر، الموحد والمشارك، المؤمن والملحد.



٨. المعنى من الوجود (الهدف):

غالباً ما يُطرح هذا السؤال الميتافيزيقيّ في شكل سلسلة من الأسئلة: من نحن؟ ومن أين أتينا؟ ولماذا أتينا؟ وماذا يمكننا أن نفعل هنا؟ وماذا نأمل؟ وإلى أين نذهب؟ وعبر التاريخ في الثقافات البشرية، تناولت العديد من التيارات الفكرية والفلسفية والدينية والعلمية هذه الأسئلة لمعالجة كل منها على طريقتها الخاصة، ممّا أدى إلى ظهور العديد من المناهج المختلفة، بل والمتناقضة في بعض الأحيان.

أجاب الإمام عليّ على هذه الأسئلة؛ لأنّه أدرك بوجود تعطُّش محفور في قلوب البشر لمعرفة سرّ الوجود وبصورة خاصة الوجود البشريّ، وهذا يفسّر عالمية الإمام عليّ وشهرته؛ لأنّه أعطى معنى للوجود الإنسانيّ وبيّن أنّ هذا الوجود لا يُجرّر الإنسان من نفسه ذاتياً، بل من الضروريّ المرور به والعمل فيه، كذلك سعى الإمام بشرح هذه الوجود ونظامه وسننه وتفصيله؛ لإعطائه سبب، أي ليس فقط كأساس، ولكن أيضاً كغاية ممكن للإنسان أن يضع نفسه فوق الوجود.

كذلك وضح الإمام بأن معنى الحياة والوجود يكمن في قيمة أعمالنا، في حين ينتظر الإنسان الحكم الإلهيّ، الذي يمكن أن يحدث بعد الموت أو في أيّ لحظة من الحياة، وقد جمع الإمام الوجود البشريّ المحكوم بالعمل، بالوجود الإلهي الغيبيّ الذي نراه في كلّ مكان، وهو المنظم والمدبّر لهذا الوجود؛ لأنّ الإنسان في حقيقته ذات في طور الإمكان، أي إنّهُ طاقات مركّزة غير مفعّلة تسير في الحياة مساراً يحوّلها من الإمكان نحو التحقّق ومن التعطيل نحو التفعيل، وما الخوف من الموت إلّا عامل معطلّ لتلك الذات، فعبر الإمام عن الوجود الإلهيّ المنظم والمدبّر لهذا الكون؛ حتّى يدفع الإنسان لمواجهة قلقه الشخصيّ، هذا هو جوهر الوجود الإنسانيّ في هذا العالم الذي عبّر عنه الإمام عليّ، ولذلك كان له مفهوم خاصّ للعبادة بقوله:



((إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك، إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وإن قوماً عبدوا الله حباً (شكراً) فتلك عبادة الأحرار))^(١).

هذا القول المأثور والمشهور الذي ينسب للإمام عليؑ، استوقفني طويلاً، فرأيتُه نصّاً فلسفياً عميقاً محوره مفهوم العبودية، وفي طبيّاته كثير من الحكم، ويُمثّل خريطة طريق للعالم وللآخرة التي يجب أن يضعها الإنسان لنفسه، قد تعطينا أقوال وحكم الإمام عليؑ الإحساس بأننا ممكن أن نفهم قوله، وندرك أبعاده من دون بذل جهد كبير، لكن الحقيقة أعمق ممّا نتصوّر، هذه السهولة البلاغية تُخفي وراءها هندسة عظيمة من الفلسفة العميقة، والسؤال الذي يمكن أن نطرحه، هل يمكن القول بأنّي أعبد الله ليس لأنّه يستحقّ العبادة بل أعبدّه خوفاً من ناره وطمعاً في جنته، أي طاعة مشروطة؟

هذه الطاعة لا يمكن أن نسمّيها بالعبودية لله سبحانه، بل للبشر، وقول الرسول ﷺ واضح في هذا الجانب، فعلى الرغم من أنّ الله سبحانه وتعالى غفر ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، إلّا أنّه استمرّ في العبادة غير المشروطة.

وهنا تظهر للسطح إشكالية كبيرة وهي: أنّ القرآن الكريم في مواضع عديدة يبيّن خلاف ما نعتقده ونقوله، أي العبودية لله مشروطة بالثواب والعقاب، ومنها قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وقوله: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

(١) تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي: ٣/ ٣٥٣.



هذه الإشكالية تقودنا إلى تفكيك النصّ ومن ثمّ إعادة تركيبه حسب منهج الفيلسوف الفرنسيّ دريدا، أي فصل النصّ إلى أمرين مستقلّين، كلّ منهما منفك عن الآخر، والجسر الرابط بينهما هو مفهوم العبوديّة.

الأمر الأوّل: وجوب الثواب والعقاب، العبوديّة لله سبحانه هي حصيلة الخوف من دخول النار والطمع في الجنّة، هذه العبادة هي شأن معظم الناس؛ لأنّ العامل النفسيّ يهيمن على الفكر البشريّ، إذا وجد الخوف، وجد معه الطمع والرغبة، الخوف من الإملاق والفقر يلازمه الطمع في الثراء والغنى، كذلك الخوف من الرسوب في الامتحان، يلازمه الطمع في النجاح.

في هذا الأمر، مفهوم العبودية لله سبحانه هي العبودية لله الحاكم، هنا الله سبحانه هو الذي يحكم بالثواب والعقاب، والخير والشر، والغنى والفقر، وبالهلاك والنجاة، فمفهوم الحياة البشريّة في هذه الحالة تصبح كأنّها ساحة الإنسان المتّمهم في محكمة العدل الإلهيّ منتظرًا الحكم عليه.

الأمر الثاني: قول الإمام: (إني وجدتك أهل للعبادة... تلك عبادة الأحرار)^(١)، يدلّ على وجوب القيام بحقّ الربوبيّة بغض النظر عن الثواب والعقاب، أي العبودية لله سبحانه غير مشروطة، هذا الجزء من النصّ يُعطي لله سبحانه مفهوم الخالق وليس الحاكم؛ لأنّ الخالق لا يحكم، لتوضيح جوهر هذه الفكرة سوف نعطي بعض الأمثلة ومنها:

الشخص الذي اكتشف الكهرباء، أو اخترع السيارة، أو التليفون، لم يضع شرطاً مسبقاً لمن يستخدمه، ولا على الهدف من استخدامه؛ لأنّه اخترع هذه الآلة لخدمة الناس، كذلك الله سبحانه، خلق الإنسان، لا ليحكم عليه في الدنيا بل تركه

(١) شرح نهج البلاغة- لابن أبي الحديد: ٨٢/١٩.



حرّاً في اختياره، ولهذا سُمّيت الآخرة بيوم الحساب والعقاب، أو دار الجزاء، وهناك آيات بيّنات تعزّز هذا التفسير كقوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يُحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [النحل: ١٠٩].

هنا أيضاً تواجهنا إشكاليّة أخرى في هذا التفسير، وهي أنّ الله سبحانه خالق كلّ شيء، وهو مالك الملك، ولا يحدث في ملكه شيء إلا بإذنه، ولذلك فحكمه وأمره هما اللذان يجب أن ينفذوا في كلّ شيء، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، هذه الآية تبيّن بوضوح أنّ الله سبحانه هو الخالق والحاكم في الحياة الدنيا والآخرة، إذن، كيف نستطيع حلّ هذه الإشكاليّة؟ علماً بأننا قلنا مسبقاً: إنّ النصّ يحتوي على أمرين منفصلين؟ الجواب: الأمران، الأوّل (بوجوب الخوف والطمع)، والثاني (بعدم وجوب الخوف والطمع)، أمران متّصلان، ولتوضيح هذه الفكرة لدينا أكثر من مثال، منها: الله سبحانه خلق الإنسان، وقدر له الجوع والعطش، وما على الإنسان إلا أن يخضع لهذه القوانين ويحترمها إن أراد الحياة، كذلك حكم عليه وأصبح العمل قدره، وما من حيوان أو إنسان إلا حكم عليه الجِدّ والسعي لكي يعيش، هذه النظم والسنن الكونيّة فُرِضت على الإنسان وما عليه إلا الطاعة، وهنا الله سبحانه هو الحاكم، والطاعة هي السلامة؛ لأنّ العقل هو الفيصل في الرشاد إلى الطريق الصحيح، أمّا كيفية التحرّر من الثواب والعقاب، فهو ليس إبعادها عن العبوديّة، بل هو التحرّر من نتائج هذه العبوديّة، أي: أعملُ جاهداً لكي أحوز قصب السبق في الخير والرزق والعافية، إلا أنّ النتيجة لم أقرّها أنا، بل الله سبحانه هو المقدر، ومهما كانت النتيجة فهي خير لي، وهنا ندخل مساحة أنّ الله هو الخالق، وهي



مساحة الإيمان، أي القلب وليس العقل، لتوضيح هذه الفكرة نأخذ مثال على ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، وكذلك قوله تعالى للرسول ﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الانفال: ١٧]، فإن هذه الآيات تبين بوضوح أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والحاكم، وكل شيء يسير بقدرته، وهو يُقرّ النتائج مهما كانت نوايا البشر، من هذا الاستنتاج ممكن القول بأن ثنائية الخالق والحاكم هي تعبير عن ثنائية العقل والإيمان، وما الإيمان إلا أن يكون الإنسان حرًا من نتائج عمله؛ لأنّ النتائج تخص مساحة الخالق وقدرة، وليس المخلوق، أي إن القيم الروحية هي القيم التي تقهر شبح الخوف. إن الإمام عليّ (ع) لم يدخل يومًا في جوفه الخوف، ولم يُقابل الخوف في حياته؛ لأنّه كان حرًا ويدرك ما يقسمه الله له هو الخير.



الخاتمة:

تؤكد هذه الدراسة على أن الإمام عليّ (عليه السلام) يُمثل نموذجًا فريدًا لتجسيد القرآن الكريم في حياة الإنسان والفكر، إذ لم يكن مجرد شخصية تاريخية أو سياسية، بل قرآنًا ناطقًا وفلسفة متكاملة للحياة، فقد أظهرت النتائج أن فهمه للقرآن لم يقتصر على المعرفة الظاهرية للنصوص، بل امتدَّ إلى إدراك مقاصده، وتنظيم الحياة على وفق سنن الكون، وتمييز عالم الحرية الإنسانية عن عالم المخلوقات المبرمجة، ممَّا جعل الحرية أعلى قيمة إنسانية وأساسًا للسلوك والعمل.

وأبرز البحث أن فلسفة الإمام عليّ في العمل والمعرفة تُمثل امتدادًا طبيعيًا لرؤيته القرآنية، إذ ربط بين العمل الصالح وفهم قوانين الوجود، بين المواجهة الإيجابية للحياة وإدراك حقيقة الموت والخلود، بما يعكس رؤية متكاملة للإنسان والوجود. وأيضًا فإنَّ هذه الدراسة تؤكد على أنَّ علاقة الإمام عليّ بالقرآن ليست مجرد حدث تاريخي، بل تجربة وجودية وفكرية تعكس خصوصية شخصية كونية متفردة، تجمع بين الحكمة والعدل والمعرفة والعمل. ومن هنا، يظلُّ الإمام عليّ (عليه السلام) نموذجًا عالميًا يُحتذى به في البحث عن فهم الإنسان والوجود، ويستحقُّ الدراسة المتعمَّقة والمستمرَّة عبر الأجيال.



المصادر والمراجع:

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، دار الوفاء للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.
٢. تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٥٩.
٣. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي، ابن الدمشقي، مجمع احياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٤.
٤. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.
٥. كتاب نهج البلاغة مترجم إلى الفرنسية، سيد عطية أبو النجا (١٩٨٦): الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٨٦.
٦. الممل والنحل، الشهرستاني، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٦.
٧. ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤٢٢.
٨. نهج البلاغة خطب وكلام أمير المؤمنين، دار الكتاب المصري، ط ٤، ٢٠٠٤.
٩. نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩.

التكامل الدلالي بين لغة القرآن الكريم ولغة أمير المؤمنين عليه السلام

(وصف القرآن الكريم مثالاً)

أ.د. فضيلة عبّوسي محسن العامريّ

كلية الفقه - جامعة الكوفة

الملخص:

هذا بحث يجمع بين الدلالات القرآنيّة العظيمة والخطاب العلويّ الذي فاق في بلاغته وأسلوبه كلام البشر، وطبيعة البحث تسعى لاقتناص التكامل الدلاليّ بين الخطاب القرآنيّ والعلويّ، لا بمعنى أنّ الخطاب القرآنيّ قاصر أو بحاجة إلى تكامل من نقص، إنّما نقصد أنّ الخطاب العلويّ كان وسيلة لكشف تلك الدلالات التي يحملها القرآن الكريم، فالإمام عليّ عليه السلام كان مفسراً عظيماً ترجع إليه الأمة في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وبعده؛ من أجل أن يوقفهم على معاني القرآن الكريم، وقد ركّز البحث على أبرز تلك المقارنات التفسيرية واعتمد على مصادر مهمّة بينت المقاصد وشرحت الأحاديث التي قالها الإمام عليّ، وقد جاء البحث بتمهيد ومطلبين ليُقدّم نتائجه في آخر المطاف، ومن الله التوفيق .

الكلمات المفتاحية: (التكامل الدلاليّ، أمير المؤمنين عليه السلام)، وصف القرآن

الكريم).



Abstract:

This research combines the profound Quranic significations with the Alawi discourse, which surpassed human speech in its eloquence and style. The study seeks to capture the semantic integration between the Quranic and Alawi discourses. This does not imply that the Quranic discourse is deficient or in need of completion; rather, it means that the Alawi discourse served as a medium to reveal the deep meanings embedded within the Holy Quran. Imam Ali (PBUH) was a sublime interpreter to whom the nation turned during and after the Prophet's (PBUH) time to understand the Quranic meanings. The research focuses on the most prominent interpretive comparisons, relying on key sources that clarify the objectives and explain the Hadiths of Imam Ali. The study consists of an introduction and two sections, concluding with its findings. Success is granted by Allah.

Keywords: (Semantic Integration, Commander of the Faithful (PBUH), Description of the Holy Quran).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين،
محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فلا يخفى على أحد أنّ اللغة هي وسيلة التواصل بين البشرية في التعبير عمّا يريدون، حتّى وصفها ابن جني بأنها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، وفي ذلك إشارة إلى القصدية من التعبير، هذا ما يخصّ لغة البشر، فكيف الأمر إن كانت هذه اللغة لغة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، فهو مُنزّل من حكيم حميد؛ فلا بدّ أن تكون هذه اللغة على مستوى من الإعجاز البياني والبلاغي والدلالي، وتحتاج في بيانها إلى لغة بالمستوى الذي يتفق معها ويكمل بيان دلالاتها، فكانت هذه اللغة لغة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ويتّضح ذلك في خطبه ومواعظه وحكمه، ومن أجل بيان ذلك جاء البحث بعنوان: ((التكامل الدلالي بين لغة القرآن الكريم ولغة أمير المؤمنين عليه السلام وصف القرآن الكريم مثلاً))؛ ولسعة الموضوع فقد ركّز البحث على وصف القرآن الكريم، فكانت مشكلة البحث تبحث عن سرّ التكامل الدلالي وأثره في لغة الإمام عليّ عليه السلام، وفرضية البحث تتحدّث عن أسباب التكامل الدلالي بين اللغتين، والمنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، وأمّا خطة البحث، فقد تألفت من مطلبين، الأول بعنوان: وصف القرآن الكريم والتكامل الدلالي، وتطرّق الثاني إلى وصف الراسخين في العلم وعلاقتهم بالقرآن الكريم، وقد سبقهما تمهيد بعنوان: الإمام عليّ عليه السلام واللغة، ثمّ جاءت الخاتمة ونتائج البحث وثبت المصادر.



التمهيد: الإمام علي عليه السلام واللغة:

يعدّ النحو من أهمّ علوم اللغة العربيّة؛ لارتباطه ارتباطاً وثيقاً بلغة القرآن الكريم وقراءاته، حتّى ظهر في العصر الحديث ما يُسمّى بالنحو القرآنيّ الذي يؤكّد على الشواهد القرآنيّة في بعض الدراسات، في حين ترى دراساتٍ آخر استنباط القاعدة النحويّة من القرآن الكريم وإبعاد النصّ القرآنيّ عن التأويل أو التقدير الإعرابيّ، غير أنّ الموضوع الذي هو محلّ اتّفاق بين العلماء والمؤلّفين في اللغة والنحو من الشيعة أنّ أوّل من وضع أصول علم النحو باتّفاق الرواة وأهل العلم هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، في صحيفة ألقاها إلى أبي الأسود الدؤليّ ظالم بن عمرو أحد سادات التابعين، وزاد عليها أبو الأسود وفرّع بإرشاد عليّ عليه السلام وإشارته، وإنّما سُمّي هذا العلم نحواً؛ لأنّه لمّا ألقى أصوله إلى أبي الأسود قال له انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك^(١).

ومن هنا تبدو الصلة بين لغة القرآن الكريم ولغة الإمام عليّ عليه السلام هو أنّ ما قام به الإمام عليّ عليه السلام من جهود لغويّة كانت ومازالت ثمارها يانعة لخدمة القرآن الكريم وإحياء اللغة العربيّة، وصون اللسان عن اللحن في قراءته، فقد جاء أنّ أوّل من رسم للناس النحو أبو الأسود الدؤليّ، من حيث تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف، وكذلك معرفة حروف النصب، وفي تقسيم الأسماء إلى مضمر وظاهر ومبهم، ((وكان أبو الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان أعلم الناس بكلام العرب؛ وزعموا أنّه كان يجيب في كلّ اللغة))^(٢).

روي عن أبي الأسود الدؤليّ قوله: ((دخلت على عليّ بن أبي طالب فرأيتّه

(١) ينظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين: ١ / ١٦١ .

(٢) المزهر، السيوطي: ٣٢٣ .



مطرقاً متفكراً، فقلت: فيم تُفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربيّة، فقلت: إذا فعلت هذا أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيت بعد ثلاث فألقى إليّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف: فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل))^(١).

وبيّن أبو الأسود الدؤليّ أنّ النحو في تسميته جاء من قول الإمام عليّ عليه السلام (ما أحسن هذا النحو)، عند عرض تقسيم الأسماء: ((واعلم أنّ الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر، واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإثما يتفاضل الناس فيما ليس بظاهر ولا مضمر وأراد بذلك الاسم المبهم، قال: ثم وضعت بابي العطف والنعته، ثم بابي التعجب والاستفهام، إلى أن وصلت إلى باب إنّ وأخواتها ما خلا لكنّ، فلما عرضتها على عليّ عليه السلام أمرني بضمّ (لكن) إليها، وكنت كلّمًا وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية، قال ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت، فلذلك سُمّي النحو))^(٢).

ثمّ عرض أبو الأسود الدؤليّ ما جمعه من حروف النصب على الإمام عليّ عليه السلام بقوله: ((فجمعت عنه أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها: إنّ، وأنّ، وليت، ولعلّ، وكأنّ، ولم أذكر (لكنّ) فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: بلى هي منها، فزاد لي فيها. وأبو الأسود أوّل من نقط المصحف، واختلف الناس إليه يتعلّمون منه العربيّة، وفرّع لهم ما كان أصله، فأخذ ذلك عنه جماعة))^(٣).

(١) ميزان الحكمة، الريشهري: ٤/ ٣٢٦٦.

(٢) أعيان الشيعة: ١/ ١٦١.

(٣) المزهر: ٣٢٣.



وإنَّ من أسباب وضع النحو صلاح الألسن عن الخطأ بعد اختلاط اللغة العربيَّة بلغة الأعاجم عند دخولهم في الدين، فقد روي عن صعصعة بن صوحان أنه: ((جاء أعرابيُّ إلى عليِّ ابن أبي طالب فقال: يا أمير المؤمنين! كيف تقرأ هذا الحرف (لا يأكله إلا الخاطون) كلُّ والله يخطو؟ فتبسَّم عليٌّ وقال: (لا يأكله [إلا] الخاطون)، قال: صدقت يا أمير المؤمنين ما كان ليسلم عبده، ثم التفت عليٌّ إلى أبي الأسود الدؤليِّ، فقال: إنَّ الأعاجم قد دخلت في الدين كافةً، فضع للناس شيئاً يستدلُّون به على صلاح ألسنتهم، فرسم له الرفع والنصب والخفض))^(١).

ومما ورد ممَّا له علاقة بالقراءات القرآنيَّة أنَّ الإمام عليَّ عليه السلام قرأ بإشباع رفع النون في (وإياك نستعين)، فيشبع رفع النون إشباعاً وكان قرشيًّا قلباً، أي محضاً^(٢).

واتَّخذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام شاهداً في بعض القضايا النحويَّة، من ذلك ما ورد من قولهم في حذف حرف التاء من (سه) إذ قال أبو الحسن: ((ضُبُّ كما ترى فيحذف موضع العين كما فعل في (مد)؛ لأنَّ المحذوف في (مند) موضع العين، وكذلك (سه) إنَّما المحذوف التاء من أستاها قال الشاعر:

اذْعُ أَحِيحًا بِاسْمِهِ لَا تَنْسَهُ
إِنَّ أَحِيحًا هِيَ صِئْبَانُ السَّهْ

وقد قال أمير المؤمنين: علي بن أبي طالب عليه السلام: ((العين وكاء الستة))^(٣)، والقول الأوَّل لأبي عثمان المازنيِّ، ثم رأى بعدُ إذا سمَّى بالباء من ضربٍ فليردَّ الكلام كلَّه فيقول: ((ضربٌ كما ترى، ولا يحذف؛ لأنَّه إذا أثر أن يردَّ ردَّ على غير علَّة))^(٤).

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ٢٢٦٦

(٢) ينظر: العين: ١/ ٤٠٢ .

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٢٠/ ١٨٦ .

(٤) المقتضب، المبرد: ٦

ولم تكن أقوال أمير المؤمنين عليه السلام بعيدة عن علوم البلاغة، فقد وُصف قوله عليه السلام: ((العين وكاء السه))^(١)، بأنه من الاستعارات العجيبة^(٢)، كأنه شبه السه بالوعاء، والعين بالوكاء، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء، والوكاء الخيط الذي يشدّ به الصرّة، والكيس وغيرهما^(٣)، ومنه الحديث: العين وكاء السه، جعل اليقظة للاست كما لو كواء للقربة كما أنّ الوكاء يمنع ما في القربة أن يخرج، كذلك اليقظة تمنع الأست أن يحدث إلا باختيار، وكُنّي بالعين عن اليقظة؛ لأنّ النائم لا عين له يبصر به، والسه حلقة الدبر وهو من الأست وأصلها (ستّه) بوزن فرس، وجمعها أستاه كأفراس، فحذف الهاء وعوّض عنها الهمزة، فقيل إست، فإذا رددت إليها الهاء وهي لامها وحذفت العين التي هي التاء انحذفت الهمزة التي جيء بها عوض الهاء فتقول: سه بفتح السين، ويروى في الحديث وكاء الست بحذف الهاء وإثبات العين، والمشهور الأوّل .

وأما في علم الإشارات فقد كان الإمام عليّ عليه السلام حاضرًا في كتاباتهم، من ذلك تفسير الرؤيا حين قال الكرمانيّ: ((أصحّ ما تكون الرؤيا عند استغراق النوم، لقول عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ما زال الإنسان يرى الشيء فيكون ويرى الشيء فلا يكون))^(٤). وممّا جاء عن الإمام عليّ عليه السلام في تفسير بعض مفردات القرآن الكريم تفسير لغويّ كثير، منه تفسير كلمة (أبًا) التي سُئل عنها أبو بكر، لكنّ المجيب عليّ عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَفَاكِهَةٌ وَأَبًا﴾ [عبس: ٣١]، ما معنى الأبّ؟، فقال: أيّ سماء تظلّني أم أيّ أرض تظلّني إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم، أمّا الفاكهة فنعرّفها، وأمّا الأبّ

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٧٧ / ٢٢٦.

(٢) ينظر: المجازات النبوية، السيد الشريف الرضي: ١٧٨.

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير: ٥ / ٤٩٨.

(٤) الاشارات في علم العبارات، ابن شاهين: ٢.



فَاللَّهِ أَعْلَمُ بِهِ، فَبَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام مَقَالَتهُ، فَقَالَ عليه السلام: ((يَا سَبْحَانَ اللَّهِ! أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْأَبَّ: هُوَ الْكَلَاءُ وَالْمَرْعَى؟ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَ ذَلِكَ تَعْرِيفًا لِعِبَادِهِ مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَنْعَامِهِمْ مِمَّا يَحْيِي بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَتَقُومُ بِهِ أَجْسَادُهُمْ))^(١).

وَمِنْ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ لَفْظُ (الْكَلَالَة) الَّتِي سَأَلَ عَنْهَا أَبُو بَكْرٍ، وَأَجَابَ عَنْهَا عَلِيٌّ عليه السلام، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَقُولُ فِيهَا بِرَأْيِي. فَإِنْ أَصَبْتَ فَمِنَ اللَّهِ، وَإِنْ أَخْطَأْتَ فَمَنِي وَمِنَ الشَّيْطَانِ.

فَبَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ذَلِكَ فَقَالَ: ((مَا أَغْنَاهُ عَنِ الرَّأْيِ فِي هَذَا الْمَكَانِ، أَمَا عَلِمَ أَنَّ الْكَلَالَة: هُمُ الْإِخْوَةُ وَالْأَخَوَاتُ مِنْ قَبْلِ الْأُمِّ وَالْأَبِّ وَمِنْ قَبْلِ الْأَبِّ عَلَى انْفِرَادِهِ وَمِنْ قَبْلِ الْأُمِّ - أَيْضًا - عَلَى انْفِرَادِهَا))^(٢).

وَفِي ضَوْءِ مَا تَقَدَّمَ يَظْهَرُ أَنَّ مَا قَدَّمَهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام مِنْ جُهُودٍ لُغَوِيَّةٍ كُلَّهَا تَصَبَّبَ فِي خِدْمَةِ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ اللَّحْنِ فِيهِ، فَضْلًا عَلَى ذَلِكَ نَجَدَهُ عليه السلام يَفْسِّرُ كَثِيرًا مِنَ الْمَفْرَدَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ تَفْسِيرًا لُغَوِيًّا، وَيُصَحِّحُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي يَسْمَعُهَا مِنَ السَّائِلِينَ، وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ لَنَا التَّكَامُلُ الدَّلَالِيُّ بَيْنَ لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلُغَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَهَذَا سَيَتَّضِحُ أَكْثَرَ فِي الْمَطْلُبِينَ الْخَاصِينَ بِوَصْفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ.

المطلب الأول: وصف القرآن الكريم والتكامل الدلالي

يَهْدَفُ التَّكَامُلُ الدَّلَالِيُّ إِلَى الْكَشْفِ عَنِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي لُغَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي سِيَاقِ خُطْبَةٍ أَوْ حِكْمَةٍ أَوْ حَدِيثٍ أَوْ فِي بَيَانِ مَفْرَدَةٍ قُرْآنِيَّةٍ، وَعِلَاقَاتِهَا الدَّلَالِيَّةِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْوَصُولُ إِلَى تَكَامُلِ الْمَعْنَى عِبْرَ

(١) كَشَفَ الْيَقِينِ، الْعَلَامَةُ الْحَلِي: ٦٩.

(٢) ن.م: ٦٩.

الوسائل المختلفة من تأويل أو تفسير للمفردات لفهم النصّ فهماً دقيقاً؛ لأنّ الإمام عليّ عليه السلام هو صنو رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو إمام معصوم مفترض الطاعة في قوله وفي فعله وفي تقريره، ومن أجل بيان التكامل الدلالي بين لغة القرآن الكريم ولغة أمير المؤمنين عليه السلام فقد تناولت الدراسة الأوصاف التي تتعلّق بالقرآن الكريم في نهج البلاغة، ومنها:

الصامت الناطق

إنّ الله سبحانه وتعالى منّ علينا بنعمة الإسلام، وجعل القرآن الكريم معجزة الرسول الخالدة، وإنّ النبيّ محمدًا صلى الله عليه وآله هو المبلّغ للشريعة، ما زال يقوم بالتبليغ حتّى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وإنّه معصوم من الخطأ في جميع الأمور الدينية والدينيّة بما أيّده الله تعالى، وذلك في قوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣]، وإنّ عليّ بن أبي طالب و أبناءه عليهم السلام هم الأئمة الحافظون للشريعة، يدفعون عن الدين الأباطيل والاختلافات التي يمكن أن تطرأ عليه، بما خصّهم الله تعالى من العلوم الجليّة التي ورثوها عن النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ((أنا مدينة العلم وعليّ باجها، فمن أراد المدينة فليأت الباب))^(١)، وهذه المنحة الإلهية (أي الإمامة) هي ضرورة شرعيّة لا بدّ منها لحفظ الدين والقرآن، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلِّلُ الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فوظيفة الإمامة تتمم وظيفة النبوة، ولقد صرح النبيّ صلى الله عليه وآله في مناسبات عدّة في حياته بلزوم التمسك بالثقلين بقوله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: ((ألا وإنّي مخلّف فيكم الثقلين، الثقل الأكبر القرآن، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، هما حبل الله ممدود بينكم وبين الله عزّ وجلّ، ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا،

(١) الكليني والكافي، الشيخ عبد الرسول الغفار: ٢٤ .



سبب منه بيد الله، وسبب بأيديكم، إن اللطيف الخبير قد نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض كإصبعي هاتين - وجمع بين سبابتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين سبابتيه والوسطى - فتفضل هذه على هذه))^(١).

وصف أمير المؤمنين عليه السلام القرآن بأنه صامت وهو عليه السلام القرآن الناطق، بقوله للخوارج عند رفع المصاحف في صفين: ((هذا كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق))^(٢)؛ أي إن القرآن بحد ذاته لا ينطق إلا إذا كان هناك إمام يبين تأويله الصحيح وتفسيره الحق، لا سيما وأن القرآن زاخر بالآيات المتشابهات التي يلجأ المنافقون والمعرضون عن طريقها إلى تأويل القرآن حسب أهوائهم ومصالحهم، مما هو باطل وغير صحيح^(٣).

ومما يشير إلى علم الإمام علي عليه السلام اللدني بالتوراة والإنجيل قوله: ((أما والله لو أنبت لي الوسادة فجلست عليها، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم، حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب، لقد أفتاكم بما أنزل الله في))^(٤)، فالقرآن كتاب الله الصامت، وعلي عليه السلام كتاب الله الناطق، ويمكن أن يكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

نجد أن أمير المؤمنين عليه السلام في موضع آخر من نهج البلاغة يصف القرآن بأنه

(١) الغيبة: ٥ / ٥ .

(٢) مستدرک سفینه البحار: ١ / ٢٢ .

(٣) ينظر: تصنيف نهج البلاغة: ١ / ٢٠٧ .

(٤) بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: ٢ / ٣٤ .

الصامت الناطق، بقوله: ((القرآن صامت ناطق))^(١)؛ أي مع كونه صامتاً ينطق بالحكمة، وهو البرهان من الله على المخلوقين، وقد أخذ الله على المكلفين منهم عهداً و ميثاقاً بما نصب لهم من المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله، فذكر محمد أن حلال القرآن حلال و حرامه حرام، فكأنه تعالى أخذ ميثاقاً علينا بأن نعمل بذلك، وأخذ نفوسنا رهناً على ذلك^(٢).

ورد في خطبة الإمام علي عليه السلام في بيان فضل القرآن قوله: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ))^(٣)، ذكر الخوئي^(٤) أن الإمام علي عليه السلام شرع في ذكر فضل القرآن وبيان مبادئه ترغيباً في الاهتداء به والابتعاد عن ضياء أنواره، فقال عليه السلام: ((واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح) المشفق (الذي لا يغش) في إرشاده إلى وجوه المصالح كما أن الناصح الصديق شأنه ذلك (والهادي الذي لا يضل) من اهتدى به.

ومما جاء في الروايات عن طلحة بن زيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدجى، فليجل جالٍ بصره و يفتح للضياء نظره، فإن التفكير حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور))^(٥)، وقد شرح المازندراني القول مبيناً ما فيه من إضافتين (منار الهدى) التي وصفها بالإضافة اللامية وهي ما كانت على تقدير اللام وتفيد الملك أو الاختصاص^(٦)، والإضافة

(١) منهاج البراعة: ١٦٦/٣.

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ١٦٦/٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٦٠/٣.

(٤) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤.

(٥) الكافي: ٦٠٠/٢.

(٦) ينظر: شرح التهذيب، العلامة اليزدي: ٥٠.



الثانية (مصاييح الدجى) التي سمّاها بالإضافة الظرفيّة، وأن لفظ (الدجى) يطلق على الشبهة والبدعة من باب الاستعارة، كإطلاق المنار والمصباح وهما محلّ النور والضوء، يعني العلم على ما في القرآن من الآيات التي أعظمها الأئمة^(١).

وأما قول الإمام عليّ عليه السلام في وصف القرآن (والمحدّث الذي لا يكذب) فمعناه محدّث في قصصه وأحاديثه وأخباره^(٢)، فقد روي عن عبد الله بن المغيرة عن سماعة بن مهران قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ((إنّ العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه وهو الصادق البار، فيه خبركم، و خبر من قبلكم، و خبر من بعدكم، و خبر السماء و الأرض، ولو أتاكم من يخبركم عن ذلك لتعجبتم))^(٣).

المطلب الثاني: الراسخون في العلم وعلاقتهم بالقرآن الكريم

ورد لفظ (الراسخون) في قول الإمام عليّ عليه السلام: ((أَيْنَ الَّذِينَ رَعَمُوا أَنَّهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعْنَا اللَّهَ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلْنَا وَأَخْرَجَهُمْ بِنَا يُسْتَعطَى الْهُدَى، وَيُسْتَجَلَى الْعَمَى، إِنَّ الْأئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غَرَسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ أَوَّلَ الْكَلَامِ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِتَلَا يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥])^(٤).

ولبيان دلالة لفظ (الراسخون) وعلاقته بالقرآن الكريم نذكر ما ورد من

(١) شرح أصول الكافي، المازندراني: ١١ / ١٥ .

(٢) ينظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٤ .

(٣) الكافي: ٢ / ٥٩٩ .

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ١٠٤ .

أقوال في معناه، فقد ذكر الشيخ محمد جواد مغنّية أنّ الكلام كثر حول المراد من الراسخين في العلم، ((فقال قوم: هم الأئمة المعصومون، وقال الصوفيّة: هم الذين أحاطوا علماً بتفسير الرموز والإشارات، وكلام الإمام عليه السلام هنا يدلّ بصرحة على أنّ الراسخين في العلم هم الذين يعرفون ويميّزون بين ما يمكن العلم به، وبين ما لا يمكن، ويقفون عند هذا الغيب المحجوب، ويعترفون بجهلهم به، ولا يتكلفون معرفته ويتعسفون، وفي الوقت نفسه يحاولون جهدهم أن يعرفوا ما أنزل الله على نبيّه))^(١).

وقال الراوندي: ((الراسخون في العلم هم المبالغون في علم كتبهم الثابتون الذين لا يقتحمون السدد المضروبة دون العيوب))^(٢)، والراسخون في العلم: الثابتون فيه، والمراد به هاهنا الذين نزلوا منازلهم وزعموا بدل عليه. وجاء عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((نحن الراسخون في العلم فنحن نعلم تأويله))^(٣).

ذكر السيّد القرزويني^(٤) أنّ أهل البيت عليهم السلام هم الراسخون في العلم، كانوا ثالث ثلاثة في الشهادة على التوحيد، وثاني اثنين في الشهادة على النبوة، وشاهدين يوم القيامة للأمة ولجميع الناس، ونوّه بهم ربّهم، الله سبحانه وتعالى في قوله المبين: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، وقد هتف بهم من ذي قبل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وقد أهاب سبحانه بالناس، وحذّرهم الغفلة عن الثقلين، فقال بشأن الكتاب: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٨ / ١ .

(٢) منهاج البراعة: ٤ / ١٠٤ - ١٣٨ .

(٣) بحار الأنوار: ٨٩ / ٩٢ .

(٤) ينظر: موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، السيّد الحسيني القرزويني: ٨ / ١ .



مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٥]﴾، وقال في حق أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وفي حجة الوداع شدد أمرهم وقواه، فقال عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وبين أن الرسالة وتبليغ الكتاب طيلة ثلاث وعشرين سنة، لا يتمان ولا يلتزمان إلا بتبليغ هذا الأمر الهام، فلما قام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلغ ذلك، وأخذ من الناس البيعة له، قال سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وفي ضوء ما تقدم ذكره نستنتج أن الراسخين في العلم هم الأئمة المعصومون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فهم حلقة الوصل بين النبوة والإمامة، وهذا أكّدت الروايات الواردة عن أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ التي تؤكد علمهم بتأويل القرآن الكريم، ومنها ما ورد عن البرقي، عن المرزبان بن عمران، عن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: ((إن للقرآن تأويلاً، فمنه ما قد جاء، ومنه ما لم يجيء، فإذا وقع التأويل في زمان إمام من الأئمة، عرفه إمام ذلك الزمان))^(١).

ومنها أيضاً ما روي عن محمد بن الحسين، عن محمد بن إسماعيل، عن منصور بن يونس عن ابن أذينة، عن فضيل بن يسار، قال: سألت أبا جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ عن هذه الرواية: ((ما من القرآن آية، إلا ولها ظهر وبطن، قال: ظهره تنزيله وبطنه تأويله، ومنه ما قد مضى ومنه ما لم يكن، يجري كما تجري الشمس والقمر كل ما جاء تأويل شيء منه يكون على الأموات كما يكون على الأحياء، قال الله: ﴿وما

(١) وسائل الشيعة: ٢٧ / ١٩٦.

يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴿ [آل عمران: ٧] نحن نعلمه ﴾^(١) .
 وفي رواية أخرى تشير إلى جمع القرآن من قبل الأوصياء عليهم السلام: عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ((ما أجد من هذه الأمة من جمع القرآن إلا الأوصياء))^(٢) . وفي المصدر نفسه نجد رواية تشير إلى علم الأئمة عليهم السلام بتفسير القرآن الكريم وتأويله، فقد ورد عن عمرو بن مصعب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ((إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه، وعلم تغيير الزمان وحدثاته، وإذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم، ولو أسمع من لم يسمع لولّى معرضاً كأن لم يسمع، ثم أمسك هنيئة، ثم قال: لو وجدنا وعاء ومستراحاً لعلمنا، والله المستعان))^(٣) .

(١) وسائل الشيعة: ٢٧ / ١٩٦، وينظر: بحار الأنوار: ٨٩ / ٩٨ .

(٢) بصائر الدرجات: ٢١٤ .

(٣) م.ن: ٢١٤ .



الخاتمة والنتائج

في ختام الدراسة للتكامل الدلاليّ بين لغة القرآن الكريم ولغة الإمام عليّ ع توصلت إلى النتائج الآتية:

١. أنّ التكامل الدلاليّ بين لغة القرآن الكريم ولغة أمير المؤمنين ع، جاءت إمّا تفصيلاً أو تأويلاً أو تفسيراً أو توضيحاً لما ورد في القرآن الكريم بواسطة اللغة الناطقة لأمر المؤمنين ع، فهو القرآن الناطق كما ورد عنه ع لما أراد أهل الشام أن يجعلوا القرآن حكماً بصفيّين، قال: ((أنا القرآن الناطق))^(١).

٢. أنّ لغة الإمام عليّ ع كانت قرآنيّة سواء في بيان دلالة الألفاظ القرآنيّة مثل لفظي (الكلالة) و (أبا)، أو في مجال وصف القرآن الكريم.

٣. أنّ ما جاء من ألفاظ وصف للقرآن الكريم في نهج البلاغة كانت في دلالتها قرآنيّة، مثل وصفه بالناطق الصامت، ووصفه بالناصح والهادي والمحدّث وغيرها.

٤. أنّ لفظ الراسخين الذي ورد في خطبة الإمام عليّ ع كان له التكامل الدلاليّ في بيان العلاقة بين لغة القرآن الكريم ولغة الإمام عليّ ع، فالأئمّة المعصومون هم الراسخون في العلم بتأكيد الروايات الواردة عن أهل البيت ع، وبتأكيد قول الرسول ص: ((إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض))^(٢).

٥. يعدّ الإمام عليّ ع مؤسس النحو العربيّ، فهو بحسب الروايات الواردة الموجّه الأوّل لأبي الأسود الدؤليّ لوضع علم النحو، فضلاً على تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم تفسيراً لغويّاً في أثناء تصحيح الرّد على بعض الأسئلة عندما تطرح على الآخر.

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ع في الكتاب والسنة والتاريخ: ٢٠٦/٨.

(٢) دلائل الإمامة، الطبري: ١٣٧.

٦. لم تقتصر لغة القرآن الكريم عند الإمام علي عليه السلام على تفسير الألفاظ القرآنية، بل شملت القراءات القرآنية أيضاً.

٧. هناك وصف مشترك بين القرآن الكريم وبين الإمام علي عليه السلام وهي كلمة الناطق، فالقرآن وُصِفَ بصامت ناطق في بيان محكمه ومتشابهه، وفي بيان شرائعه وأحكامه، وعلي بن أبي طالب عليه السلام وُصِفَ بأنه القرآن الناطق في العلم بأسرار القرآن الكريم وبيان تأويله، بل حتى علمه بالتوراة والإنجيل فهو علم لدني من الله سبحانه وتعالى، فضلاً على ذلك وُصِفَ الإمام علي عليه السلام بأنه سيد الأوصياء وهو المنصوص على إمامته في بيعة الغدير.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. الإشارات في علم العبارات، خليل بن شاهين الظاهري، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

٢. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح: حسن الأمين، دار المعارف للمطبوعات، ١٩٨٣م.

٣. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، تح: محمد باقر البهبودي، ط ٢، ١٩٨٣م.

٤. بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار القمي، ١٩٣٨م.

٥. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، الشيخ محمد تقي التستري (ت ١٤١٥ هـ)، دار أمير كبير، طهران، ط ١، ١٤١٨ هـ.

٦. تصنيف نهج البلاغة، شرح لبيب وجيه بيضون، مطبعة الإعلام الإسلامي، ط ٣، ١٤١٧ ق، ١٣٧٥ ش.



٧. دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي)، مؤسسة البعثة، قم، ط ١، ١٤١٣ هـ.
٨. شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، تح: الميرزا أبو الحسن الشعراوي، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ٢٠٠٠ م.
٩. شرح التهذيب، عبد الله بن حسين اليزدي (ت ١٠١٥ هـ)، دار البشري، باكستان، ٢٠١٧ م.
١٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.
١١. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ)، تح: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.
١٢. في ظلال نهج البلاغة محاولة لفهم جديد، الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ)، تح: سامي الغريزي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، مطبعة ستار، ط ١، ٢٠٠٥ م.
١٣. الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، تح: تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، ط ٥، ١٣٦٣ ش.
١٤. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين، الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي، تح: حسين الدركاهي أبا محمد حسن حسين آبادي، ط ١، ١٩٩١ م.
١٥. الكليني والكافي، الشيخ عبد الرسول الغفار، ط ١، ١٤١٦ هـ.
١٦. المجازات النبوية، السيد الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)، تح: طه محمد الزيتي، (د.ط)، (د.ت).
١٧. المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (٩١١ هـ)، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.

- ١٨ . مستدرک سفینه البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تح: حسن بن علي النمازي، ١٤١٨هـ.
- ١٩ . المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٢٠ . منهاج البراعة «شرح نهج البلاغة»، ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤هـ)، تحقيق: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣م.
- ٢١ . منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين أبو الحسن سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، تح: السيد عبد اللطيف الكوهكمري، باهتمام السيد محمود المرعشي، مطبعة الخيام، قم، ١٤٠٦هـ.
- ٢٢ . موسوعة الإمام الجواد عليه السلام، السيد الحسيني القزويني، تح: أبو القاسم الخزعلي، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ٢٣ . موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الشيخ محمد الريشهري بمساعدة محمد كاظم الطباطبائي - محمود الطباطبائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٢٤ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تح: دار الحديث، ط ١، (د.ت).
- ٢٥ . النهاية في غريب الحديث والاثار، أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تح: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود أحمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- ٢٦ . نهج البلاغة، صبحي الصالح، مطبعة وفا، دار أنوار الهدى، ط ٤، ١٤٣١هـ.
- ٢٧ . وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٤هـ.

الظواهر اللغوية فيما روي عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

القراءات القرآنية نموذجاً

أ.د. وليد السراقبي / أستاذ الدراسات العليا
التخصص: الدراسات النحوية والصرفية وتحقيق النصوص
جامعة حماة، كلية الآداب

الملخص:

أريد من هذا البحث دراسة ما روي عن الإمام علي عليه السلام عامة؛ للكشف عن القضايا اللغوية التي تمثلت في المرويّات، ثم تخصيص ما روي عنه من قراءات قرآنية كريمة وإخضاعها للتحليل. وجاءت دراسة هذه القراءات المرويّة عن علي عليه السلام من مستويات لغوية، هي:

١. المستوى الصوتي.

٢. المستوى المورفولوجي.

٣. المستوى النحوي.

وهي المستويات التي يسلكها منشئ الخطاب في رسالته اللغوية للمتلقّي، وجاءت هذه الدراسة متكئة على المنهج الوصفيّ، مقروناً بالتحليل الذي يؤدي إلى الإلمام بمكونات الخطاب، وما يتوارى وراء المسطور من دلالات.

الكلمات المفتاحية: الظواهر اللغوية، الإمام علي، المرويّات، القراءات القرآنية

Abstract:

My aim in this research is to study what was narrated about Imam Ali, may Allah be pleased with him, in general, to reveal the linguistic issues that were represented in this narration, then to allocate what was narrated about him from the noble Quranic readings and subject them to analysis.

The study of these readings narrated about Ali, may Allah be pleased with him, came from four levels, which are:

1. The phonetic level
2. The morphological level
3. The grammatical level

These are the levels that the creator of the discourse takes in his linguistic message to the recipient. This study came based on the descriptive approach coupled with the analysis that leads to the understanding the contents of the discourse, and what is hidden behind the stage of meanings.

Keywords: Imam Ali - Narrations - Levels – Discourse.

المقدمة:

تراثنا الدينيّ حافل بمتون روائية غنيّة بالعلم والأدب والحكمة، ومن الرجال التي أغنت الأمّ بنصوصها الروائية بعد النبيّ صلى الله عليه وآله ابن عمّه وزوج ابنته الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقد انتخب بحثنا هذا مجموعة من الروايات للإمام عليه السلام في الجانب القرآنيّ، تلك التي تخصّ القراءات القرآنية، وبحثنا فيها مستويات اللغة، الصوتية والصرفيّة والنحويّة .

وتأتي أهميّة البحث من أهميّة صاحب النصوص، فهو الإمام البليغ الذي ملأت كلماته الدنيا، وخير شاهد تلك الخطب التي جمعت في كتاب (نهج البلاغة)، فقد ضمّ هذا الكتاب خطبهُ عليه السلام وحكمه ورسائله المليئة بالعلم، ولعلّ أدقّ قولة جامعة مانعة قيلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ما رواه ابن الأثير الجزريّ من قول النبيّ صلى الله عليه وآله: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأت بابها))^(١).

وسجّلت كتب علوم القرآن القديمة مجموعة من الروايات تخصّ القراءات القرآنية، ستكون هي هدف البحث، والغاية هو استكشاف الفنون اللغويّة التي استعملها الإمام علي عليه السلام في كلامه، والوقوف على دلالاتها فيما يخصّ تفسير القرآن وقراءاته، وقد استعملنا المنهج الوصفيّ الذي يتخلّله التحليل في المادّة المقصودة بالبحث، وقد قسّمنا بحثنا على مقدّمة، وتمهيد، وثمّ نقاط مثلت كل نقطة مستوى من المستويات اللغويّة الأربعة، وأخيرًا ذكرنا نتائج البحث ومصادره، ونسأل الله أن يوفّقنا في هذا العمل، ويكفنا الزلل والحمد لله من قبل ومن بعد .

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٩٥ / ٤ .



التمهيد:

أولاً: الإمام عليّ ومروياته في القرآن:

تعددت مرويات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قلّة وكثرةً في مصادر الأدب واللغة والتفسير، ويستطيع الدارس أن يوزّع مرويات الإمام علي عليه السلام في المصادر المتقدمة بين الدلالة المعجميّة من جهة، كما في معجم العين، ومقاييس اللغة، وتهذيب اللغة، وكتب الغريب، وتفسير بعض ألفاظ آيات القرآن الكريم، وبين مسائل النحو من جهة ثانية، والقراءات القرآنية من جهة ثالثة، وأنّ كتب التفسير، كالجامع لأحكام القرآن، والمححر الوجيز، والكشف البيان، والبحر المحيط ضمّت مواضع التفسير اللغويّ والقراءات القرآنيّة، في حين اقتصرت بعض كتب النحو كأوضح المسالك، وشرح الأشمونيّ وشرح التصريح على التوضيح، على مسائل النحو والصرف إلا ما كان وجهًا من أوجه القراءة القرآنيّة ينجم عنه وجه نحويّ.

وفي تفسير القرآن كان عليّ عليه السلام على رأس من أخذ عنه تفسيره، فقد جاء في تفسير أبي حيّان الأندلسيّ المشهور بـ (البحر المحيط) قوله: ((والمنقول عنه الكلام في تفسير القرآن من الصحابة جماعة، منهم: عليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، فهؤلاء مشاهير من أخذ عنه التفسير من الصحابة، رضي الله تعالى عنهم، وقد نقل عن غير هؤلاء غير ما شيء من التفسير))^(١).

وقد روي عنه أنّه قال: ((سلوني عن كتاب الله، فوالله ما نزلت آية من كتاب الله في ليلٍ ولا نهارٍ ولا مسيرٍ ولا مقامٍ إلاّ وقد أقرأنيها))^(٢)، وعبد الله بن عباس،

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١٣٤ .

(٢) م . ن : ١٧٤ .



رضي الله عنه، الملقب بـ (حَبْرُ الأُمَّة) و (ترجمان القرآن) أقرّ بتواضع علمه إذا ما قيس إلى علم أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، فقال: ((فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ كالقرارة في المثنعجر))^(١). وأقرّ عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما، أنّ ما أخذه من تفسير القرآن فعن عليّ^(٢).

ولعل ما يشهد على ذلك أمران:

الأوّل: كثرة ورود اسم الإمام عليّ في تفاسير القرآن الكريم^(٣)، تفسيرا، وقرارات.

الثاني: حادثة المرأة التي وضعت وليدها لستّة أشهر فهمّ عمر بن الخطاب، برجمها فكفّه عليّ عليه السلام، وقال له: خاصمتك بكتاب الله، إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ويقول جلّ تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤]، فمدّة الرضاعة أربعة وعشرون شهرا، وحمله وفساله ثلاثون شهرا، فالحمل فيها ستّة أشهر، فما كان من عمر إلا أن أطلق سراحها، وقال قولته المشهورة: ((لولا عليّ لهلك عمر))^(٤).

وفي كتب التفسير كثير من المواضع التي نُقل تفسيرها عن علي عليه السلام، فقد ذكر ابن عطية الأندلسي أنّ أكثر ما روي من التفسير عن الخلفاء الراشدين إنّما هو عن الإمام عليّ، كرم الله وجهه^(٥)، ولذلك جملة من الأسباب، منها:

(١) النهاية في غريب الحديث: [فهارس الكتاب]. والقرارة: ما اطمأنّ من الأرض فلا يمسك ماء. المثنعجر: أكثر مواضع البحر ماءً.

(٢) م. ن. ٤١ / ١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة: ٣ / ٣٩.

(٤) ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ١١٠٣، ودرج الدرّ في تفسير الآي والسور: ١ / ٢٩٧.

(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ١٣.



١. نشأته في بيت النبوة.

٢. ترعرعه في بيت النبي، عليه الصلاة والسلام.

٣. نهله من علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤. زواجه من فاطمة بنت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن كانت هذه حاله فلا عجب أن يضرب بالسهم الأوفر من تفسير كتاب الله تعالى، وأن يكون له هذا الحضور البيّن في تفسير كتاب الله، فقد قال فيه أبو عبد الرحمن السلمي: ((ما رأيت ابن أثنى أقرأ لكتاب الله من علي))^(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] روي عنه أنه صلى الصبح بالناس، ثم قال: ((الآن تبيّن الخيط الأبيض من الخيط الأسود))، قال الطبري: ((ومما قادمهم إلى هذا القول أنهم يرون أنّ الصوم إنّما هو في النهار، والنهار عندهم من طلوع الشمس؛ لأنّ آخره غروبها))^(٢).

وقل مثل ذلك عن علمه في غريب اللغة، ومنها ما ليس بعربي الأصل، فقد حوت كتب غريب الحديث مواضع ورد ذكره فيها وتضمّنت ألفاظاً غريبة البناء ممّا يدخل تحت الترادف، أو التضادّ، ففي كتاب (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير مئات المواضع منها^(٣). واستشهد أصحاب المعاجم^(٤)، وكتب معاني القرآن^(٥)، والتفاسير^(٦) بكثير من أقواله.

(١) المحرر الوجيز: ١٣ / ١.

(٢) م. ن: ٢٥٨ / ١.

(٣) ينظر: فهارس الكتاب، ط. محمود الطناحي، وطبعة قطر.

(٤) ينظر: مواضع عدّة من: معجم العين ١: ٧٣، ١٣٣، ١٧٩: ٣، وتهذيب اللغة: ٢٦١، ٥٣٤، ٥٦٢، ٥٨٥.

(٥) ينظر مثلاً: معاني القرآن للأخفش: ٨١، ١٦٦، ٢٤٥.

(٦) استشهد أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره (الكشف والبيان) بأقوال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في ٥٧٠ موضعاً، ما بين تفسير وقرآيات واستشهد القرطبي كذلك في ١٥٦ موضعاً. وينظر: روح المعاني فقد بلغت استشهاده بتفسير الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣٦) موضعاً.

وكان لأقواله عليه السلام أن جرت مجرى الأمثال والأجوبة المسكتة، ومن ذلك ما رواه الإمام اللغويّ، أبو عبيد الهرويّ (ت ٢٢٤هـ) أن رجلاً أثنى عليه في وجهه، فقال له عليّ: ((أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك))^(١)، وقوله: ((العلوم أودية في أيّ واد أخذت منها خسرت فخذوا من كلّ شيء طرفاً))^(٢)، وقوله: ((لأقطع في الدّغرة))^(٣).

وكان له في النّحو القُدح المعلّى، وله عليه الفضل الأوفى؛ ذلك أن ثمة شبه إجماع بين أصحاب التراجم على أن عليّاً واضح اللبّات الأولى له؛ فقد ذكر ابن الأنباري (ت ٥٧٧هـ) وغيره أن عليّاً عليه السلام، واضح أسسه الأولى، ورأسم حدوده، وعنه أخذ أبو الأسود، فقد نقل القفطيّ ما رواه أبو الأسود نفسه إذ قال: ((دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فوجدت في يده رقعة فقلت: ما هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: إنّي تأملت كلام فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، فأردت أن أضع لهم شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه، فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثمّ ألقى إليّ الرقعة، وفيها مكتوب: الكلام كلّ اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمّى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل))^(٤). ثمّ زاد أبو الأسود على ذلك أبواب العطف والنعته والتعجب والاستفهام... حتّى إن مصطلح (النحو) إنّما يسند إطلاقه على هذا العلم إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ذلك أن أبا الأسود عرض

(١) الأمثال، الهرويّ: ٤٥.

(٢) البحر المحيط: ٤/ ٤٠، والطرف هنا: الخيار؛ أي: فخذوا خيارها.

(٣) غريب الحديث، ابن سلام: ١/ ١٥٤. وكتاب الغريبيين: ٦٣٩، والفائق في غريب الحديث والأثر: (مواضع عدة)، والنهاية في غريب الحديث: (مواضع عدة).

(٤) إنباه الرواة على أنباه النحاة: ١/ ٣٩، وينظر: مراتب النحويين: ٦، والفهرست: ٦٦. والأشباه والنظائر: ١/ ٩-١١.



مسائل النَّحو على الإمام علي فقال له الإمام: ((ما أحسن هذا النَّحو الذي نحوت))^(١)، فعرف هذا النحو فيما بعد بهذا الاسم.

أما ما رُوي عنه من مرويات تمثل ظواهر اللغة نحوها وصرفها ودلالاتها فجمٌّ غفير، يكاد يغطِّي كثيرًا من أبواب النَّحو عامَّة، ويمكن فَرش بعضها على وفق القرائن النَّحويَّة الآتية:

أ. الإسناد: والإسناد قرينة معنويَّة تقوم على الربط بين عنصرَي الإسناد: الفاعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، ولا غنى للمسند عن المسند إليه وليس لأحدهما بدٌّ عن الآخر^(٢). ولكن قد يغيب أحد هذين العنصرين لغاية دلاليَّة، كأن يحذف المسند، ومنه ما استدلَّ به الرضويُّ الأستراباذيُّ من قول الإمام علي عليه السلام في إحدى خطبه قاصدًا تعظيم أمر الساعة وتهويله: ((فاللَّه الله عباد الله! فإن الدنيا ماضية بكم على سنن، وأنتم والساعة في قرن، وكأنها قد جاءت بأشراطها، وأزفت بأفراطها))^(٣).

وأورد الرضويُّ الأستراباذيُّ الشاهد (وأنتم والساعة في قرن) في معرض حديثه عن تغيب المسند (الخبر)، مؤكِّدًا أنه حُذف حذفًا جائزًا؛ لأنَّ المسند إليه مصحوب بمبتدأ تسبقه او بمعنى (مع) على غرار قولهم فيما رواه سيبويه: (كلُّ رجلٍ وضيعته)، وقولهم: (كلُّ امرئٍ وشأنه)؛ إذ التقدير في الحالين: (كلُّ امرئٍ وضيعته أو شأنه مقترنان)، فالخبر في قول الإمام علي عليه السلام، محذوف حذفًا واجبًا للعلة التي ذكرناها في مروِّي سيبويه عن العرب^(٤).

(١) غاية النهاية في طبقات القراء: ٢/٦٢٦، ومن تاريخ النحو، سعيد الأفغاني: ٢.

(٢) الكتاب: ١/٢٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٣/١١٠، وينظر: شرح الكافية للاسترابادي: ١/٣٢٧. السَّننُ: الطريقة والمنهاج. القَرَن: الحبل الذي يشد به البعير إلى غيره. الأَشْرَاط: الدلائل والعلامات. الأَفْرَاط: مفردُها (فَرَط)، وهو العلم المستقيم الذي يُهتدى به.

(٤) ينظر: الكتاب: ١/٢٩٩، وشرح كتاب سيبويه، السيرافي: ٢/١٩٨.

وقد عقد سيبويه بابًا لهذه القضايا، فقال: ((هذا بابٌ معنى الواو فيه كمعناها في الباب الأول^(١)) إلا أنها تعطف الاسم هنا على ما لا يكون ما بعدها إلا رفعًا على كل حال، وذلك قولك: أنت وشأنك، وكلُّ رجلٍ وضيعته))^(٢)، ومن شواهد قول المخبّل السّعدي^(٣):

يا زُبْرُقَانُ أَخَابَنِي خَلْفِ
 مَا أَنْتَ - وَيَبَ أْبَيْكَ - وَالْفَخْرُ

فقد رفع (الفخر) عطفًا على (أنت) مع أن الواو في معنى (مع)، ويمتنع النصب هنا؛ لعدم وجود فعلٍ يتعدّى إليه فينصبه على المعية.

ونظير ذلك ما روي عن الإمام عليّ قوله في إحدى خطبه التي يصف فيها حال المتقين، وقد سأله صاحبه همام ذلك: ((ولولا الأجل الذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقًا إلى الثواب، وخوفًا من العقاب، عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون))^(٤).

ففي العبارتين اللتين هما موضع الاستشهاد على قضية تغييب الخبر لقريئة دالة عليه، هي الواو التي بمعنى (مع) يضاف إلى ذلك أن الخبر - وإن كان اسمًا جامدًا - قد يحمل ضمير رابطًا له بالمبتدأ، وهو الهاء في (رآها).

(١) أراد به الباب الذي سبقه، وهو (هذا بابٌ ما يظهر فيه الفعل ويتنصب فيه الاسم؛ لأنه مفعول معه ومفعول به)، الكتاب: ٢٩٧/١.

(٢) م. ن: ٢٩٩/١.

(٣) م. ن: ٢٩٩/١، وينظر تخريجه ثمة.

(٤) نهج البلاغة، جمعه ونسق أبوابه العلامة الشريّف الرضوي، شرحه وضبطه الإمام محمد عبده: ١٨٥.



ب. التخصيص: وهو ((علاقة سياقية كبرى وإن شئت فقل: قرينة معنوية كبرى تتفرّع عنها قرائن معنوية أخصّ منها))^(١). ومما يتفرّع عنها قرينة التحديد والتوكيد، والغائية. ومن أمثلة القرينة الفرعية الأولى (التحديد والتوكيد) ما يسمّى (المفعول المطلق) كما في قول الإمام علي عليه السلام، الذي استشهد به الرضي الأستراباذي، وهو جزء من خطبة رواها عنه نوف البكالي التابعي، فقال: ((الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر، نحمده على عظيم إحسانه ونير برهانه ... حمداً يكون لحقه قضاء، ولشكره أداء، وإلى ثوابه مقرباً ولحسن مزيده موجباً))^(٢).

لقد أكد الإمام علي، كرم الله وجهه، العامل (نحمده) بالمصدر (حمداً)، وفي ذلك تحديد وتوكيد لمعنى حمد الله - تعالى - على ما أفاء على الإنسان من نعم، فخصصه بالمصدر من جهة، وهو مصدر منكر، ووصفه لمزيد من التخصيص والبيان، فهو حمد واجب يكون إقراراً بحق الله - تعالى - وشكراً له، وتقرباً من ثوابه وابتعاداً عن عقابه، واستزادة من فضله.

وثمة قضايا نحوية كان كلامه عليه السلام، موضع شواهد تثبتها، فمن أمثلة الظواهر النحوية الأخرى:

١ - حذف مفعول (الخالفة = صيغة التعجب)، كقوله^(٣):

جزى الله عني والجزاء بفضله ... ربيعة خيراً ما أعف وأكرما

٢ - تقدير ضمير الشأن في (كان)؛ إذ من أحوال (كل) أن تضاف إلى ضمير

(١) اللغة العربية معناها ومبناها: ١٩٤.

(٢) نهج البلاغة: ٤٢٥.

(٣) ديوان الإمام علي المعروف بـ (أنوار العقول من أشعار وصي الرسول) جمعه قطب الدين الكيدري:

٢٧٠، وروايته ثمة: جزى الله قومًا قاتلوا في لقائهم لدى الموت قدماً ما أعز وأكرما، وينظر: التذييل

والتكميل ١٠/١٩٧، وشرح التصريح: ٨٤/٢.



يُلفظ به، وألا يعمل فيها غالباً إلا الابتداء، نحو: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ فيمن رفع (كلاً)؛ لأنَّ الابتداء عامل معنوي، ولا يجب أن يكون منه قول عليٍّ عليه السلام (١):

فلمَّا أتانا بالهَدْيِ كان كلُّنا ... على طاعةِ الرَّحْمَنِ والحقِّ والتَّقَى

ف (كان) هنا لا تكون ناسخة، والأولى أن يقدر فيها ضمير شأن، ليصبح التقدير: كان الشَّأنُ كلُّنا على طاعةِ الرَّحْمَنِ (٢).

٣- حذف الباء من (أن - أن) في خالفة التعجب، فقد منع ابن الخبَّاز حذف الباء من (أن - أن) في صيغة التعجب، والواجب اتِّصالها بها، وجاء سقوطها في شعر الشَّريف الموسويِّ، فقال (٣):

أهْوَنُ عَلَيَّ إِذَا امْتَلَأْتُ مِنَ الْكُرَى ... أَنِّي أُبَيْتُ بَلِيلَةَ الْمَلْسُوعِ

وجاء في قول لعليٍّ عليه السلام حين قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رضي الله عنه: ((أعزز عليَّ أبا اليقظان أن أراك صريعاً مجدلاً)) (٤).

٤- إعمال (إذا) الفجائية عمل (وجدت)، نحو قولنا: (إذا زيدَ القائم)، ينصب (القائم) بقراءة عليٍّ عليه السلام (٥): ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ١٤] بالنصب؛ أي: نُوجِدُ عُصْبَةً، أو: نُرَى عُصْبَةً (٦).

(١) ينظر: أنوار العقول من أشعار وصي الرسول: ١٠٤ .

(٢) ينظر: شرح التسهيل: ٣٠٠ / ٣.

(٣) ديوان الشَّريف الرُّصِّي: ٦٥٢، وفيه شاهد آخر على جواز الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه بغير شبه الجملة، وهو ما منعه ابن مالك وابنه، وردَّ أبو حيَّان ذلك. ارتشاف الضرب: ٢٠٦٦ .

(٤) ينظر: شرح التسهيل: ٤١ / ٣، والتذليل والتكميل: ٢١١ / ١٠، ٢١٣، والجنى الداني: ٤٩ .

(٥) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٤٤٦ / ٢، والبحر المحيط: ٢٤٢ / ٦.

(٦) ينظر: مغني اللبيب: ١ / ١٢٦، وشرح الكافية للرُّصِّي: ١ / ٣٢٧، ٣٥١، ٣٥٤، ٦١٢، ٦٩٩، ٧٠٨،

٩٢٥، وزاد المسير في علم التفسير: ٤١٨ / ٢ .



ثانياً: القراءات القرآنية:

تعرّف القراءات بأئها: ((اختلاف ألفاظ الوحي في الحروف وكيفيتها، من تخفيف وتشديد وغيرهما))^(١)، ومردّ قضيّة القراءات في أساسها إلى ما عُرف بـ (الأحرف السبعة) فقد تواتر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ))^(٢)، وهو حديث متواتر عن جمّع من الصحابة بلغوا واحداً وعشرين صحابياً^(٣).

وقد ساق السيوطي في الإتقان ما أخرجه أبو يعلى في مسنده أنّ عثمان بن عفان قال وهو على المنبر: ((أذكر أنّ رجلاً سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلّها شافٍ كافٍ لمّا^(٤) قام، فقاموا حتّى لم يُحصّوا، فشهدوا بذلك، فقال: وأنا أشهد معهم))^(٥).

وكثيراً ما كان يختلف صحابيان في حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قراءة سورة ما فيحتكمان إلى النبي، نحو ما نُقل عن هشام بن حكيم، أنّه كان يقرأ سورة الفرقان أيام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان عمر بن الخطاب، قد سمعه يقرأها على حروف لم يُقرئه إيّاها النبي عليها، فأمسك بلبّة هشام وسأله: ((من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأها؟ قال: أقرأنيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال له: كذبت، فوالله إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها! فانطلق به إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال له: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها وأنت أقرأني سورة

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢٥٠ / ١.

(٢) رسالة (القراءات) لعلامة الشام، أحمد راتب النفاخ، مخطوط لدي.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن: ١٤٥ / ١.

(٤) لمّا بمعنى (إلاً) هنا.

(٥) الإتقان في علوم القرآن: ١٤٥ / ١.



الفرقان! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام! فقرأ القراءة التي سمعته يقرأها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله، هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منها^(١). ولعلَّ أجمع قول يفسر هذه الأوجه ما قاله ابن قتيبة في كتابه (تأويل مشكل القرآن)^(٢) أن المراد بها الأوجه التي يقع فيها التغير، وهي:

١- الاختلاف في حركتي الإعراب أو البناء من غير أن تُزال الكلمة عن صورتها ولا عن معناها، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، برفع (يضار) وفتح. ومنه قوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] وَ: (أطهر).
٢- الاختلاف في إعراب اللفظ وحركات بنائه بما يغير معناه، ولكن لا يغيّر صورته، نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩] وَقرئ: (باعد بين أسفارنا).

٣- الاختلاف في حروف اللفظ من دون تغير إعرابه، مع تغيير الصورة والمعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقرئ: (نشرها).

٤- الاختلاف في اللفظ بما يغيّر صورته في القرآن من دون معناه، كقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ [يس: ٢٩]، وقرئ (إِلَّا زَقِيَّةً) وقوله: ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥]، وقرئ: (كَالْصُوفِ).

٥- اختلاف اللفظ صورة ومعنى، نحو قوله تعالى: ﴿وَوَطَّحِ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩]، وقرئ: (وطح منضود).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٨٣/١، وتأويل مشكل القرآن: ٣٤.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٣٦ - ٣٨، والإتقان في علوم القرآن: ١٤٦/١.



٦- الاختلاف في التقديم والتأخير، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] وقرئ: (وجاءت سكرة الحق بالموت).

٧- الاختلاف في الزيادة والنقصان، كقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٣٥]، وقرئ: (وما عملت أيديهم).

١- المستوى الصوتي: غير خاف أن الصوت هو المكوّن الأساسي للمبنى اللغوي، وهذا الصوت ينشعب شعبيّن: الأول هو المكوّن الداخلي للفظ، ويُعرف بحروف التهجي (١ - ي)، والثاني يراد به الصّويت الذي يشير إلى بنية اللفظ، كأن يكون على (فَعَلَ = كَتَبَ) أو (فَعُلَ = حَسُنَ) في الأفعال المجرّدة، أو على (فِعِلَ = إِبِلَ)، أو على (فَعُلَ = شَهْمَ)، أو (فِعُلَ = نِكْسَ) في الأسماء، وما إلى ذلك.

ويُراد به أيضًا العلامة الإعرابية التي تحدّد القرينة المعنويّة التي ينتمي إليها اللفظ، كالضّمّة التي تشير إلى حال الإسناد، والفتحة التي تشير إلى قرينة التخصيص (المفعول به)، أو الغائية (المفعول لأجله) أو الملازمة (الحال)، والكسرة التي تشير إلى قرينة الإضافة.

ففي القراءات القرآنيّة عامّة قد يكون تحوّل المبنى من صيغة إلى صيغة أخرى من خلال هذه التحوّلات الداخليّة من جهة، كأن يكون التحوّل من (فَعَلَ = مَلِكٌ) إلى (فَعَلَ = مَلِكٌ) أو (فَاعِلٌ = مَالِكٌ)، وقد يكون التحوّل في القرينة الإعرابيّة من الرفع على معنى باب نحويّ إلى النصب على معنى باب آخر. مثال ذلك - والأمثلة كثيرة - قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٩]، فقد قرأ عدد من القراء ومنهم عاصم: (ترحمنا) بالتاء الدالة على المخاطب، بدل (يرحمنا) بالياء للغيبة مع نصب (ربّنا). فالوجه برفع (ربّنا) يكون (ربّنا) فاعلاً، أو على أنه خبر عن غائب. أمّا



قراءة النَّصْب في (رَبَّنَا) فهو على التَّخْصِصِ بالنِّدَاءِ^(١).

ولا تخرج أوجه القراءات المروية عن الإمام علي عليه السلام، على هذا السَّمْتِ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]؛ إذ رويت في (غير) قراءة بالجرِّ على التبعية - الإبدال من (الذين) -، والتبعية قرينة معنوية. ورويت قراءة أخرى بنصب (غير) على معنى قرينة الإخراج (الاستثناء)، وهي قرينة معنوية أيضًا، وجاء هذا النَّصْب على الاستثناء الخارج من أوَّل الكلام، ((وذلك أنه إذا استثنى شيئًا ليس من أوَّل الكلام في لغة أهل الحجاز فإنه ينصب))^(٢).

وقراءة النصب وصفها الطبريُّ بالشذوذ^(٣)، ونسبها ابن مجاهد إلى ابن كثير^(٤)، ونسبها ابن خالويه^(٥) إلى النبي صلى الله عليه وآله، ومجموعة من الصحابة ومنهم عليّ.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [البقرة: ٤٩]، فالرفع قراءة الجمهور على أنه مبتدأ خبره (من ربك)، ويجوز أن يكون خبرًا لمبتدأ محذوف والتقدير: هو الحق. وقرأ علي عليه السلام: (الحق) بالنصب، فتحوّلت الآية بذلك من معنى الإسناد إلى معنى التَّخْصِصِ بالمفعول به، أو إلى التبعية، ففي هذه القراءة أوجه ثلاثة:

١. النصب على التبعية بإبداله من (الحق) المكتوم.

٢. النصب بإضمار فعل (الزم) بدلالة ما بعده من الخطاب في قوله تعالى: (فلا تكوننَّ من الممترين).

(١) ينظر: التحوّل في التركيب وعلاقته بالإعراب في القراءات السبع: ٥٠ وما بعدها.

(٢) معاني القرآن، الأخفش: ١٦٦.

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٨٣/١.

(٤) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ١٢٣/٥.

(٥) ينظر: القراءات الشاذة، ابن خالويه: ١.



٣. النصب بالفعل (يعلمون) قبله، وعلى هذا تكون الآية ممّا وقع فيه الظاهر موقع المضمّر، والتقدير: وهم يعلمونه كائنًا من ربك. قال أبو حيّان مستحسنًا هذا الوجه أكثر من الوجهين المتقدمين: ((وذلك سائغ حسن في أماكن التفخيم (والتهويل))^(١) واستدل بقول الشاعر^(٢):

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْئًا
نَغْصَ الْمَوْتُ ذَا الْغِنَى وَالْفَقِيرَا

ونحو ذلك أيضًا الخلاف في بناء (التاء) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، فالكسائي وحده قرأها بضم التاء من (عَلِمْتُمْ)، وقرأ الباقر: (لقد علمت) بفتح التاء. ونسبت قراءة الكسائي بضم التاء على معنى التكلم إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. واحتج كل فريق بحجّة، فالذين قرؤوا ببناء الخطاب (علمت) رأوا أنّ فرعون وأتباعه علموا صحّة ما أرسل به موسى، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿لَئِنْ كَشَفْتُمْ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الإسراء: ١٢]، و: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٩]. وبذلك يصح الاحتجاج عليه بعلمه ولا يكون علمه حجّة على فرعون، إنما يكون علم فرعون ما علمه من صحّة أمر موسى حجّة عليه، فالقول أنّه لما قيل له: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُم لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] كان ذلك قدحًا في علمه؛ لأنّ

(١) البحر المحيط: ٣٤/٢، وينظر: المحرّر الوجيز: ٢٢٤/١، والدّر المصون: ١٧٠/٢.

(٢) البيت لعدي بن زيد العبادي: ٦٥، وعزي إلى سواده بنّ عدي بن زيد في: الكتاب لسبويه: ١/٦٢، وإلى سواده أو أمية بن أبي الصلت في: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب: ٤٣.

المجنون لا يعلم، فكأنه نفى ذلك فقال: لقد علمت صحة ما أتيت به علمًا صحيحًا كعلم العقلاء، فصارت الحجة عليه من هذا الوجه^(١).

ومثل ذلك مَطْل حركة الإعراب، كالضمّة على النون في الفعل (نستعينُ)، فقد ذكر الخليل بن أحمد فيما نقله ابن خالويه في (شواذه) عنه أن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ((كان يقرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، يُشْبِعُ الضمّة في النون، وكان عربيًّا قلبًا؛ أي محضًا... وقد روي عن ورش أنه كان يقرأها كذلك))^(٢). وغير خافٍ أن مثل هذا الإشباع لا يغيّر دلالة، فلا يعدو أن يكون عادة تداولية اعتادتها العرب في بعض لهجاتها، وإن كنت أميل إلى أن هذا المَطْل للحركة يهدف إلى توكيد الفاصلة في سمع المتلقي من جهة، والتمتع باستراحة الترتّم والتنغيم قبل الانتقال إلى الآية الأخرى، ولا سيّما أن من قواعدهم عدم الوقوف على متحرك.

٢- المستوى البنيوي: والمراد به التحوّلات الحاصلة في البنية الصرفيّة الدّاخلية للفظ ما، ومظاهرها متعدّدة، وهي:

١. التحوّل من المبني الإسمي إلى الفعليّ، وهو تحوّل مفضٍ إلى تحوّل دلاليّ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣] على صيغة اسم الفاعل (مالك) مضافًا إلى الاسم الذي يليه. فقد نقل ابن عطية أن عليًّا عليه السلام قرأها: (مَلَك) فعلاً ماضيًّا، و(يوم) بالنصب مفعولًا به له، وبهذه القراءة قرأ أبو حنيفة، وأبو حيوة، وجبير بن مطعم، وأبو عاصم عبيد بن عمير اللّيثي، والحسن، ويحيى بن يعمر. وقرأها الأعمش بصيغة اسم الفاعل منصوبًا (مَالِك)^(٣).

(١) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ١٢٣/٥.

(٢) مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع: ١

(٣) ينظر: روح المعاني: ٨٥/١.



ونظير ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] ف (نور) اسم ذات على زنة (فَعْل)، وهو في لغة العرب: الضوء الذي يُدْرِكُ بالبصر، وموقعه الإعرابيُّ الخبرية للفظ الجلالة قبله، فيكون إسناده إلى الله، تعالى، من باب المجاز، فهو من باب الوصف بالمصدر دلالةً على الكمال، كقولهم: (زيدٌ عدلٌ)، و(فلانٌ كرمٌ). وخرَّج هذا الإسناد على وجهين: إمَّا أن يكون بمعنى اسم الفاعل؛ أي منور السماوات والأرض، وإمَّا على تقدير محذوف؛ أي ذو نورٍ.

وقرأ عليُّ بن أبي طالب، وزيد بن ثابت بن أبي حفصة: (نور) على أنه فعلٌ ماضٍ، وما بعده نصب به، وهي قراءة عاضدة توجيه (نور) بمعنى (منور) اسم فاعل.

وأما القراءة الثانية فيعضدها سياق الآية، وهو قوله تعالى من بعد: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾، وفي هذه القراءة يجعل (نور) على سبيل المبالغة في المدح. مع أن القراءة الأخرى (نور) فعلٌ ماضٍ تدلُّ على التوكيد في بسط النور وعدم الشك فيه؛ لأن من دلالة صيغة الماضي الدلالة على حصول الحدث حصولاً مؤكداً لا لبس فيه.

٢. التحوُّل من صيغة اسمية إلى صيغة أخرى مع الإبدال في الأصوات: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢]، فقد قرأها عليُّ بن أبي طالب ع (جيبلاً)، بجيم مكسورة تليها ياء، واحد (الأجيال). و(الجبل) في اللغة يعني الجماعة، فالجيم والياء واللام يدلُّ على التجمع^(١)، ويقدر في علم السكان بثلاث وثلاثين سنة. أمَّا (الجبل) بباء موحدة من تحت فالأمة العظيمة، ففي مقاييس اللغة: ((الجيم والباء واللام أصل يطرد ويُقاس، وهو تجمع الشيء في ارتفاع ... والجبل: الجماعة العظيمة الكثيرة ... والجبل: الخليفة، والجبل: الجماعة

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ١ / ٤٩٩ (ج ي ل).



الكثيرة))^(١). ونقل عن الضحّاك^(٢) أن أقلّ (الجبل) عشرة آلاف، وبذا تكون هذه القراءة أدلّ على العظمة، إذ لا دلالة في (الجبل) على مثل ذلك.

٣. التحوُّل من الجمع إلى الأفراد: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَذَرِكْ وَأَلْهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] والعامّة على قراءة الجمع (ألْهَتَكَ) جمع (إله). وقرأها عليّ بن أبي طالب وابن مسعود وجماعة كثيرة (وإلاهتك) مؤنثة، والعربُ تسمّي الشمس (إلاهة)، فعلى هذه القراءة تكون (إلاهة) اسمًا علمًا للمعبود، وهو الشمس، ويراد بها معبود فرعون. فقد جاء في التفسير أنه كان يعبد الشمس، والشمس تُسمّى: (إلاهة) علمًا لها، فهي على ذلك ممنوعة من الصرف للعلميّة والتأنيث.

ولهذه القراءة وجه آخر هو أنّ (إلاهة) مصدر بمعنى العبادة، ويكون المعنى: (ويذر عبادتك)؛ لأنّ قومه كانوا يعبدونه. وروي عن ابن عباس أنّه كان يُنكر قراءة العامّة (ألْهَتَكَ)، وكان يقرأ: (إلاهتك)، وكان يقول: إنّ فرعون كان يُعبد ولا يَعْبُد^(٣).

٤. التحوُّل من صيغة المجرّد إلى المزيد: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَذِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٩] فقراءة حمزة، وأبي بكر، وعاصم: (فأذِنُوا) على زنة (فاعِلُوا) من الفعل (أَذَنَ يُوَازِنُ = فاعِلٌ يُفَاعِلُ) والباقون من غير مدٍّ من الفعل (أَذَنَ يَأْذِنُ)، فهمزته ساكنة. وهي قراءة معزّوة إلى عليّ بن أبي طالبٍ ﷺ، وهي اختيار أبي عبيد، وأبي حاتم.

وقراءة (أَذِنُوا) تعني: أعلموا غيركم، فأمر المخاطبون بترك الرّبا وأنّ يُعلموا

(١) م. ن: ١/٥٠٢.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٧٨/٩.

(٣) ينظر: الدرّ المصون: ٤٢٤/٥.



غيرهم ممن هم على حالهم في المقام بالربا بمحاربة الله ورسوله، ويكون المفعول على هذه القراءة محذوفاً، وقد صُرح به في قول الشاعر^(١):

أذنتنا ببينها أسوء
ربّ ثاوٍ يُملُّ منه الثَّوَاءُ

وفي قوله تعالى: ﴿تَوَلَّوْا فَقُلْ أَدْنَتْكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩].

وذهب أبو البقاء العكبري إلى أن الهمزة في (فأذنوا) هي للصيرورة لا للتعدية، فالمعنى: صيروا عالمين بالحرب^(٢). قال السَّمِينُ: ((وفيه بُعدٌ كبيرٌ))^(٣).

أمّا قراءة القصر (فأذنوا) فهي فعل أمرٍ من (أذن = فعل يأذن)؛ أي: عَلِمَ يَعْلَمُ، والمعنى: فاعلموا، يقال: أذِنَ به فهو أذِين، أي: علم به فهو عليم.

وأكد الثعلبي أن المعنى في حال القصر: ((فاعلموا أنتم واسمعوا. يقال: أذِنَ للشَّيءِ يَأْذِنُ إِذْنًا وَأَذْنًا وَأَذَانَةً: إِذَا سَمِعَهُ وَعَلِمَهُ... وَمِنْ مَدِّ فَمَعْنَاهُ: فَاعْلَمُوا غَيْرَكُمْ))^(٤).

ونظير هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٣٧]، فقد قرأها علي بن أبي طالب، وأبو رجاء، وجويّة بن عائذ بزيادة الألف: (تَنَسَّوْا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)^(٥) على المفاعلة بين اثنين والاشتراك بينهما قياساً على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات: ١١]. ولعلّ هذه الصيغة أعظم حملاً للمعنى؛ فإذا كانت قراءة (فلا تنسوا) نهياً عن النسيان من أصله حاضرًا ومستقبلًا، فإنّ قراءة

(١) البيت معلقة الحارث بن حلزة، وهو في ديوانه: ٦٦.

(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١/ ٢٢٤.

(٣) الدرّ المصون: ٢/ ٦٤٠.

(٤) الكشف والبيان من تفسير القرآن: ٧/ ٤٣٠.

(٥) ينظر: المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ١/ ١٢٧.



(تناسوا) تشير إلى أكثر من هذا؛ إذ فيها نهي عن الادّعاء بالنسيان من جهة؛ لأنّ من دلالات هذه الصيغة التظاهر والادّعاء، وفيها معنى عدم اشتراك جمع في النسيان^(١). ولعلّ هذا يشير إلى وجوب تذكير القوم بعضهم بعضًا، ثمّ إنّ الأصل النهي عن النسيان من أصله، وقد علّق ابن عطية على قراءة (تناسوا) بأنّها قراءة المعنى؛ لأنّه موضع تناسٍ لا نسيان على التشبيه، ثمّ إنّ متمكّنة فيها ندبًا إلى المجاملة^(٢).

ومنه أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [لقمان: ٣١]، وهي قراءة العامّة، وفي هذه الآية وردت قراءتان متناقضتان عن عليّ: إحداهما متطابقة مع قراءة العامّة التي ذكرناها في البدء، وسرّكه فيها أبو عبد الرحمن السّلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار. والثانية (يُسَلِّم) ^(٣) بصيغة التّضعيف على زنة (يفعل)، وهي منسوبة إلى عليّ بن أبي طالب، وأبي عبد الرحمن السّلمي على معنى التّكثير، إذ يقال: (أسلّم أمرّك إلى الله) و(سلّم أيضًا) و(أسلّم) و(سلّم) يتعارضان، إذ يقال: سلّمت بمعنى (دفعت) ومنه (سلّمت في الحنطة)، ويقال: أسلّمت.

أمّا سرّ التعدية باللام في صيغة (أسلّم) الواردة في قوله تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] فإنّ المراد أنّه مع اللام جعل وجهه وذاته ونفسه سالمًا لله، أي: خالصًا له، أمّا تعديته بـ (إلى) فراجع إلى أنّه سلّم نفسه إليه كما يسلّم المتاع إلى الرجل إذا دُفِعَ إليه، والمقصود التّوكل على الله وتفويض الأمر إليه^(٤).

(١) ينظر: م. ن. ١ / ١٢٧.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ١ / ٣٢٢.

(٣) الكشف والبيان من تفسير القرآن: ٢١ / ٢٤٢.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣، ص: ٤٩٩، والجامع لأحكام القرآن: ١٤ / ٧٥.



٥. التحوّل إلى الإبدال بين الصوامت: ففي قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ [السّجدة: ١٠] فقد قرأها عليٌّ عليه السلام: (صَلَلْنَا) بإبدال الضاد صادًا، وكسر اللام، وبها قرأ الأعمش، والحسن، وأنكر الفراء، والنحاس هذه القراءة؛ وَحَجَّتْهُمْ أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِي اللُّغَةِ: (صَلَلْنَا) بكسر اللام^(١)؛ أي لا تُعرَفُ هذه الصيغة بمعنى الفعل (صَلَلْنَا) الذي يراد به: (خفينا)، فقد جاء في الحديث^(٢): (لَعَلِّي أَضِلُّ اللَّهَ)، على معنى: أَضِلُّ عَنْهُ، أي: أخفى عليه، من قوله تعالى: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾؛ أي: خفينا. أمّا (صَلَلْنَا) بالصاد وفتح اللام فمعناه: أتنّنا، قال النحاس: ((ولا يُعرَفُ في اللغة (صَلَلْنَا)، ولكن يُقال: صَلَّ اللَّحْمَ وَأَصَلَّ، وخَمَّ وأخَمَّ؛ إذا أتنّنا))^(٣)، وقال الجوهري: ((صَلَّ اللَّحْمَ يَصِلُّ - بالكسر - صُلُوًّا، أي: أتنّ مطبوخًا كان أو نيئًا. قال لخطيئة^(٤)):

ذَاكَ فَتَّى يَبْذُلُ ذَا قِذْرِهِ
وَلَا يُفْسِدُ اللَّحْمَ لَدَيْهِ الصُّلُولُ

وَوَاصِلٌ (مثله))^(٥).

والذي أراه أن معنى قراءة عليٍّ أبلغ في أداء المعنى، وأعظم في التعبير عن قدرة الله عزّ وجلّ، وعلى أقلّ تقدير أنه معنى ليس ببعيد عن سياق الآية واستنكار الكفار قدرة الله على بعثهم.

ومثله قراءة عليٍّ عليه السلام: (وَطَلَعٍ مَنْضُودٍ) بالعين المهملة بدلًا من: ﴿وَوَطَّحِ

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/ ٣٣١، وإعراب القرآن للنحاس: ٣/ ٢٠٠.

(٢) ينظر: مسند أحمد بن حنبل: ٣٣٣/ ٢١٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس: ٢٠/ ١٧٣، وينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٩٢.

(٤) ديوان الخطيئة: ٧٧.

(٥) تاج اللغة وصحاح العربية: مادة (صلل).



مَنْضُودٍ [الواقعة: ٢٩] بالحاء، وقاس ذلك على قوله تعالى: ﴿وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هَضِيمٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقراءته خلاف ما هو مُجْمَع عليه. وروي عنه أيضًا أنه (قَرَأَ بَيْنَ يَدَيْهِ): ﴿وَطَلَحَ مَنْضُودٌ﴾ فقال: ما شأن الطلح؟ إنما هو: (وطلع منضود)، ثم قال: ﴿لَهَا طَلَعٌ نَضِيدٌ﴾ [ق: ١٠]، فقيل له: أفلا نحولها؟ فقال: لا ينبغي أن يهاج القرآن ولا يحول^(١).

٦. التحوُّل من تسهيل الهمز إلى التخفيف: ومن نماذجه قوله تعالى: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، فقد تعددت فيها أوجه القراءات^(٢)، منها قراءة: (هَيْتَ لك)، وهي القراءة الصَّحيحة. وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلمي، وابن كثير: (هَيْتُ لك) بفتح الهاء وضم التاء، ونظيره قول طرفة بن العبد^(٣):

لَيْسَ قَوْمِي بِالْأَبْعَدِينَ إِذَا مَا
قَالَ دَاعٍ مِنَ الْعَشِيرَةِ: هَيْتُ

وقرأ أبو جعفر المدني، وشيبة، ونافع: (هَيْتَ لك) بكسر الهاء وفتح التاء، وقرأ يحيى بن وثَّاب: (هَيْتُ لك) بكسر الهاء بعد ياء ساكنة والياء مضمومة، وقرأ ابن عامر، وأهل الشام: (هَيْتُ لك) بكسر الهاء وبالهمزة وفتح التاء، وروي عن عليِّ بن أبي طالب، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة: (هَيْتُ لك) بهاء مكسورة وهمزة ساكنة، وتاء مضمومة.

ولعلَّ هذه القراءة - الأخيرة - على أنَّ أصله فعل لا اسم فعل، وعلى معنى: (تهَيَّأت)، وهو معنى لا ياباه السَّيِّاق. وقرأها عكرمة: (هَيْتُ)، بمعنى: تزَيَّنت، وهي

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٨/١٧.

(٢) ينظر تفصيل ذلك في: جواهر القرآن ودقائق الصنعة: ٢١٧.

(٣) ديوان طرفة بن العبد: ١٤٧.



قراءة غير مرضية. أما القراءات الأخرى فعلى أنه اسم فعل معناه: (هلم)، وهو معنى لا يأباه السياق أيضاً.

وأما ما تعلق بحركة التاء فلعل قراءتها بفتح التاء وياء ساكنة قبلها مردّه إلى أن أصله اسم فعل أمر مثل: (صه)، و(مه)، فيكون أصله: (هيت) وحركت التاء بالفتح؛ لالتقاء الساكنين، فحركته حركة بناء لا حركة إعراب، فهو صوت، والصوت لا يعرب. ويبدو لي من خلال تتبع هذه القراءة أن ثمة تناقضاً في نقلها، إذ عُرِيت إلى عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قراءتان: إحداهما: (هيت لك) بكسر الهاء بغير همز، وبها قرأ عثمان بن عفان، وروي عن ابن مسعود أنه قال: ((أقرأني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَيْتَ لَكَ))^(١)، بفتح الهاء والتاء من غير همز، وهي قراءة الحسن، وأبي عمرو، وأهل المدينة.

وذكر الفراء أن عليّاً، وابن عباس قرأا: (هتت لك)، بكسر الهاء وهمز مع ضم الياء^(٢). والذين قالوا بهمزها ذهبوا إلى أنها بمعنى (تهيات)، والآخرون ذهبوا إلى أنها اسم صوت معناه: أقبل. ولعل من راسب هذا اللفظ أن كثيراً من سكان البادية يقولون: (هيت به)، أي: دعاه أو ناداه ليقبل عليه.

ومثل ذلك قراءة قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، فهذه قراءة عليّ بن أبي طالب بكسر الجيم والراء غير مهموز، وقرأها كذلك غير واحد، منهم: أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو العالية، وسعيد بن المسيّب، والحسن، ومعظم أهل البصرة والمدينة، وحفص، واختارها أبو حاتم، وهي مروية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقرأ كل من يحيى بن يعمر، وعيسى بن عمر، والأعمش: (جبريل) بغير مد مع

(١) معاني القرآن للفراء: ٤٠ / ٢.

(٢) ينظر: م. ن: ٤٠ / ٢.



الهمزة وتشديد اللام. وقرأها ابن كثير (جَبْريل) بفتح الجيم وكسر الراء غير مهموز^(١). ولعلّ قراءة عليّ عليه السلام، صورة من صور أصل لهجة قبيلته قريش التي كانت تسهّل الهمز ولا تنبر. وقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: ((نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبيّ صلى الله عليه وآله ما همز))^(٢).

فالإمام عليّ عليه السلام، يؤكّد نزول القرآن بالهمز، ويضع لها مع أنّها مخالفة لأصل لهجته؛ ذلك أنّ أهل الحجاز يَحْفَفُونَ وغيرهم يحقّقها، و((هذا بالطبع لا يحول دون تقارض اللّهجات؛ فقد ثبت أنّ كلتا اللّهجتين قد وردت أمثلة على لسان أصحابها، وإن كان كلّ فريق يعتزّ بلهجته التي درج عليها، ولولا أنّ القراءة سنّة متّبعة لما تكلفت قريش نبر الهمزة وتحقيقها في القرآن))^(٣). يضاف إلى ذلك أنّ تحقيق الهمز أدخل في باب اللغة من التخفيف^(٤). وعلى العكس من ذلك جعلها الدكتور عبد الصبور شاهين مظهرًا حضاريًّا في إشارة منه إلى أنّ أهل المدن لا يحقّقونها^(٥).

٧. الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لنكتة بلاغيّة: ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فقد قرأها عليّ بن أبي طالب (وما يفعلوا) بالياء، ويخرّج ذلك على أمرين^(٦):

الأوّل: الالتفات من الخطاب إلى الغيبة^(٧).

(١) ينظر: الكشف والبيان من تفسير القرآن: ١ / ٢٤٠.

(٢) شرح الشافية للاسترابادي: ٣ / ١٠٢، وينظر: سبويه والقراءات: ٧٢.

(٣) سبويه والقراءات: ٧٢.

(٤) ينظر: شرح الشافية للاسترابادي: ٣ / ٣٢.

(٥) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: ٣٠.

(٦) ينظر: البحر المحيط: ٣ / ٣٧٨.

(٧) ينظر: الدرّ المصون: ٦ / ٨٨، وينظر: جماليات الالتفات في تلوين الخطاب: ٨٢ وما بعدها.



الثاني: أنه من باب ما أضرمر؛ لدلالة المخاطبين عليه، والتقدير: وما يفعل ... وبذلك يكون الخطاب بضمير الغائب أبلغ من الخطاب؛ لأنه يكون أعم من الاقتصار على المخاطبين فيشملهم ويشمل غيرهم.

ومن أضراب الالتفات ما يسمّى التجريد، وهو أسلوب عربي قديم أشار إليه سيوييه في (باب ما يُختار فيه الرفع ويكون فيه الوجه)^(١)، نحو قولنا: (أما أبوك فلك أبٌ)، والمراد: (فلك به أب)، أو (فيه أب)، وإثما أراد بقوله: (فيه أب) مجرى (الأب) على سعة الكلام^(٢). وسيوييه ذكر هذا النوع لكنه لم يسمّه، والذي سمّاه (التجريد) هو أبو عليّ الفارسيّ، وقال ابن جنّي: ((واعلم أنّ هذا فصل من فصول العربيّة طريفٌ حسنٌ، ورأيت أبا عليّ -رحمه الله- به غريباً معنياً))^(٣).

ويراد به أنّ ((العرب تعتقد أنّ في الشّيء من نفسه معنى آخر، كأنّه حقيقته ومحصوله))^(٤)، فكأنّ في شيء ما شيئاً منفصلاً عنه وممتازاً فيه، ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٦]، فقراءة عليّ عليه السلام، وابن يعمر، وأبي حرب بن أبي الأسود: (يرثني وأرث من آل يعقوب).

وقد تلبّث أبو الفتح عند هذه الآية وقال: ((هذا ضربٌ من العربيّة غريب، ومعناه التجريد، وذلك أنّك تريد: (فهب لي من لدنك ولياً يرثني منه أو به وأرث من آل يعقوب)، وهو الوارث نفسه، وكأنّه جرّد من نفسه وارثاً. ومثله قول الله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٥]، فهي نفسها دار الخلد، فكأنّه جرّد من الدار داراً، وعليه قول الأخطل^(٥):

(١) ينظر: الكتاب: ١/ ٣٩.

(٢) ينظر: م. ن. ١/ ٣٩.

(٣) الخصائص: ٢/ ٤٧٣، وينظر: المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع: ٢٧٩.

(٤) المحتسب: ٢/ ٣٨.

(٥) ديوان الأخطل: ٣٢، وفي الديوان: (ولا هو يغسل).

بِنَزْوَةٍ لِّصِّ بَعْدَمَا مَرَّ مُصْعَبٌ
 بِأَشْعَثَ لَا يُفْلَى وَلَا هُوَ يَقْمَلُ

ومصعبٌ نفسه هو الأشعثُ، فكأنه استخلص منه أشعثُ))^(١).

٨. التحوُّل من المجرّد إلى المزيد للمبالغة: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات: ٥]، فالجمهور على تخفيف السين على معنى: (صِرْنَ فِي وَسْطِ المعركة)، وقرأ ابن حيوة، وابن أبي ليلى، وعليّ بن أبي طالب، وزيد بن عليّ: (فوسَّطن) بتضعيف السين على زنة (فعلُن)، وقد غابت هذه القراءة عن الزجاج إذ قال: ((ولو قال: (فوسَّطن) به جمعًا، لجاز، إلا أنّي لا أعلم أحدًا قرأ بها))^(٢). وقد تقدّم أنّ ثمة من قرأ بها، ولا يُدرى سرُّ غياب هذا العدد من القراء عن الزجاج^(٣).

ونظير ذلك قراءة العامّة: (فَرَقَنَاهُ) بالتخفيف من قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وهي قراءة العامّة، وقرأها عليّ، وابن عباس، والشعبيّ، وقتادة، وغيرهم: (فَرَقَنَاهُ)^(٤).

وفي هذه القراءة توجيهان: الأوّل أنّ المراد بها التعبير عن التّكثير؛ أي: فَرَقْنَا آياته بين أمر ونهي وحكم وأحكام ومواعظ. والثاني: الدلالة على تنجيم نزوله، فهو لم ينزل في يومين أو ثلاثة، فقراءة (فرقناه) تدلّ على فصلٍ مُتقاربٍ^(٥).

وفي هذه الآية قراءة أخرى لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، يغيّر معناها التوجيهين

(١) المحتسب: ٣٨/٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٣٥٣/٥، وينظر: المحتسب: ٣٧/٢، والبحر المحيط: ٥٠٤/٨.

(٣) ينظر: معجم القراءات، عبد اللطيف الخطيب: ٥٤٢/١٠.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للتّحّاس: ٢٨٦/٢، والمحتسب: ٢٣/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٣٣٩/١٠.

(٥) ينظر: الدرّ المصون: ٤٢٦/٧.



السَّابِقِينَ، فَقَدْ قَرَأَهَا حَمْزَةً، وَالْكَسَائِي: (فَارَقُوا دِينَهُمْ)؛ أَي: تَرَكُوا دِينَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُهُ، وَهُوَ التَّوْحِيدُ^(١).

٩. التَّحْوِيلُ مِنَ الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ إِلَى الْبِنَاءِ لِلْمَعْلُومِ: وَمِنْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ (يَتَوَفَّوْنَ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] بِفَتْحِ يَاءِ الْمَضَارَعَةِ بَدَلَ ضَمِّهَا، وَهِيَ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ عليه السلام (٢)، رَوَاهَا عَنْهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ، وَأَنْكَرَهَا ابْنُ مَجَاهِدٍ، وَقَالَ: ((لَا يُقْرَأُ بِهَا)) (٣).

رَدَّ ابْنُ جَنِي هَذَا الْإِنْكَارَ، فَقَالَ: ((هَذَا الَّذِي أَنْكَرَهُ ابْنُ مَجَاهِدٍ عِنْدِي مُسْتَقِيمٌ جَائِزٌ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ؛ أَي: وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ أَيَّامَهُمْ وَأَعْمَارَهُمْ وَأَجَالَهِمْ، كَمَا قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ﴾ [البقرة: ٢٣٤]، و﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [النحل: ٣٢]، وَحَذْفِ الْمَفْعُولِ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ وَفَصِيحٌ فِي الْكَلَامِ، ذَلِكَ إِذَا كَانَ هُنَاكَ دَلِيلٌ عَلَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣]؛ أَي: شَيْئًا. وَأَنْشَدَنَا أَبُو عَلِيٍّ لِلْحَطِيبَةِ^(٤):

مُنْعَمَةٌ تَصُونُ إِلَيْكَ مِنْهَا

كَصَّوْنِكَ مِنْ رِدَائِ شَرَعَبِيٍّ^(٥).

فَقِرَاءَةُ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، تَذَهَبُ إِلَى مَعْنَى الْإِسْتِيفَاءِ، وَهِيَ تَرْكِيبِيًّا تَوَجَّهَ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ بِهِ، وَهُوَ سَمْتُ عَرَبِيٍّ كَثِيرٍ، وَعَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ أُدْلَةٌ عَرَضَ ابْنُ جَنِي بَعْضُهَا. أَمَّا قِرَاءَةُ الْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ، وَهِيَ الْقِرَاءَةُ السَّبْعِيَّةُ فَتَذَهَبُ إِلَى مَعْنَى الْوَفَاةِ.

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٢/١٤.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ٢٢٢/١، والمحتسب: ١٢٥/١.

(٣) المحتسب: ١٢٥/١.

(٤) ديوان الحطبية: ٣٥، تصون إليك: تصون عندك. الشرعي: نوع من الثياب المصنوعة في اليمن.

(٥) المحتسب: ١٢٥/١.



١٠. التحوّل من جذرٍ إلى آخر: ومن نماذج ذلك قراءة قوله تعالى عن العجل: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَازٍ﴾ [الأعراف: ١٤٨]؛ فَرُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا عليه السلام، قرأ: (جُوَار) بدل (خوار)^(١)؛ وكلاهما لفظان دالّان على التصويت، لكنَّ أصليّ اللفظين مختلفان كليًّا، فلم يذكر ابن فارس في (مقاييسه) الأصل (جَار)، وذكر^(٢) (جور) وأراد به الميل عن الطريق، وذكر أنَّ الغيثَ الجَوْرَ، وهو الغزير، شاذٌّ عن الأصل الذي أصله في (الجور) لكنّه نقل أنّه - أي الجَوْر - قد يكون من باب آخر هو العجيم والهمزة والراء (جَار)، ونقل عن ابن السكّيت أنّهم يقولون: (هو جُوْرٌ) على وزن (فَعَلٍ). فإن كان كذلك فأصله (الجوَار) وهو الصوت، كأنّه المطر الغزير حين ينزل يُحدث صوتًا، واستدلّ على ذلك بقول جنّدل بن المشنى الطّهوي^(٣):

لَا تَسْقِيهِ صَيِّبَ عَزَافٍ جُوْرٌ

وأما (الخوَار) فأصله من (خار الثور يخور)، وهي إحدى دالّتين للأصل (خور)^(٤)، ومنه قوله تعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَازٍ﴾ [الأعراف: ١٤٨، طه: ٨٨]. وفي الحديث^(٥): (لَأَعْرِفَنَّ، مَا جَاءَ اللَّهَ رَجُلٌ بِبِقَرَةٍ لَهَا خَوَازٍ). وَيُقَالُ: (جُوَارٌ). ومثل ذلك قراءة قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٤٦]، فقراءة العامّة كسر الراء (رِبِّيُونَ)، وقرأها^(٦) عليّ، وابن

(١) ينظر: الكشف والبيان من تفسير القرآن: ١٢/٥٣١، والكشاف: ٢/٥١٠، والبحر المحيط: ٥/١٧٧.

(٢) مقاييس اللغة: ١/٤٩٣.

(٣) ينظر: مقاييس اللغة: ١/٤٩٣، وبلا عزو في: إصلاح المنطق: ١٣٣.

(٤) والمعنى الثاني هو (الخَوْر) بمعنى: الضعيف من كلِّ شيء، مقاييس اللغة: ٢/٢٢٧.

(٥) صحيح البخاريّ: ٢/٥٣٠.

(٦) ينظر: المحتسب: ١/١٣٧، والكشف والبيان من تفسير القرآن: ٩/٣١٩-٣٢٠، والمحرّر الوجيز:

١/٥٢٠، والبحر المحيط: ٣/٣٧٢.



مسعود، وابن عباس، وعكرمة، والحسن، وأبو رجاء، وعمرو بن عبید، وعطاء بن السائب: (رَبِّيُون) بضمِّ الرَّاءِ، وضمِّ الرَّاءِ لغة تميمية، والكسر لغة أيضاً^(١).
ولابن عباس فيها قراءة أخرى بفتح الرَّاءِ: (رَبِّيُون)، رواها قتادة عن ابن عباس، والنسبة فيه إلى (رَبِّ)، ويشهد لذلك أنَّ الحسن عليه السلام فسرها بالعلماء الصُّبَرِ^(٢).
وقراءة (رَبِّيُون) بضمِّ الرَّاءِ، وهي اللغة التميمية، معناها الجماعة. قال يونس:
الرُّبَّةُ: الجماعة^(٣).

وجعل ابن عباس قراءة الكسر مأخوذة من (رَبْوَة)، وهي الجماعة أيضاً، وقدَّرها بعشرة آلاف، وأنكر قطرب هذا التأصيل للفظ؛ ((لدخول الواو في الكلمة))^(٤).

لكنَّ ابن جني التمس لما ذهب إليه ابن عباس وجهًا؛ ((لأنه يجوز أن يكون بنى من (الرَّبْوَة) فعِيلاً كـ (بَطِيخ) فصار (رَبِّيُّ) ومثله من (عَزَوْت): عَزِيٌّ، ثمَّ جُمِعَ فقليل: رَبِّيُون))^(٥).

ووفق ابن جني بين قراءتي الضمِّ للرَّاءِ والكسر، والعلَّة في ذلك صوتية لتأثير ياء الإضافة (النسب) فغيَّر من (رَبِّيُون) إلى (رَبِّيُون) تحقيقاً للانسجام الصوتي، فقد قالوا في: (أَمْسِ): (إِمْسِ)^(٦).

(١) ينظر: المصادر في الحاشية السابقة.

(٢) ينظر: المصادر في الحاشية السابقة، وتفسير الطبري: ٧/ ٢٦٥، و الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٧٩/١.

(٣) ينظر: المحتسب: ١٧٧/١، وينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٨٣/١.

(٤) المحتسب: ١٧٧/١.

(٥) المحتسب: ١٧٧/١.

(٦) ينظر: م. ن. ١/ ١٧٣-١٧٤.



ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الأنعام: ٤٢]، فقد قرأها عليٌّ عليه السلام، والأعرج، وعمرو بن عبيد^(١): (خَطُّوَات) بالهمز مثقلًا، وقرأ أبو السَّمَّال (خَطُّوَات)، أما (خُطُّوَات) بالهمزة فهي جمع مفردة: (خُطَّةٌ)، بمعنى الخطأ^(٢).

وأما (خَطُّوَات) بالفتح فهي جمع أيضًا مفردة (خَطُّوَةٌ) اسم مرّة من (خطأ يخطو)، نحو: (غزوتٌ غزوةٌ)، و(دعوتٌ دَعْوَةٌ)، والمعنى على ذلك: لا تتبعوا خَطُّوَاتِ الشَّيْطَانِ؛ أي آثاره ولا تقتدوا به. ويكون هذا على حذف مضاف؛ إذ التقدير: ولا تتبعوا مواضع خَطُّوَاتِ الشَّيْطَانِ، ويمكن إجراء المعنى على الظاهر من غير تقدير حذف، ويكون المعنى: لا تتبعوا أفعال المشركين^(٣)، وهي المقصد الذي يرشّح عن قراءة العامّة (خُطُّوَات).

إنَّ الأصلين مختلفان اشتقاقًا ودلالةً، فواحد منهما يدلُّ على الخطأ الذي هو ضدَّ الصَّواب، والثاني يشير إلى الخَطُّو الذي هو نوع من المشي وهما معنيان لا يمتُّ أحدهما إلى الآخر بصلةٍ.

٣- المستوى التركيبي: ويراد به التبدلات في مستوى العلاقات النحويّة للتركيب، بين الدُّكْر للعناصر اللغويّة أو الحذف، وبين النّفي والإثبات، وغير ذلك من المظاهر النّحويّة. ومن مظاهر ذلك:

١. التحوُّل من النّفي إلى الإثبات: من ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥]، وهي القراءة المشتهرة، وقرأها عليٌّ بن

(١) ينظر: المحتسب: ٢٣٣/١، و١٠٥/٢، والمححر الوجيز: ٢٣٧/١، و٣٥٤/٢، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠٨/٢، والبحر المحيط: ١٠١/٢.

(٢) ينظر: العين. وينظر المصادر في الحاشية السابقة.

(٣) ينظر: المحتسب: ٢٣٣/١.



أبي طالب، وأبو جعفر، والربيع بن أنس، وأبو العالية، وابن جَمَّاز: (لُتْصِيْنَنَّ)، وهما قراءتان متضادتان^(١) بينهما فارق كبير، فأحدهما تؤدِّي دلالة النفي والأخرى تثبت وقوع الإصابة على قوم بأعيانهم.

وعلى التباعد التركيبي والدلالي بين القراءتين سعى ابن جني إلى التوفيق بينهما، واستبعد القول بزيادة (لا) فيصير المعنى: (وانتقوا فتنة تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)؛ إذ ليس هذا من مواضع دخول نون التوكيد المشروط بشروط مفروشة في كتب النحو، فلا يجوز أن تقول: (ضربت رجلاً يدخلن المسجد)، و((أقرب ما يُصرف إليه الأمر في تلاقي معنيي القراءتين أن يكون يراد: (لا تصيبن))، ثم يحذف الألف من (لا)؛ تخفيفاً، واكتفاءً بالفتحة منها، فقد فعلت العرب في أخت (ما)، وهي (أما)^(٢)؛ من ذلك ما حكاه محمد بن الحسين من قول بعضهم: (أَمَّ وَاللَّهِ لِيَكُونَنَّ كَذَا)، فحذف ألف (أما تخفيفاً))^(٣).

٢. ومن مظاهر المستوى التركيبي قراءة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٥١] فقرأ: (كَانَ قَوْلٌ) بالرفع، وهي قراءة ابنه الحسن، وابن أبي إسحاق؛ على أنه اسم (كان)، والقراءة المشتهرة هي قراءة (كان قول) بالنصب على أنه خبر (كان)، وهي القراءة التي رجحها ابن جني وجعلها ((أقوى القراءتين؛ وذلك أن في شرط اسم (كان) وخبرها أن يكون اسمها أعرف من خبرها، وقوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ أعرف من قول المؤمنين؛ وذلك لشبه (أن) وصلتها بالمضمر من حيث كان لا يجوز وصفها، كما لا يجوز وصف المضمر))^(٤).

(١) ينظر: المحتسب: ٢٧٧/١.

(٢) (أما) حرف استفتاح بمنزلة (ألا)، وتكثر قبل القسم، وتحذف ألفها، فيقال فيها: (أَمَّ وَاللَّهِ). وقد تبدل همزتها هاءً أو عيناً، وكلاهما مع ثبوت الألف وحذفها؛ فيقال: (هَمَّا وَاللَّهِ)، و(هَمَّ وَاللَّهِ)، و(عَمَّ وَاللَّهِ). ينظر: شرح التسهيل: ١/١٤١، والجنى الداني: ٣٩٠.

(٣) المحتسب: ٢٧٧/١.

(٤) المحتسب: ١٥٨-١٥٩/٢.



ونظير هذا قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الأعراف: ٨٢]؛ أي قولهم على ما مضى^(١). والعلّة في هذا التوجيه أنهم يحكمون لـ (أَنَّ) و(أَنَّ) المصدريتين بمصدر معرّف حكمه حكمُ الضمير، فلا يوصف ذلك المصدر، وكذلك لا يوصف هذا الضمير، وعلى هذه الأصل جاءت القراءة السبعية: ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الجاثية: ٢٥]؛ لأنّ الرّفْع ضعيفٌ ضعف إخبارك بالضمير عمّا هو أدنى منه تعريفًا^(٢).

٣. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزّخرف: ٧٧]، فقد قرأ عليٌّ عليه السلام، وابن مسعود، ويحيى والأعمش: (يا مال) على التّرخيم^(٣)، وهو مذهب معروف في باب النداء.

وقد جهد ابن جني في تخريجه على أنّ فيه سرًّا جديدًا؛ ((وذلك أنّهم لعظم ما هم عليه - ضَعَفَتْ قواهم، وذَلَّتْ أنفسهم، وصَغُرَ كلامهم، فكان هذا من مواضع الاختصار ضرورة عليه، وقوفًا دون تجاوزه إلى ما يستعمله المالك لقوله القادر على التصرّف في منطقته))^(٤).

وكان ابن عباس عليه السلام قد أنكر هذه القراءة إذ قال: ((ما أشغل أهل النار عن الترخيم))^(٥)، فهم في حالة تشغلهم عن الالتفات إلى أسلوب الترخيم وترك النداء الحقيقي. ((وحاصل الجواب أنّ هذا الترخيم لم يصدر عنهم لقصد التصرّف في الكلام والتفنّن فيه كما في قوله:

(١) ينظر: م. ن. ١٥٩/٢.

(٢) ينظر: مغني اللبيب: ١/٥٩٠.

(٣) ينظر: المحتسب: ٢/٢٥٧، والمحزر الوجيز: ٥/٦٤، والجامع لأحكام القرآن: ١٦/١١٧.

(٤) المحتسب: ٢/٢٥٧، وينظر: الكشاف: ٤/٢٦٤.

(٥) الكشاف: ٤/٢٦٤، وروح المعاني: ٢٥/١٤٠.



يُحْيِي رُفَاتَ الْعِظَامِ بِالْيَةِ ... وَالْحَقُّ يَا مَالٍ غَيْرِ مَا تَصِفُ

بل للعجز وضيق المجال كما يُشاهد في بعض المكرويين^(١).

٤. ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خَلَقْتَ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، فقد قرأ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام الآيات كلها بالبناء للمعلوم، بفتح أوائل الأفعال (خَلَقْتُ، سَطَحْتُ)، والتاء تاء المتكلم^(٢).

وعلى قراءة عليٍّ هذه تكون الأفعال (خلقتُ، وسطحتُ) قد حُذِفَ مفعولها، على أن التقدير: خلقتُها، وسطحتُها ... وحذف المفعول ههنا حَذَفٌ حَسَنٌ يَدُلُّ دَلَالَةً قَوِيَّةً عَلَى قُوَّةِ عَرَبِيَّةِ النَّاطِقِ بِهِ^(٣)، إلى جانب ما يشير إليه هذا الحذف أيضًا من التصرُّف فيه لقيام قرينة عليه من جهة، وهي تقدُّم ذكر (الأرض) ورعاية الفاصلة^(٤).

(١) روح المعاني: ١٤٢/٢٥، ولم أقف على البيت الشاهد بالرواية المذكورة إلا عند الألوّسي. والعجز بلا عزو في: الكشاف: ٤/٢٦٤. وهو برواية: خَالَفَتْ فِي الرَّأْيِ كُلَّ ذِي فَخْرٍ وَالْحَقُّ، يَا مَالُ، غَيْرُ مَا تَصِفُ وَلِعَمْرٍو بن امرئ القيس في: القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب: ٥٣٠. ورواية: كُلُّ ذِي فَجْرٍ وَالْبَغْيُ يَا مَالٍ غَيْرُ مَا تَصِفُ فِي: الخطيم قيس بن: ديوانه: ٢٣٩.

(٢) ينظر: كتاب الطَّارِقِيَّة: ١٨٢-١٨٣، والمحتسب: ٢،٣٥٦، والكشف والبيان من تفسير القرآن: ٢٩/٢٨١، والكشاف: ٤/٧٤٥.

(٣) ينظر: المحتسب: ٢/٣٥٦، وينظر أمثلة أخرى في: المحتسب ١: ٣٥٥، و٢: ٢١٣، و٢: ٣٦٤، و٢: ٣٧.

(٤) ينظر: المفصَّل في علوم البلاغة: ٢١٨ - ٢١٩.



الخاتمة:

وبعد هذا التطواف في حديقة ما روي عن الإمام عليّ عليه السلام، يستطيع الدارس أن ينتهي إلى بعض النتائج التي يترأى له أنه مرّ بعض مقدماتها، ومنها:

١. غزارة ما روي عن عليّ عليه السلام.
٢. كان لكثير ممّا نُقل عنه إسهام في التععيد النّحويّ.
٣. إسهامه الجليّ في وضع الأسس الأولى للنحو العربيّ.
٤. تعدّد القراءات المرويّة عنه.
٥. تفرّده ببعض أوجه القراءات.
٦. متابعة بعض الصحابة، رضي الله عنهم، للإمام عليّ عليه السلام، في قراءاته.
٧. لا تخرج قراءاته عن سمت العربيّة، حتّى فيما وُسِم بالشاذّ منها.
٨. حمل كثير من أوجه قراءاته تمايزًا في المستويات الصوتيّة والتركيبية والصرفيّة والدلاليّة.



المصادر والمراجع

الكتب والمعاجم:

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أثير الدين أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٠ م.
٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ م.
٤. الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: د. طه محمد الزيني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط ١، ١٤١١-١٤١٤ هـ / ١٩٩١-١٩٩٣ م.
٥. إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ.
٦. الأمثال، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، ط ١، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
٧. إنباه الرواة على أبناء النحاة، جمال الدين القفطي (ت ٦٤٦ هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٢ م.
٨. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٩. تاريخ النحو، محمد المختار ولد أباه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨ م.



١٠. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٧٦ م.
١١. التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: د. حسن هندأوي، دار القلم، دمشق، دار كنوز إشبيلية، الرياض، ط ١، ١٤١٨-١٤٤٢ هـ/١٩٩٧-٢٠٢١ م.
١٢. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، أخرجه د. صلاح با عثمان وزملاؤه، دار التفسير، جدة، ط ١، ١٤٣٦ هـ/٢٠١٥ م
١٣. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، محب الدين الحلبي ناظر الجيش (ت ٧٧٨ هـ)، دراسة وتحقيق: د. علي محمد فاخر، وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٨ هـ.
١٤. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري الهروي (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين (الأجزاء ١-١٤)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط ١، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م. والجزء ١٥: تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكاتب العربي، ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م.
١٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن = تفسير الطبري، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ)، الأجزاء (١-١٦) تحقيق: محمود شاكر، والأجزاء (١٧-٢٤) تصوير دار التربية والتراث، مكة المكرمة، بلا تاريخ.
١٦. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي مس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م.



١٧. الجنى الدَّاني في حروف المعاني، أبو محمد المرادي (ت ٧٤٩ هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
١٨. جواهر القرآن، جامع العلوم الباقرلي (ت ٥٤٣ هـ)، حققه الدكتور محمد أحمد الدالي (ت ٢٠٢٢ هـ)، دار القلم، دمشق، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
١٩. الحُجَّة في القراءات السَّبع، ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط ٤، ١٤٠١هـ.
٢٠. الحُجَّة للقراء السَّبعة، أبو عليِّ الفارسيِّ (ت ٣٧٧ هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجايي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدَّقَّاق، دار المأمون للتَّراث، دمشق/بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
٢١. الدَّر المصون في علوم الكتاب المكنون، السَّمين الحلبيِّ (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د. ت.
٢٢. درج الدر في تفسير الآي والسُّور، عبد القاهر الجرجانيِّ (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق صلاح الدين الفرحان، ومحمد شكور أمير، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٩، ج ١، ص: ٢٩٧.
٢٣. ديوان الأخطل، صنعة السَّكريِّ (ت ٢٧٥ هـ) رواية عن ابن حبيب (ت ٢٤٥ هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط ٤، ١٩٩٦م.
٢٤. ديوان الحارث بن حلزة اليشكريِّ، صنعة: د. مروان العطيَّة، دار الإمام النَّوويِّ، دمشق، دار الهجرة دمشق - بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
٢٥. ديوان الشريف الرِّضيِّ، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
٢٦. ديوان طرفة بن العبد (ت ٥٦٤ م)، شرح الأعلام السُّنتمريِّ (ت ٤٧٦ هـ)،



- تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصقال، إدارة الثقافة والفنون، البحرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٢٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٨. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ.
٢٩. سيبويه والقراءات، أحمد مكّي الأنصاري، دار المعارف، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
٣٠. شرح التصريح على التوضيح، زين الدين خالد الأزهرّي (ت ٩٠٥ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٣١. شرح المفصل، يعيش بن يعيش (ت ٦٤٣ هـ)، حققه إبراهيم عبد الله، دمشق، دار سعد الدين، ط ١، ٢٠١٣م.
٣٢. شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك الجياني (ت ٦٧٢ هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، ود. محمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٣٣. شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الأسترابادي (ت ٦٨٦ هـ)، مع شرح شواهد، عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
٣٤. شرح كافية ابن الحاجب، الرضي الأسترابادي (ت ٦٨٦ هـ)، تحقيق د. حسن الحفظي ود. يحيى المصري، جامعة محمد بن سعود، ط ١، ١٩٩٣م.



٣٥. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
٣٦. الصحيح، أبو عبد الله البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ط ٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
٣٧. عبقرية الإمام علي: عباس محمود العقاد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧م.
٣٨. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت نحو ١٧٠ هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط ٢، ١٤٠٩ - ١٤١٠هـ.
٣٩. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٣٥م.
٤٠. غريب الحديث، أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، تحقيق: د. حسين محمد محمد شرف، مراجعة: عبد السلام هارون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م. وطبعة أخرى: تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط ١، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.
٤١. الغريب المصنّف، القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ)، حققه صفوان داودي، دار الفيحاء، دمشق، ٢٠٠٥م.
٤٢. الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي (ت ٤٠١ هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيدي، قدّم له وراجعه: أ. د. فتحي حجازي، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
٤٣. القراءات الشاذة: ابن خالويه (٣٧٠ هـ)، دار الكندي للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠٠٢م.



- ٤٤ . القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، ١٩٦٦م.
- ٤٥ . كتاب الطّارقيّة في إعراب ثلاثين سورة من المفصّل بشرح معاني كل حرف وتلخيص فروعها، ابن خالويه (٣٧٠هـ)، تحقيق: د. محمّد محمّد فهمي عمر، دار الزّمان، المدينة المنوّرة، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- ٤٦ . الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزّخشيّ (ت ٥٣٨ هـ)، ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة - دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ٤٧ . اللغة العربية: معناها ومبناها: د. تمام إحسان، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٤٨ . المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، عثمان بن جنيّ (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، وعبد الحلیم النجار، وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، القاهرة، ١٣٨٦-١٣٨٩هـ/١٩٦٦-١٩٦٩م.
- ٤٩ . المحرر الوجيز، ابن عطية الأندلسيّ (ت ٥٤٢ هـ)، حققه عبد السلام عبد الشافي، طبعة مصورة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٢١م.
- ٥٠ . مختصر في شواذّ القراءات من كتاب البديع، ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق: ج. برجستراسر، وآرثر جفري، مكتبة المتنبي، القاهرة، د. ت.
- ٥١ . معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزّجاج (ت ٣١١ هـ)، حققه عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.



٥٢. معاني القرآن، أبو زكريا الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، تحقيق: أحمد يوسف التّجّاتي،
ومحمد علي النّجار، وعبد الفتاح الشّليبي، دار المصريّة للتّأليف والترجمة، القاهرة،
ط١، ١٩٥٦م.

٥٣. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاريّ (ت ٧٦١ هـ)،
تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م.

٥٤. المفصّل في علوم البلاغة، د. عيسى العاكوب، مديرية الكتب والمطبوعات
الجامعية، حلب، ٢٠٠٨م.

٥٥. مقاييس اللّغة، أحمد بن فارس القزوينيّ (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق: عبد السّلام
محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م. وطبعة أخرى: اتحاد الكتاب
العرب، دمشق، ٢٠٠٠م.

٥٦. المنزِع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبو محمد السّجلماسيّ، تحقيق: علال
الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط١، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م.

٥٧. النّهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدّين بن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق:
طاهر أحمد الزّاويّ، ومحمود محمد الطّناحيّ، المكتبة الإسلاميّة، القاهرة، ط١،
١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

الرسائل:

١. القراءات القرآنية (أطروحة دكتوراه)، أحمد راتب النفاخ، مخطوطة في حوزتي.

أثر عقيدة الدين

في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

أ.د. حاتم كريم جواد

جامعة الكوفة / كلية الآداب

الملخص:

سعيًا لمعرفة تفاصيل بعض الأحداث المتعلقة بحياة الإمام علي عليه السلام، وقع اختيارنا على هذا البحث المعنون (أثر عقيدة الدين في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام). وقد قُسم هذا البحث على ثلاثة أقسام: الأول بعنوان "مكة المكرمة، أولى محطات العناية الإلهية والفداء"، ويتضمن أربعة محاور. والثاني بعنوان "الإمام علي في المدينة المنورة ورحلة الجهاد"، ويتضمن ثلاثة محاور. أمّا القسم الأخير فهو بعنوان "الكوفة المحطة الأخيرة للإمام في قيادة الأمة الإسلامية"، ويتضمن أيضًا ثلاثة محاور. وقد استُند في إعداد هذا البحث إلى مصادر ومراجع عدة، أهمها سيرة ابن إسحاق (توفي سنة ١٥١ هـ)، وسيرة ابن هشام (توفي سنة ٢١٨ هـ)، وتاريخ الطبري (توفي سنة ٣١٠ هـ)، وكتاب مروج الذهب للمسعودي. (ت ٣٤٦ هـ)، وتذكرة الخواص لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، وكتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، وغيرها من المصادر. وأما أهم المراجع فكانت شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (٦٥٦ هـ).

الكلمات المفتاحية: العقيدة، الإمام علي عليه السلام، السيرة.

Abstract:

In order to know the details of some events related to the life of Imam Ali (peace be upon him), we decided to choose this research entitled (The Impact of Religion on the Biography of the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib (peace be upon him)). This research was divided into three sections: The first is entitled (Makkah Al-Mukarramah, the First Station of Divine Care and Redemption) and it contains four axes. The second section is (Imam Ali in Medina and the Journey of Jihad) and it contains three axes. The last section is entitled (Kufa, the Imam's Last Station to Lead the Islamic Nation) and it also contains three axes. In preparing this research, several sources and references are relied upon, the most important of which are the biography of Ibn Ishaq (d. 151 AH), the biography of Ibn Hisham (d. 218 AH), the history of Al-Tabari (310 AH), Muruj Al-Dhahab by Al-Masoudi (d. 346 AH), Tadhkirat Al-Khawass by Ibn Al-Jawzi (d. 597 AH), and Al-Kamil fi Al-Tarikh by Ibn Al-Athir (d. 630 AH), and the book Al-Isabah fi Tamyiz Al-Sahaba by Ibn Hajar Al-Asqalani (d. 852 AH), and other sources. As for the most important references, it was the explanation of Nahj Al-Balagha by Ibn Abi Al-Hadid (656 AH).

Keywords: Doctrine, Imam Ali (peace be upon him), Biography.



المقدمة

سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام) هي ليست سيرة أي أحد كان مهما علا شأنه، بل هي سيرة متميزة منذ طفولته حتى استشهاده، إذ كرّس حياته من أجل الدين ونصرة الحق والوقوف بوجه الظلم مهما كان مصدره، فهو (عليه السلام) لم يُجاب أحداً وإن كان قريبه، ولم يمنع أحداً استحقاقه ولو كان مخالفاً له مادام لم يتعرّض للمسلمين بأذى، فحياة الإمام (عليه السلام) اتخذت من سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مساراً للتجلى كل جوانب العظمة والتميز في شخصيته .

انطلاقاً من ذلك ارتأى الباحث اختيار هذا البحث الموسوم (أثر عقيدة الدين في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)) للاطلاع على الأسس الدينية التي اعتمدها الإمام وأصبحت فيما بعد دستوراً يسير بموجبها في تعامله مع الآخرين، سواء كان في السلطة أم خارجها، وقد أثار التزام الإمام علي (عليه السلام) بعقيدته في مجمل مجريات حياته، فهو في قرارة نفسه كان سعيداً لتطبيقه مبادئ دينه الحنيف، ولكن من ينظر إليه في ضوء ما حصل له من منغصات قد اعترضت سبيل تطبيقه لشريعة الإسلام يجد أنه قد عاش ظروفًا استثنائية وحوارباً في كل مراحل حياته، ليدفع حياته ثمناً في نهاية المطاف؛ نتيجة لتمسكه وعدم تفریطه بمبادئ الإسلام .

لغرض معرفة تفاصيل تلك الظروف، ارتأى الباحث تقسيم هذا البحث على ثلاثة مباحث، الأول منها بعنوان (مكة المكرمة أولى محطات الرعاية الإلهية والفداء)، وفيه أربعة محاور، أمّا المبحث الثاني فهو (الإمام علي في المدينة المنورة ورحلة الجهاد)، واحتوى على ثلاثة محاور، أمّا المبحث الأخير المعنون (الكوفة محطة الإمام الأخيرة لقيادة الأمة الإسلامية) ففيه ثلاثة محاور أيضاً .

اعتمد اعداد هذا البحث مصادر ومراجع عدّة أهمّها سيرة ابن إسحق



(ت ١٥١هـ)، وسيرة ابن هشام (ت ٢١٨هـ)، وتاريخ الطبري (ت ٣١٠هـ)، ومروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٦هـ)، وتذكرة الخواص لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) .

المبحث الأول: مكة المكرمة أولى محطات الرعاية الإلهية للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أولاً: الولادة والتكريم الإلهي:

نال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ اللحظة الأولى التي شرف فيها مجتمع مكة رعاية خاصة تفرّد فيها دون غيره، إذ اجتبهه الربّ ليكون الوليد الوحيد الذي احتضنه الحرم المكي، إذ يعدّ المسلمون مكة أقدس بقاع العالم، والكعبة هي المكان الأجلّ فيها ولها منزلة عظيمة عند الله .

وقد كانت الولادة الشريفة هي المرحلة الأولى من حياة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، إذ تولّى النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه تربيته بعد ولادته، وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بولدها علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيَتْ من رسول الله حباً شديداً لعليّ وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُطَهِّرُ عليّاً في وقت غسله، ويجرعه اللبن عند شربه، ويُحَرِّكُ مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويلاحظه ويقول: ((هذا أخي، ووليي، وناصري، ووصفي، وذخري، وكهفي، وصهري، ووصيي، وزوج كريمي، وأميني على وصيتي، وخليفتي))^(١) .

ومن الذين ذكروا ولادته عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكة، المسعودي في المروج، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في تذكرة الخواص، وابن الأثير في أسد الغابة، والحلي (ت ١٠٤٤هـ) في السيرة الحلبية، وغيرهم^(٢) .

وذكر العلامة الحلي تاريخ ولادته في يوم الجمعة الموافق الثالث عشر من

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١ / ٦٠ .

(٢) ينظر: السيرة لابن هشام: ١ / ١٥٠، ومروج الذهب: ٣ / ٢، وأسد الغابة: ٤ / ٣١ .



شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، ولم يولد فيها أحد سواه لا قبله ولا بعده، وكان عمر النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة، وكان يحمله دائماً ويطوف به أينما حلَّ (١)، فإذا كانت الكعبة بيت عبادة لا بيت ولادة، فإن ولادة الإمام علي عليه السلام فيها كانت أعظم عبادة لله قد أدتها السيدة فاطمة بنت أسد؛ لأنها قد أنجبت وليداً قدّر له فيما بعد أن يكون الرجل الثاني في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله منزلة وجهاداً وعتاءً، فقد تشرفت الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام بولادة بطل بني الإسلام على سيفه تحت قيادة رسول الله صلى الله عليه وآله (٢).

وخلاصة القول فيما يتعلق بالمصادر التي ذكرت ولادة الإمام علي عليه السلام، فقد أحصى العلامة الأميني (١٦) مصدرًا سنياً و (٥٠) مصدرًا شيعياً، وأنشد شعراً بحقها (٤١) شاعراً بدءاً من القرن الثاني حتى القرن الرابع عشر للهجرة (٣)، وهذا دليل على تواتر حادثة الولادة المباركة وموثوقية مصادرهما، إذ لم ينفرد بذكرها مصدر واحد، ومن ثم يحق لكل أتباع الإمام علي عليه السلام الافتخار بها والتمسك بولاية ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى، اجتباه ليولد في بيته العتيق الذي يعد من أشرف الأماكن في العالم وأقدسها، لذلك - وحسب اعتقادي - اكتسبت مدينة النجف صفة (الأشرف) نتيجة لوجود جسد الإمام علي عليه السلام وبعض الأنبياء فيها.

ثانياً: نشأة الإمام عليه السلام في بيت النبوة

ورد في المصادر ما أجمع على ذكره العلماء أن علياً عليه السلام نشأ في بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وآله قبل نبوته بعشر سنين، فقد أشار ابن هشام إلى أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثر، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه العباس بن

(١) ينظر: كشف الحق ونهج الصدق: ١٠٩ .

(٢) ينظر: الإمام علي السيرة الذاتية والاجتماعية: ٢١ .

(٣) ينظر: موسوعة الغدير: ٤٤ / ٦ - ٥١ .



عبدالمطلب وكان من أيسر بني هاشم، ((يا عباس: إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه عياله، آخذ من بيته واحداً وتأخذ أنت واحداً فنكفيهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلق حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما، إن تركتما لي عقيلاً، فاصنعا ما شئتما، فأخذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً فضمه إليه وأخذ العباس جعفرًا وضمه إليه، فلم يزل علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ مع رسول الله حتى بعث الله نبياً فاتبعه علي فآقر به وصدقته، ولم يزل جعفرًا عن العباس حتى أسلم واستغنى عنه))^(١)، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن اختار علياً عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً))^(٢).

إن اكتساب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لخصال الأدب والخلق الرفيع والتدين والشجاعة كان نتيجة لصحبته لسيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل قول الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم علماً من أخلاقه))^(٣).

إن فكر الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمرة من ثمرات الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مختلف جوانب الحياة، ومنها الاتجاهات الدينية، فلم يخضع الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في إدراكه وتفكيره للمؤثرات الاجتماعية الوثنية، بل كان إدراكه الديني والذهني مستقلاً عن تلك التأثيرات، وما تلقاه الإمام هو نبع صافٍ مستمد من مبادئ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي هي بلا شك مستمدة من قوانين السماء ولم تلوث بأفكار الناس وفلاسفتهم ومفكرهم البعيدة عن مدركات العقل وشطحاته التي طالما أبعدت صاحبها عن سلوك طريق الحق.

و في خطبة للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ دلالة واضحة على المنزلة الخصيصة له عند رسول

(١) السيرة لابن هشام: ١/ ٢٦٤ .

(٢) شرح نهج البلاغة: ١/ ١٥ .

(٣) نهج البلاغة، خطب الإمام علي: ٢/ ١٥٧ .



اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد كفالاته له، إذ قال عليه السلام: ((وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالْإِفْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُنِي فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحَرَاءٍ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ، غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ)) (١)، لهذا كان الاختيار الإلهي في الكفالة دليل على أن منزلة أمير المؤمنين عليه السلام مثل منزلة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما عدا النبوة، بدليل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي)) (٢).

وذكر جورج جرداق وصفًا جميلًا بحق ولادة الإمام علي عليه السلام، بقوله: ((ونحن إذا نظرنا إلى ميلاد المعاني الإنسانية في قلب وروح، رأينا أن علي بن أبي طالب إنما ولد مؤمنًا بالرسالة الخيرة ونصيرًا لها، فإن خصائص البيت الطالبي الذي رُبي فيه محمد انتقلت بصورة طبيعية إلى ابن عمه ساعة ميلاده، ونما خلق علي على شمائل بيت أبيه أبي طالب، ذلك الذي أصغت جدرانها لأول عبارة من محمد، وخرجت منه الدعوة الإسلامية إلى الوجود، فإن عليًا ما كاد يبلغ الرابعة من عمره حتى ضمّه محمد إليه وآخاه، وقد أشار علي إلى تعهد محمد إياه بخطبته التي سميت بالقاصعة)) (٣)، التي ذكرناها في موضع سابق من البحث .

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي: ٢ / ١٨٢ .

(٢) صحيح البخاري: ٣٧٠٦، صحيح مسلم: ٢٤٠٤ .

(٣) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: ٦٧ .



ثالثاً: إسلام الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

المرحلة الثانية المهمة من حياة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ تمثلت بدخوله الدين الإسلامي الحنيف الذي شكّل حدثاً مهماً، إذ كان خاتم الديانات وأكملها من دون شك، إذ اتخذ الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ طفولته خطأً يختلف كل الاختلاف عن قومه وامتك مالم يمتلكه غيره من الأخلاق الحميدة التي أشار إليها القرآن الكريم بصريح العبارة بقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، فكان سلوكه يختلف جذرياً عن مجتمع الجزيرة من حيث التفكير والمعتقد والأخلاق، وهو بذلك اتخذ خطأً موازياً لرسالات الأنبياء وفي مقدّماتهم سيّدنا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ متيقناً أنّ هذا الاتجاه بعيد كل البعد عن قيم الجاهليّة وأدرانها .

وقرّر أن يغيّر مجرى التاريخ، وأن يفتح طريقاً يخترق تيار الجهل ويزيجه إلى الهاوية، وأن يقاوم الانحراف السائد، وأن يُحدث تغييراً جوهرياً في بنية تفكير المجتمع تحوّل شيئاً فشيئاً إلى تيار جارف للوثنيّة والجاهليّة من ربوع الأرض .

إنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي تربّى في حِجر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يسجد لصنم قطّ، ولم يُشرك بالله طرفة عين، وعندما نزل الوحي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى جانبه، وكان أوّل من آمن برسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شهدت بذلك مصادر التاريخ على اختلافها، فعن أنس بن مالك (ت ٩٢هـ) قال: ((أنزلت النبوة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الاثنين وصلّى عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يوم الثلاثاء))^(١)، أمّا سلمان الفارسي (ت بحدود ٣٣هـ) فروي عن أنّه قال: ((أوّل هذه الأمة وروداً على نبيّها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحوض، أوّلها إسلاماً عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ))^(٢) .

(١) سنن الترمذي: ٦٠٠، حديث رقم ٣٧٣٥، وتاريخ الطبريّ: ٢/٢١، وتاريخ دمشق: ٤١/١، والكامل لابن الأثير: ٥٨/٢ .

(٢) تاريخ الطبريّ: ٢/٥٩، وتاريخ بغداد: ٢/٨١، وتاريخ دمشق: ١/٣٢، ٣٦، ٦٥ .



لقد كان نزول الآية القرآنية الشريفة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] إيذاناً للرسول صلى الله عليه وآله بإعلان تبليغ الرسالة الإسلامية، ممّا حدى به إلى جمع أربعين شخصاً أو يزيدون قليلاً من أقربائه في دار عمّه أبي طالب بعد أن أحضر لهم طعاماً مداده فخذاً من الغنم ومقداراً من الخبز وصاعاً من الحليب، فضحك الجميع واستهزؤوا لاعتقادهم بعدم كفاية الطعام قياساً بعددهم، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وآله: كلوا باسم الله، فأكلوا وشبعوا جميعاً، وأخذ بعضهم يُخاطب الآخر.

بعد ذلك خاطبهم النبي صلى الله عليه وآله بكلام صريح ناصح لهم وهم يعرفونه بالصادق الأمين يدعوهم للإيمان بوحدانية الله ورسالة السماء، وممّا ورد في قوله: ((يا بني عبدالمطلب إن الله بعثني للخلق كافة وإليكم خاصّة، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، وثقيلتين على الميزان، تملكون بها العرب والعجم، وتنقاد لكم بها الأمم، وتدخلون بها الجنة، وتنجون بها من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يُحِبِّني إلى هذا الأمر ويؤازرني إلى القيام به يكون أخي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي))^(١).

وقد كرّر رسول الله صلى الله عليه وآله قوله هذا ثلاثاً فلم يسمع جواباً من أحدهم سوى ابن عمّه الصبيّ علي بن أبي طالب عليه السلام في كلّ مرّة، ويقول له: ((أنا ناصرك ووزيرك يا نبيّ الله))، فأقعدته الرسول مرتين وفي الثالثة خاطب القوم قائلاً: ((إنّ خليلي ووزير وخليفتي وخير من أترك بعدي يقضي ديني وينجز موعدي علي بن أبي طالب))^(٢).

إنّ إيمان الإمام علي عليه السلام بالرسالة الإسلامية لم يكن وليد صدفة أو لمجرد الوقوف مع ابن عمّه من أجل نصرته وإنّما عُرف عنه بابتعاده عن كلّ مظاهر العبادة

(١) محاضرات الأدباء: ٢/٢٣٦.

(٢) م.ن: ٢/٢٣٦.



السائدة في المجتمع ولم يعبد لصنم أسوة بغيره، ممّا يعني أنّه كان يفكر بشيء مختلف عن الآخرين حاله حال ابن عمّه الصادق الأمين، وقد تجسّد ذلك الشعور والتفكير المختلف عن انبثاق الدين الإسلامي الحنيف، ممّا جعل الفرصة سانحة لفتى الشاب أن يكون أحد أعمدة الدين الجديد .

ومن الأحاديث الشريفة الأخرى التي قرنت منزلة الإمام علي بمنزلة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قول النبيّ: ((يا علي، من فارقتني فقد فارقت الله، ومن فارقتك فقد فارقتني))^(١).

وممّا تقدّم إضافة إلى الأحاديث الكثيرة يتبيّن للقارئ عمق إيمان الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الإسلام ومساندته للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تبليغ رسالة السماء، وبذلك اكتسب محبّته ومن ثمّ هي محبة الله، ومن يبغض الإمام عليّ فإنّه يبغض الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو من دون أدنى شكّ يبغض الله سبحانه وتعالى، فهما متلازمان في الحبّ والبغض .

رابعاً: المبيت في فراش النبيّ أحد خيارات التضحية بالنفس

سبل الوصول إلى مرضاة الله والإيمان برسائله السماوية متعدّدة ولكن أرفعها هو التضحية بالنفس، وكما وصف الشاعر ذلك بقوله:

يجود بالنفس إن ضنّ الجواد بها

والجود بالنفس أقصى غاية الجود

لقد فصل ابن هشام هذه الحادثة التي نقلها عن ابن إسحق، وحرصاً منا على ضرورة الاختصار، نخلص إلى ما ذكره بأنّه عند دخول المكلفين بقتل النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى داخل بيته فرأوا شخصاً ((على الفراش متسجياً ببرد رسول الله، فقالوا إنّ هذا

(١) المستدرک: ٣/ ١٢٤، وتاريخ دمشق: ٢/ ٢٦٨ .



لمحمد نائماً، عليه برده، فلم يرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام علي عليه السلام من الفراش، فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي كان حدثنا))^(١).

وذكر ابن إسحق ما نزل من القرآن في ذلك اليوم وهو قوله وتعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقول الله عز وجل أيضاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]. فالإمام علي عليه السلام كان يرى الحياة والموت في الله على حد سواء، فإذا كان في الموت نيل رضى الله سبحانه وتعالى فمرحبا بالموت^(٢).

عندما هاجر الرسول إلى يثرب أمر الإمام علي بالبقاء في مكة عدة أيام من أجل ردّ الودائع وقضاء الديون، ثم من بعد ذلك للحاق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة وبمعيته الفواطم (أمه فاطمة بنت أسد و فاطمة الزهراء و فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وقيل إنها فاطمة بنت حمزة).

إن قيام الإمام علي عليه السلام بمهام قضاء الديون والودائع والحفاظ على النساء في تلك الظروف الصعبة كان في غاية الصعوبة والخطر بمكان، فلو شاء القدر أن تعرّض المشركون له واستولوا على هذه الودائع لأصبح في موقف صعب، ولكنه تحمّل ذلك إيماناً منه بضرورة الحفاظ على أموال الناس؛ لأن أداء الأمانة مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام مهما كلف الأمر. وعليه فإنّ مبيت أمير المؤمنين علي عليه السلام في فراش النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن أمراً يسيراً من الممكن أن يؤدّيه أي إنسان اعتيادي، بل كان أمراً يتطلّب شجاعة كبيرة ولاسيما حين يعلم أنّه سيقتل لا محالة، ذلك لأنّ مشركي قريش اتخذوا قراراً لقمع الدين وإنهاء وجود النبي الأكرم في تلك الليلة^(٣).

(١) تاريخ دمشق: ٤٣٦/٧.

(٢) ينظر: الإمام علي السيرة الذاتية والاجتماعية: ٣٤ - ٣٥.

(٣) ينظر: معرفة الإمام علي عليه السلام: ٣/١.



ذُكِرَتْ وَاقِعَةُ لَيْلَةِ الْمَبِيتِ فِي عِدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْكُتُبِ الشَّيْعِيَّةِ، إِذْ وَصَلَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ حُدَّ التَّوَاتُرِ، أَيِ إِثْمًا مِنَ الْكَثْرَةِ بِحَالٍ لَا يُمْكِنُ إِنْكَارُهَا، فَقَدْ رَوَاهَا الشَّيْخُ الْمَفِيدُ (ت ٤١٣هـ) فِي الْإِرْشَادِ، وَالشَّيْخُ الطُّوسِيَّ (ت ٤٦٠هـ) فِي الْأَمَالِي، وَالْعَلَّامَةُ الْأَمِينِيَّ الْعَامِلِيَّ (ت ١١٠٤هـ) فِي مَوْسُوعَةِ الْغَدِيرِ، وَالْعَلَّامَةُ الْمَجْلِسِيَّ (ت ١١١١هـ) فِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ، الَّذِي أَسْهَبَ فِي الْحَدِيثِ عَنْهَا مَفْصَلًا .

وَوَرَدَ ذِكْرُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ فِي عِدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ، وَكُتِبَ التَّفْسِيرُ وَالْحَدِيثُ، عِنْدَ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ الْمَخْتَلِفَةِ مِنْهَا: تَفْسِيرُ الطُّبْرِيَّ (ت ٣١٠هـ) وَابْنُ الْمَغَازِلِيِّ (ت ٤٨٣هـ) فِي مَنَاقِبِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ، وَالْخَوَارِزْمِيَّ (ت ٥٦٨هـ)، وَتَفْسِيرُ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ (ت ٦٠٦هـ)، وَالتَّذَكُّرَةَ لِسَبْطِ بْنِ الْجَوْزِيِّ (ت ٦٥٤هـ)، وَالْإِسْكَافِيَّ (ت ٦٥٦هـ) فِي شَرْحِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْمَعْتَزِيِّ، وَالْكَنْجِيَّ (ت ٦٥٨هـ) فِي كِفَايَةِ الطَّالِبِ، وَالْهَيْثَمِيِّ (ت ٨٠٧هـ) فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ، وَفِي غُرَائِبِ الْقُرْآنِ لِلنِّسَابُورِيِّ (ت ٨٥٠هـ)، وَالْفُصُولَ الْمَهْمَةَ لِابْنِ الصَّبَّاحِ الْمَالِكِيِّ (ت ٨٥٥هـ)، وَكُتِبَ التَّارِيخُ وَمِنْهَا، تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ (ت ٢٨٤هـ)، وَتَارِيخُ الطُّبْرِيَّ (ت ٣١٠هـ)، وَتَارِيخُ بَغْدَادَ لِلْبَغْدَادِيِّ (ت ٤٦٢هـ)، وَأُسْدُ الْغَابَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ (ت ٦٣٠هـ)، وَكُتِبَ الْحَدِيثُ وَمِنْهَا، أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ (ت ٢٤١هـ) فِي مَسْنَدِهِ .

لَمْ يَقْتَصِرْ ذِكْرُ لَيْلَةِ مَبِيتِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْإِشَادَةُ بِشَجَاعَتِهِ عَلَى الْمَصَادِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنَّمَا نَالَتْ اِهْتِمَامًا مَرْمُوقًا عِنْدَ الْمُسْتَشْرِقِينَ الَّذِينَ كَتَبُوا عَنْ أَحْدَاثِ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ، فَجَدَّ الْمُسْتَشْرِقُ الْفَرَنْسِيِّ (سِيدِيُو) فِي كِتَابِهِ (خِلَاصَةُ تَارِيخِ الْعَرَبِ) يَصِفُ أَوَّلَ دَرَسٍ فِي الْبَطُولَةِ وَالْفِدَاءِ، هُوَ ذَلِكَ الدَّرْسُ الَّذِي عَلَّمْنَا إِيَّاهُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا قَبِلَ أَنْ يُؤَاوِرَ ابْنَ عَمِّهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ يَقِفَ إِلَى جَانِبِهِ مُحَامِيًا عَنْهُ وَمُدَافِعًا عَنْ رِسَالَتِهِ وَأَنْ يَكُونَ أَخَاهُ وَخَلِيفَتَهُ وَوَصِيَّهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَكِنْ هَذَا الدَّرْسُ



القائم على الجرأة والإقدام والاستعداد لبذل أعلى ما يملكه الإنسان في سبيل نصره الحق لم يكن إلا مقدمة وبداية لخطوة عملية أكثر وضوحاً وأعمق إيماناً، إنها الخطوة الحاسمة التي تمثلت في قبول الإمام علي عليه السلام النوم في فراش النبي صلى الله عليه وآله كي يفتديه بدمه وروحه في حال هجوم الكفار على بيت النبي ليلاً من أجل الظفر به وقتله ووأد رسالته^(١).

ولا يختلف المستشرق (يان ريشار) عن مواطنه سيديو، إذ وصف الإمام علي عليه السلام بأنه أخو النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وهو الأقرب روحياً إليه، وهو أول من آمن برسالته، وهو البطل الصنديد الذي لا يُشقّ له غبار، وهو الفدائي الأول في الإسلام، إذ وقى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ليلة مبيته في فراشه في شهر أيلول من عام (٦٢٢م) وليس هذا فحسب، بل هو زوج ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام التي أصبحت لاحقاً أمّاً للإمامين العظيمين الحسن والحسين عليهما السلام، ويضيف بأن الإمام علي هو أمين سرّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله^(٢).

وأشار المستشرق الأمريكي إيرفنج إلى أنّ هناك روايات كثيرة تدور حول الموقف البطولي للإمام علي عليه السلام حينما بات في فراش النبي محمد صلى الله عليه وآله عند هجرته من مكة إلى يثرب (المدينة)^(٣).

واستخدم إيرفنج بعض المفردات بعد أن استعرض الدور المميّز الذي مارسه الإمام علي عليه السلام في نصرته النبي محمد صلى الله عليه وآله في تثبيت أركان دولة الإسلام والدين الإسلامي، وهذه المفردات مثل، (الشاب الكريم) و(المؤمن الصالح)

(١) ينظر: خلاصة تاريخ العرب: ٤٧ .

(٢) ينظر: الإسلام الشيعي: ٣٥ .

(٣) ينظر: محمد وخلفاؤه: ١١٧ .



و(المخلص)، ممّا يعني أنّ هذا المستشرق كان موضوعياً في عرضه للأحداث التاريخية والتعليق بشأنها.

المبحث الثاني: الإمام عليّ في المدينة المنورة ورحلة الجهاد

منذ أن وطأت قدماً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرض يثرب التي شرفها بتسمية جديدة هي (المدينة المنورة) لم يهدأ باله إلا بعد أن لحقه الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعه الفواطم، بعد أن أدى كلّ ما بذمّة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أمانات وودائع، وقد اصطفى الرسول عليّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ ليكون له أخاً بعد أن آخى بين المهاجرين والأنصار ولم يبق منهم أحد سوى الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قال الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((آخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه، فقلت: يا رسول الله أخيت بين أصحابك وتركتني فرداً لا أخ لي! فقال: إنّما اخترتك لنفسك، أنت أخي في الدنيا والآخرة، وأنت مّني بمنزلة هارون من موسى. فقامت وأنا أبكي من الجدل والسرور))^(١)، قال الشاعر أبو تمام الطائي (ت ٢٣١هـ) في هذا المعنى:

أخوه إذا عدّ الفخار وصهره
فَمَا مثلهُ أخٌ ولا مثلهُ صهرُ

وَشُدَّ بِهِ أزرَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
كَمَا شُدَّ مِنْ موسى بهارونه الأزرُ^(٢)

منذ تلك اللحظة انطلق الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكلّ ما أوتي من قوّة بالوقوف مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنشر الدعوة الإسلامية والدفاع عنها، وقد تحمّل إلى جانبه معاناة كبيرة لا

(١) بحار الأنوار: ٣٨/٣٤٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٢/٣٠٧.



يتحمّلها إلا من آمن بالله واليوم الآخر على الرغم من حداثة سنّه مقارنة بالمسلمين الآخرين، فقد اشترك في الغزوات كلّها باستثناء غزوة تبوك، وخاض معه المعارك وكان ساعده الأيمن، ورجّح كفة المسلمين على المشركين في أكثر من معركة، وكانت هذه المعارك فاصلة في التاريخ الإسلامي، مثل الخندق وخيبر، وتميّز بسيفه (ذو الفقار) ليكون أشجع رجل عرفه التاريخ على مرّ العصور الإسلاميّة، لذلك سنحاول في هذا المبحث المختصر تسليط الضوء على جهود الإمام علي عليه السلام في نصرته الدين الإسلاميّ وحمل رايته عبر بعض الغزوات والمعارك؛ إيماناً منه بأنّ ذلك يعدّ شعيرة دينية لا يمكن التفريط أو التهاون بيها، فلم نجده في يوم من الأيام يحاول أن يصنع لنفسه مجداً بقدر ما هو واجب ديني يقوم به، وهذا ما لمسناه في تعامله مع الخصوم في المعارك، وهذا ما نسعى إلى إبرازه في هذا المبحث إن شاء الله.

أولاً: معركة بدر الكبرى من بين محطات الجهاد في سبيل الله

تعدّ هذه المعركة تحوّلاً كبيراً في طبيعة العلاقات بين المسلمين والمشركين، إذ شهدت بداية الصراع المسلّح وامتدّ أثرها إلى فترات تاريخية لاحقة وأسفرت عنها أحقاد دفيئة أجمت مشاعر المشركين في حينه للانتقام من المسلمين في أقرب وقت ممكن، ولم يدم ذلك الوقت سوى سنة واحدة عندما حدثت معركة أحد .

حدثت معركة بدر الكبرى في يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، وكان السبب المُعلن بحسب ما ذكرته المصادر التاريخية وأرباب السّير أنّ أبا سفيان قد أقبل بتجارة من الشام وفيها أموالهم وتولّوها ثلاثون أو أربعون رجلاً من قريش .

ذكر الإمام علي عليه السلام قول رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلة المعركة: ((من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس، قال: فقمّت فاحتضنت قربة، ثمّ أتيت قليلاً بعيد القعر مظلمًا،



فانحدرت فيه، فأوحى الله إلى جبرائيل وميكائيل وإسرافيل تأهبوا لنصرة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحزبه، فهبطوا من السماء لهم دوي يذهل من يسمعه، فلما حاذوا القلب وقفوا وسلموا علي من عند آخرهم، إكراماً وتبجيلاً وتعظيماً))^(١).

وعن محمد بن الحنفية (ت ٨١هـ) قال: بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً في غزوة بدر أن يأتيه بالماء، حين سكت أصحابه عن إيراده، فلما أتى القلب وملاً القربة وأخرجها، جاءت ريح فهاقته، ثم عاد إلى القلب فملاًها، فجاءت ريح فهاقته، وهكذا في الثالثة، فلما كانت الرابعة ملاًها فأتى بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره بخبره، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أما الريح الأولى فجبرائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، والريح الثانية فميكائيل في ألف من الملائكة سلموا عليك، أما الريح الثالثة فإسرافيل في ألف من الملائكة سلموا عليك))^(٢).

بدأت المعركة بعدما عبأ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه ودفع الراية إلى الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولواء المهاجرين إلى مصعب بن عمير (ت ٣هـ)، ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر، ولواء الأوس إلى سعد بن معاذ (ت ٥هـ)، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض))^(٣).

خلاصة المعركة أنه ((حمل الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على الوليد فضربه على حبل عاتقه، فأخرج السيف من إبطه، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي، فظننت أن السماء وقعت على الأرض، ثم ضربه عَلَيْهِ السَّلَامُ ضربة أخرى فقتله، ثم التحم حمزة وشيبة، فقال المسلمون: يا علي، أما ترى أن الكلب قد نهز عمك؟ فحمل عليه الإمام

(١) إحقاق الحق: ٩١ / ٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٨٠ / ٢ .

(٣) تفسير مجمع البيان: ٤٣٧ / ٤ .



علي عليه السلام ثم قال: يا عم طأطأ رأسك، وكان حمزة أطول من شيبه، فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي عليه السلام فطرح نصفه، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق، فأجهز عليه^(١).

وبرز حنظلة بن أبي سفيان إلى علي عليه السلام، فلما دنا منه ضربه علي عليه السلام ضربة بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض، وأقبل العاص بن سعيد بن العاص يريد للقتال، فلقبه عليه السلام فقتله. قال الإمام الباقر عليه السلام: ((نادى مُنادٍ في السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي))^(٢).

ولم يختلف اثنان على دور الإمام علي عليه السلام في معركة بدر الكبرى وترجيحه لكفة المسلمين، سواء من الباحثين المسلمين أم الغربيين، فقد خصص المستشرق سيديو مبحثين من كتابه (خلاصة تاريخ العرب) لتوضيح هذا الجانب، لذلك أشار إلى أن أحد الأسباب الهامة والعوامل الفعالة في انتصار المسلمين في موقعة بدر يعود للبطولات الفردية التي خاضها كل من الإمام علي عليه السلام والحمزة عليه السلام، فقد بثَّ الرعب في قلوب صناديد المشركين وفرسانهم بعد أن أجهزوا على أعظم أبطالهم وشجعانهم^(٣).

إن جميع الأطراف التي خاضت معركة بدر كانوا يعرفون تمامًا شجاعة الإمام علي عليه السلام الممزوجة بالإيمان وحلمه وعلمه وعقله الذي لا يماثله فيه أحد سوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن ذلك كان يغيض المشركين بسبب قتلاهم على يد الإمام علي عليه السلام في معركة بدر الكبرى.

لقد ذكر محمد بن إدريس الشافعي أنه: ((دخل رجل من بني كنانة على معاوية بن أبي سفيان، فقال له: هل شهدت بدرًا؟ قال: نعم، فقال معاوية: صف لي ما رأيت؟

(١) تفسير مجمع البيان: ٤/٤٣٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/٧١.

(٣) ينظر: خلاصة تاريخ العرب: ٥٠.



فقال الرجل: رأيت في سرعان الناس علي بن أبي طالب غلامًا، شابًا، ليثًا، عبقرًا، لا يثبت له أحد إلا قتله، ولا يضرب شيئًا إلا هتكه، ولم أر من الناس أحدًا أنفق منه، يحمل حملة ويلتفت التفاته كأنه ثعلب رَوَّاع^(١).

ومن جملة الدروس التي اكتسبها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في معركة بدر هي عدم منع أعداء الإسلام من الماء، فعندما ذهب لجلب الماء للرسول والمقاتلين بعد أن اشتد عليهم العطش رغم كثرة الإعداء حول الآبار، تمكّن من ذلك، فلمّا سيطر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على آبار بدر لم يمنعهم منها، فأصبحت سنة نبويّة اتخذها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من بعده^(٢).

ثانيًا: معركة الخندق

من المعارك المهمّة التي أعادت للمسلمين هيبتهم بعد خسارتهم معركة أحد أمام المشركين هي معركة الخندق وتسمّى بالأحزاب نسبة إلى التحالف الذي جرى بين اليهود والمشركين في مكّة والمدينة.

أسباب المعركة:

عول أغلب أرباب السير والمهتمّين بدراسة التاريخ على أن اليهود هم السبب الرئيس في قيام هذه المعركة بعد إجلاء بني النضير من المدينة، ممّا أثار بغضهم وحقدهم على المسلمين ونيّهم الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخذوا يتحصّنون الفرص للانتقام منهم والتشفيّ بهم، ويذكر أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر بطردهم من المدينة، وأمّا سبب إجلاء بني النضير، فهو نقضهم للعهد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحاولة اغتياله.

فقال الحافظ ابن حجر: ((فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الْيَهُودِ بَنُو قَيْنِقَاعَ،

(١) حلية الأولياء: ٩/١٤٥، والمعجم الكبير للطبراني: ٣/١٥٠.

(٢) ينظر: المعجم الكبير للطبراني: ٣/١٠٥.



فَحَارَبَهُمْ [أي: رسول الله صلى الله عليه وآله] فِي شَوَالٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِهِ، وَأَرَادَ قَتْلَهُمْ، فَاسْتَوْهَبَهُمْ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ [ابن سلول رأس المنافقين]، (وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ) فَوَهَبَهُمْ لَهُ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَدْرِعَاتٍ^(١).

وبعد حادثة الطرد أضمر اليهود العداء للرسول صلى الله عليه وآله وللمسلمين واتجهوا للتحالف مع المشركين في مكة والمدينة نتيجة لتغير موقف اليهود بعد إجلائهم من جانب العداء الذي يكنه المشركون للإسلام والرسول صلى الله عليه وآله من جانب آخر، فالتقت المصالح وأخذوا يُحْطِطُونَ لغزو المسلمين في عقر دارهم والانقضاض عليهم ولاسيما أن المشركين قد انتصروا على المسلمين في معركة أحد، ممّا جعل المشركين وبمساندة اليهود يطمحون في كسر شوكة المسلمين مُجَدِّدًا والقضاء على الإسلام الذي أخذ يُهدِّدُ مصالح المشركين واليهود على حدّ سواء وقضى على نفوذهم في المدينة بعد أن كانوا هم المسيطرين على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فيها. لذلك وبعد مقدّمات وتفصيل كثيرة في التاريخ لاجمال لذكرها استمرت ما يقارب سنتين أو ثلاث اتّفق المتحالفون على غزو المسلمين، وعندما علم الرسول بذلك استشار أصحابه بشأن التدابير التي يجب بها درء الخطر القادم واتّفقوا على حفر خندق حول المدينة، لذلك سمّيت هذه المعركة بهذا الاسم .

وبعد أن حشد الأحزاب قوّاتهم حاصروا المسلمين فوقفوا عند الخندق الذي حال دون عبورهم لملاقاة المسلمين، وقد استمرّ الحصار بعضًا وعشرين ليلة قريبًا من الشهر ولم يحدث بين الطرفين سوى الرمي عبر الخندق^(٢).

وقد وردت روايات كثر بشأن حدوث ثغرة في الخندق تسلّل منها أربعة من فرسان المشركين وتمّ محاصرتهم وبعد ذلك بدأت المنازلة، وسوف نقتصرها على ما

(١) فتح الباري في صحيح البخاري: ٧ / ٣٧٩، وكتاب المغازي، باب بني النضير .

(٢) ينظر: الطبري: ٣ / ٤٧، والبداية والنهاية: ٤ / ١٠٤، والكامل: ٢ / ١٢٤ .



أورده البيهقي نقلاً عن ابن إسحاق إذ قال: ((وخرج عمر بن ودّ وهو مقنّع بالحديد ونادى: من يبارز؟ فقال علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أنا لها يا نبي الله، فقال: إنه عمرو اجلس، ونادى عمرو ألا فيكم رجل وهو يؤنبهم ويقول: أين جتتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إليّ رجلاً، فقام علي فقال: أنا يا رسول الله، فقال اجلس، ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بُححت من النداء
بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جُبُن المشجّع
موقف القرن المناجز
إني كذلك لم أزل
متسرّعاً نحو الهزاهز
إن الشجاعة والساحة
في الفتى خير الغرائز^(١)

فقام الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال يا رسول الله: أنا، فقال: إنه عمرو، فقال: وإن كان عمراً، فأذن له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٢)، وقد أعطاه سيفه ذو الفقار وألبسه وعممه بعمامته السحاب، وقال له: امض لشأنك، ثم قال: اللهم أعنه^(٣)، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً: ((برز الإيمان كله إلى الشرك كله، فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي، قال له: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال: يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك،

(١) مناقب آل أبي طالب: ٢ / ٣٢٥ .

(٢) دلائل النبوة: ٣ / ٤٣٨ .

(٣) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٣ / ١٦٠ .



فانصرف فإني أكره أن أهريق دمك، فقال علي: لكنني والله ما أكره أن أهريق دمك، فغضب فسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً واستقبله علي درقته، فضربه عمرو في الدرقة ففقدتها، وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجّه، وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثار العجاج، فسمع رسول الله صلى الله عليه وآله التكبير فعرف أن علياً قتله، ثم أقبل علي عليه السلام نحو رسول الله ووجهه يتهلهل، فقال عمر بن الخطاب: هلاً استلبت درعه فليس للعرب درعاً خيراً منها، فقال: ضربته فاتقاني بسواته واستحيت أن أستلبه^(١).

فأرسل الله تعالى على المشركين ريحاً عاتية في ليلة شاتية شديدة البرد، فكفأت قدورهم، وطرحت أخبيتهم، وما أن عتم الليل حتى نادى أبو سفيان بجنوده بالرحيل وقال لهم: يا معشر قريش، إن كنا نقاتل أهل السماء بزعم محمد، فلا طاقة لنا بأهل السماء، وحين علم رسول الله صلى الله عليه وآله برحيلهم قال: ((الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم))^(٢).

وهذا يعني أن المسلمين بعد هذه المعركة قد تحولوا من وضع الدفاع إلى وضع يمكنهم الهجوم على أعدائهم سواء كانوا مشركين أم يهود، وحدث ذلك بالفعل عندما حاصروا بنو قريظة نتيجة لنقضهم العهود واشتراكهم مع الأحزاب، وفي الأحزاب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩]، وبعد مقتل عمرو بن ود تم القضاء على كل الذين تسللوا من الثغرة وهم قادة فلول المشركين والذين شكّلوا رأس حربة الجيش المعادي

(١) دلائل النبوة: ٤٣٩/٣، ونبأ المودة: ٢٨١/١.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ٤٦٧/٧.



للإسلام وبذلك كسرت شوكتهم. يُذكر أن دور الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقتصر على قتل عمرو بن ودّ العامري، بل أسهم أيضًا بقتل نوفل بن عبد الله المخزومي الذي كُلف الزبير بقتله، وبعد أن طعنه أتمم الإمام علي قتل بطعنه في ترقوته حتى خرجت الطعنة من مراقه فمات في الخندق^(١).

وعن أبي الحسن المدائني قال: ((لما قتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبد ودّ، نُعي إلى أخته - واسمها عمرة وكنيتها أمّ كلثوم - فقالت: مَنْ ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: ابن أبي طالب، فقالت: لم يعد موته إن كان على يد كفؤ كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر، ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
لكنت أبكي عليه آخر الأبد

لكن قاتل عمرو لا يُعابُ به
مَنْ كان يُدعى قديمًا بيضة البلد

من هاشم ذراها وهي صاعدة
إلى السماء تُميت الناس بالحسد

قومُ أبي اللّه إلا أن يكون لهم
كرامة الدين والدنيا بلا لدد^(٢)

وعلى الرغم من أن معركة الخندق لم تكن بحجم معركتي بدر وأحد، ولم يتكبّد الأحزاب فيها خسائر كبيرة بالأرواح، إلا أنّها كانت معركة قد تدخل فيها

(١) ينظر: دلائل النبوة: ٣/ ٤٤٠ .

(٢) أعيان الشيعة: ١/ ٢٦٥ .



النصر الإلهي بعد أن عاش المسلمون فيها اختباراً كبيراً وظروفاً عصيبة من حصار وجوع ورهبة نتيجة لحجم القوّات المرابطة على الطرف الآخر من الخندق، وأثبت المسلمون فيها بأنهم قادرون على الدفاع عن أنفسهم في أصعب الظروف، وتمكّنوا من خداع الأحزاب بحفر الخندق في مدّة قصيرة وأوقعوهم في المصيدة بعد أن اعتقدوا بأنهم قادرون على عبور الخندق، وعندما حاولوا بلوغ ذلك لاقوا حتفهم على يد الإمام علي عليه السلام والزبير وانهزموا شرّ هزيمة .

ثالثاً: معركة خيبر:

شهدت هذه المدينة في السنة السابعة للهجرة بعد صلح الحديبية بسنة حرباً بين اليهود الساكنين فيها والمسلمين القرييين منها بسبب الاعتداءات المتكرّرة التي قام بها اليهود ضدّ المسلمين وتحريضهم أطرافاً أخرى من المشركين الساكنين في مكّة من أجل الانتقام من المسلمين نتيجة لإجلاء بعضهم بما اقترفت أيديهم من إيذاء وتحريض ونفاق .

إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين خرج إلى خيبر فأثابها ليلاً، وكان إذا أتى قومًا بليل لم يغر حتى يُصبح، فلما أصبح خرجت يهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمّد والله، محمّد والخميس، يقصدون العسكر.

بدأ اقتحام خيبر عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر برأيته - وكانت بيضاء - لفتح خيبر، ولكن رجع أبو بكر ولم يتمكّن من فتحها، ثمّ بعث صلى الله عليه وآله في الغد عمر بن الخطّاب برأيته ومعه الناس، فلم يتمكّنوا من اقتحام أوّل حصن ورجعوا مهزومين، وخرجت كتائب اليهود يتقدّمهم ياسر أو ناشر - أخ مرحب - فكشفت الأنصار حتى انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فاشتدّ ذلك على رسول الله، وقال صلى الله عليه وآله: ((لأبعثنّ غدًا رجلاً يحبّ الله



ورسوله ويحبانه، لا يولي الدبر، يفتح الله على يديه))^(١)، وفي رواية أخرى: ((لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كزار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه))^(٢)، فتناولت الأعناق لترى لمن يعطي الراية غداً، ورجا كل واحد من قريش أن يكون صاحب الراية غداً، وكان الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أرمداً العين، فدعاه عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقيل له: إنه يشتكي عينيه، فلما جاء الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أخذ عَلَيْهِ السَّلَامُ من ماء فمه، وذلك عينيه، فبرئتا حتى كأن لم يكن بهما وجع، ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((اللهم أكفه الحرّ والبرد))^(٣) فما اشتكى من عينيه، ولا من الحرّ والبرد بعد ذلك أبداً، فعقد عَلَيْهِ السَّلَامُ للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ودفع الراية إليه، فقال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((يا رسول الله، علام أقاتلهم))^(٤)؟ فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإذا فعلوا ذلك حقنوا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله عز وجل))^(٥)، وزاد في رواية: ((وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم تتصدق بها في سبيل الله))^(٦).

فخرج الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لخبير، قال سلمه: فخرج - الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يهرول وأنا خلفه، نتبع أثره، حتى ركز رايته تحت الحصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحصن، فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي: علوتم أو غلبتم، وخرج إليه أهل الحصن، وكان أول من خرج إليه أخ مرحب وكان فارساً شجاعاً، فانكشف

(١) المستدرک علی الصحیحین: ٣/٣٨، والمعجم الصغير: ١١/٢ .

(٢) بحار الأنوار للمجلسي، ٩/٣٩ .

(٣) بحار الأنوار، ٣٥/٤٢ .

(٤) أعيان الشيعة: ١/٢٦٩ .

(٥) ن.م: ١/٢٧٠ .

(٦) صحيح البخاري: ٤/٢٠٧، ٥/٧٧ .



المسلمون وثبت الإمام علي عليه السلام، فتضاربا فقتله الإمام علي عليه السلام، وانهزم اليهود إلى الحصن، فلما علم مرحب بمقتل أخيه نزل مسرعاً وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتنم بعمامتين، ولبس فوقهما مغفراً وحجرًا قد أثقبه قدر البيضة لعينيه، ومعه رمح لسانه ثلاثة أشبار، وهو يرتجز ويقول:

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أُنِّي مَرْحَبُ
شَاكِي السَّلَاحِ بَطْلُ جُزْبُ
أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهَبُ
فردَّ الإمام علي عليه السلام عليه، وقال:

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةٌ
أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلِ السَّنْدَرَةِ
لَيْثٌ بِغَابَاتٍ شَدِيدِ قَسْوَرَةٍ

فاختلفا ضربتين، فبادره الإمام علي عليه السلام فضربه فقد الحجر والمغفر ورأسه، حتى وقع السيف في أضراسه فقتله، فكبر الإمام علي عليه السلام وكبر المسلمون معه، فانهزم اليهود إلى داخل الحصن وأغلقوا باب الحصن عليهم، وكان الحصن مُخندقًا حوله، فتمكن الإمام علي عليه السلام من الوصول إلى باب الحصن، فعالجه وقلعه، وأخذ باب الحصن الكبيرة العظيمة التي طولها أربعون ذراعًا، فجعلها جسراً فعبر المسلمون الخندق، وظفروا بالحصن ونالوا الغنائم ^(١).

فلما فرغ عليه السلام من فتح خيبر قال: ((والله ما قلعتُ بابَ خيبرِ وقذفتُ به ورائي

(١) ينظر: أعيان الشيعة: ٢٧٥ / ١ .



أربعين ذراعاً، لم تحس أعضائي بقوة سديّة وحركة غريزية بشرية، ولكنّي أُيدت بقوة ملكوتية، ونفسٍ بنور ربّها مضيئة، وأنا من أحمد عَلَيْهِ السَّلَامُ كالضوء من الضوء، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت، ولو أردت أن أنتهز فرصة من رقابها لما بقيت، ومن لم يبالٍ متى حتفه عليه ساقط، كان جنانه في الملمات رابطاً^(١).

المبحث الثالث: الكوفة محطة الإمام الأخيرة لقيادة الأمة الإسلامية:

شكل نقل الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لعاصمة الخلافة الإسلامية إلى الكوفة حدثاً تاريخياً مهماً، إذ حدث ذلك نتيجة اعتبارات كثيرة أسهب في ذكرها الباحثون، ولسنا بصدد التطرّق إليها ما خلا المتعلّق منها بالجانب الدينيّ وجهاد الإمام عليّ في سبيل الله سبحانه وتعالى لارتباط ذلك بموضوع بحثنا.

أفرزت حادثة القتل تلك عن محاولة بعض الطامحين في السلطة وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام منذ سنة (٢٠) للهجرة فراقت له السلطة، وطلحة والزبير، ومن يحملون مواقف سلبية تجاه الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ كعائشة بنت أبي بكر إلى اتهام الإمام بكونه هو من حرّض على قتل عثمان بن عفان، من دون دليل قاطع وإنما لأهداف شخصية، فأخذ هؤلاء يعدّون العدة للتحرّك بأسرع وقت ممكن لشنّ حرب ضدّ الإمام عليّ، وكان أوّل من أقدم على ذلك عائشة بتحريض من طلحة والزبير الذين تحرّكوا إلى البصرة لمحاولة الاستيلاء عليها عام (٣٦) هـ.

أولاً: معركة الجمل:

هي أولى المعارك التي خاضها الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في بدء خلافته للدفاع عن دولة الإسلام التي أرسى دعائمها الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقاد هذه المعركة في الجانب الآخر كلّ من طلحة والزبير وعائشة الذين استهدفوا تقويض أركان هذه الدولة وأحداث شرخ

(١) عيون المعجزات: ٧.



في وحدتها التي طالما سعى الرسول صلى الله عليه وسلم وابن عمه الإمام علي عليه السلام إلى تعزيزها وقدموا بعض التنازلات في سبيل استقرار المجتمع وحقن دماء المسلمين، ولكن من بين الذين سعوا إلى خلق الفتنة والتمرد على سلطة الإمام علي عليه السلام هم طلحة والزبير وعائشة نتيجة لأطماعهم في السلطة والكره المتأصل في النفوس، وجحفلوا مقاتليهم متجهين نحو البصرة التي فيها مؤيدين للزبير، وعندما علم الإمام علي عليه السلام بما خططوا إليه سعى إلى حقن الدماء وأرسل كتباً إلى كل من طلحة والزبير وعائشة من أجل ثنيهم عما عزموا عليه، لكي يُلقى الحجّة عليهم أمام الله ويبرء ذمته عن كل ما يحدث جرّاء إقدامهم على الحرب واضطرار الإمام لخوضها .

كتب الإمام علي عليه السلام من الربذة كتاباً إلى طلحة والزبير يقول لهما: ((أما بعد، يا طلحة، ويا زبير، فقد علمتُ ما أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى أكرهوني، وأنتما أوّل من بادر إلى بيعتي، ولم تدخلوا في هذا الأمر بسلطانٍ غالب، ولا عرضٍ حاضر وأنت يا زبير ففارس قريش، وأنت يا طلحة فشيخ المهاجرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع لكما من خروجكما منه، إلا أن هؤلاء بنو عثمان هم أولياؤه المطالبون بدمه، وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد أخرجتكما أمكما [عائشة] من بيتها التي أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه، والله حسبكما، والسلام))^(١).

وأرسل كتاباً إلى عائشة يقول لها: ((أما بعد، فإنك خرجت من بيتك تطلين أمراً كان منك موضوعاً، ثم تزعمين أنك لن تريدين إلا الإصلاح بين الناس، فخبّريني ما النساء وقود العسكر؟ وزعمت أنك مطالبة بدم عثمان، وعثمان من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة، لعمرى إن الذي أخرجك لهذا الأمر وحملك عليه لأعظم ذنباً إليك من كل أحد، فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى



منزلك وأسبلي عليك سترك، والسلام))^(١).

ولكن تلك الكتب لم تجد نفعاً أمام نواياهم المبيّنة لخوض الحرب فوصلوا إلى البصرة وخلعوا واليها عثمان بن حنيف واتفقوا شعر لحيته، واستولوا على بيت المال، ومن ثمّ قتلوه ممّا اضطرّ الإمام إلى جمع مقاتليه والتوجّه إلى البصرة، وهناك التقى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالزبير، وذكره بما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم قال الزبير: يا رسول الله، لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا زبير، ليس بعليّ زهوه، ولتخرجنّ عليه وتحاربه وأنت ظالم له، قال الزبير للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللهم، نعم لقد كان ذلك، ولكنني نسيت ذلك، وما ذكرتني أنسانيه الدهر! ولو ذكرته لما خرجت عليك، فكيف أرجع وقد التقت حلقتا البطان، والله أنّ هذا هو العار الذي ليس له مثل، فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: يا زبير، ارجع قبل أن تجمع العار والنار، قال: إذن، لأمضينّ وأنا أستغفر الله تعالى، فكّر راجعاً ولم يجاربه، وتبعه عمرو بن جرموز فقتله، ودفنه في وادي السباع^(٢).

وواصل الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ سعيه الإنساني النابع من دينه وعقيدته الراسخة إلى اللجوء للسلم بدل الحرب، فبعث الإمام إلى أتباع طلحة والزبير وعائشة يدعوهم إلى السلم ونبذ الحرب ولكن دون جدوى، ممّا اضطرّه إلى إرسال شخص آخر يحمل مصححاً يدعوهم فيه إلى كتاب الله، فما كان منهم إلا أن ردّوا عليه بسهم وأردوه قتيلاً، وعلى الرغم من هذا الحدث المروّع، توجّه لهم عمار بن ياسر وتوسّط الصّفيين وقال: أيّها الناس، ما أنصفتم نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين كفتتم عقائلكم في بيوتكم وأبرزتم عقيلته للسيوف، فرشقوه بالنبل، فرجع^(٣).

فأصبح الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد ذلك مجبراً على خوض الحرب التي انتهت بانتصاره

(١) الفصول المهمة: ١/ ٣٨٨.

(٢) ينظر: وقعة الجمل: ١٣١.

(٣) ينظر: م. ن: ١٢٧.



ومقتل الزبير في أثناء انسحابه من المعركة ومقتل طلحة، والآلاف من الجانبيين، أما عائشة فقد حافظ الإمام على حياتها وأرجعها إلى المدينة معززة بكرامة بصحبة أخيها محمد بن أبي بكر على الرغم مما فعلته تجاه الإمام، وأعلن العفو عن الناجين من المعركة تجسيداً لمبدأ العفو عند المقدرة التي طالما تميّز بها عبر مسيرته الجهادية. من الدروس المستخلصة من معركة الجمل أن الإمام علي عليه السلام قد استنفذ كل السبل التي فرضها الدين الإسلامي للحيلولة دون اللجوء للحرب على عكس الطرف الآخر الذي سعى إليها دون الاكتراث لما وقع من خسائر وإزهاق الأنفس التي حرّم الله قتلها إلا بالحق، وعندما وضعت الحرب أوزارها تعامل مع الطرف الخاسر بما يمليه عليه دينه وإنسانيته ولم ينتقم منهم وأصدر العفو عنهم، وهذا نفسه يمثل جوهر الدين الإسلامي الذي سعى الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام على تطبيقه ونشره بين الناس.

ثانياً: معركة صفين:

حدثت هذه المعركة في سنة (٣٧) هـ، أي بعد سنة من حرب الجمل، لقد أدرك الإمام الخطر القادم على الدولة وحاول ما بوسعه أن يتفادى الحرب مرة ثانية، وسلك الطرق الدبلوماسية المستوحاة من مبادئ الإسلام، وبدأ بالمراسلات مع معاوية يحثه فيها على الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وحقن دماء المسلمين .

من بين الرسائل التي أرسلها الإمام علي عليه السلام لمعاوية مبيناً له فيها حقيقة إسلامه وكثير من أقرائه من دون أن يكون لهم سبق عن غيرهم، إذ خاطبه بالقول: ((ولمّا أدخل الله العرب في دينه أفواجاً، وأسلمت له هذه الأمة طوعاً وكرهاً، كنتم ممن دخل في الدين أمّا رغبة وأمّا رهبة، على حين فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب



المهاجرون الأولون بفضلهم، فلا تجعلن للشيطان فيك نصيباً، ولا على نفسك))^(١). بعد ذلك خاطبه بالقول: ((ومتى كنتم يا معاوية ساسة للرعية، أو ولاة لأمر هذه الأمة بغير قدم حسنٍ ولا شرفٍ سابقٍ على قومكم ...، واعلم أن الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا وامتنوا به علينا، ولكنه قضاء ممن امتنَّ به علينا على لسان نبيِّه الصادق المصدَّق، لا أفلح من شك بعد العرفان والبيّنة))^(٢)، بهذا القول الواضح للإمام عليّ عليه السلام أكد أسبقيته في الإسلام وأحقّيته في الخلافة بنصّ نبويّ، وبذلك جرّد معاوية وأدحض حجّته بمنافسته للإمام عليّ عليه السلام ومحاولته تولّي أمر المسلمين دون استحقاق .

وغالبا ما كان ردّ معاوية على رسائل الإمام عليّ عليه السلام يتضمّن التهديد والوعيد والتقليل من شأن الإمام، ممّا دعانا إلى صرف النظر عن ذكر ما قاله معاوية، ممّا دفع الإمام عليّ عليه السلام إلى وضع معاوية في محل اختبار حقيقيّ وموقف محرج أمام أتباعه حينما دعاه للمنازلة الفردية أكثر من مرّة، بالقول: ((فإن كنت صادقاً فيما تسطرّ ويعينك عليه أخو بني سهم (يقصد به عمرو بن العاص)، فدع الناس جانباً، وتيسّر لما دعوتني إليه من الحرب والصبر على الضرب، واعف الفريقين من القتال، ليعلم أيّنا المرين على قلبه، المغطّى على بصره، فأنا أبو الحسن قاتل جدّك وأخيك وخالك، وما أنت منهم ببعيد))^(٣).

وكان الإمام عليّ عليه السلام يخرج بين الصفوف المتهيّئة للقتال في معركة صفين ويخاطب معاوية بالقول: ((يا معاوية، علام يقتل الناس؟ أبرز إليّ وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب))^(٤)، وقتها قال عمرو بن العاص مخاطباً معاوية:

(١) نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة: ٤/٢٤٧ .

(٢) م. ن: ٤/٢٤٨ .

(٣) م. ن: ٤/٢١٠ .

(٤) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب: ٢/٣٨ .



((أنصفك الرجل يا معاوية، فضحك معاوية وقال: طمعت فيها يا عمرو، فقال عمرو: والله ما أراه يجمل بك إلا أن تبارزه، فقال معاوية: ما أراك إلا مازحًا، نلقاه بجمعنا))^(١).

يُذكر أن عمرو بن العاص حينها قال لمعاوية: ((أتجن عن عليّ وتتهمني في نصيحتي إليك؟ والله لأبارزنّ عليًا ولو متّ أوّل موته في أوّل لقائه، فبارز عمرو فطعنه عليّ فصرعه، فأتقاه عمرو بعورته، فانصرف عنه عليّ، وولّى وجهه دونه، وكان عليّ عليه السلام لم ينظر قطّ إلى عورة أحد حياءً وتكرّمًا، وتنزّها عمّا لا يحلّ ولا يجمل بمثله))^(٢).

يبدو واضحًا لكلّ منصف في التاريخ أنّ دعوات الإمام عليّ عليه السلام لمبارزة معاوية شخصًا لشخص تؤكّد سعيه لحقن الدماء انطلاقًا من عقيدته التي تحثّه على ذلك، على الرغم من سعي معاوية للحرب واعتدائه المتكرّرة على أتباع الإمام عليّ عليه السلام، إضافة لذلك تؤكّد شجاعة الإمام مقابل جُبن معاوية بن أبي سفيان وتخاذله، وإلا لو كان صاحب مبدأ وعقيدة لأقدم على مبارزة الإمام عليّ عليه السلام وجنّب الناس الأبرياء سفك الدماء .

الأمر المهم الآخر الذي تجدر الإشارة إليه وله علاقة مباشرة ببحثنا هو مبارزة الإمام عليّ عليه السلام لعمرو بن العاص وعزوفه عن قتله نتيجة لكشف عورته بعد أن طرحه أرضًا، له دلالة واضحة على امتلاك الإمام أخلاق الفارس الشجاع المتمسك بدينه دون أن ينال منه الزهو أو حبّ الانتقام من عدوه، وهذه هي مدرسة الرسول صلّى الله عليه وآله وتربيته الإسلامية على الرغم من كون العدو لا يستحقّ الرأفة كونه كان أحد أطراف الفتنة .

(١) الإمامة والسياسة: ١٠٦/١ .

(٢) م.ن: ١٠٦/١ .



ثالثاً: معركة النهروان:

هذه المعركة هي الثالثة في الثلاث سنوات الأولى من حكم الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي بمعدل حرب في كل سنة، وهذا الأمر بحد ذاته يعدّ مؤشراً خطيراً على حجم التحديات والمؤامرات التي تعرّض لها الإمام في مدّة خلافته التي استمرت ما يقارب الخمس سنوات .

إنّ الإمام عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يدرك بأنّ هؤلاء القوم هم الخوارج الذين سمّاهم النبيّ محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمارقين من الدين، لذلك أخذ يحثّ أصحابه في أثناء مسيرهم إليهم ويحرضهم على قتالهم، وعسكر الجيش في مقابلة الخوارج يفصل بينهما نهر النهروان وأمر جيشه ألاّ يبدؤوا بالقتال حتّى يجتاز الخوارج النهر غرباً، وأرسل الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُسله يناشدهم الله ويأمرهم أن يرجعوا وأرسل إليهم البراء بن عازب يدعوهم ثلاثة أيام فأبوا، ولم تزل رُسله تختلف إليهم حتّى قتلوا رسله واجتازوا النهر^(١).

وعندما تمادى الخوارج وقطعوا الأمل في كلّ محاولات الصلح وحفظ الدماء ورفضوا عناداً واستكباراً العودة إلى الحقّ وأصروا على القتال، قام الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بإعداد جيشه وتهيئته للقتال .

زحف الخوارج باتجاه جيش الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقدّم بين يديه الخيل والرماة وصفّ الرجّالة وراء الخيالة وقال لأصحابه: كفّوا عنهم حتّى يبدؤوكم، وأقبلت الخوارج يقولون: لا حكم إلاّ لله الرواح الرواح إلى الجنّة، وبعد معركة حاسمة وقصيرة أخذت وقتاً من اليوم التاسع من شهر صفر عام ٣٨ هـ، أسفرت هذه المعركة الخاطفة عن عددٍ كبير من القتلى في صفوف الخوارج، فتذكر الروايات أنّهم

(١) ينظر: السنن الكبرى: ١٧٩/٨ .



أصيبوا جميعاً، ويذكر المسعودي: أن عددًا يسيرًا لا يتجاوز العشرة فرّوا بعد الهزيمة الساحقة، أمّا جيش الإمام علي عليه السلام فقد قُتل منه رجالان فقط، وقيل قتل اثنا عشر أو ثلاثة عشر، وقيل لم يقتل من المسلمين إلا تسع^(١).

يبدو واضحًا لكلّ من تتبّع سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنّه كان مسالمًا في كلّ مفاصل حياته، ولم يلجأ إلى مخاصمة أحد وإن كنّ له العدا، إلا في حالة لجوء الخصم إلى استخدام القوة ضدّ المسلمين، وبعد أن يستنفذ الإمام كلّ وسائل السلم، فإن لم ينفع ذلك يلجأ إلى استخدام السيف بعد أن يكون الطرف الأوّل هو المبادر لذلك، وهذا ما لاحظناه في كلّ الحروب التي خاضها قبل خلافته أو في أثنائها، والأخيرة أكثر وضوحًا حينما ارتبط أمر الحرب به مباشرة بعد أن أصبح خليفة المسلمين وقائدهم الروحي والسياسي، وخير مثال على ذلك ما جرى في معارك الجمل وصفين والنهران، وهو بذلك قد جسّد مبادئ الدين الإسلامي الحنيف التي دعت إلى السلم قبل الحرب، إذ قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

وحتىّ اللحظات الأخيرة من حياة الإمام علي عليه السلام كان حريصًا على إيصال رسالته إلى أبنائه من بعده وهي بالتأكيد رسالة لكلّ المسلمين، إذ أكّد فيها على طاعة الله والعمل بكتابه وبسيرة نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله، ومن بين ما قاله في وصيّته: ((أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما، وقولا بالحقّ واعملا للأخرة وكونا للظالم خصمًا وللمظلوم عونًا، أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم، فإنّي سمعت جدّكما صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام))^(٢).

(١) مروج الذهب: ٢/ ٥٣٥، مصنف ابن أبي شيبة: ٣١١/ ٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ١٧.



وهذا هو جوهر الدين الذي تمسك به الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وميّز حياته من غيره فلم تأخذه في الحق لومة لائم، ولم يتنازل عن مبادئه من أجل منصب، ولم يلجأ إلى سياسة المهادنة التي من ورائها تحقيق غاية على حساب الدين، ولم يغال في الانتقام من عدوه وإنما كان هو إلى العفو الأقرب.

خاتمة البحث:

برعاية الله وتوفيقه وبعد اكتمال هذا البحث لا بد لنا من استخلاص الأفكار الأساسية التي دار حولها، ونأمل أن نكون قد وفقنا في مسعانا لإكمال أركان البحث، وهي كالآتي:

- ١- تجلّت رعاية الله سبحانه وتعالى للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ ولادته، إذ جعلها في بيته الكعبة المشرفة دون سائر البشر، فلم يسبقه أو يعقبه إلى ذلك أحد، وهذه منقبة تفرد فيها.
- ٢- أقدم رغم صغر سنّه على تلبية نداء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما دعا قومه للإسلام في الوقت الذي أحجم عن ذلك رجال كبار عرفوا بإمكاناتهم الاجتماعية وقربهم من رسول الله، خوفاً من عواقب هذا الأمر الجلل، في حين لم يأخذ الخوف مأخذه في تفكير الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وقرّر نصرته ابن عمّه في ذلك الظرف الصعب ويكون أول من أسلم.
- ٣- عزّز موقفه الشجاع بمبितته في فراش الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينما هاجر إلى يثرب ولم تشنه عواقب هذا الفعل التي تصل إلى حدّ القتل، وهذا هو بنفسه أعلى درجات الجهاد في سبيل الله .

٤- نال الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ درجة رفيعة لم ينلها غيره حينما آخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينه ونفسه في الدين وقرن منزلته بمنزلة هارون من موسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

٥- كان له دور متفرد، إذ لم يضاهيه أحد سوى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نصرته الإسلام والمسلمين في أثناء المعارك التي خاضها في سبيل الله، وفي خيبر وصف الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



ضربة الإمام علي لمرحب اليهودي بأنها تعادل عبادة الثقلين، لما كان لهذه المعركة من أثر في تثبيت أركان الدولة الإسلامية .

٦- عندما تولى الإمام علي عليه السلام الخلافة سار بالمسلمين بما أقرّه الدين ولم تأخذه في اتباع الحق لومة لائم، ولم يهادن أتباع الجمل ومعاوية والخوارج الذين شقّوا صفّ المسلمين من أجل مصالحهم الشخصية، ولم يستخدم مبدأ الغاية تبرر الوسيلة التي استخدمها معاوية مع أعدائه، بل سار على وفق الشريعة الإسلامية وخاض حروب الجمل وصفين والنهروان على الرغم من الضريبة الباهضة التي ترتبت على تلك الحروب .

٧- تعامل على وفق الشريعة الإسلامية حتّى مع قاتله عبدالرحمن بن ملجم ولم يوص بالانتقام منه كما جرت العادة في المجتمع العربيّ، وإنّما حثّ ولديه على الرأفة والعفو، وإنّ لزم القتل فضربة بضربة فهو إلى الله أقرب .

٨- خلاصة الأمر، مهما كتب الباحثون عن الإمام علي عليه السلام فهو بمثابة نقطة في بحر ولم ينل حقّه كاملاً، بل الله سبحانه وتعالى هو من يجزيه حقّه لما فعله من أجل الدين ونصرة المظلومين .



قائمة المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

١. إحقاق الحق وازهاق الباطل (ملحقات الاحقاق)، التستري، نور الدين الحسيني المرعشي (ت ١٠١٩هـ)، تعليق شهاب الدين النجفي المرعشي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت - د. ت.
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار ابن حزم للطباعة، بيروت، ط ١ - ١٤٣٣ / ٢٠١٢ م.
٣. الإسلام الشيعي، يان ريشار، ترجمة حافظ الجمالي، دار عطية، بيروت، ١٩٦٦ م.
٤. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين العاملي (ت ١١٠٤هـ)، مطبعة ابن زيدون، دمشق، ١٣٥٣ / ١٩٣٥ م.
٥. الإمام علي بن أبي طالب السيرة الذاتية والاجتماعية، زهير الأعرجي، مؤسسة جواثا للنشر، بيروت.
٦. الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، جورج جرداق، البحرين، ١٤٢٣ / ٢٠٠٣ م.
٧. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة (ت ٢٧٦)، تحقيق علي شري، بيروت، ١٩٩٠ م.
٨. بحار الأنوار لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، مؤسسه الوفاء، بيروت، ١٩٨٣ م.
٩. البداية والنهاية، ابن كثير (ت ٧٧٤)، تحقيق الدكتور أحمد بو ملحم وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
١٠. تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، د. ت.



١١. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت .
١٢. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر (ت ٥٧١هـ). تحقيق محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي، بيروت، ط ٢، ١٣١٨هـ .
١٣. تذكرة الخواص، سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤١٨ م .
١٤. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ع)، محمد بن أحمد الشافعي (ت ٨٧١هـ)، تحقيق محمد باقر المحمودي، مطبعة دانش، قم، د. ت .
١٥. خلاصة تاريخ العرب، سيديو، ترجمة عادل زعيتر، دار الآثار، بيروت، ١٩٨٠ م .
١٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٢٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨ م .
١٧. السنن، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٩٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ .
١٨. السنن الكبرى، البيهقي (ت ٢٧٦هـ)، دائرة المعارف النظامية، الهند، ١٣٤٤هـ .
١٩. السيرة النبوية (٤ مجلدات في كتاب واحد)، ابن هشام (ت ٣١٨هـ)، تحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥ م .
٢٠. الشافعي، شمس الدين أبو البركات محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني (ت ٨٧١هـ).
٢١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧ م .
٢٢. الصحيح، البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١ م .



٢٣. الصحيح، مسلم (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٩٥ .
٢٤. عيون المعجزات، الشيخ حسن عبدالوهاب، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٩٥٠ م .
٢٥. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الأميني (ت ١٣٧١هـ)، نشر محمد الاخوندي، د. م، ط ٢، د. ت .
٢٦. فتح الباري في صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، المكتبة السلفية، الرياض، د. ت .
٢٧. الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة، ابن الصباغي المالكي (ت ٨٥٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف، ط ٣، ١٩٦٢ .
٢٨. الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ٢٠٠٣ م .
٢٩. كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت، د. ت .
٣٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار العلوم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م .
٣١. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الاصبهاني (ت ٥٠٢هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، د. ت .
٣٢. محمد وخلفاؤه، ايرفنج، ترجمة الدكتور هاني يحيى، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٩ م .
٣٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) .



٣٤. المصنف في الأحاديث والأخبار، ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٩٨٢ م.
٣٥. المعجم الصغير، الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣ م.
٣٦. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق حمدي عبدالحميد، الموصل، ط ٢، ١٩٩٠ م.
٣٧. معرفة الإمام علي (ع)، محمد حسين الحسيني الطهراني، د. م. د. ت.
٣٨. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١ م.
٣٩. نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلي (ت ٧٢٦هـ)، تعليق الشيخ عين الله الحسيني الأرموي، دار الهجرة، قم، ط ١، ١٤٠٠ هـ.
٤٠. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، محمد باقر المحمودي، مكتبة الروضة الحيدرية، ط ٢، ١٩٨٥.
٤١. وقعة الجمل، محمد بن زكريا الغالبي (ت ٢٩٨هـ)، تحقيق محمد حسين الياسين، منشورات مدينة المعارف، بغداد، ١٩٥٠ م.
٤٢. ينابيع المودة، القندوزي البلخي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق علاء الدين الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧ م.

الأثر القرآني للإمام عليؑ في الفكر الاستراتيجي وسياسة

الحكم الرشيد

أ.م. أحلام أحمد عيسى

التخصص الدقيق: جغرافية سياسية

الجامعة المستنصرية - كلية التربية - قسم الجغرافية

الملخص:

الإمام عليؑ متكامل بجميع الخصال، كان كاتباً حافظاً للقرآن أعلم الناس بالفرائض، فكان يرجع إليه الخلفاء والصحابة في كثير من مسائل الدين وتفسير القرآن، نشأ الإمام عليؑ في كنف رسول الله محمدﷺ وكان ملازماً له منذ الدعوة وحتى وفاته، له دور كبير وفعال في حفظ الأحاديث النبوية، وكان حادّ الذكاء في الفقه يستند إلى القرآن، وكان للإمام دور مهمّ في العلوم القانونية، وكذلك له دور أساسي في الحكم الرشيد؛ إذ كان يخاطب المسؤولين ورجال السياسة موجّهاً إليهم توجيهات وتعليمات سياسية، مثل ما حصل في عهد مالك الأشتر، إذ نصحه بمضامين تربوية أخلاقية سياسية من أجل إصلاح المجتمع وتوفير متطلبات عامّة الناس وتحقيق الرفاه الاجتماعي، والأهمّ من ذلك تقوية الوازع الديني والأخلاقي لدى الناس، إذ إن التربية السياسية والدور السياسي لأمر المؤمنين من خلال دوره الأساس في الحكم الرشيد وتوجيه الأمة إلى الطريق الصحيح من خلال الجانب القانوني والسياسي وتقويم المجتمع والخروج إلى برّ الأمان من مشاكل المجتمع، فالتربية السياسية عند أمير



المؤمنين تعني إصلاح الطاقات الإدارية والسياسية الكامنة في ذات الفرد في ضل القيم الدينية والقوانين، من أجل إعداد مواطنين يشعرون بالمسؤولية ويدركون الواجب خوفاً من الله لا غيره، لذا فإن أتباع القرآن ونهج أمير المؤمنين يعدّ الوعاء الأصلح لأعداد ملاكات ذات خبرة في إدارة شؤون المجتمع والوصول إلى برّ الأمان، وقد جاء البحث بثلاثة محاور، الأوّل ناقش السيرة العلمية للإمام عليّ عليه السلام في علوم القرآن وتفسيره، والثاني أدوار الإمام عليّ وخطابه السياسي ونجاح القائد الاستراتيجي، والثالث تناول الجانب القانوني للإمام عليّ عليه السلام في بناء الدولة والحكم الرشيد، الكلمات المفتاحية: الإمام عليّ عليه السلام، القائد الاستراتيجي، الحكم الرشيد، الخطاب السياسي.

Abstract:

Imam Ali, peace be upon him, was perfect for all qualities. He people about the religious duties. The caliphs and companions used to refer to him in many matters of religion and interpretation of the was a writer, memorizer of the Qur'an, and the most knowledgeable of Qur'an. Imam Ali, peace be upon him, grew up under the care of the Messenger of God Muhammad (may God's prayers and peace be upon him and his family) and was with him from the time of the call until His death played a major and effective role in preserving the Prophet's hadiths. He was very intelligent in jurisprudence based on the Qur'an. The Imam had an important role in the legal sciences, and he also had a fundamental role in good governance, as he addressed officials and politicians in the book Nahj al-Balagha, giving political directives and instructions, especially to officials among them. As in the era of Malik al-Ashtar, he advised moral and political educational content in order to reform society, provide



the needs of the general public and achieve social well-being, and most importantly, strengthen the religious and moral motives of the people, as political education and the political role of the Commander of the Faithful through his basic role in good governance and guidance. The nation is on the right path through the legal and political aspect, correcting society, and getting out to safety from the problems of society, as political education according to the Commander of the Faithful means reforming the administrative and political energies inherent in the individual in the shadow of religious values and laws, to prepare citizens who feel responsible and realize their duty, fearing God, not Other than that, following the Qur'an and the approach of the Commander of the Faithful is the best means for preparing cadres with experience in managing community affairs and reaching safety. Therefore, the research came with three axes: the first discussed the scientific biography of Imam Ali (peace be upon him) in the sciences of the Qur'an and its interpretation, and the second was the roles of Imam Ali, his political speech, and the success of the leader. Strategic, and the third dealt with good governance and its role in building the state .

Keywords: Imam Ali (peace be upon him), strategic leader, good governance, political discourse



المقدمة:

الإمام عليّ (ع) يعسوب الدين، سيد المتقين، قائد الغر المحجلين، هو أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب، له مكانة مهمّة في هرم الدولة الإسلاميّة، إذ إنّ نظام الحكم الذي أقامه الإمام عليّ (ع) بين أنظمة الحكم، قديماً وحديثاً، يناقش نقاط الضعف والقوّه فيها، ويبيّن الحلول التي تقدّم بها الإمام عليّ (ع) لمشاكل العلاقة بين الحاكم والمحكوم، حلول لم يمرّ عليها الزمن، بل هي تتجاوز ما أنتجته الإنسانيّة جمعاء على هذا الصعيد منذ بدء قيام الأنظمة المعروفة حتّى اليوم، فهو يؤكّد ما كان لهذه الشخصية الكبيرة من أبعاد إنسانيّة عظيمة لم يتح للمسلمين وللعالم أن يستفيدوا منها بشكل مباشر، لذا على الحكّام أن ينكبّوا على شخصية الإمام عليّ لما تحويه من فكر ونظم كي توضع في تصرّف الإنسانيّة دليلاً ونبراساً في ظلّمة التردّي السياسيّ والأخلاقيّ وفي أجواء التهديد بالفناء الذي تحمله مكشفتاتها، خاصّة في مجال الأسلحة، يقولون لقد كان عليّ سابقاً لعصره، ونحن نقول إنّهُ سابق لا لعصره فحسب بل للإنسان في كلّ العصور، فقد قدّم نظاماً للحكم حريّاً بأن يوصف بالرشيد؛ لأنّه اعتمد القوانين الإسلاميّة الصحيحة بدقّة وأمانة للوصول بالأمة لبرّ الأمان.

مشكلة البحث: هل هناك حاجة ماسّة إلى فكر الإمام عليّ (ع) لاستنباط الطروحات التي تسهم في تطوير الحياة السياسيّة والإدارية وتحقيق احتياجات الإنسان؟

فرضيّة البحث: هناك حاجة ماسّة وضرورية خاصّة في الوقت الحاضر إلى فكر الإمام عليّ (ع) وسياسته التي وجّهها اعتماداً على القرآن الكريم؛ لمواجهة الظروف الحالية التي يمرّ بها البلد من تكالب المستعمرين، والابتعاد عن طروحات



العالم الغربي؛ لأنّ طروحات الإمام تتفوّق على طروحات العالم الغربيّ .

هدف البحث: يهدف البحث إلى بيان كمالية القرآن الكريم في معالجة المشكلات المختلفة لكلّ نواحي الحياة على وفق منهج الإمام عليّ وما قدّمه من أثر قرآنيّ امتدّ ليشمل الحاجات الإنسانيّة المهمّة للحياة .

أهميّة البحث: حاول الباحث أن يوضّح أهميّة البحث عبر الرجوع إلى التعاليم الإسلاميّة والأثر القرآنيّ للإمام عليّ (عليه السلام) في حلّ المشكلات التي تعصف بالدولة، وتحقيق مصالح عامّة الشعب بتوفير الحاجات الإنسانيّة باتباع الحكم الرشيد لبناء الدولة.

منهجية البحث: اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائيّ التحليليّ والمنهج التاريخيّ بتتبّع الأحداث المهمّة من خلال سياسة الإمام عليّ (عليه السلام) واتباعه نهج القرآن الكريم .

هيكلية البحث: لأهميّة الدراسة جاء البحث بثلاثة محاور أساسية

الأول: السيرة العلميّة للإمام عليّ (عليه السلام) في علوم القرآن وتفسيره.

الثاني: أدوار الإمام عليّ وخطابه السياسيّ ونجاح القائد الاستراتيجيّ.

الثالث: الجانب القانونيّ للإمام عليّ (عليه السلام) في بناء الدولة والحكم الرشيد.

المحور الأوّل: السيرة العلميّة للإمام عليّ (عليه السلام) في علوم القرآن وتفسيره:

لم يعرف العصر الإسلاميّ أدياء ومفكرين بارعين في حقل الكتابة النثرية كما عرف الإمام عليّ بن أبي طالب، إذ تيسّرت له ثقافة عميقة متّسعة، وعقل مدرك، وذائقة فنيّة وبلاغة، الإمام عليّ ملّم بكلّ العلوم بطل مغوار في الحروب مصاحب لرسول الله، قاوم خطّ الانحراف الذي واجه خطّ الرسالة، واستمرّ في إنجاز مهامّه في تلك



الظروف العصيبة واختاره الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للخلافة بعده، بقوله: ((قد اخترت من اختاره الله لي عليكم علياً))^(١)، عيد المدى شديد القوى، يقول فضلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة طويل الفكرة، يقبّل لحقة ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب وكان فينا كأحدنا بدنياً، لقد كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يفضل شريفاً على مشروف ولا عربياً على أجنبي، ولا يصانع الرؤساء وأمراء القبائل، وكان هذا من أحد الأسباب في تقاعد العرب عنه. هو وارث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصيه وأبو ولده أول الناس له أتباعاً، وأقربهم به عهداً يجبره بسرّه، ويطلعه على أمره، الإمام عليّ سيّد القوم محبّ المشهود ومحجوب المعبود باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات ومستنبط الإشارات راية المهتدين ونور المطيعين ووليّ المتّقين وإمام العادلين أقدمهم إجابة وإيماناً وأقومهم قضية وإيقاناً وأعظمهم حلماً وأوفرهم علماً عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ قدوة المتّقين، الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الشريعة، عاش يناضل دفاعاً عن الشريعة والعدل والحقّ والمودة والإخاء والمساواة بين الناس، سلام عليه يوم قال فيه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((رحم الله علياً، اللهم أدر الحقّ معه حيث دار))^(٢)، كان عالماً، فإن توارى جسده في التراب فبقيت كلماته منارات إشعاع ومنابع حكمة ومنار عزائم، وعدة للمتّقين والمساكين بعد كتاب الله، والأحاديث النبوية الشريفة، وسيظلّ القلب ينبض بما قال وتشرف به النفس ويزهو به العقل، وكم من الكلمات المشرفة، والمواقف المضيئة خلفها الإمام ميراً للإنسانية كلّها ودليلاً ونبراساً، فهو أمير المؤمنين على الرغم من كثرة الخلفاء في عصر الإسلام وهو الإمام البطل الاسطوري

(١) الإعداد النبوي للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: <https://www.almaaref.org/maarefdetails/id?php>

=6722&subcatid=1310&cid=363&supcat=6

(٢) بحار الأنوار: ٢٩/٣٤٣.



وهو جدّ لم يُبتل حاكم إسلامي مثل ما ابتلي به. إن هذا الأنودج في الدفاع عن حقوق الإنسان يتجاوز المجتمع الإسلامي ليشمل المجتمع البشري كله، فإذا أصبح موضوع حقوق الإنسان اليوم معروفاً فإنه يُحطى بعضهم عندما يربطه بالثورة الفرنسية ويتجاهل الحضارات الأخرى، وفي مقدمتها الحضارة الإسلامية وهي حضارة تفخر بأنّها أنجبت نموذجاً نادراً في مقاومة جميع مظاهر الحيف ونصرة حقوق الإنسان، هذا الأنودج القدوة هو الإمام عليؑ يُسجّل تاريخ الإنسانية المواقف الخالدة التي وقفها الإمام عليؑ وجهة في الدفاع عن حقوق الإنسان. رحمك الله يا أبا الحسن، فقد عشت ما يربو عن أربعين سنة حاملاً لواء العلم والسيوف في مقاومة البغي والظلم وفي الذود عن حقوق الإنسان، ويؤكد تأثير تلك الملازمة بقوله: ((إني عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب، صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة))^(١)، ومما يدعم هذه الشخصية الإسلامية عدم سجوده للأصنام في حياته، على الرغم من نشأته في مجتمع جاهلي يعبد الأوثان والأصنام، لذا كان أوّل القوم إسلاماً في قول كثير من العلماء، وفي هذه الأجواء البيئية وحينما نزلت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشْرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ويستمرّ الرسول ﷺ في إشرارك الإمام عليؑ في المهمّات الجسام التي من شأنها ترسيخ دعائم الدين الإسلامي، فحينما تحدّى الرسول نصارى نجران ودعاهم للمباهلة، ذهب إليهم وهو يحمل الحسين ويقود الحسن وخلفه عليّ وفاطمة، فهال المنظر أسقف نجران، وقرّر الانسحاب من مباهلة النبي وأهل بيته، فنزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، وهنا الإشارة

(١) دراسة تشخيصية في قطاع البناء والإسكان: ٣١.



واضحة بأن الرسول قد أعطى الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مقامًا كبيرًا حينما جعله مقام نفسه .

اختلفت تربية الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وتنشئته عمّا كان سائدًا من وسائل التنشئة في المجتمع المكيّ، فمنذ السنوات الأولى لطفولته احتضنته تلك الأيادي الكريمة أيادي الصادق الأمين عَلَيْهِ السَّلَامُ ليغترف من ماء بحرهما شربات الأخلاق والصفات الحميدة، وإذا كانت الرعاية الإلهية قد رعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون خاتمًا للأنبياء، فإنّ هذه الرعاية قد رعت الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ليتربى بحجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تربية روحية وجسدية، إذ نزلت كثير من الآيات بحقه، نذكر منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وقد أجمع المفسرون واستفاضت الروايات من طرق الشيعة والسنة أنّ الآية نزلت في حقّ علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، هم علي وفاطمة والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والأئمة من ولد الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، والآية نزلت قبل غدير خم، فامثل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر الله تعالى بالتبليغ وأعلن ولاية علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على رؤوس الأشهاد بقوله: ((من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه))^(١)، أمّا المؤهلات الذاتية في شخصيّة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد تفوّق على أصحابه وأقرانه، ومن تلك المؤهلات الشخصية شجاعته النادرة، فعلى الرغم من أنّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة الله عليهم أجمعين من الشجعان وكلّهم كان مقدّمًا في الحرب حريصًا على الشهادة، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب يتقدّمهم في الإقدام والصيت الشائع في الشجاعة .

ومن مؤهلات الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الذاتية الأخرى قدراته الفكرية والعلمية التي

(١) الكافي (ط - الإسلامية): ١ / ٤٢٠



أسهمت في نشر الوعي بين المسلمين وتأسيس أمة عقائدية تستند إلى العلوم للبحث عن الحقيقة في كل مجالات الحياة، فكان له إسهام كبير في هذا الميدان منها ما شمل تطوير نظام الكتابة بشكله العام، أو في أيّ وظيفة تمارس داخل مؤسّسات الخلافة، أمّا علم النحو فقد عدّ الإمام عليّ عليه السلام المؤسس لهذا العلم المهم الذي يرتبط بحياة المسلمين العلميّة والعملية، وكان الإمام عليّ عليه السلام من الأوائل في التأليف والتدوين والحرص على حفظ علوم الأمة وتراثها من طريق التدوين، ونظرًا لما يمثله القرآن الكريم بوصفه منبعًا لشريعة المسلمين ودستورًا عامًا ينظّم حياتهم فقد فطن الإمام عليّ عليه السلام في وقت مبكر بعد وفاة رسول الله مباشرة بجمع القرآن، وفاضت مؤهلات الإمام عليّ عليه السلام وقدراته في مجالات العلوم القرآنية، ومنها علم القراءات، فإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء يرجعون إليه، أمّا في علم التنزيل فقد استقرّ هذا العلم في فكر الإمام عليّ عليه السلام وبين جوانحه ويعلن مرّة بعد أخرى على ملأ من المسلمين ليس للتباهي أو التفاخر وإنما لصبّ هذا العلم باتجاه منفعة المسلمين، والحديث النبوي الشريف الذي يُعدّ المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، فقد تصدّر الإمام عليّ عليه السلام بهذا العلم ووضع قواعده عن طريق تصنيف الحديث ورواته^(١)، وللإمام عليّ مؤلّفات علمية كثيرة ولا سيما في علوم القرآن وتفسيره، منها ((جمع القرآن وتأويله أو جمعه على ترتيب النزول، كتاب أملى فيه ستين نوعًا من أنواع علوم القرآن، وذكر لكلّ نوع مثالًا يخصّه، الجامعة، الجفر، صحيفة الفرائض، كتاب في زكاة النعم، كتاب في أبواب الفقه، كتاب آخر في الفقه، عهده للأشتر، وصيته لمحمّد بن الحنفية، كتاب عجائب أحكامه وقضاياه))^(٢)، كان الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

(١) أسس بناء الدولة الإسلامية في فكر الإمام عليّ عليه السلام، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي: ٢٥.

(٢) السيد محسن الأمين. (٢٠١٥). <https://almerja.com/reading.php?idm=21498>.

تاريخ الاسترداد ٧٥، ٢٠٢٤، من المرجع الإلكتروني للمعلومات: <https://almerja.com/>



أحد كتبة الوحي عند الرسول الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان كاتبًا حافظًا له .

وقد ذكر ابن سعد عنه أنه مكث بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يخرج أيامًا، وعندما أرسل إليه الخليفة أبو بكر وسأله عن سبب مكوثه أجاب الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ آتيت بيمني أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن، وكان علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أعلم الناس بالفرائض فكان يرجع إليه الخلفاء والصحابة في كثير من مسائل الدين وتفسير القرآن، كان علي بن أبي طالب سهمًا صائبًا من مرامي الله على عدوه، ورباني هذه الأمة وذا فضلها وشرفها وسابقتها، وذا قرابة قريبة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوج فاطمة الزهراء وأبا الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، لم يكن بالنومة عن رسول الله ولا الملوحة في ذات الله، ولا السروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض موثقة وأعلام بيّنة، ذلك علي بن أبي طالب سلام الله عليه^(١)، بعد كل هذا يجب أن لا ننكر جهد الإمام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في خدمة القرآن الكريم جمعًا وحفظًا وتفسيرًا وتوضيحًا لدى الآخرين، الأمر الذي خلف إرثًا غنيًا في مجال خدمة القرآن الكريم، وقد اتصفت هذه الخدمة بإحاطة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ التامة بظروف النصّ وبيئات نزوله؛ لأنّه كان قريبًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا الأمر يعني معرفته التامة بحيثيات النصّ القرآني وفهمه لها، وتمييزه من سواه في تلك الإحاطة، فهو ربيب النبي الأكرم وعلى أكتافه بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قامت أعمدت الرسالة الإسلامية، فكانت من أبرز خصوصيات الإمام أمير المؤمنين في فهم النصّ القرآني التي مثلت جهدًا متميزًا من جهوده في خدمة القرآن، هي الإحاطة التامة بظروف نزول النصّ القرآني وبيئاته، ولم تقتصر هذه الإحاطة على التفسير فقط، بل تعدت ذلك لتشمل ما له علاقة بالتفسير، كإحاطته بالأحداث والوقائع التي اقترن بها نزول النصّ القرآني وهو ما

(١) التربية السياسية في فكر الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، رسالة ماجستير: ٨٥-٨٦ .



يسمى (بأسباب النزول) أو العادات والتقاليد التي كان يعيشها المجتمع الجاهليّ خصوصاً في مكة والمدينة، أو الأوضاع السياسيّة والأخلاقيّة التي كان يعيشها المسلمون أنفسهم، إذ من الواضح أنّ القرآن الكريم راعى الظروف والأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والنفسيّة والعادات والتقاليد التي كان يعيشها المجتمع الجاهليّ، ولم يأت مجرداً عن كلّ هذه الظروف، وبطبيعة الحال فإنّ هذه الظروف تلقي بظلالها على فهم القرآن الكريم ومقاصده، لذا فإنّ فهمها ومعرفتها له أثر كبير في فهم القرآن وتفسيره، وهذا ما يؤكّده أهل البيتؑ في بعض الروايات عبر بيان معرفتهم بزمان نزول الآيات ومن نزلت فيه، وهذا التأكيد منهم لا يُراد منه مجرد بيان سعة علمهم بالأحداث، وإنّما لبيان ارتباط ذلك بفهم القرآن وتفسيره، لذا كان أئمة أهل البيت يوجهون الانتقاد إلى أولئك الذين يفسّرون القرآن الكريم من دون هذه الإحاطة، فليس من شكّ أنّ من تعرّض لتفسير القرآن من دون هذه الإحاطة كان تفسيره منقوصاً؛ لأنّه فاقد لأهمّ معايير التعامل مع النصّ القرآنيّ، فالقرآن ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض. ومن المؤكّد أنّ هذه الإحاطة قد نشأت وتبلورت نتيجة العلاقة الراسخة بين الإمامؑ والقرآن الكريم، فهي وليدة ذلك الارتباط الموضوعيّ بين العدلين الكتاب والعترة، إذ إنّ رافق نزول القرآن الكريم على النبيّ الأكرمؑ في كلّ مراحلها، ابتداءً من النداء السماويّ الأول: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، واستمرّت تلك المرافقة في كلّ المواقع والأحداث والمواقع التي نزل فيها وعلى ضوئها القرآن، فعن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلاليّ، عن أمير المؤمنينؑ، قال: ((إنّ الله طهّرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في



أرضه وجعلنا مع القرآن والقرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا))^(١)، وهذا بطبيعة حاله يؤكد حتمية ارتباط هذه الشخصية بكتاب الله العزيز، ورفدها بالعانية واللفظ الإلهي، الأمر الذي ولد لدى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الإحاطة التامة بالقرآن الكريم^(٢).

المحور الثاني: أدوار الإمام علي وخطابه السياسي ونجاح القائد الاستراتيجي
للإمام علي دور مهم وأساسي بالاستراتيجية الصحيحة البناء، يمكننا أن ندرك الخطاب السياسي والقيادة الاستراتيجية الناجحة للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عبر نهج البلاغة، إذ إن النصوص التي جاءت في نهج البلاغة مضافاً إلى الأصالة التي تتميز بها في أنها نصوص أعظم شخصية علمية من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتلامذته، وقد دلت على ذلك النصوص المتواترة، إذ تمتاز هذه النصوص في أنها جاءت مواكبة لحركة الأمة ومعالجة لقضاياها ومشاكلها؛ لأن أكثرها صدر من الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في أيام خلافته والمعالجة ظروفها وأحداثها، ومن هنا كان نهج البلاغة كتاباً إسلامياً هاماً يتبع القرآن الكريم في الشكل والمضمون. ونحتاج في وقتنا الحاضر إلى قائد استراتيجي بعد أن أخذت القيادة الإسلامية موقعها الطبيعي من الأمة، وهو موقع الحكم وإدارة شؤون البلاد بعد أن كانت القيادة لمدة طويلة من الزمن تمارس وجودها من خارج هذا الإطار، ثم إن تشخيص هذه العلاقة وتطبيقها مصداقاً في الواقع العملي له أهمية كبيرة وأساسية في قدرة المجتمع الإسلامي على تفجير الطاقات الكامنة فيه، والتقدم باضطراد نحو أهدافه وقوته وتماسكه ومن ثم قدرته على مواجهة أعدائه في الصراع الذي يخوضه المسلمون ضد قوى الاستكبار^(٣)، لقد

(١) بحار الأنوار: ٢٣/٣٤٣.

(٢) ينظر: <https://imamhussain.org/arabic> / ٣٢٣٠٢ خصائص الإمام علي بن أبي

طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ في فهم النص القرآني، العتبة الحسينية المقدسة ٢٠٢١.

(٣) دراسة تشخيصية في قطاع البناء والإسكان: ٣٧.



جعل الإسلام التقوى والإيمان أساسًا للتفاضل بين الناس، وجعل المساواة شعارًا فلم يُفرّق بين أبيض أو أسود ولا بين حرّ أو عبد، جاء في الذكر الحكيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] إنّ التفاضل على أساس استلاب الحرية الإنسانية، والضغط القوي الذي ولّده الميزات الطبقيّة الاجتماعيّة قد زاد من تفاقم الصراع النفسي الداخليّ، حتّى ترى الذات نفسها محاصرة بقيود العبودية وإهدار الكرامة الإنسانية وفقد الحرية، ولهذا السبب نجد بلال بن رباح الصحابيّ بوصفه مثالًا واضحًا وصريحًا على هذه القضية، قد تحمّل ما تحمّل من عتوّ قريش وظلمهم إيّاه، شأنه في ذلك شأن كلّ العبيد الذين اضطهدتهم قريش حتّى بعد الإسلام، فبلال تبع النبيّ محمد لأنّ الدين معه يقول بحرية الإنسان وبعدالة الشريعة تجاه كلّ الناس الأسود منهم والأحمر، وليس لأنّه يقول بوحدانيّة الإله الذي لا يقول به دين اللات والعزى، فقريش لديها إلها اسمه الله أيضًا مثل النبيّ محمد لا يختلفان ولكن ليس لديها الإنسان كما هو لديه، ولهذا جاءه سعيًا، لقد تمتّع الرقيق في العهد الإسلاميّ بكلّ الحقوق التي كانت مسلوّبة منه في يوم ما، وعمل الدين الإسلاميّ على إعطاء كلّ حقوق الإنسان للعبد ليمهّد بذلك إلى ردم الهوة الفاصلة بين السيّد والعبد إلى حدّ ما حتّى أنّ العبيد في كنف الإسلام ورعاية النبيّ وجدوا معاملة قلّ نظيرها أو انعدم قبل ذلك الوقت، فباتوا يفضّلون عبوديّة الإسلام على الحرية، في حين نرى أنّ خطابًا للإمام عليّ بن أبي طالب موجّهًا للعبيد يتحدّث عن الحرية يقول فيه: ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا))^(١)، فالعبوديّة هنا فكريّة وليست جسديّة؛ لأنّ العبد موجود بفعل سلطة الآخر، وإذا بحثنا في هذا النصّ نجد داخل هذا الخطاب العامّ فجوات تمنح القارئ أو المتلقّي دورًا كبيرًا في تأويل المعنى

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩٣/١٦ .



واكتناهاه، واكتشاف أبعاده الثقافية المضمرة، وحقائقه الاجتماعية داخل المجتمع ذي النسيج الثقافي الخاص والأعراف الثقافية الخاصة، هذا الخطاب موجّه إلى الإنسان بصورة عامّة ليذكره بحقّه الطبيعيّ وهو بذلك إنّما يُلقى في نفسه بذور الثورة على كلّ ما من شأنه أن يُضيق عليه ويسلبه حقّه في أن يكون حرّاً، فالفرق شاسع بين النظرتين إلى الحرّيّة وهو فرق يتناول الأصول لا الفروع؛ لأنّ الإمام عليّ في نظرة الحرّيّة تابعة من أصولها الرئيسيّة وهي الإنسان من دون إناطتها بالأسياد فقط، فالفرق جذريّ لا فرعيّ. إنّ هذه الثقافة العقلانيّة المتمثّلة بمخاطبة الإنسان بصورته الشموليّة التي بثّها الإمام عليّ عليه السلام اشتغلت على مساحة أوسع ممّا بدت عليه، فبنية الذات الإنسانيّة التي كانت سطحيّة وهشّة قبل وبعد الدولة المحمديّة نتيجة اجترار ثقافة ما قبل عصر الإسلام إليها، باتت في ظلّ ممارسات الإمام عليّ عليه السلام وخطاباته أكثر سعة وشموليّة لتصل إلى مستوى الرؤى الإنسانيّة المبتغاة^(١)، كان الإمام عليّ عليه السلام يتبع سياسة مبنيّة على العلم والتجربة، ثابتة على القرآن الكريم والسنة النبويّة، فقد وضع سلوكاً شاملاً وثابتاً سواء على مستوى قطاع معيّن أم منظّمة إدارة دولة مبنيّة على أساس العدل والحرية والصدق وضبط النفس وسعة الصدر والفضيلة، وكلّها فضائل نفسيّة من أجل تربية الإنسان تربية صالحة سواء بالأسرة أم بالعمل أم بالدولة، وابتعد عن الغدر والخداع، ففي سلوكه بقوله: لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس ألا وإنّ لكلّ غدره فجرة، ولكلّ فجرة كفره، ألا وإنّ الغدر والفجور والخيانة في النار؛ لأنّه لا يفكر في قيادته لمرحلة معيّنّة، بل قائد على مرّ الزمان بصفاته وممارساته القياديّة بعد مرور هذه الأعوام لم تطبّق ربع من ممارساته القياديّة التي ينظر فيها للإنسان دنيا وآخرة، فسلوكه مثاليّ ليس لغرض قيام دولة مزيفة كما يرى في الأنظمة الأخرى، وإنّما مثاليّة إسلاميّة على الدستور الإلهيّ دولة

(١) الحاكمة في فكر الإمام عليّ عليه السلام دراسة في ضوء الأنساق الثقافية: ٦٨-٧٢.



لا يميّزها بين الفقير والغني والعربي والأعجمي، إذ لم يكن هدفه من السلطة عبودية الآخرين بل إنه يريد أن يتخذ مال الله دولاً وعباده، وأراد أن يُحرّر الإنسان من دون النظر إلى جنسه وانتمائه وأن يوظّف الطاقات جميعاً من أجل إقامة العدل والحقّ؛ لأنّ الحقّ له دولة والباطل له جولة، لذلك وجد نفسه أكبر بكثير من الدنيا فهو يريد الخير والسعادة والامن والطمأنينة وهدفه كهدف النبي محمد ﷺ يسعى إلى بناء الإنسان الحقيقيّ من أجل بناء الأمة الحقيقيّة، ومن ثمّ الدولة القانونيّة؛ لذلك ومن طريق أطروحات الإمام عليّ وممارساته نجد الإنسان أولاً والأمة ثانياً والدولة ثالثاً، لذلك نلاحظ سلوك الإمام مبنيّ أساساً على الولاء والتفكير الاستراتيجيّ؛ لأنّ الحكم في نظره سراب ولا يرغب فيه رجال الله وأنّ ذهاب الولاية والقيادة لا يعدّ في نظره مصيبة ينبغي الحزن عليها، فهو ينظر نظرة الثبات والاستقرار فالذين يعبدون الدنيا قد عميت قلوبهم والحكّام الجبابرة عديمو المحتوى هم الذي يعتبرون الرئاسة والشهرة هدفهم الوحيد فهم ينظرون إلى الدنيا وما فيها على أنّها آلات وأدوات لا على أنّها مستقلّة بذاتها، هدفهم دمار الإسلام وفناؤه الذي يخطّط له الحكام الطغاة فاقدوا الإرادة والسائرون على نهجهم والمطيعون لهم طاعة عمياء ممّا لا يرضيه الباري جلّ جلاله، وينفذه الواعون الذين تحمّلوا المسؤولية ولا يمكنهم السكوت، نرى أيّ من الأنظمة السياسيّة العالميّة تتوصّل إلى هذه الطريقة في التفكير؛ لأنّ هذه الأنظمة ليس لها ولاء الله ولا تفهم الحقوق الحقيقيّة لخلق الله والروح السائدة لديهم تدعو إلى الخديعة والوحشية والمنافسة والشهرة، وهذا ما يُجتم على المحرومين في العالم وخاصّة المسلمين منهم السعي من أجل إزالة هؤلاء الجبابرة والقضاء عليهم بكلّ أنواع التضحيات وإحلال الحكم الإلهيّ محلّهم. إنّ فلسفة السلوك السياسيّ عند الإمام تركّز على خلق الحياد والتفاهم من أجل بناء الإنسان والأمة بناء صالحاً يقوم على أساس تشكيل ائتلاف تعاونيّ يبنو كلّ



أشكال العنف والتعصب والسلوكيات المنحرفة ويشجع الأخوة والتسامح والمواطنة الصالحة وحل النزاعات بالطرق السلمية، مما يجعل ثقافة السلام هي السائدة في العلم والعمل والأداء والإنتاج والتضحية والفداء^(١).

التفكير الاستراتيجي كبير ومهم للإمام من خلال:

أ. الحث على عمليّة التفكير باللّٰه سبحانه وتعالى.

ب. التركيز على التفكير من خلال تنظيم الوقت بأنّه يعطي صفة مرموقة لإدارة الإنسان والمجتمع.

ت. ينقذ الإنسان من الضلال إلى الطريق القويم، سواء التفكير في خلق البارئ وعبادته أم بالعلم واكتشافاته في عصر التطور والتكنولوجيا. ونلاحظ في أطروحات الإمام عليّ عليه السلام عن التفكير الاستراتيجي أنّه أعطى اهتماماً يُحصّن الإنسان والمجتمع من الزلل، من طريق التفكير، ويقوّي البصر والبصيرة في المدى البعيد، ويعالج الأمور ويحسّن العواقب، ويعطي السلامة العامّة للإنسان والمجتمع سواء الروحية والجسدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأكّد على منهجية التفكير من طريق مقدّمة للتفكير والمناقشة في أثناء التفكير والوصول إلى آراء صحيحة التبصير في المناقشة إبداء الرأي للآخرين الحصول على نتائج وكيفية تدبيرها وتنفيذها استراتيجياً لنصح الإنسان بالابتعاد عن الأسباب التي تؤدّي إلى عدم التفكير الجيد، وهي البحث عن الملذّات^(٢).

الفكر الاستراتيجي وإعداد الخطط العسكريّة: لقد كان الإمام عليّ من أروع مهندسي الفكر الاستراتيجي والخطط العسكريّة الذين عرفهم التاريخ الإسلاميّ،

(١) ينظر: أبعاد القيادة الاستراتيجية وممارستها دراسة تحليلية لفكر وخطابات وممارسات الإمام

عليّ عليه السلام: ١٤٤ - ١٤٥.

(٢) ينظر: م. ن: ١٤٦.



فقد كانت إسهاماته مشهورة ولها آثار واضحة لذا لا يمكن للقادة العسكريين أن يمرّوا عليه مروراً سريعاً إلا ويحتاجون إلى تحليل ودراسة لما فيها من دروس وعبر، إذ كان يستخدم نوعين من الخطط، الخطط الهجومية والخطط الدفاعية، وكان في الخطط الهجومية يوصي بترتيب القطعات العسكرية، تنظيم المسير، اختيار مكان المعسكر، تنظيم الهجمات، اتباع التوجيهات للوصول إلى النجاح والانتصار المطلوب، و الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالبؑ، ما ينمي روحه عبر الشعور المستمر بالخضوع لله وما فيه من عدم الاغرار بتحقيق النصر، وكذلك تربية المقاتل على التنظيم والالتزام بالوقت؛ لذلك نجد الإمام في كثير من الشواهد التاريخية يؤكّد على ضرورة الاهتمام بالصلاة ولا يجعل أهداف الحروب تؤثر في إقامة الصلاة في وقتها، فعندما يسمع هاتفاً للصلاة في إحدى المعارك نجده يقول يا مرحباً بالقائلين حقاً وبالصلاة مرحباً وأهلاً.

إنّ العبادات لها دور أساسي في صيانة نفسية المقاتل وحركيته في ساحات القتال، ولذلك نجد الإمام يؤكّد على تنمية الجانب الروحي عبر عدّة قنوات أهمّها الصلاة: وهي إحدى القنوات التي يقف عندها المقاتل لينهل من الدعاء، فالإمام يؤكّد على أهمية الدعاء في أثناء الحروب لما له من بعث للطمأنينة والسكينة في نفوس المقاتلين، وهذا ما نجده في صحيفة الإمام الدعائية التي تحوي كثيراً من الأدعية الواردة عنه، فالإمام يرتّب الأدعية بحسب أوقات المعركة. وكذلك اهتمام الإمام بالجانب الإنساني، ففي مسيرة معاركه كان واضحاً من خلال الشواهد التاريخية التي تحدّثنا عن عدم اتّخاذ مبدأ الحلّ العسكري بوصفه خياراً وحيداً بل كان يعدّه آخر الوسائل التي يحاول أن يعيد بها الطرف المعادي إلى صوابه، لذلك نجد القانون الدوليّ اليوم يُجرّم من يبتدئ القتال بين الأطراف المتنازعة^(١).

(١) الفكر السياسي في رؤية الإمام عليؑ: ١٨٠ - ١٨٤.



المحور الثالث: الجانب القانوني للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في بناء الدولة والحكم الرشيد

عندما نتحدث عن الحكومة الإسلامية نضرب المثل بحكومة أمير المؤمنين وليس النبي، بدايةً لا بد من الإشارة إلى أن الباحثين والكتّاب على مختلف مذاهبهم عندما يتحدثون عن الحكم الإسلامي يذكرون حكومة أمير المؤمنين كنموذج وذلك ليس تقليلاً من شأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما بسبب اختلاف الظروف الموضوعية والتفاوت الزمني بين النبي وأمير المؤمنين، والذي أدى إلى ظهور نموذج الحكم الإسلامي في عليّ وليس النبي، وهنا نذكر بعض هذه النقاط:

١. النبي كان في مرحلة نزول الوحي، وما دام النبي موجوداً فالوحي لا ينقطع، إذاً التشريع الإلهي لم يكتمل ومنظومة القوانين الإلهية على جميع الأصعدة بما فيها الحكم الإسلامي ما زالت تنزل تبعاً والنبي يبينها للناس، وبما أن الإسلام خاتم الأديان وقوانينه أبدية فبعض هذه التعليمات هي في مجال تطبيقها فيما بعد، أي ما بعد زمن النبي.

٢. النبي جاء بالدستور الذي هو منهج حياة للمسلمين وهو في كل زمان ومكان، ومن ثمّ تطبيق هذا الدستور بحاجة إلى عامل الزمان، فالنبي هو من وضع الأسس وجاء بترسانة القوانين التي ستثبت التجارب مع مرور الزمن أهليتها وصلاحتها في كل زمان ومكان.

٣. النبي عاش في مجتمع مدينة صغيرة، فالحديث عن إدارة بقعة جغرافية محدودة وصغيرة وإن كان ذلك كافياً لأصحاب الألباب والبصيرة، ولكن عندما يكون الحديث إلى الجميع، مثل: حكومة أمير المؤمنين أفضل لأن الدولة الإسلامية في زمانه كانت مترامية الأطراف.

٤. دولة النبي كانت امتداداً لمرحلة الثورة، طوال العشر سنوات كان النبي في



حرب على مختلف الجبهات لتثبيت الدولة الإسلامية ولم يحصل هذا الأمر إلا بعد فتح مكة، أي مرحلة الانتقال من الثورة إلى بناء الدولة .

٥. حكومة أمير المؤمنين بدأت بعد مدة من الابتعاد عن تطبيق الإسلام المحمديّ الأصيل من قبل الحكومات السابقة، لذلك يمكن القول إنّ حكومة أمير المؤمنين هي أول حكومة إسلامية حقيقية لأنّها نجحت وصارت مضرّاً للمثل.

٦. كما أشرنا، عليؑ جعل كحاكم منتخب وليس كمعصوم، ولكن قام بتطبيق المبادئ الإسلامية التي ثبتت العدالة وقواعد الحكومة الناجحة فصارت حجة على جميع الحكام بغض النظر عن معتقداتهم، وكلّ من يبحث عن إقامة حكومة عادلة وناجحة فعليه أن يبدأ بسيرة الأمير في الحكم التي هي انعكاس شخصية الحاكم الإسلاميّ وتطبيق للحكم الإسلاميّ^(١).

إنّ النظام التسلطيّ ينعت بسمات أهمّها الاحتكار، احتكار السلطة من قبل الحاكم والدائرة الضيقة المحيطة به، وجحود النخبة الحاكمة وغياب الفصل بين السلطات أو ضعفه، وهيمنة الحكومة على الهيئات المستقلة غير الحكومية مثل منظمات المجتمع المدنيّ والسلطة الرابعة، وتضييق الحريات، وبهذا سيكون واقعياً وصف الحكم الرشيد بسيادة القانون، والشفافية والمساءلة، والمشاركة الواسعة في صنع القرار، وفاعلية مؤسسات الدولة بضمونها الفصل بين السلطات، ومن ثمّ العدالة واحترام حقوق الإنسان وبالنتيجة الاستقرار السياسيّ^(٢).

معايير الحكم الرشيد: هناك مجموعة مهمة من المعايير يجب توفرها ليكون

(١) سياسة أمير المؤمنين، ٢٠٢٢ تاريخ الاسترداد ٢٠٢٤ <https://net.awafa.dar/19371/>

[D8%B3%D8%A7%D8%AA%D9%B3%D8](https://net.awafa.dar/19371/)

(٢) التنمية المستدامة في البلدان العربية بين النظرية والتطبيق: ٣٠٧ .



الحكم رشيداً ويحقق الأهداف المطلوبة:

١. المشاركة: من خلال الحق في التصويت وإبداء الرأي، وتوفير الحريات العامة، وضمن مشاركة المواطنين الفعالة.
٢. حكم القانون: مرجعية قانونية وسيادته على المجتمع.
٣. الشفافية: توفر المعلومات الدقيقة وإتاحة الفرص للجميع للاطلاع على المعلومات.
٤. حسن الاستجابة: قدرة المؤسسات والآليات على خدمة الجميع دون استثناء
٥. التوافق: القدرة على التوسط والتحكم بين المصالح بين المصالح المتضاربة لتحقيق المصلحة العامة.
٦. المساواة (تكافؤ الفرص): إعطاء الحق للمجتمع في الحصول على الفرص المتساوية.
٧. الفعالية: توفر القدرة على تنفيذ المشاريع بنتائج تستجيب إلى احتياجات المواطنين وتطلعاتهم.
٨. الرؤية الاستراتيجية: من خلال تنمية المجتمع والقدرات البشرية^(١).

مسؤولية الإمام علي عليه السلام نحو الحكومة:

لقد حدّد الإمام جملة من المسؤوليات المهمّة التي تقع على عاتق الحاكم السياسي، من أبرزها الوحدة السياسيّة بين أبناء الدولة كافة؛ إذ بين الإمام أنّ من مسؤوليات الحاكم أن يجمع أمرهم، وكذلك الحفاظ على الأمن الداخلي والخارجي للدولة، وهذا ما أشار إليه الإمام في نهج البلاغة؛ إذ أوحى إلى الولاة بأن يحفظوا

(١) مقومات الحكم الراشد: ٦٣ .



أطرافهم، وهذا يتطلب أن يتولّى هذه المسؤوليات الأمناء الأكفاء وهو ما نصّ عليه الإمام إذ قال ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيّتك في نفسك، ولكن الإمام لم يترك الحكّام من دون رقيب بل أسس جهاز مراقبة كلّ تصرّفاتهم ومحاسبة المقصّرين منهم، إذ قال الإمام: ((ثمّ تفقّد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السرّ لأموورهم حدّده لهم على استعمال الأمانة، وارفق بالرعية))^(١)، ونجد في نهج البلاغة كثيرًا من النصوص التي توضّح الممارسة العمليّة للإمام لمراقبة ولاته ومحاسبتهم^(٢)، وكان الإمام يُصرّ على حفظ وحدة المجتمع ودفع الظلم عن المظلومين، إذ أسّس بيت القصص لمعالجة مشاكل الناس وتظلماتهم، إذ يعتقد الإمام عليّ (عليه السلام) أنّ الاتحاد يضمن بقاء الدولة وديمومتها وأنّ الفرقة عامل سقوط الدولة وزوالها، يقول الإمام عليّ (عليه السلام): ((إنّ الناس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم فمالوا مع الدنيا ونطقوا بالهوى، وإني نزلت من هذا الأمر منزلاً معجباً، وليس هناك رجل أحرص على جماعة أمة محمد (صلى الله عليه وآله) وأفتها مني، أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب وسأفي بالذي وعدتّ على نفسي))^(٣).

أهداف الدولة :

بيّن الإمام عليّ (عليه السلام) أنّ أهداف الدولة تتلخّص في أمور يجب توفّرها لغرض نجاح الدولة واستمرارها ومن أهمّها:

التأمين الماليّ: وهو عمليّة جمع الضرائب من الأموال التي لا حاجة للفرد فيها، وتعدّ نقطة ارتكاز في نجاح الدولة لتحقيق الأهداف الأخرى، لذلك كانت

(١) بحار الأنوار: ٦٠٦/٣٢ .

(٢) الفكر السياسي في رؤية الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): ١٧٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ١٥٠/٢ .



هذه النقطة من الأولويات التي أكد عليها الإمام في عهده لمالك الأشر حين أوصاه بجباية الأموال.

توفير الأمن: ويقسم على قسمين: الأمن الداخلي: ويعني دفع الظلم عن الناس وتأمين الطرق والمواصلات من البراق. والأمن الخارجي: ويعني ردع أي اعتداء خارجي على الدولة^(١).

مقياس بقاء الدول وزوالها.

إن الدول تمرّ بمراحل من النمو والتطور والازدهار، أو الانحطاط والسقوط، وهذا يقترن بمدى ضعف أو قوة الدولة في مختلف المجالات، ويعود ذلك إلى عوامل داخلية وخارجية؛ لأن الممارسات السياسية الخاطئة لحاكم الدولة تؤدي إلى ضعف الدولة وانحلالها فتكون الدولة معرضة للثورة الداخلية والغزو الخارجي، وعند تجنّب الحاكم السياسي الوقوع في هذه الأخطاء بوعيه في تدبير أمور الحكم تحافظ الدولة على بقائها فتكون مؤثرة على مرّ الدهور، وهذا ما يدعونا إليه القرآن الكريم في كيفية الاعتبار من قصص الماضين، وقد أعطى ذلك وعياً تاريخياً للنبي الكريم ولكل الحكّام، وهذا ما نرى تأثيره واضحاً في وصية الإمام عليّ لابنه الحسن عليه السلام، إذ قال: ((يا بني، إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمارهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأولهم بل كأبي بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم))^(٢). ويجدد الإمام عليّ عليه السلام أسباباً موضوعية تؤثر في انحراف الدول عن مسارها الصحيح وتؤدي إلى ضعفها ومن ثمّ إلى زوالها، فمنها ما يرتبط بالممارسات السياسية للحاكم، فالظلم وسوء

(١) الفكر السياسي في رؤية الإمام عليّ عليه السلام: ٦٥ .

(٢) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ٤٦/٢ .



التدبير في إدارة الدولة هما معولا هدم لصرح الدولة وكيانها، ويشير الإمام عليؑ إلى ذلك في كثير من أحاديثه ووصاياه لولاته للتحذير من كل مصاديق الظلم، إذ يقول: ((إياك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس أدنى لنقمة.. ولا أمرى بزوال نعمة من سفك الدماء بغير حلّه، فلا تقوينّ سلطانك بسفك دم حرام، فإنّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله))^(١)، أمّا سوء التدبير فينبه الإمام إلى خطورته إذ يقول: ((سوء التدبير سبب التدمير))^(٢)، وفيما يخصّ دور المجتمع السلبّي الذي يؤدّي إلى انهيار الدول فهناك عاملان أساسيان هما انقلاب المفاهيم الفكرية والأخلاقية لدى المجتمع، ويصوّر لنا ذلك نصّ في أحد أحاديث الإمام في قوله يستدلّ على إدبار الدول بأربع: تضييع الأصول والتمسك بالفروع وتقديم الأراذل وتأخير الأفاضل، فالمجتمع عندما يترك أصوله الفكرية والعقائدية التي تُعدّ ثوابتاً يتفق عليها أبناء المجتمع وتستقرّ بها الدول فإنّ الدولة تهتزّ وتتعرّض للانهيار حتّى لو التزم أبناء المجتمع شكلها بممارسة بعض الطقوس^(٣)، ذكر مؤسس علم الاجتماع عبد الرحمن بن خلدون عدّة أسباب لسقوط الدول وزوالها فهناك مجموعة من العوامل التي تؤدّي إلى تدهور الدول وسقوطها ولكن العامل الأهم هو عامل الظلم، يؤكّد ابن خلدون أنّ الظلم مؤذّن بخراب العمران ويستعرض بعض صورته ومنها فرض الضرائب المرتفعة، وإنفاق المال العام على الكماليات والترفيهيات، وسلب حقوق الآخرين، وكذلك انهيار المسؤولية الفردية^(٤).

(١) نهج البلاغة: ١٠٨/٣ .

(٢) غرر الحكم: ٥٥٧١ .

(٣) الفكر السياسي في رؤية الإمام عليؑ: ١٦٣ .

(٤) ينظر: عوامل سقوط الدول من منظور ابن خلدون وبعض علماء الاجتماع، تاريخ الاسترداد



أسباب بقاء الدول:

إنَّ أهمَّ ما يوجب بقاء الدول من منظور الإمام عليٍّ هو أن يتَّصف الحاكم بالعدل؛ لأنَّ العدل من أقوى دعائم الدول، يقول الإمام عليٌّ: ((العدل أقوى أساس))^(١)، وفي حديث آخر يقول: ((ما عمَّرت البلدان بمثل العدل))^(٢)، ومن أروع ما قاله الإمام حول هذا المفهوم: ((العالم حديقة سياجها الشريعة، والشريعة سلطان يوجب الطاعة، والطاعة سياسة يقوم بها الملك راع يعضده الجيش، والجيش أعوان يكفلهم المال، والمال رزق جمعه الرعية، والرعية سواد يستعبدهم العدل، والعدل أساس به قوام العالم))^(٣)، كذلك يُعدُّ حسن التدبير من موجبات بقاء الدول، وهذا ما صرَّح به الإمام عليٌّ بقوله: ((حُسن السياسة يستديم الرياسة))^(٤).

هكذا كان الإمام عليٌّ عليه السلام القائد الفذَّ البطل المغوار يبحث بكلِّ جوانب الحياة الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والقانونيَّة، وهكذا فإنَّ الإمام عليٌّ عليه السلام ينظر إلى السلم بما له من أسس وارتكازات شرعيَّة توجب اعتماده والأخذ به، والحاكم الناجح هو الذي يواجه بحزم الأحقاد الاجتماعيَّة والعقد النفسيَّة، ويضع لها العلاج من منظور الإنسان المرَبِّي والمصلح الاجتماعيِّ، إنَّ الإمام عليٌّ عليه السلام عالِم حركة التمرد معالجة تربويَّة كأب يتعامل مع أبنائه الأشقياء، وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ قيادة الحكم الصالح تتطلَّب شرطاً من أهمِّ الشروط الموضوعيَّة في إدارة الحكم بمختلف شؤونه واستحقاقاته، وهو شرط سعة الصدر في شخصيَّة الحاكم، يقول

(١) غرر الحكم: ٨٦٣ .

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٨١ .

(٣) ميزان الحكمة: ٢/ ١٤٢٨ .

(٤) م. ن: ٤/ ٣٣١ .



الإمام عليؑ في ذلك: ((آلة الرياسة سعة الصدر))^(١)، ويعني هذا ضرورة الحرص على الرعية والتماس العذر لها من الحاكم، ولقد كان الإمام عليؑ ومن دون شك بمنتهى سعة الصدر، يُفكر بالخصم المسلم باجتهاده السياسي أو الديني، ويحسب جميع الحسابات للعناية به خشية الظلم، ودفعاً للنزاع، وإعطاء للفرصة.

(١) ينظر: الفقه السياسي عند الإمام عليؑ، أطروحة دكتوراه: ٢١٠-٢١٦.



الاستنتاجات

١. الإمام عليّ (ع) ملّم بكلّ العلوم، بطل مغوار في الحروب، مصاحب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ترعرع بين يديه فاكسب الأخلاق الحميدة والشجاعة .
٢. القدرات الفكرية والعلمية للإمام عليّ (ع) أسهمت في نشر الوعي بين المسلمين وتأسيس أمة عقائدية تستند إلى العلوم للبحث عن الحقيقة في كلّ مجالات الحياة.
٣. الإمام عليّ (ع) يتبع سياسة مبنية على العلم والتجربة، ثابتة على القرآن الكريم.
٤. الفكر السياسيّ في رؤية الإمام عليّ بن أبي طالب ما ينمّي روحه عبر الشعور المستمرّ بالخضوع لله وما فيه من عدم الاغترار بنشوة النصر.
٥. يعتقد الإمام عليّ (ع) أنّ الأئمة يضمن بقاء الدولة وديمومتها، وأنّ الفرقة عامل سقوط الدولة وزوالها.

التوصيات

١. تضمين المناهج التربوية الحالية بمادة التربية السياسية في فكر الإمام عليّ (ع) وللمراحل الدراسية كافة.
٢. تبصير السياسيين وقادة المنظمات الحكومية بأبعاد القيادة الاستراتيجية في فكر الإمام عليّ (ع) وصلاحيّة اعتمادها في الوقت الحاضر.
٣. اعتماد القيادات الحكومية مضامين الإدارة والقيادة الاستراتيجية للإمام عليّ (ع) واستنباط الدروس والعبر منه لتحمل المسؤولية وقيادة المجتمع.
٤. بناء مؤسسات مستقلة وقوية قادرة على وضع الخطط وتنفيذها بطريقة مهنية لا سياسية باتّباع نهج القرآن الكريم .

المصادر:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

١. بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، قم المقدسة، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.
٢. التنمية المستدامة في لبلدان العربية بين النظرية والتطبيق، قادري محمد الطاهر، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٣.
٣. شرح نهج البلاغة، محمد عبده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط ٣.
٤. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد التميمي، ترتيب وتدقيق: عبد الحسن ذهيني، دار الهادي، بيروت.
٥. الفكر السياسي في رؤية الإمام عليؑ، علي حميد عبد الموسوي، مؤسّسة علوم نهج البلاغة في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء، ٢٠١٧.
٦. مقومات الحكم الراشد، عبد الحميد بابة الفضل، معهد دراسة الإدارة العامة والحكم، الخرطوم، ٢٠١٠.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

١. أسس بناء الدولة الإسلامية في فكر الإمام عليؑ، علي سعد تومان عدوة، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية الاداب، جامعة الكوفة، مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٠.
٢. التربية السياسية في فكر الإمام علي، حيدر مالك فرج البديري، رسالة ماجستير، كلية التربية ابن رشد، بغداد، مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٠.
٣. الحاكمة في فكر الإمام عليؑ دراسة في ضوء الأنساق الثقافية، عبد الأمير دلي



- مجباس الزبيدي، رسالة ماجستير، جامعة المثنى، ٢٠١٥ .
- ٤ . دراسة تشخيصية في قطاع البناء والإسكان، نازك نجم عبود، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠٠٦ .
- ٥ . الفقه السياسي عند الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام)، ناصر هادي ناصر الحلو، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، مكتبة الروضة الحيدرية، ٢٠١٤ .

رابعاً: المواقع الالكترونية

- ١ . الإعداد النبوي للإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام). (٢٠٠٢). تاريخ الاسترداد ١٥ / ٥ / ٢٠٢٥، من شبكة المعارف: <https://www.almaaref.org/maarefdetails?id=supcat&cid=٣٦٣&subcatid=١٣١٠&٦٧٢٢>
- ٢ . <https://dar.awafa.net/١٩٣٧١/D٨%D٩%B٣%D٨/A٧%٨A%D٨%D٩%B٣%D٨/>
- ٣ . <https://imamhussain.org/arabic/٣٢٣٠٢> خصائص الإمام علي ابن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام) في فهم النص القرآني، العتبة الحسينية المقدسة ٢٠٢١ .
- ٤ . <https://www.imamali.net/?id=٧٧٦٤>
- ٥ . الآيات التي نزلت بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عَلَيْهِ السَّلَام)، شبكة الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام)
- ٦ . تم الاسترداد من الإمام علي (عَلَيْهِ السَّلَام) هو الصديق والفاروق: <http://Other/١٤Siddiq/ImamAli/net.kingoflinks.htm>
- ٧ . سياسة أمير المؤمنين، محمد فخراوي، ٢٠٢٢ تاريخ الاسترداد ٢٠٢٤
- ٨ . عوامل سقوط الدول من منظور ابن خلدون وبعض علماء الاجتماع، أحمد الشيبه النعيمي، تاريخ الاسترداد ٢٠٢٤، من <https://ahmadalsheabah.topi/com>

المواعظ القرآنية في الحكم التربوية للإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب عليه السلام

أم د. خالد يونس النعماني أم د. محمد خضير عباس الجيلوي

الملخص:

اشتهر أمير المؤمنين عليه السلام ببلاغة اللسان، وبالحكمة والبلاغة والفصاحة، فنسبت له كثير من الحكم وبلاغة الأقوال، وتعددت حكمه في كثير من المواقف والمواضع، وفي مختلف مجالات الحياة؛ إذ كان يقولها ليرشد الناس وينصحهم. وإن دائرة علمه وحكمه واسعة إلى أن بلغ شعاع نور علمه مبلغاً اعترف به حتى من خالفه، فسبحان الله عز وجل من منح هذا الرجل المزايا النفيسة والخصائص الشريفة، وهو أعرف بالحكمة ودقائق العلوم الإلهية من الفلاسفة والحكماء، وقد استعان بحكمه عليه السلام أكثر الحكماء وأهل الوعظ؛ لأن حكمه عليها مسحة من العلم الإلهي، وفيها عبق من الكلام النبوي.

لقد كان عليه السلام قمة في كل شيء، واستغنى عن أغلب الناس، واحتاج إليه كلهم، لكنّه عاش في مجتمع عز وجود من يفهمه فيه، فكان يتوّددهم إلى مبادئ الحق ومعارج الكمال، وكانوا يريدونه لدينهم وشهواتهم ولذاتهم.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع في حياة الناس عامة، فقد تطرّقنا في هذا البحث إلى: (المواعظ القرآنية...)، وقمنا بتحليلها تحليلًا علميًا دقيقًا مشفوعاً بمقارنتها مع النصّ القرآني، فكان القرآن الكريم المورد العذب الذي نهل منه عليه السلام، فأخذ يحاكي



أُسْلُوبُهُ، وَيَتَرَسَّمُ خُطَاهُ؛ لِيُزَيِّنَ بِهَا مَوَاعِظَهُ وَأَقْوَالَهُ، فَيُضْفِي عَلَيْهَا طَابِعَ الْجَزَالَةِ وَالرَّصَانَةِ وَالرُّوْتِقِ وَالْبَهَاءِ.

وَقَدْ اشْتَمَلَتْ مَحَاوِرُ الْبَحْثِ عَلَى الْمَوْضُوعَاتِ الْآتِيَةِ: ابْتَدَأْنَا فِيهِ أَوَّلًا بِالتَّمْهِيدِ، وَتَعَرَّضْنَا فِيهِ إِلَى مَعْنَى: (الْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ) فِي اللُّغَةِ وَالِاصْطِلَاحِ، لِيَكُونَ مَدْخَلًا لِلْبَحْثِ الَّذِي خَاصَّ فِي حِكْمِ الْإِمَامِ (ع) التَّرْبَوِيَّةِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ اخْتَرْنَا عَشْرًا مِنْ هَذِهِ الْحِكْمِ التَّرْبَوِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ، وَقَمْنَا بِتَحْلِيلِهَا، ثُمَّ ذَكَّرْنَا الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِتِلْكَ الْحِكْمِ. وَخَلَصَ الْبَحْثُ إِلَى خَاتِمَةٍ بَيَّنَّا فِيهَا أَهَمَّ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلْنَا إِلَيْهَا، فَكَانَتْ لِحَيَاةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) قِيمَةٌ شَرِيعِيَّةٌ وَعِلْمِيَّةٌ وَإِنْسَانِيَّةٌ لَا مَثِيلَ لَهَا، وَالْمَعَانِي الَّتِي تَعَلَّمْنَاهَا مِنْ دِرَاسَةِ حِكْمِهِ، ضَخْمَةٌ لِلْغَايَةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي حَيَاتِنَا الْمُعَاصِرَةِ، وَالْقَلَمُ لِيَعْجَزَ، وَتَنَكَّفِي الْكَلِمَاتُ، وَلَنْ يَكُونَ أَمَامَ الْمَرْءِ مَهْمَا بَلَّغَتْ كِفَاءً تُهْ إِلَّا الاعْتِرَافُ بِالْعَجْزِ أَمَامَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْمُدْهِشَةِ.

الكَلِمَاتُ الْمِفْتَاحِيَّةُ: الْمَوَاعِظُ الْقُرْآنِيَّةُ - الْحِكْمُ التَّرْبَوِيَّةُ - الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي

طَالِبٍ

Abstract:

Commander of the Faithful (PBUH) was renowned for his eloquence, wisdom, and linguistic mastery. Numerous aphorisms and eloquent sayings are attributed to him, spanning various situations and diverse fields of life, which he shared to guide and advise people. The scope of his knowledge and wisdom is so vast that its radiance has been acknowledged even by those who opposed him. Glory be to Allah Almighty, who endowed this man with such precious merits and noble qualities; he possessed a deeper understanding of wisdom and the intricacies of divine sciences than philosophers and sages. Most scholars

and preachers have drawn upon his wisdom, as his sayings bear the touch of divine knowledge and the fragrance of prophetic speech.

He (PBUH) was a pinnacle in everything; he was self-sufficient from most people, yet everyone was in need of him. However, he lived in a society where those who truly understood him were rare. He sought to lead them toward the principles of truth and the paths of perfection, while they often sought him for worldly gains and personal desires.

Given the importance of this topic in human life, this research addresses "Quranic Exhortations..." and provides a precise scientific analysis, accompanied by a comparison with the Quranic text. The Holy Quran was the pure source from which he (PBUH) drew; he emulated its style and followed its path to adorn his sermons and sayings, imbuing them with eloquence, firmness, and splendor.

The research is organized into the following sections:

Introduction: Explores the linguistic and technical meanings of "Exhortation" and "Wisdom" as a gateway to discussing the Imam's educational wisdom.

Core Analysis: Selection and analysis of ten educational aphorisms across various fields, linking them to relevant Quranic verses.

Conclusion: Highlights the most significant findings, emphasizing the unparalleled legal, scientific, and human value of the life of the Commander of the Faithful.



The meanings derived from studying his wisdom are immense, particularly in our contemporary life. Words fall short, and regardless of one's proficiency, one can only admit a sense of inadequacy when faced with this astonishing phenomenon.

Keywords: Quranic Exhortations – Educational Wisdom – Imam Ali bin Abi Talib (PBUH).

المُقدِّمة:

إِنَّ شَخْصِيَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) شَخْصِيَّةٌ فِدَّةٌ؛ بَلْ إِنَّهَا مُعْجَزَةٌ مِنْ مُعْجَزَاتِ الْإِسْلَامِ، لِمَا تَمَلِكُهُ مِنْ عُمُقٍ وَثَرَاءٍ، فِي مُخْتَلَفِ جَوَانِبِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي الْإِبْدَاعِ الْفِكْرِيِّ وَالْحَضَارِيِّ وَالْإِنْسَانِيِّ، وَالنَّظَرِ إِلَى شَخْصِيَّتِهِ (ع) مِحْنَةً لِلْفِكْرِ، وَعَبَقْرِيَّتُهُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَحِيطَ بِهَا نِطَاقُ الْبَحْثِ، وَقَدْ أَضْحَى (ع) مَنَارًا أَبَدِيًّا، وَرَايَةً خَالِدَةً تَرْفَعُهَا الْبَشَرِيَّةُ عَلَى اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا وَأَدْيَانِهَا؛ لِأَنَّهُ إِمَامُ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَهْمَا حَاوَلَ الْكُتَّابُ وَالْمُفَكِّرُونَ أَنْ يُحِيطُوا بِتَمَامِ الْمَعْرِفَةِ عَنِ الشَّخْصِيَّةِ الَّتِي أَحَاطَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعِنَايَةِ الْفَائِقَةِ تَحَيَّرَتِ أَلْبَابُهُمْ، وَأُدْهِشَتْ عُقُولُهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَنْ يُوفُوا حَقَّهَا. وَالْحِكْمَةُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) تَحْمِلُ مَفَاهِيمَ ثَرَّةً، تُحَدِّدُ لِلْمُسْلِمِ طَرِيقَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَسَالِيبَ تَفَاعُلِهِ مَعَ رِسَالَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعَ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ، وَزِيَادَةً عَلَى حَمَلِهِ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ مِنْ حِكْمِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)، فَإِنَّ كُتُبَ الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ وَالتَّوَجِيهِ الْإِسْلَامِيِّ، لَا تَكَادُ تَحْلُو، وَلَيْسَ مِنْ شَكِّ فِي أَنَّ حِكْمَهُ (ع) نَابِعَةٌ مِنْ نَظَرَةٍ عِلْمِيَّةٍ، وَشَرْحٍ وَتَفْسِيرٍ لظَاهِرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

التمهيد: الموعظة والحكمة لغةً واصطلاحاً

الموعظة لغةً: مَصْدَرُ الْفِعْلِ وَعَظًا، جَاءَ فِي كِتَابِ الْعَيْنِ لِلخَلِيلِ الْفَرَاهِيدِيِّ (ت ١٧٥هـ): ((وَعَظٌ: الْعِظَةُ: الْمَوْعِظَةُ. وَعَظْتُ الرَّجُلَ أَعْظُهُ عِظَةً وَمَوْعِظَةً:



وَاتَّعَظَ: تَقَبَّلَ الْعِظَةَ، وَهِيَ التَّدْكِيرُ بِالْخَيْرِ فِيمَا يَرِيقُ لَهُ الْقَلْبُ^(١). وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ: (المَوْعِظَةُ) وَمُشْتَقَّاتِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، وَعَلَى ثَلَاثَةِ عَشْرَ وَجْهًا، وَهِيَ: (أَوْعِظْتَ، أَعْظُكَ، تَعْظُونَ، يَعْظُكُمُ، يَعِظُهُ، عِظْهُمْ، فَعِظُوهُمْ، تَوْعِظُونَ، يُوعِظُ، يُوعِظُونَ، الوَاعِظِينَ، مَوْعِظَةً).

المَوْعِظَةُ اصطلاحًا: (بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْلُوبٌ مِنْ أُسَالِيبِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ)^(٢)، وَقَالَ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ (ت ٨١٦هـ): ((المَوْعِظَةُ: هِيَ الَّتِي تُلِينُ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ، وَتُدْمِعُ الْعُيُونَ الْجَامِدَةَ، وَتُصْلِحُ الْأَعْمَالَ الْفَاسِدَةَ))^(٣). وَمِنَ الْوَعِظِ الْحَسَنِ الْإِنْتِزَاعُ الْقَوْلِ وَتَرْغِيبُ الْمَوْعُوظِ فِي الْخَيْرِ؛ إِذْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٣-٤٤].

الحِكْمَةُ لُغَةً: قَالَ ابْنُ فَارِسٍ (ت ٣٩٥هـ): ((حَكَمَ: الْحَاءُ وَالْكَافُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ الْحُكْمُ، وَهُوَ الْمَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ، وَسُمِّيَتْ: حَكْمَةً الدَّابَّةِ؛ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، يُقَالُ: حَكَمْتُ الدَّابَّةَ وَأَحْكَمْتُهَا. وَيُقَالُ: حَكَمْتُ السِّفِيَةَ وَأَحْكَمْتُهَا، إِذَا أَخَذَتْ عَلَى يَدَيْهِ^(٤). وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ: (الحِكْمَةُ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِشْرِينَ مَرَّةً، فِي تِسْعِ عَشْرَةِ آيَةٍ، فِي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سُورَةٍ، وَقَدْ وَرَدَ لِمَعَانٍ عِدَّةٍ، وَإِنَّ لَفْظَ: (الحَكِيمِ) وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَشْرَاتِ الْمَرَّاتِ، وَالحَكِيمِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَنَسَبَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الحِكْمَةَ إِلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ إِيْتَاءَهَا مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ: (حَكِيمٌ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مَرَّةً، وَ(حَكِيمًا) سِتَّ عَشْرَةَ مَرَّةً.

(١) كتاب العين: ٢/ ٢٢٨.

(٢) أدب المَوْعِظَةُ: ٩.

(٣) التعريفات: ٣٠٥.

(٤) مقاييس اللغة: ٢/ ٩١.



الْحِكْمَةُ اصطلاحًا: وَرَدَتْ كَلِمَةُ (الْحِكْمَةُ) فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ مُرَادًا بِهَا: الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْإِنْجِيلِ وَغَيْرِهَا، وَمُرَادًا بِهَا أَيْضًا: النُّبُوَّةَ، وَالْهُدَى، وَالرِّشَادَ، وَالْحَقَّ، وَالْعَدْلَ، وَالْحِلْمَ، وَالصَّوَابَ، وَالسَّدَادَ، وَالتَّفَقُّهَ. وَتُطْلَقُ الْحِكْمَةُ عَلَى مَعَانٍ عِدَّةٍ، مِنْهَا: الْمَصْلَحَةُ، كَقَوْلِكَ: الْحِكْمَةُ مِنْ هَذَا الشَّيْءِ كَذَا، وَمِنْهَا الْمَوْعِظَةُ، مِثْلُ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، وَمِنْهَا الْعِلْمُ وَالْفَهْمُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢]، وَمِنْهَا النُّبُوَّةُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]. وَقَالَ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ: ((الْحِكْمَةُ: عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ، بِقَدْرِ الطَّاقَةِ الْبَشَرِيَّةِ، فَهِيَ عِلْمٌ نَظْرِيٌّ غَيْرُ آلِيٍّ، وَالْحِكْمَةُ أَيْضًا هِيَ: هَيْئَةُ الْقُوَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُتَوَسِّطَةِ بَيْنَ الْغَرِيزَةِ الَّتِي هِيَ إِفْرَاطُ هَذِهِ الْقُوَّةِ، وَالْبَلَادَةِ الَّتِي هِيَ تَفْرِيطُهَا، وَتَأْتِي عَلَى ثَلَاثَةِ مَعَانٍ: الْأَوَّلُ الْإِيْجَادُ، وَالثَّانِي الْعِلْمُ، وَالثَّالِثُ الْأَفْعَالُ الْمُثَلَّثَةُ كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَغَيْرِهِمَا. وَقِيلَ: كُلُّ كَلَامٍ وَافَقَ الْحَقَّ فَهُوَ حِكْمَةٌ، وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ هِيَ الْكَلَامُ الْمَعْقُولُ الْمَصُونُ عَنِ الْحَشْوِ، وَقِيلَ: هِيَ وَضْعُ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ، وَقِيلَ: هِيَ مَا لَهُ عَاقِبَةٌ مُحْمُودَةٌ))^(١). وَقَالَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فِي وَصِيَّتِهِ لِلْإِمَامِ الْحَسَنِ عليه السلام فِي بَابِ الْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ: ((أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ))^(٢).

المَوَاعِظُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي الْحِكْمِ التَّرْبَوِيِّ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام
فِيمَا يَأْتِي بَعْضُ مَا أُثِرَ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام مِنْ
عُرْرِ الْحِكْمِ وَالْفِكْرِ وَالْآدَابِ:

(١) ينظر: التعريفات: ١٢٣-١٢٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦٢/١٦.



- قَالَ أميرُ المُؤمِنينَ عليه السلام فِي بَابِ الاستِغْفَارِ: ((عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ الاستِغْفَارُ))^(١).

المُرَادُ بالقنوط هنا اليأس من رحمة الله عزَّ وجلَّ وعفوه، وقد عُدَّ من الكبائر الموبقة؛ لأنَّه إذا وصل بؤس الإنسان إلى اليأس، والقنوط من رحمته تَعَالَى، فقد انسَدَّ عليه باب العمل، والرَّجوع إلى الحقِّ، واستسلم للشيطان، ووقع في الهلاك والخسران. وفي الاستغفار التوبة إلى الله جَلَّ وَعَلا، وفي حِكْمَةِ الإمام عليه السلام ما جاء في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فالدعوة إلى عدم اليأس، ومحاولة البداية الجديدة مع الله تَعَالَى، وطَلَبِ المغفرة، والتماسِ السَّماحِ، والتَّكفيرِ عن الذَّنْبِ والخطأ، كفيلاً بفتح سِجَلٍ جديدٍ قد أُبْعِدَتْ عنه كلُّ الصفحاتِ السَّودِ السابقة، ممَّا يُعْطِي حافِزًا نحوَ العطاءِ والمواصلَةِ بما يَنْفَعُ المَجْتَمَعَ وَيُنْمِي فِيهِ القابليَّاتِ، ويدعمُ مسيرَةَ التَّوْحِيدِ لِيُظْهَرَ العَدْلُ الإلهيُّ، واللُّطْفُ الرَّبَّانِيُّ اللَّذِينَ أدركا الإنسانَ العاصي، فإنقذاهُ مِنَ الجِهالةِ والانحرافِ إلى حيثُ الانفتاحِ على دُنْيَا جديدةٍ وعالمٍ جديدٍ بما يزيِدُ عددَ المُنْفَتِحِينَ على الله تَعَالَى والمبتعدِينَ عن الضَّلالةِ والخطيئة. ((فالحِكمَةُ تستقِطُ أولئك العُصاةَ القانِطِينَ الأيسينَ مِنْ بلوغِهِمْ إلى ساحةِ عفوِ الله ومغفرتِهِ، وَسِعَةَ رَحْمَتِهِ، وتجاوزِهِ عنِ العاصينَ، ولكنْ مِنَ المعلومِ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنَّ الاستِغْفَارَ علاجٌ نافعٌ بشرطِ الصِّدْقِ، وعدمِ العودَةِ إلى الماضي، والتَّخْلِصِ مِنْ كُلِّ ما يُذَكِّرُ بِهِ، أو يَتَّصِلُ بالسَّابِقِ، ليخلوَ الإنسانُ وَيُخْلِصَ مِنَ الآثارِ تمامًا، فتكونُ توبتُهُ صادقةً، ناصحةً، ناصعةً نابعةً مِنَ القلبِ، والشُّعُورِ بالتقصيرِ، وإرادةِ العودَةِ من حيثُ رِحابِ الله تَعَالَى. فعندَها يكونُ الاستِغْفَارُ علاجًا نافعًا

(١) نهج البلاغة: ٤٨٢.



للمذنبين، وإلا فلو كان مجارةً لحالة عائمةٍ من مظاهر خداعةٍ، أو استجابةً لإلحاحٍ من دون ما اقتناعٍ بضرورة الاستغفارِ والإنابةِ إلى اللَّهِ تَعَالَى فلا ينفَعُ؛ بَلْ يُعَاقِبُ عَلَى حالةِ التَّجَرِّي، واقتحامِ السَّاحةِ من دون ما اقتناعٍ بالأهميَّةِ والأفضليَّةِ، فليس الاستغفارُ مجردَ قولٍ نُردِّدُهُ؛ بَلْ هو إيمانٌ، ويقينٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، وتوجُّهٌُ وانقطاعٌ إِلَيْهِ، ومعرفةٌ مُحلِّصةٌ تامَّةٌ بأنَّ الاستغفارَ الطَّريقُ الوحيدُ للإِنقاذِ، فعندما تُفتَحُ للعبدِ أبوابُ القبولِ، ليدخلَ عالمًا جديدًا يُحتفى به بمقدارٍ ما يُقدِّمُهُ من عطاءٍ، وإنتاجٍ بما يُخدمُ المُسْلِمِينَ، ويُعَلِّي صرَحَ الدِّينِ))^(١).

الاسْتِغْفَارُ لُغَةً: ((غفر: الغُفُورُ الغُفَّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وهما من أبنية المبالغةِ ومعناها الساتر لذنوب عباده المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم. يُقَالُ: اللَّهُمَّ اغفر لنا مَغْفِرَةً وَغُفْرًا وَغُفْرَانًا، وَإِنَّكَ أَنْتَ الغُفُورُ الغُفَّارُ يا أَهْلَ المَغْفِرَةِ. وَأَصْلُ الغُفْرِ التَّغْطِيَةُ والستر، غَفَرَ اللَّهُ ذَنْبَهُ، أَي: سَتَرَهَا؛ والغُفْرُ: الغُفْرَانُ. وقد غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ غُفْرًا: سَتَرَهُ. وكلُّ شَيْءٍ سَتَرْتَهُ، فَقَدْ غَفَرْتَهُ))^(٢).

الاسْتِغْفَارُ اصطِلَاحًا: هو الطلب من اللَّهِ سبحانه أن يستر الذنوب ويعفو عنها، بلا قيد أو شرط، وأن لا يعاقب عليها. وَقَالَ الشهيد الثاني (ت ٩٨٥هـ): ((واعلم أنَّ المراد بالاستغفار في هذا الباب ونظائره أن يقول: (أستغفر الله)، مقترنًا بالتوبة التي هي الندم على فعل الذنب، والعزم على ترك المعاودة إلى الذنب أبدًا، وإنما جعله الشارع كاشفًا عمَّا في القلب، كما جعل الإسلام باللفظ كاشفًا عن القلب))^(٣).

الاسْتِغْفَارُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: كثر ذكر الاستغفار في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وقد وردت

(١) ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام: ١/ ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٥/ ٢٥-٢٦، تاج العروس: ٧/ ٣١٤-٣١٥.

(٣) مسالك الأفهام: ٩/ ٥٣٥.



مادّة: (غفر) ومشتقاتها مائتين وأربعًا وثلاثين مرّة^(١)، وقد تنوّعت دلالات نصوص القرآن الكريم المبيّنة لأهميّة الاستغفار؛ فجاء في بعضها الاقتران بالتوحيد، وشعائر الدّين، وفي بعضها الآخر الأمر به، والحثّ عليه، وفي بعضها الثناء على المستغفرين ومدحهم، وكثيرًا ما يُقرن الاستغفار بذكر التوبة. ومما يبيّن عظم شأن التوحيد والاستغفار قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، فالتوحيد هو أصل الدّين، والاستغفار كماله، وتارة يؤمر بالاستغفار كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المزمل: ٢٠]، وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧]، وتارة يذكر الله عزّ وجلّ أنّه يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]. وقال الرّاعب في ذكره للاستغفار والآيات المتعلقة به: ((الغفران والمغفرة من الله تعالى وهو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب. قال تعالى: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥]، و﴿مَغْفِرَةً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿وَمَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وقد يُقال: عَفَرَ لَهُ إذا تجافى عنه في الظاهر وإن لم يتجاف عنه في الباطن، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤]. والاستغفار: طلب ذلك بالمقال والفعال، وقوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح: ١٠]، لم يؤمروا بأن يسألوه ذلك باللسان فقط؛ بل باللسان وبالفعال، فقد قيل: الاستغفار باللسان من دون ذلك بالفعال فعل الكذابين، وهذا معنى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧]. والغافر والغفور في وصف الله نحو: ﴿غَافِرٍ

(١) ينظر: المعجم المفهرس: ٩١-٩٧.



الدَّنْبِ ﴿غافر: ٣﴾، ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، ﴿هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، وَالْغَفِيرَةُ: الْغُفْرَانُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨]، ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ [الشعراء: ٨٢]، ﴿وَاعْفِرْ لَنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] (١).

- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَابِ دَمِّ الْفَقْرِ: ((الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ)) (٢).

اهتمَّ الإسلامُ بمشكلة الفقر، وحرص على علاجها قبل نشوئها بوسائل عدّة حفاظاً على المجتمع المسلم من الأخطار التي قد تصيبه عقائدياً وسلوكياً وأخلاقياً، وكذلك أهتمَّ أميرُ المؤمنين عليه السلام في هذا الجانب وأولاه أهمية في حياته. وَقَالَ عليه السلام فِي حِكْمٍ أُخْرَى لَهُ عَنِ الْفَقْرِ أَيضاً: ((الْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ)) (٣). كَلَّ هَذِهِ الْأَقْوَالُ وَغَيْرَهَا الَّتِي وَرَدَتْ فِي هَذَا الْمَضْمُونِ تَدْعُو إِلَى تَلَا فِي مُشْكَلَةِ الْفَقْرِ، وَالْعَمَلُ عَلَى عَدَمِ تَوْسِعِهَا، كَحَالَةِ تَفْتِكِ بِالْمَجْتَمَعِ، وَتُنْذِرُ بِحُصُولِ الْمَزِيدِ مِنَ الْإِنْهِيَارَاتِ الْبِنْيَوِيَّةِ اِقْتِصَادِيًّا، وَاجْتِمَاعِيًّا، وَأَخْلَاقِيًّا وَنَفْسِيًّا، بِمَا يَشْتَتِ الْفَرْدُ وَالْمَجْتَمَعُ، وَيؤَثِّرُ فِيهِمَا بِمَا يَصْعَبُ تَدَارِكُهُ وَتَلَا فِيهِ، مِنْ آثَارِ عَدَّةٍ؛ إِذْ يَتَفَشَّى الْجَهْلُ مَعَ مَا يَسْتَبْعُهُ مِنَ التَّخَلُّفِ، وَالْمَشْكَلَاتِ الْآخْرَى، كَمَا يَظْهَرُ الْبُؤْسُ مَعَ مَا يَسْتَجِرُّهُ مِنْ مَظَاهِرِ الْخُمُولِ، وَيَبْرُزُ أَثْرُ نَقْصِ الْأَمْوَالِ مَعَ مَا يَلْزَمُهُ مِنَ الرُّكُودِ الْاِقْتِصَادِيِّ، بِمَا يَمْنَعُ مِنَ تَقَدُّمِ عَجَلَةِ الْحَيَاةِ، وَمِشَارَكَةِ الْآخَرِينَ فِي مَا يُحْرِزُونَهُ مِنَ التَّقَدُّمِ وَالنَّهْوِضِ، مَعَ انْعِدَامِ فُرْصِ الْاِسْتِثْمَارِ أَوْ تَضَاؤُلِهَا، لِتَبْقَى الْبِلَادُ كَمَا غَالِبَ الْعِبَادِ ضَمَّنَ حُدُودِ تَجْمِيعِ كَلْفِ الْمَصْرُوفَاتِ، مِنْ دُونَ التَّفَكِيرِ بِالْإِعْمَارِ وَالْاِرْتِقَاءِ بِالْوَاقِعِ الرَّاهِنِ؛ بَلْ لَا

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٠٩.

(٢) نهج البلاغة: ٥٠٠.

(٣) عيون الحكم: ٣٣، شرح نهج البلاغة: ١٧/١١٩.



تتعدى الطموحات تأمين ضروريات العيش في أحسن الحالات. ولو أننا تعايشنا مع هذا الوضع، فلا نأمن تطوره سلبياً، إلى حدوث أزمات غير منظورة؛ إذ تستغله جماعات الجريمة المنظمة، والمافيات، والعصابات، وغيرها من حالات استغلال الإنسان، من دون توقّف ضمن حدّ معيّن؛ بل يطال الجسد كما الروح، ولا يكتفون بفتنة؛ بل الفئات كلّها، وهم لا يتورّعون عن تلويث، مستوى من المستويات؛ ليظهر جلياً أنّ الفقر إماتة جماعية، وبشكل تدريجي، ليقضي على منابع الأمل فيجفّفها، وليقتحم حواجز محترمة، وحصينة فيتجاوزها؛ ليصبح الإنسان ممّن أنتهكت كرامته نفسياً أو جسدياً، بلا عوازل تفصله عن حافات السقوط، وعندها لم تبق سوى صور الأحياء المتحرّكة بأفعال الأجساد، من دون أن يبقى لنا أمل بحياة القلوب؛ ولذلك يقتل، ويستبيح، ويغضب، ويغتصب، بلا وازع أو رادع، وهذه أوضح دلائل الموت، فكأنّ أمير المؤمنين (ع) يصوّر نهاية المجتمع الذي تموت فيه أواصر التراحم، وتذوب فيه الصلات الإنسانية الجامعة، بأنّها نهاية مأساوية، وكارثة بشرية؛ لإصابة أفرادها بالموت جسدياً، ونفسياً، بحيث تقلّ معه فرص توقّع النجاة والخلاص، وهو أكبر حجماً من أن تتداركه قوافل مساعدات أو معونات عاجلة؛ لذلك لا يمكننا تفادي المشكلات والنتائج إلا بالعمل الجاد وذلك عن طريق:

أ- تقليل عدد الفقراء؛ بالتزامنا بدفع مستحقّاتهم الماليّة الواجبة، أو بمكافحة البطالة، وتأمين فرص العمل جهد المستطاع.

ب- عدم توسيع الفجوة بين المستويات المعيشية قدر الإمكان؛ لئلا تظهر ملامح الحاجة بصورة حادة، وهذا وغيره من أنواع العلاج ممّا لا يمكن تقديمه دفعة، كما لم تُخاطب به شريحة خاصّة، وإنّما كلنا راعٍ وكلنا مسؤولٌ عن رعيّته، فهو علاج



طويل الأمد، ويجب أن يشارك فيه الجميع، ولا سيما أنه قد يأخذ شكلاً معنوياً^(١).
 الْفَقْرُ لُغَةً: ثيل في الفقر إنّه: ((الحاجة، وافتقر فلان وأفقره الله، وهو الفقير،
 وَالْفَقْرُ لُغَةً رَدِيئَةٌ، وَأَغْنَى اللَّهُ مَفَاقرَهُ، أَي: وَجوه فقره))^(٢)، ويدور مفهوم الفقر في
 اللُّغَةُ حول الحاجة، والعوز، والفقير هو المحتاج.

الْفَقْرُ اصطلاحًا: لا شكَّ في أن تعريف الفقر شرعاً عند علماء المسلمين
 يتوقَّف على آرائهم في موضوع الصَّدقات، وتوزيعها على مستحقيها، فالفقر أوَّل
 صفة يستوجب المتَّصف بها الأخذ من الصَّدقات. وَقَالَ الغَزَالِيُّ والشَّرِيفُ
 الجُرْجَانِيُّ: ((الفقر: عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه، أمَّا فقد ما لا حاجة إليه فلا
 يسمَّى فقراً، وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه، لم يكن المحتاج فقيراً،
 وإذا فهمت هذا لم تشكَّ في أن كلَّ موجود سوى الله تعالى فهو فقير))^(٣).

الْفَقْرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ورد لفظ: (الفقر) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أربعة عشر
 موضعاً، ووردت مجموعة من المصطلحات المترادفة التي تحمل معنى الفقر
 والحاجة بشكل أساسي، إلا أن هناك اختلافات بسيطة في كل منها، والفقر يستعمل
 على أربعة أوجه: ((الأول: وجود الحاجة الصَّروية، وذلك عام للإنسان ما دام في
 دار الدنيا؛ بل عام للموجودات كلها، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ
 الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]، وإلى هذا الفقر أشار بقوله في وصف الإنسان: ﴿وَمَا
 جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ [الأنبياء: ٨]. والثاني: عدم المقتنيات، وهو
 المذكور في قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا ... مِنَ التَّعْطَفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ﴿إِنْ

(١) ينظر: أخلاق الإمام علي عليه السلام: ١٥٦-١٥٩.

(٢) كتاب العين: ١٥٠/٥.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين: ١٣/٦٣، التعريفات: ٢١٦.



يَكُونُوا فَقْرَاءً يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿النور: ٣٢﴾. وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠].

الثالث: فَقْرُ النَّفْسِ، وهو الشَّرُّه المعنوي بِقَوْلِهِ عليه السلام: ((كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ
كَفْرًا))^(١)، وهو المقابل بِقَوْلِهِ: ((الغنى غنى النفس))^(٢). والمعنى بِقَوْلِهِمْ: من عدم
القناعة لم يفده المال غنى))^(٣). الرابع: الْفَقْرُ إِلَى اللَّهِ المشار إليه بِقَوْلِهِ عليه السلام: ((اللَّهُمَّ
أَغْنِنِي بِالْإِفْتِقَارِ إِلَيْكَ، وَلَا تُفَقِّرْنِي بِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْكَ))^(٤)، وإيَّاه عني بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَابِ دَمِّ الْمَالِ إِذَا كَانَ سَبَبًا فِي الشَّهَوَاتِ: ((الْمَالُ
مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ))^(٥).

المال في الأصل: ((ما يملك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يُقتنى،
ويملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل؛ لأنها كانت أكثر
أموالهم))^(٦)، وقد تكرر ذكر المال على اختلاف مسمياته في الحكم والأقوال،
ويفرق فيها بالقرائن. والشهوات: الرغبة والحب الشديد بما يلائم النفس، وتلتذ
به، وقيل: ((هي انفعال النفس بالشعور بالحاجة إلى ما تستلذه))^(٧). ومنها قوله
تَعَالَى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤]. ومن

(١) الكافي: ٣٠٧/٢.

(٢) مسند الإمام علي عليه السلام: ٣٥٨/١٠.

(٣) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ٤٩/٣.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١٩٥/٦.

(٥) نهج البلاغة: ٤٧٨.

(٦) النهاية في غريب الحديث: ٣٧٣/٤.

(٧) الأمثال والحكم: ٤٤٦.



أحبَّ شيئاً ولم يزيّن له يوشك أن يرجع عن حبه يوماً، وأمّا من زيّن له حبه لشيء فلا يكاد يرجع عنه؛ لأنّ ذلك منتهى الحبّ، وصاحبه لا يكاد يفتن لقبحه، ولا يحبّ أن يرجع وإن تأذّى به. والمال أيسر شيء للحصول على المشتهيات والملاذّ الدنيويّة، يمدّ صاحبه حتّى يظفر بها، وقد تناول القرآن الكريم المال في أكثر من ثمانين موضعاً، سواء أكان قدحاً أم مدحاً من جهة صرفه في الخير أم الشرّ، ومن الخير قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ومن الثاني: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨] وكلّ ما جاء من ذمّ أو مدح في المال، في الكتاب أو السنّة، أو في نظم أو نثر، عن الحكماء والشعراء وغيرهم إنّما هو عن هاتين الجهتين، وإلّا فالمال بنفسه لا قدح فيه ولا مدح، والأغلب صرفه فيما يضرّ بدين الإنسان من الشهوات وغيرها؛ إذ أكثر الناس إلّا من وفقه الله عزّ وجلّ تابع للنفس، والمخالف لها قليل جدّاً، ومن هنا قال الإمام عليه السلام: ((المال مادّة الشهوات))، وإلّا فهو مادّة لغيرها من أمور الخير أيضاً^(١). والمادّة: ((هي الزيادة، وفي الكلمة تنفير عن الاستكثار من المال لما يلزمه من إمداد الشهوة وتقويتها على معصية العقل))^(٢). وقال الشيخ محمد جواد مغنية: ((وكلمة الشهوات هنا تشمل شهوة البطن والفرج، وحبّ التعالي والتباهي، والرغبة في الانتقام والسيطرة، وغير ذلك، وليس من شكّ في أنّ المال مطيّة ووسيلة لإشباع هذه الرذائل والقبائح، ومتى شبعت بغت وطغت على العقل والقيم الإنسانيّة، وأصبح الإنسان مسيراً لها لا يملك من أمره شيئاً، وقد ثبت بالحسّ والمشاهدة أنّ الإنسان كلّما أسرف في الماديّات والشهوات ازداد بعداً عن

(١) ينظر: الأمثال والحكم: ٤٤٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ٢٧١.



الْمَالُ لُغَةً: قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: ((الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، هِيَ تَمَوَّلُ
 الرَّجُلُ اتَّخَذَ مَالًا، وَمَالٌ يَمَالُ كَثُرَ مَالُهُ))^(٢)، و((الْمَالُ مَعْرُوفٌ، وَتَصْغِيرُهُ مَوِيلٌ،
 وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: مَوِيلٌ بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ. وَرَجُلٌ مَالٌ، أَي كَثِيرُ الْمَالِ. وَمَالُ الرَّجُلِ يَمُولُ
 وَيَمَالُ مَوْلًا وَمَوْوَلًا، إِذَا صَارَ ذَا مَالٍ. وَتَمَوَّلَ مِثْلَهُ. وَمَوْلُهُ غَيْرُهُ))^(٣).

الْمَالُ اصْطِلَاحًا: اختلف العلماء في تعريف المال اختلافًا كبيرًا، تبعًا
 لاختلافهم في مفهومه. والمال: ((ما يميل إليه الطبع ويمكن ادخاره لوقت
 الحاجة))^(٤). كالنقود، وما ملك من جميع الأشياء. والمال في الأصل ما كان يملك
 من حيوانات كالأغنام والجِمال والأبقار، ومن مزروعات كالحنطة والشعير،
 وذهب وفضة، ثم أطلق على كل ما يقتنى ويملك من الأعيان. والمال الآن يطلق
 على النقد، من الذهب والفضة، أو الورق أو أي عملة أخرى، فالمال: ((اسم لجميع
 ما يملكه الإنسان))^(٥).

الْمَالُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ورد (الْمَالُ) ومشتقاته في القرآن الكريم في ستِّ
 وثمانين مرَّةً^(٦). وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [النساء: ٣٨]،

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٢٥١/٤.

(٢) مقاييس اللغة: ٢٨٥/٥.

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية: ١٨٢٢/٥.

(٤) البحر الرائق: ٤٣٠/٥.

(٥) معجم لغة الفقهاء: ٣٩٦.

(٦) ينظر: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم: ١٠٢٣-١٠٣٣.



فإنَّ البخل والسرف الَّذِي هو الإنفاق لا على ما ينبغي من حيث إثمها طرفاً إفراط وتفريط سواء في القبح أم في استجلاب الذم^(١). وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥]، السفه: هو الخفة في العقل والطيش ووضع الأمور في غير موضعها، ومنه التبذير في صرف المال وصرفه في المحرمات كالشهوات وشرب الخمر. وقد قرن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الأموال والأولاد في أربعة وعشرين موضعاً قدّمت فيها الأموال على الأولاد، وفي موضعين قدّمت الأولاد على الأموال، وظهر تقدّم الأموال على البنين والأولاد: كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ [آل عمران: ١١٦]. و﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ﴾ [سبأ: ٣٧]، و﴿وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٦]، و﴿وَنَفَاخِرُ بَيْنِكُمْ وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]. فالأموال أشدّ انتفاعاً وأزيد استفادة لصاحبه من الأولاد، وعلى هذا قال تعالى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢]، ولم يقل: ما أغنى عنه ولده. ثم إن فيما بين مادتي المال والميل: اشتقاق أكبر، فإنّ في المال أيضاً بذاته استعداد التمايل والانتقال من الأيدي موجود، إلا أنّ وجود الألف في المال يدلّ على السكون والشدة والارتفاع، بخلاف الياء ففيه صفات الرخاوة واللين والمدّ، فيدلّ على الجريان والميل^(٢). وقد وردت آيات أخرى في المال وفي مختلف الأبواب، منها: في البيع والشراء: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، فالمبيع هو الأموال والأنفس بأن تكون لله تعالى وفي سبيله، حتّى يتحصّل لهم الثمن وهو الجنة. وفي الهبة: جاء في قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ

(١) زبدة التفاسير: ٦٤/٢.

(٢) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢١٩/١١.



عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴿[النور: ٣٣]، يراد إعطاؤهم كإعطاء الله تعالى. وفي الإنفاق: جاء في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ﴾ [البقرة: ٢٦١]، و﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النساء: ٣٨]. فالإنفاق في سبيل الله يقابل الإنفاق رياء. وفي التصرف: جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، يراد التصرف المطلق بأي نحو كان. وفي التزین: جاء في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَابِ الخِلَافِ فِيمَا يَهْدُمُ الرَّأْيَ: ((الْخِلَافُ يَهْدُمُ الرَّأْيَ))^(١).

الخلاف يبيح القوة الغضبية، فلا يفوز صاحب الخلاف بإصابة الرأي. وقيل: ((معناه لا رأي لمن لا يطاع، يعني: من كان غير مطاع فوجود رأيه وعدمه سواء))^(٢). ويُعدُّ الخلاف من الأزمات التي واجهتها البشرية، منذ أن هبط الإنسان إلى الأرض إلى يومنا هذا؛ إذ ينقل القرآن الكريم قصة ابني آدم، عندما اختلفا في موضوع القربان. ويستمر هذا الخلاف عبر التاريخ إلى يومنا هذا، وصولاً إلى خلافات كثيرة في الأمة الإسلامية نفسها بين التيارات المختلفة. ومن ثمَّ يحدث الخلاف والاختلاف بين الناس وهذا أمر طبيعي ونتيجة منطقية، فالاختلاف سنة كونية في القضايا الإنسانية، اقتضتها المغايرة والتفاضل بين الناس وضرورة انتظام صيرورة الحياة وفرضتها طبيعة الاجتماع الإنساني، تلك الطبيعة القائمة على دافع الاجتماع مع الآخرين. لذلك كان القبول بالاختلاف والإقرار به أمرًا لا غنى عنه للأسرة الإنسانية على

(١) نهج البلاغة: ٥٠٧.

(٢) معارج نهج البلاغة: ٤٣٨.



تباين مستويات وجودها كافة أفراداً وأممًا وحضارات. وذلك إذا ما أرادت أن تنأى بنفسها عن خطر الانزلاق في شرك آفات الخلاف والجدال والصدام والصراع. ولذلك قيل: اختلاف الرَّأْي لا يفسد للودّ قضيّة، بمعنى أنه يجب ألا يؤثر الخلاف على حُسن المعاملة وعلى وجود المحبة والاحترام بين المتخالفين، ولعل في هذه المقولة تشخيص للداء وتقديم الدواء الناجع والعلاج الشافي لمشكلة الخلاف والاختلاف. والخلاف لو يهدم الرَّأْي وكفى لهان الخطب بعض الشيء، ولكن الخلاف يهدم كيان أمة. وتنشأ الخلافات؛ لأنَّ كل فرد فريد في ذاته ولهذا فكل فرد له قيم وحاجات ورغبات تختلف عن التي عند الآخرين، وفي غالب الأحيان ينشأ الخلاف بين طرفين بسبب وجود أهداف يعتقد كلا الطرفين أنهما الأصح، هذه الأهداف قد تكون نتيجة لحقائق موضوعية، أو قيم فردية، أو حتى وجهات نظر؛ إذ أنَّ كثيرًا من الخلافات قد تبدأ نتيجة سوء تفاهم بين طرفين. وقال ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ) في شرحه لحكمة الإمام عليه السلام: ((إنَّ رأْي الجماعة يجتمع على أمر تكون المصلحة فيه فيقع من بعضهم خلاف فيه فيهدم ما اجتمعوا عليه ورأوه من المصلحة. كما رأى هو وجماعة من أصحابه عند رفع أهل الشام المصاحف صبيحة ليلة الهرير من إتمام القتال وهو المصلحة، فهدم ذلك الرَّأْي من خالف فيه من أصحابه، حتّى وقع بذلك ما وقع))^(١). وهناك أسبابٌ عديدةٌ أدت إلى نشوء الخلاف، أبرزها: عدم التوافق بين رغبات الأطراف المختلفة وأفعالهم، أو بسبب ضعف المرونة والتصلب في الرَّأْي، ونقص التسامح عند الاختلاف في القيم والثقافات، أو بسبب عدم اشباع حاجة من الحاجات الاجتماعية الأساس كالانتماء المتمثل في الحب، والمشاركة، والتعاون، والتقدير الاجتماعي المتمثل

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣٥٢/٥.



في الشعور بالأهمية والاحترام من الآخرين، والحرية المتمثلة في رغبة الأفراد بالقيام بالأشياء التي يفضلونها، أو الأمان المتمثل في الرغبة بالشعور بالطمأنينة^(١).

الخِلَافُ لُغَةً: ((خَلَفُ: الخِلافُ: المُخالَفَةُ. واختَلَفَ: ضِدُّ اتَّفَقَ. والخِلافُ أَيضًا: المُضادَّةُ، وقد خَالَفَهُ، مُخَالَفَةً، وخِلافًا. وتَخَالَفَ الأمرانِ واختَلَفَا: لم يَتَّفِقا. والخِلافَةُ، بِالكسْرِ: الاسمُ مِنَ الاختِلافِ، أَي: خِلافُ الاتِّفاقِ، أو مَصَدَرُ الاختِلافِ أَي: التَّرَدُّدِ))^(٢).

الخِلافُ اصطلاحًا: قَالَ الشَّرِيفُ الجُرْجَانِيُّ: ((الخِلافُ منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ أو لإبطال باطل))^(٣)، والخِلافُ والاختِلافُ في الاصطلاح هو: ((أن يذهب كلٌّ واحدٍ إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر))^(٤).

الخِلافُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ: وردت كلمة الخِلافِ والاختِلافِ وصيغهما فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ مائة مَرَّة. وقد بلغ عدد الآيات التي تحدّثت عن الاختِلافِ فِي المجال الإنسانيّ خمسًا وثلاثين آية، وجاء الاختِلافِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ بمعنى أن يأخذ كلٌّ واحدٍ طريقًا غير طريق الأوّل في فعله أو حاله. والاختِلافِ بين الناس يتناسب مع الفطرة والطبيعة، وذلك يعود إلى مدى قدرتهم في إدراك سرّ الخلق والقوانين والسنن التي تتحكّم بالكون، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [يونس: ١٩]، و ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، ولو شاء ربك لجعل الناس كلهم جماعة واحدة على دين واحد وهو دين الإسلام، ولكنّه سبحانه لم يشأ ذلك، فلا يزال الناس

(١) ينظر: الخِلاف: ٣.

(٢) لسان العرب: ٨٢/٩ - ٩١، تاج العروس: ١٢/١٨٩ - ١٩٩.

(٣) التعريفات: ١٣٥.

(٤) ينظر: المصباح المنير: ١/١٧٩.



مختلفين في أديانهم؛ وذلك مقتضى حكمته^(١). ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١-٣]، ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ [الذاريات: ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [النحل: ١٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَسِّرَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [النحل: ٩٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيَسِّرَنَّ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [النحل: ٣٩]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ [البقرة: ١٧٦]، قِيلَ مَعْنَاهُ: خَلَفُوا. وَقِيلَ: أَتُوا فِيهِ بِشَيْءٍ خِلَافَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا اخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ [الأنفال: ٤٣]، فَمِنَ الْخِلَافِ، أَوْ مِنَ الْخِلْفِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [يونس: ٦]، أَي: فِي مَجِيءِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا خِلْفَ الْآخَرِ وَتَعَاقِبَهُمَا^(٢).

- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَابِ تَقْدِيمِ الْفَرَائِضِ عَلَى النَّوَافِلِ: ((لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضْرَّتْ بِالْفَرَائِضِ))^(٣).

الإضرار بالفرائض: ((تنقيص بعض أركانها وشروطها، وقد يفعل الإنسان ذلك لتعبه من الاشتغال بالنافلة أو لما يريد أن يستقبله منها، ولا قربة فيما يستلزم

(١) ينظر: مفهوم الاختلاف في القرآن الكريم: ٢.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٩٤.

(٣) نهج البلاغة: ٤٧٥.



ترك الواجب لاستلزامه المعصية والعقاب ومنافاتها للقربة))^(١). وَقَالَ حَبِيبُ اللَّهِ الخوئي شارح نهج البلاغة: ((إِنَّ كَلَامَهُ عليه السلام يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ التَّقَرُّبِ وَالثَّوَابِ فِي النِّوَافِلِ إِذَا أَضْرَّتْ بِالفَرَائِضِ، لَا عَلَى البَطْلَانِ وَعَدَمِ الصِّحَّةِ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ ظَاهِرٌ وَليْسَ المقصود أن إتيان النافلة صار سبباً تاماً لترك الفريضة أو النقص فيها؛ بل المراد أن التهيأً للفريضة أهم، وحفظ كمالها ألزم، فمن اشتغل الليل بتلاوة القرآن الكريم أو النوافل وأتعب نفسه حتى غلب عليه النوم وفات عنه فريضة الصبح، فلا ثواب له ولا قربة في نوافله))^(٢)، لهذا فالنافلة يرجح فعلها ويجوز تركها، والفريضة يجب فعلها ويحرم تركها، فإن أمكن الجمع بين الاثنتين فذاك خير، وكلام الإمام عليه السلام منصرف عن هذه الحال؛ لأنّها من الوضوح بمكان، وإن تعذر الجمع ولم تسنح الفرصة إلا لواحد دون الآخر - كما هو الفرض - فالواجب أولى وأهم، ((ومثال ذلك في العبادة أن يتسع الوقت للفريضة فقط، فتقدّم على النافلة بلا ريب، ومثاله في غير العبادة أن لا يتسع المال إلا لوفاء الدين فيقدّم على الصدقة. هذه هي القاعدة كمبدأ ومنهج))^(٣).

النافلة والفرائض لغة: ((النفل: النون والفاء واللام أصل صحيح يدل على عطاء وإعطاء، ومنه النافلة: عطية الطوع من حيث لا تجب. ومنه نافلة الصلاة))^(٤). فرض: ((فرضت الشيء أفرضه فرضاً وفرضته للتكثير: أوجبته. وأفترضه: كفرضه، والاسم الفريضة. وفرائض الله: حدوده التي أمر بها ونهى عنها، وكذلك الفرائض بالميراث. والفرض: السنة، فرض رسول الله صلّى الله عليه وآله، أي: سن، وقيل: فرض

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٢٦٣/٥.

(٢) منهاج البراعة: ٧٦/٢١.

(٣) في ظلال نهج البلاغة: ٤/٢٤١.

(٤) معجم مقاييس اللغة: ٥/٤٥٥.



رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: أَوْجَبَ وَجُوبًا لَازِمًا، وهذا هو الظاهر. والْفَرَضُ: ما أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، سمي بذلك؛ لِأَنَّ لَهُ مَعَالِمَ وَحُدُودًا. وَفَرَضَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَيْنَا كَذَا وَكَذَا وَافْتَرَضَ أَيَّ أَوْجَبَ))^(١).

الْناْفِلَةُ وَالْفَرَائِضُ اصْطِلَاحًا: ((الْناْفِلَةُ: ما تفعله ممَّا لم يفرض ولم يجب عليك))^(٢). وَقَالَ الشَّهِيدُ الثَّانِي: ((الْناْفِلَةُ تعني: أَنْ يَأْتِيَ الْمُسْلِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ مِمَّا لم يفترضه اللَّهُ عليه فيستحقَّ بذلك الجزاء الجميل من ربِّه. وثواب النافلة عظيم؛ إذ ورد في القرآن الكريم مدح المصلِّين واستثنائهم من المذمومين))^(٣).

الْفَرَائِضُ: ((هي الأعمال التي أوجبها اللَّهُ تَعَالَى على عباده، والمتروكات التي قطعها عليهم ويأثم كل من لم يقم بها. وقيل: هي جمع الفريضة بمعنى مفروضة من الفرض وهو التقدير))^(٤). وَقَالَ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ: ((الفرض ما ثبت بدليل قطعي لا شبهة فيه ويكفر جاحده ويعذب تاركه))^(٥).

الْناْفِلَةُ وَالْفَرَائِضُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: فِي الْناْفِلَةِ: وردت (ناْفِلَةً) مرتين فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. التَهَجُّدُ: هو الاستيقاظ من النوم للعبادة، والمعنى: وأما بعض الليل فتهجد به. والقول برجوع الضمير إلى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ غير صحيح، فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. ((بمعنى التفهيم والضبط لا

(١) لسان العرب: ٧/٢٠٢.

(٢) منهاج البراعة: ٢١/٧٦.

(٣) الفوائد المليّة: ٢١.

(٤) شرح صحيح مسلم: ١١/٥١.

(٥) التعريفات: ٢١٣.



بمعنى القرآن الكريم. فالنافلة راجعة إلى التهجد وعباداته وأعماله. وهذا التهجد متفرعة ومتعقبة عن الصلاة المفروض المذكور في أقم الصلاة، وليس المراد منها النوافل من صلوات الليل المعمولة، وإن كانت من مصاديقها. ففيد النافلة يدل على تفرعها وسقوطها عن مرتبة الوجوب الذي في الفرائض، فلا دلالة في الآية الكريمة على خصوص النوافل الصلواتية ولا على وجوبها، مع التصريح بالنفل وبالتوجه إلى معناه^(١). ويدل على هذا التعليل بقوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا﴾. ووردت نافلة في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [الأنبياء: ٧٢]. قَالَ جَلَّ وَعَلَا ذَلِكَ فِي إِبْرَاهِيمَ (ع)، فإسحاق ابنه، ويعقوب حفيده عليهم السلام. ووردت الأنفال مرتين في سورة الأنفال: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١]. وفيها يسألون عن الغنائم.

في الفرائض: وردت الفريضة ومشتقاتها في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة. وتعد سورة النساء أكثر السور تحوي على الفرائض والأحكام الشرعية. (قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ١٨]، أي: معلومًا، وقيل: مقطوعًا عنهم، والفرض كالإيجاب، لكن الإيجاب يُقال بحسبان وقوعه وثباته، والفرض بقطع الحكم فيه. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١]، أي: أوجبنا العمل بها عليك، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ [القصص: ٨٥]، أي: أوجب عليك العمل به، ومنه يُقال لما أُلزم الحاكم من الثقة: فَرَضَ. وكل موضع ورد (فَرَضَ اللَّهُ عليه) ففي الإيجاب الذي أدخله الله فيه، وما ورد من: (فَرَضَ اللَّهُ له) فهو في أن لا يحظره على نفسه. نحو: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ [الأحزاب: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ [التحریم: ٢]،

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٢٠٩ / ١٢.



وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [البقرة: ٢٣٧]، أي: سمّيتنَّ لهنَّ مهراً، وأوجبتم على أنفسكم بذلك، وعلى هذا يُقال: فَرَضَ له في العطاء، وبهذا النظر ومن هذا الغرض قيل للعطية: فَرَضٌ، وللدين: فَرَضٌ، وفرائضُ الله تعالى: ما فرض لأربابها، ورجل فَارِضٌ وفَرِضِيٌّ: بصير بحكم الفرائض. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، أي: من عيّن على نفسه إقامة الحجّ، وإضافة فرض الحجّ إلى الإنسان دلالة أنه هو معيّن الوقت، ويُقال لما أخذ في الصدقة فريضةً^(١))). وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ... فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]. وقال المصطفوي: ((إذا استعملت المادة (فرض) بحرف على: تدلّ على الاستيلاء والتسلّط، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٥٠]. وإذا استعملت بحرف اللام: تدلّ على الاختصاص والتعلق. وإذا استعملت من دون حرف: تدلّ على مجرد التقدير والتعيين المطلق))^(٢)، كما في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ [النور: ١].

- وقال أمير المؤمنين عليه السلام فيما يوجبُ الهلاك: ((هَلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبُّ غَالٍ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ))^(٣). وقال عليه السلام: ((يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ: مُحِبُّ مُفْرِطٍ، وَبَاهِتٌ مُفْتِرٍ))^(٤).

كررَ أمير المؤمنين عليه السلام هذا القول بهدف تحذير الناس من ذلك الهلاك في المغالاة والبغض له. وهناك أيضاً من كان مغالياً من النصارى ويعتقد بالوهية السيد المسيح نبي الله عيسى عليه السلام (يُقالُ: (غلا) في الدين غلواً من باب قعد، تصلّب،

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٣١.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن: ٦٠/٩.

(٣) نهج البلاغة: ٤٨٩.

(٤) خصائص الأئمة: ١٢٤.



وتشدد حتى تجاوز الحدَّ والمقدار، فالغالي من يقول في أهل البيت عليهم السلام ما لا يقولون في أنفسهم، كمن يدعى فيهم النبوة والألوهية^(١). ولما كانت محبة أولياء الله فضيلة نفسانية كان طرف التفريط والتقصير فيها إلى غاية مقابلتها بالبغض وطرف الإفراط إلى غاية الغلو وتجاوز ما ينبغي منها رذيلتين يستلزمان هلاك صاحبهما في الآخرة. ((أما رذيلة التفريط؛ فلأنَّ بغض أولياء الله مستلزم لعداوتهم ومن عادى ولياً من أولياء الله فقد عادى الله وكان من الهالكين، وأما رذيلة الغلو والإفراط؛ فلأنَّ الغلاة أخرجوه عن حدِّ البشريَّة إلى سماء الإلهية وهو صريح الكفر المستلزم للهلاك))^(٢). وقد فسر الإمام عليه السلام قوله، ومن سوف ينجو في خطبة أخرى له: ((وسيهلك في صنفان، مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الحُبُّ إِلَى غَيْرِ الحَقِّ، ومُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ البُغْضُ إِلَى غَيْرِ الحَقِّ، وخَيْرُ النَّاسِ فِي حَالِ النَّمَطِ الأَوْسَطُ فَالزَّمُوهُ))^(٣). وَقَالَ ابنُ شَهْرَآ شُوب (ت ٥٨٨هـ) في مناقبه: ((إنَّ عبدَ الله بنَ سبأ كان يدعي النبوة ويزعم أنَّ أميرَ المُؤمِنينَ عليه السلام هو الله؛ فبلغ ذلك أميرَ المُؤمِنينَ عليه السلام؛ فدعاه وسأله؛ فأقر بذلك وقال: أنت هو؛ فقال له: (ويلك قد سخر منك الشيطان، فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب!) فلما أبى حبسه واستتابه ثلاثة أيام؛ فأحرقه بالنار! وروي أنَّ سبعين رجلاً من الزط أتوه عليه السلام بعد قتال أهل البصرة يدعونه إلهاً بلسانهم وسجدوا له، قال لهم: (ويلكم لا تفعلوا إنَّما أنا مخلوق مثلكم!) فأبوا عليه فقال عليه السلام: (فإن لم ترجعوا عمّا قلتم في وتوبوا إلى الله لأقتلنكم)، قال: فأبوا، فخذ لهم أخاديد وأوقد ناراً؛ فكان قنبر يحمل الرجل بعد الرجل على منكبه فيقذفه في

(١) منهاج البراعة: ٢١/١٨٠.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣٠٤/٥.

(٣) نهج البلاغة: ١٨٤.

النار))^(١). زيادة على ما ذكره ابن شهر آشوب فيمن أله أمير المؤمنين عليه السلام، كذلك توجد طوائف أخرى قد آمنت بالوهية أمير المؤمنين عليه السلام ويعبدونه، منهم: الطائفة النصيرية، والكاكائية. ولا يزال في الناس من يغلو فيه عليه السلام إلى يومنا هذا، فهناك مجموعة من الأشخاص في العراق ولبنان قد أعادوا هذه الاعتقادات ويقدمون القرابين ويضحون بأنفسهم. وهناك صنف آخر من يبغض أمير المؤمنين عليه السلام ويجب الخوارج، ويجب عبد الرحمن بن ملجم، ومنهم أيضا المنكرون لفضائله عليه السلام، والمتحاملون، والمتعصبون عليه. فهؤلاء الصنفان هم مُحِبُّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ.

الهِلَاكُ لُغَةً: إِنَّ الْهَلَاكَ فِي اللَّغَةِ هُوَ مَصْدَرٌ لِلْجَذْرِ الثَّلَاثِي «هَلَكَ»: الْهَلَاكُ: الْهَلَاكُ. ((يُقَالُ الْهَلَاكُ وَالْهَلُكُ أَوْ الْمُلْكُ وَالْمَلْكُ؛ هَلَكَ يَهْلِكُ هُلُكًا وَهَلَاكًا وَهَلَاكًا: مَاتَ. وَهَلَكَ الشَّيْءُ يَهْلِكُ هَلَاكًا وَهَلُوكًا وَمَهْلَكًا وَمَهْلِكًا وَمَهْلَكًا وَتَهْلُكَةً، وَالاسْمُ الْهَلُكُ. وَالتَّهْلُكَةُ: الْهَلَاكُ. وَقِيلَ: التَّهْلُكَةُ كُلُّ شَيْءٍ تَصِيرُ عَاقِبَتُهُ إِلَى الْهَلَاكِ. وَالتَّهْلُكَةُ مِنْ نَوَادِرِ الْمَصَادِرِ لَيْسَتْ مِمَّا يَجْرِي عَلَى الْقِيَاسِ))^(٢).

الهِلَاكُ اصْطِلَاحًا: ذَكَرَ الْفَيْرُوزِ أْبَادِي (ت ٨١٧هـ) أَنَّ الْهَلَاكَ قَدْ يَأْتِي عَلَى أَكْثَرِ مِنْ وَجْهِ وَبِأَكْثَرِ مِنْ سَبَبٍ، وَهَذِهِ الْأَسْبَابُ هِيَ: فَنَاءُ الشَّيْءِ مِنْ عِنْدِ الْإِنْسَانِ، وَنَفَادِهِ مِنْ عِنْدِهِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ وَجُودِهِ عِنْدَ غَيْرِهِ، وَذَهَابِ الشَّيْءِ بِسَبَبِ الْإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيْبِ، وَذَهَابِهِ بِسَبَبِ انْعِدَامِهِ مِنَ الْوُجُودِ بِالْكُلِّيَّةِ، كَمَا قَدْ يَكُونُ الْمَوْتُ هُوَ سَبَبُ الْهَلَاكِ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْأُمُورِ الَّتِي تَوَدِّي بِصَاحِبِهَا إِلَى الْمَوْتِ (تَهْلُكَةُ) أَي: أَنَّ مِظَنَّةَ الْمَوْتِ وَالْهَلَاكِ مَتَحَقِّقَةٌ فِيهَا، وَقَدْ يُطْلَقُ الْهَلَاكُ عَلَى الْخَوْفِ، وَالْجُوعِ، وَالْفَقْرِ، وَالْهَلِكُ جَمْعُ هَلَكَةٍ، وَهِيَ السَّنِينُ الْمَجْدُبَةُ، أَي: الَّتِي يُعَانِي فِيهَا النَّاسُ مِنْ

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٢٢٧.

(٢) لسان العرب: ١٠/ ٥٠٣-٥٠٨، تاج العروس: ١٣/ ٦٧٠-٦٧٤.



قلة الطعام والماء بسبب امتناع المطر عن النزول^(١). ولجميع المعاني السابقة شواهد قرآنية قد ذكرها الفيروز آبادي.

الهلاكُ في القرآن الكريم: إنَّ كلمة: (الهلاكُ) لم تُذكر في القرآن الكريم بهذه الصيغة، وإنما ذُكرت باشتقاقها المتعددة نحو: (هَلَكَ، يُهْلِكُ، أَهْلَكْنَاهُمْ، التَّهْلُكَةُ)، وغير ذلك من الاستعمالات، وقد ترددت هذه الاشتقاقات كثيرًا في القرآن الكريم وبلغت سبعين مرّة. وغالبًا ما كانت ترمز إلى سقوط الشخص في النار، أو ترمز إلى مصيره السيئ في جهنم. وَقَالَ الرَّاعِبُ: الهلاك على أربعة أوجه: أحدها: افتقاد الشيء عنك، وهو عند غيرك موجود، كقوله تَعَالَى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٩].

الثاني: هلاك الشيء باستحالة وفساد، كقوله تَعَالَى: ﴿وَيُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

الثالث: الموت، كقوله تَعَالَى: ﴿إِنْ أَمْرٌ هَلَكٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

الرابع: بطلان الشيء من العالم وعدمه رأسًا، وذلك المسمى فناء، المشار إليه بقوله تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]. ويقال للعذاب، والخوف، والفقر: الهلاك، وعلى هذا قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ [ق: ٣٦]، وقوله تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. هو الهلاك الأكبر. والتَّهْلُكَةُ: ما يؤدي إلى الهلاك^(٢)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّا هُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٦]، جاء معنى هلك بمعنى الموت والزوال، فيعرض لنا

(١) ينظر: بصائر ذوى التمييز: ١٦٤٦.

(٢) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٤٤.



جَلَّ وَعَلَا عَلَى قَدْرَتِهِ فِي هَلَاكٍ مِنْ يَرِيدُ، وَقِيَامِهِ بِاسْتِبْدَالِهِ بِأُمَّةٍ أُخْرَى يَكُنْ لَهُمُ التَّمَكِينُ فِي الْأَرْضِ.

- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) فِي حُسْنِ الْعَاقِبَةِ: ((لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ حُلُوءٌ أَوْ مُرَّةٌ))^(١).

من أهم الأمور التي ينبغي أن نبذل غاية اهتمامنا بها هي حسن العاقبة، وأهم مرحلة نحتاج فيها إلى التسديد الإلهي هي حسن العاقبة، ولهذا لا بد من الإصرار الدائم في الدعاء بحسن العاقبة، فالإنسان مهتد في كل حين بالانحراف عن الصراط المستقيم، والوقوع في أودية الضلال، وسوء العاقبة، فينبغي أن يصرف الإنسان جميع عمره بالطاعة لله عزَّ وجلَّ، ولا سيما عندما يكبر سنُّه؛ لأنَّه يكون عند الكبر أحوج شيء إلى حسن العاقبة. والتدرج الهرمي لسوء العاقبة يبدأ من: قساوة القلب. وقال حبيبُ اللهِ الخوئي في شرحه لحكمة الإمام (ع): ((من الأخلاق المضرة بالسعادة الدنيوية والدينية، عدم التدبُّر في العواقب وما يؤل إليه أمر الإنسان في هذه الدنيا وما بعدها، ويعبر عن الغافل عن العاقبة بآبن الوقت، وقد فشت هذه المفسدة في نفوس الشبان في هذا الزمان، وقد تعرَّض (ع) في هذه الحكمة لمعالجة هذه المفسدة، ونبه على أنَّه لكلِّ أمرٍ عاقبة، سواءً كانت في الدنيا أم في الآخرة، وهي حلوة أو مرَّة، فلا بدَّ أن يسعى كلُّ أحدٍ للعاقبة الحلوة ويحذر عن العاقبة المرَّة))^(٢) وقال ابن ميثم البحراني: ((أشار (ع) إلى غايته من حركاته الخيرية والشرية. فغاية الخيرية الجنة ولذاتها وهي العاقبة الحلوة. وغاية الشرية النار وعذابها وهي العاقبة

(١) نهج البلاغة: ٤٩٩.

(٢) منهاج البراعة: ٢١/٢٣٦.



المُرَّة. واستعار لفظي الحلوة والمُرَّة للذيد والمكروه^(١)، وقيل المراد في حكمة الإمام (ع): ((بالعاقبة هنا الآخرة، وهي سعادة وحلاوة للمتقين))^(٢)، وشقاء ومرارة للغاوين، قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [الأنعام: ٦]، لا يمكن لأحد من الناس أن يضمن لنفسه حسن العاقبة؛ كيف ذلك وهو يقرأ سيرة المنحرفين من أصحاب الأئمة عليهم السلام؟ ومن أبرز هؤلاء؛ الخوارج الذين كانوا من أصحاب أمير المؤمنين (ع) وكانوا مضرب مثل في كثرة العبادات وإن كانت عبادات سطحية وتقشفية؛ ولكنهم مع ذلك لم يتورعوا عن قتال إمام زمانهم، وقد ذكر أمير المؤمنين (ع) أنه قاتلهم بالقلب الذي كان يقاتل فيه مع رسول الله ﷺ المشركين؛ حتى لا يتوهم متوهم أنه قد قاتل المسلمين، ولا شيء أدعى لسوء العاقبة من تراكم الذنوب الصغيرة وهي تجره إلى الكبائر شيئاً فشيئاً حتى ينتهي به المطاف إلى سوء العاقبة. وقد ورد عن أمير المؤمنين (ع) أنه قَالَ: ((مَا جَفَّتِ الدُّمُوعُ، إِلَّا لِقَسْوَةِ الْقُلُوبِ، وَمَا قَسَتِ الْقُلُوبُ، إِلَّا لِكثْرَةِ الذُّنُوبِ))^(٣).

العَاقِبَةُ لُغَةً: ((عقب: عَقِبَ كُلُّ شَيْءٍ، وَعَقْبُهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الأنعام: ٦]؛ معناه: لا يَخَافُ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَاقِبَةَ مَا عَمِلَ أَنْ يَرْجِعَ عَلَيْهِ فِي العَاقِبَةِ، كَمَا نَخَافُ نَحْنُ. وَالْعُقْبُ وَالْعُقْبُ: العَاقِبَةُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٤]، أَي: عَاقِبَةٌ، وَأَعْقَبَهُ بِطَاعَتِهِ أَي جَازَاهُ، وَقَالُوا: العُقْبَى لَكَ فِي الخَيْرِ. أَي: العَاقِبَةُ))^(٤)، فالعاقبة تعني: ما يعقب الشيء ويأتي بعده، أي: الخاتمة.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٣٣٢ / ٥.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٣٢٠ / ٤.

(٣) علل الشرائع: ٨١ / ١.

(٤) الصحاح: ١٨٦ / ١؛ لسان العرب: ٦١١ / ١.



العاقبة اصطلاحاً: ((إنَّ الأصلَ الواحدَ في المادَّة: هو وقوعُ شيءٍ في ظهرِ شيءٍ وخلفه متصلاً به، مادياً كان أو معنوياً، ويفترق عن الخلف: بأنَّ الخلفَ أعمُّ من كونه متصلاً أو منفصلاً. ومن مصاديقها: العقب مؤخرَ القدم وهو في جهة عقب الرجل. والولد وأولاده المتأخِّرة الواقعة بعده، وعاقبة كلِّ شيء الواقعة في آخره، وكلِّ شيء يأتي بعد شيء آخر متصلاً أو كالمتصل، والعقوبة التي تلحق الذنب والعصيان. والعقاب كالقتال، والعاقبة ما يقع في عقب شيء، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ [يونس: ٧٣]. عاقبة المكذِّبين، عاقبة الظالمين، والعاقبة للتقوى، عاقبة الأمور يراد انتهاء هذه الموضوعات إلى تلك العواقب، فالعاقبة ما يترتب على جريان، متصلاً به أو بما في القلب من أثره))^(١).

العاقبة في القرآن الكريم: تواردت هذه المادة في القرآن الكريم كاسم: (العقاب)، في أربعة وعشرين موضعاً، وجاء اسم: (العاقبة) في واحد وثلاثين موضعاً، وجاء اسم: (العقبى) في أربعة مواضع، وكفعل في نحو ستة مواضع، ولفظ: (عقب) ومشتقاته، جاء في القرآن الكريم على ستة أوجه: أولها: بمعنى العذاب، وهذا المعنى هو الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم. ثانيها: بمعنى الغنيمة. ثالثها: بمعنى القتل. رابعها: بمعنى المثلة. خامسها: بمعنى العقبى. سادسها: بمعنى العاقبة، آخر الشيء، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ [الحشر: ١٧]، أي: فكان آخر أمرهما^(٢). والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب نحو: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]. فضلاً عن قد تستعمل في العقوبة نحو: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ [الروم: ١٠]. وقال الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في تفسيره للآية: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ((العاقبة ما تؤدي إليه التأديبة من خير أو شر إلا أنه إذا قيل:

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٨ / ١٨٥.

(٢) ينظر: العاقبة: ٣.



العاقبة له فهو في الخير، فإذا قيل: العاقبة عليه فهو في الشر، مثل الدائرة له وعليه))^(١).

- وَقَالَ أَميرُ المُؤْمِنينَ (ع) فِي بَابِ الكَسَلِ مِنَ النُّومِ: ((مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ اليَوْمِ))^(٢). وَفِي نَوْمِ الغَفْلَةِ: قَالَ (ع): ((النَّاسُ نِيَامٌ إِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا))^(٣).

النوم من أكبر النعم التي أنعم الله تعالى على الكائنات الحيّة، فكانت من ضمن آياته على خلقه، وهي عملية تتم من دون أن يكون للإنسان دخل فيها، فتحتاجها الكائنات الحيّة، لكن كثرة النوم ومن دون سبب مقنع غير مرغوب فيها، وحكمة الإمام (ع): ((مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ...)) من خطبه (ع) التي يحض فيها أصحابه على العمل أو الجهاد، ((و- ما - هاهنا للتعجب. وهذه الكلمة تجري مجرى المثل يضرب لمن يعزم على أمر فيغفل عنه أو يتهاون فيه ويتراخى عن فعله حتى ينتقض عزمه عنه. وأصله أن الإنسان قد ينوى السفر مثلاً أو الحركة بقطعة من الليل ليتوفّر في نهاره على سيره فيغلبه النوم إلى الصباح فيفوت وقت عزمه فينتقض ما كان عزم عليه في يومه))^(٤). ((فضربه (ع) مثلاً لمن يعزم على تحصيل الأمور الكبار والسعي فيها ثم يلزم الإناءة والدعة، ومراده أنكم مع هذه الدعة وحبّ الراحة من المتاعب والجهاد لا يتمّ لكم ما تريدونه وتعزمون عليه من تحصيل السعادة في دنيا أو آخرة))^(٥)، فالاشتغال بالمشتهيّات الدنيّة البدنيّة يثبط الإنسان عن الوصول إلى المقامات العالية. ((وإنّ من عزم على أمر في اليوم، فنام، لم ينجح بالمراد فيكون

(١) التبيان: ٤/ ٥١٤.

(٢) نهج البلاغة: ٣٥٩، ٥٥٤.

(٣) خصائص الأئمة: ١٢؛ عيون الحكم: ٦٦.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني: ٥/ ٤٥٤.

(٥) م.ن: ٤/ ٣٣٧.



نوم يومه ناقص روم يومه))^(١)، وَقَالَ مغنية في شرح حكمة الإمام عليه السلام: ((قَالَ الشارحون في تفسيره: قد يعزم الإنسان، وهو في ساعة من ساعات النهار أن يعمل في الليل كيت وكيت. حتى إذا جاء الليل أثر النوم، وتبخر العزم، وهكذا همم النهار يمحوها الليل، وقالوا: إنَّ غرض الإمام عليه السلام أن يبقى الإنسان على عزمه، ولا يخلد للراحة والكسل. وظاهر الكلام يتحمل هذا المعنى، ولكن خير منه أن الإنسان في حياته يواجه كثيرًا من المتاعب والمصائب التي لا صبر له عليها، فينتهي به العجز إلى العزم على الخلاص منها بالهرب والفرار، أو بارتكاب رذيلة كانتحار ونحوه. فإذا نام وأخذ قسطًا من الراحة هدأت نفسه، وخفت أثقاله، وعدل عزمه وما مضى من أفكاره. قَالَ الفيلسوف الفرنسي فولتير: إنَّ السماء أرادت أن تعوّض عمّا بلينا به من محن الحياة، فمנحتنا الأمل من جهة، والنوم من جهة ثانية. وَقَالَ الكاتب الانكليزي الشهير: هـ. ج. ويلز: إنَّ النوم نعمة لا تقدّر، وفي معركة بدر خاف الصحابة من كثر المشركين، فعالج سبحانه وتعالى خوفهم بالنوم وما استيقظوا إلا وأنفسهم تغمرها السكينة: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ [الأنفال: ١١]. أي إنه تبارك وتعالى ألقى النوم عليهم ليحلّ الأمن في نفوسهم مكان الخوف))^(٢).

النُّومُ لُغَةً: قَالَ الفيومي: ((نام: (ينام)، من باب تعب، (نومًا) و(منامًا) فهو (نائم)، والجمع: (نوم) على الأصل، و(نيم) على لفظ الواحد، و(نيام) أيضًا ويتعدى بالهمزة والتضعيف، و(النوم): غشية ثقيلة تهجم على القلب فتقطعه عن المعرفة بالأشياء، ولهذا قيل هو آفة؛ لأنَّ (النوم) أخو الموت، وقيل: (النوم) مزيل للقوة والعقل، وأما (السنة) ففي الرأس، و(النعاس) في العين))^(٣).

(١) منهاج البراعة: ١٦/١٩٣.

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٣/٣٧١.

(٣) المصباح المنير: ٢/٦٣١.



النُّومُ اصْطِلَاحًا: هو راحة للعقل والجسم تحدث من دون اختيار، وتغيب عن طريقها الإرادة والوعي، وتتوقف فيها أجزاء من الوظائف البدنية، والنوم يغشى المخلوقات الحيّة كلّها، وهو ممتنع في حقّ الله جلّ وعلا، قال الشَّريفُ الجُرْجَانِيُّ: ((النوم: حالة طبيعية تتعطل معها القوى بسبب ترقي البخارات إلى الدماغ))^(١). وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال الشيخ الطوسي: ((فالسنة النوم بلا خلاف. والسنة الثقلة من النعاس، والنوم الاستثقال في النوم، وأصل النوم خلاف اليقظة))^(٢).

النُّومُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: وردت كلمة النوم ومشتقاتها في القرآن الكريم تسع مرات، وفسر على أوجه عدّة وبنظرات مختلفة، قيل: هو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه، وقيل: هو أن يتوقّى الله النفس من غير موت، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ﴾ [الزمر: ٤٢]. والمنام: النوم^(٣). قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الروم: ٢٣]، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩]. وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]. يحدثنا تبارك وتعالى عن النوم كآية، وأكد أنه آية سواء أكان في الليل أم في النهار. وفي قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧]، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [القلم: ١٩]، فالإنسان لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ضررًا موجهًا عليه، ولا سيّما إذا نام وغفل عمّا يجري في الخارج، فحرى أن يتوجّه إلى الله الحيّ القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وأن يفوض أمره إليه تعالى على كلّ حال، وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ

(١) التعريفات: ٣١٧.

(٢) التبيان: ٣٠٨/٢.

(٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٨٣٠.



حِينَ مَوْتِهَا وَالتِّي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيَمْسِكُ التِّي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴿[الزمر: ٤٢].﴾ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَخْتَارُ الْإِتْمَامَ وَالْإِكْمَالَ لِلْأَنْفُسِ حِينَ مَوْتِهَا، وَلِلَّتِي لَمْ تَمُتْ، فِي مَنَامِهَا^(١).

- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَابِ عَذُوبَةِ اللِّسَانِ وَأَثَرِهَا فِي الأَلْفَةِ: ((مَنْ عَذَبَ لِسَانَهُ كَثُرَ إِخْوَانُهُ))^(٢).

اهتم أمير المؤمنين عليه السلام في حكمه باللسان، فهناك أكثر من ثلاثين حكمة تخص هذا الموضوع. وإن لعذوبة كلام الفرد، وحسنه، وحلاوته، له مساهمة كبيرة في زيادة المحبة والألفة بين الناس، وهذا ما نجده واضحاً في حكمة أمير المؤمنين عليه السلام. فالإخوان: المراد هنا الأعوان والأنصار. يعني الإمام عليه السلام في حكمته: عذوبة اللسان ولينته سبب لكثرة الأعوان والأنصار. والعذب الماء الطيب الخالص من الشوائب، ويقال بحسب المجاز على كل لذيذ خالص من شائبة أذى، والمراد من اللسان هنا الكلام؛ لأنَّ جرم اللسان لا ينسب إليه الطيب والعذوبة، والمقصود الصريح إنَّ من لانت كلمته للخلق وتمرن لسانه بالملاطفة الحسنة لهم بطيب الكلام، والاستجابة منهم، وتواضع لهم فإنَّ طباعهم تميل إليه وتشتاق إلى مصاحبته ومخالطته فيكون ذلك سبباً لكثرتهم، وهذه القضية من المجربات، من أنواع القضايا الواجب قبولها. وأما عله تلك الميول الطبيعية؛ لأنَّ الشهوات، والنفرات الطبيعية تكون بحسب تصور الوهم، أو العقل للأموال المؤذية الضارة، أو المريحة النافعة^(٣). إنَّ صاحب الكلام الطيب والخلق الحسن اللين، الذي عودَّ لسانه بالملاطفة الحسنة والتودد، والذي يعامل الآخرين باحترام وتواضع من دون تكبرٍ، ويتقرب إليهم فيما يرضي

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٢/٣٠٢-٣٠٣.

(٢) غرر الحكم: ٢٩٧؛ عيون الحكم: ٤٢٤.

(٣) ينظر: شرح مئة كلمة لأمر المؤمنين عليه السلام: ٩١؛ عذوبة اللسان: ٢.



اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فسيكون هذا من أحد الأسباب التي تجعل محبته واجبة على الناس، وإن طبا عهم ستميل إليه وتشتاق إلى مصاحبته ومخالطته، فتنبعث إرادتهم على السعي في توددهم إليه، وطلب أخوته ومصاحبته؛ وذلك ما قاله أمير المؤمنين (ع) إن: ((التَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ))^(١). وأشرف أنواع التودد ما كان عن عذوبة الكلام.

اللِّسَانُ لُغَةً: ((لسن: اللام والسين والنون أصل صحيح يدل على طول لطيف غير واضح، في عضو أو غيره، ومن ذلك اللسان. واللسن: جودة اللسان والفصاحة. واللسن: اللعة، يقال لكل قوم لسن، أي: لغة))^(٢).

اللِّسَانُ اضْطِلَاحًا: ((اللسان: العضو اللحمي في الفم، الذي هو آلة النطق، والذوق والبلع. واللسان إن مرنته تمرن، وإن تركته تغير وفسد))^(٣)، وقال الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ): ((هو الآلة في إعطاء المعارف؛ فوجب أن يكون أشرف الأعضاء))^(٤).

اللِّسَانُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ورد ذكر اللسان ومشتقاته في القرآن الكريم خمس وعشرين مرة. وورد بلفظ: (لِسَان) سبع مرات. وست مرات بلفظ: (أَلْسِنَتَهُمْ). وثلاث مرات بلفظ: (لِسَانِكَ). وأيضًا ثلاث مرات بلفظ: (أَلْسِنَتِكُمْ). ومرتين بلفظ: (لِسَانِي). ومرّة واحدة بلفظ: ب (أَلْسِنَةً). وبالعدد نفسه أي: خمس وعشرين مرّة تكررت مشتقات المَوْعِظَةِ. ((وهكذا يتكرر عدد مرات ذكر اللسان بكل مشتقاته بعدد مرات ذكر المَوْعِظَةِ بكل مشتقاتها على الرغم من عدم اجتماعها في آية واحدة؛ بل ولا في سورة واحدة))^(٥).

(١) نهج البلاغة: ٤٩٥.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٢٤٦/٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩/١٩.

(٤) مفاتيح الغيب: ٤٧/٢٢.

(٥) ينظر: الإعجاز العددي: ١٥٨-١٦٠.



وجاء اللسان في الاستعمال القرآني على عدة أوجه: قيل هو الجارحة وقوتها، جاء في قوله تعالى: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [طه: ٢٧]، يعني به من قوة لسانه، فإنَّ العقدة لم تكن في الجارحة، وإنما كانت في قوته التي هي النطق به، ويقال: لكل قوم لِسَانٌ وَلِيسَنٌ، أي: لُغَةٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [الدخان: ٥٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، أي: بِلُغَةِ الْعَرَبِ، ﴿وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]. ((فاختلاف الألسنة إشارة إلى اختلاف اللغات، وإلى اختلاف النغمات، فإنَّ لكل إنسان نغمة مخصوصة يميّزها السمع، كما أنَّ له صورة مخصوصة يميّزها البصر))^(١). وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ* وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨-٩]، جاء اللسان هنا بعينه. و﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة: ١٦]، و﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ﴾ [النور: ٢٤]. فالنظر في هذه الموارد إلى اللسان مرادًا به النطق والتكلم فكما في: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم: ٤]، ﴿لِسَانَ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. فالمراد اللُغَةُ والتكلم، ((والمراد من اللسان الصدق: الكلمات والخطابات التي تطابق الحق من تعليمات إلهية وأحكام حقه ومعارف دينية تبقى إلى آخر الأزمنة، ويستفيد منها المتأخرون فيما بعد، وليس المراد حسن الذكر والتمجيد في ألسنتهم، فإنَّ هذا المعنى أمر نفساني ولا يطابق النظر الخالص الروحاني. ويدلُّ على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠]، أي: فهم متصفون باللسان الصدق، ومتكلمون بالحق، ولا ينطقون إِلَّا حَقًّا وَصِدْقًا. ويقابله الكذب في اللسان))^(٢): ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٤٠.

(٢) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ١٠ / ١٩٠-١٩٢.



ما يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ ﴿[النحل: ٦٢]، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]. وفي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٨]. جاء اللسان هنا بمعنى الدعاء، يعني في دعاء داوود وعيسى عليه السلام. وفي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤]. جاء هنا اللسان بمعنى الثناء الحسن: يعني ثناءً حسنًا.

- وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فِي بَابِ الخَشْيَةِ: ((غَايَةُ المَعْرِفَةِ الخَشْيَةُ))^(١). ((لَا عِلْمَ كَالخَشْيَةِ))^(٢).

العلم بالله تَعَالَى وبِعظمتِهِ وظهورها في القلب، يوجب الخشية منه تَعَالَى، فإنه تَعَالَى كما هو جميل ذو الإكرام، فكذلك هو عظيم جليل ذو الجلال، ((فالمعرفة به تَعَالَى الَّتِي هي المراد من العلم به توجب الخشية منه، وليست الخشية هي الخوف من عقابه للمعصية؛ بل هي من آثار ظهور عظمتِهِ تَعَالَى في القلب، وهي المعرفة والعلم به تَعَالَى))^(٣). والعلم هو أساس ومنطق معرفة الحق، وسلوك الصراط المستقيم، وهو المصباح الَّذِي يضيئ للإنسان الطريق، كي يتعد عن الشبهات، والشهوات، والأهواء. ولذلك إذا لم يصاحب العلم إخلاص وتقوى وخشية، يُدْفَعُ بها الهوى، ولم يكن للعلم فائدة؛ بل يصبح وبالاً على صاحبه. ((وفي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. كلمة (يَخْشَى) توحى بأن العلم الخالص من كل شائبة يؤدي حتمًا إلى معرفة الله تَعَالَى وخشيته، وما من شك أن

(١) غرر الحكم: ٢٢؛ عيون الحكم: ٣٤٩.

(٢) عيون الحكم: ٥٣٦.

(٣) الأنوار الساطعة: ١/١٠٦.

نكران الذات والأناية من لوازم الخوف من الله عَزَّ وَجَلَّ وآثاره، ومعنى هذا أنَّ من يكفر بالله جَلَّ وَعَلَا أو آمن به نظرياً وجحده عملياً، فما هو من العلم الخالص في شيء))^(١)، واستوحي تفسير هذا لعلماء الخشية من قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصفهم: ((عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ))^(٢).

الْخَشْيَةُ لُغَةً: ((خشي: الخاء والشين والحرف المعتل يدل على خوف وذعر، ثمَّ يحمل عليه المجاز. والخَشْيَةُ: الخَوْفُ، ورجل خَشِيَان. وخاشاني فلان فَخَشَيْتُهُ، أي: كنتُ أَشَدَّ خَشْيَةً منه. والمجاز قولهم خشيت بمعنى علمت))^(٣).

الْخَشْيَةُ اصطلاحاً: الْخَشْيَةُ: قَالَ سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ): ((الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عَزَّ وَجَلَّ))^(٤). وَقَالَ بعضهم: ((الخشية هي مراقبة القلب أن لا يطالع في حال من الأحوال، غير الحق فيمنعه. وَقَالَ ابن عطاء: الخشية سراج القلب، والخوف أدب النفس))^(٥).

الْخَشْيَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: وردت (خَشِيَ) ومشتقاتها في الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ثمان وأربعين مرّة. ((والخَشْيَةُ: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصَّ العلماء بها في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى﴾ [عبس: ٨-٩]، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، ﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٠]، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠]، ﴿يَخْشُونَ

(١) ينظر: التفسير المبين: ٥٧٥.

(٢) نهج البلاغة: ٣٠٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة: ١٨٤/٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٥٦١/٣.

(٥) تفسير السلمي: ٣٣٢/١.



النَّاسَ كَخَشِيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشِيَةً ﴿[النساء: ٧٧]، وَقَالَ: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، ﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٩]، أي: ليستشعروا خوفًا من معرته، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، أي: لا تقتلوهم معتقدين مخافة أن يلحقهم إملاق، ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ [النساء: ٢٥]، أي: لمن خاف خوفًا اقتضاه معرفته بذلك من نفسه^(١). وفي قوله تَعَالَى: ﴿لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه: ٧٧]، ((فإنَّ الخشية قد ذكرت في مقابل الخوف، وأيضًا مفهوم الخوف لا يستقيم في كثير من الموارد في الآيات الكريمة: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، ﴿قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْنَا﴾ [المائدة: ٤٤]. فلا معنى لخوف النبي عن الناس مع أنه رسول من الله تَعَالَى إليهم، وكذلك لا معنى للخوف في أثر القول اللين، وهكذا في الآية الثالثة فإنَّ الخطاب للأنبياء والرَّبَّانِيِّينَ، بعد قوله تَعَالَى: ﴿يَخْشَى بِهَا النَّبِيُّونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فلا اقتضاء لخوفهم المطلق، وهكذا في أغلب استعمال المادة في الآيات الكريمة، وأمَّا آية: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [آل عمران: ١٧٣]، ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَا﴾ [آل عمران: ١٧٥]، فإنَّ الخشي خطاب على المؤمنين، ولم يكن فيهم اقتضاء للخوف، والخوف خطاب لأولياء الشيطان من المستضعفين الخائفين لأنفسهم وأموالهم، ويدلُّ عليه أيضًا: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر: ١٨]. فإنَّ إنذار من يخاف لا معنى له، والمراد إنذار من يلاحظ

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٨٤.



الاعمال ويراقب الأمور والمصالح ويتقى نفسه مع الخوف، وأما قيد مفهوم التعظيم في معنى المادة كما قال بعضهم: فليس بمستقيم، ولا يصحّ قيده في - وَخَشِيَ النَّاسَ، خَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا، تَخَشَوْنَ كَسَادَهَا، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ، خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ، خَشِيَةَ إِنْفَاقٍ - فَإِنَّهُ لَا عِظْمَةَ وَلَا قَدْرَ لِلنَّاسِ وَالْأُمُورِ الْمَادِيَّةِ، وَلَا سِيَّمَا فِي نَظَرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُقَرَّبِينَ^(١).

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٣ / ٦٣-٦٦.



الخاتمة:

هذه بعض حِكْمِ يعسوب الدِّينِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (ع) جاءت من فوح القرآن الكريم، وقد اشتملت هذه الحِكْمِ من تعاليم عدة. وخلص البحث إلى ما يأتي:

ليست هذه الحِكْمِ الَّتِي استعرضتها هي كل ما اطلعت عليه من أقوالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع)، وإنَّما هي نقطة من بحر حِكْمِهِ البالغة وتعاليمه الرشيدة، وهذه قطرة من بحر حِكْمِ الإمام (ع) البليغة، ولمعاته، المضيئة الَّتِي لا تختص بجهة دون جهة، ولا بناحية دون أخرى، إنها ليست لزمان دون زمان. إنها القرآن الكريم؛ بل هو القرآن الكريم الناطق الَّذِي فيه تبيان كل شيء.

كانت حِكْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (ع) من السعة بحيث أن شعاعاً واحداً منه لو تبليج لكان حرياً أن يُبهر العقول، ويأخذ بمجامع النفوس، ويبعث برعشة راحت تسري في الأجساد، فحِكْمِهِ كلها جامعة للعظة.

كان أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (ع) في البلاغة والتوفّر على بدائع الخطابة وضروب الحِكْمَةِ وفنون الكلام ليس له نظير؛ وهو فارس هذا الميدان، والأمكن فيه من كلِّ أحد. وامتاز فكره (ع) بالتناسق والتعاضد؛ لأنَّ رؤيته للحياة رؤية شاملة لكل أبعادها وأركانها وأجزائها.

المَصَادِرُ والمَرَاجِعُ:

- خير ما نبتدى به القرآن الكريم.

المَصَادِرُ:

١. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، دت.
٢. بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، أبو طاهر إبراهيم محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، المكتبة الشاملة.
٣. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٩هـ.
٤. التعريفات، الشَّريفُ الجُرْجَانِي (ت ٨١٦هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٥. تفسير السلمى، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى (ت ٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
٦. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء ابن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٢هـ.
٧. زبدة التفاسير، الملا فتح الله الكاشاني (ت ٩٨٨هـ)، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤٢٣هـ.
٨. خصائص الأئمة عليهم السلام، الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، تحقيق هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية، الآستانة الرضوية المقدسة، مشهد، ١٤٠٦هـ.
٩. شرح مئة كلمة لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، ابن ميثم البحراني: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، تصحيح وتعليق مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، مطبعة مؤسسة جاب، مشهد، ١٤١٢هـ.



١٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٨هـ.
١١. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)، عنى بتصحيحه عدّة من الأفاضل وقوبل بعدة نُسَخ مَوْثُوقٍ بها، الناشر مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.
١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٣. صحيح مسلم شرح النووي، أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٤. غُررُ الحِكْمِ وَدُررُ الكَلِمِ، أبو الفتح الآمدي (ت ٥٥٠هـ)، مؤسسة التبليغ الإسلامي، قم، ١٣٦٦هـ.
١٥. علل الشرائع، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن أبويہ القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨٥هـ.
١٦. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، ١٤٠٩هـ.
١٧. عَيونُ الحِكْمِ والمَوَاعِظُ، الشيخ كافي الدين أبي الحسن الواسطي (ت ق ٦)، تحقيق حسين الحسيني، دار الحديث، قم، ١٤١٨هـ.
١٨. الفوائد الملية لشرح الرسالة النفلية، زين الدين بن علي بن أحمد الجبعي العاملي الشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ)، تحقيق: محمد حسين مولوي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٢٠هـ.



١٩. الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الشيخ الكليني (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.
٢٠. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم، ١٤٠٥هـ.
٢١. معارج نهج البلاغة، ظهير الدين أبي الحسن علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ)، تحقيق محمد تقى دانش پژوه، مطبعة بهمن، قم، ١٤٠٩هـ.
٢٢. مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ١٤١٣هـ.
٢٣. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الحموي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، مطبعة الميمنة، مصر، ١٣١٣هـ.
٢٤. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.
٢٥. مفاتيح الغيب في تفسير القرآن (تفسير الرازي)، الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، دط، دت.
٢٦. المفردات في غريب القرآن الكريم، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الرَّاغِبُ الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق نديم مرعشلي، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ.
٢٧. مناقب آل أبي طالب عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، قام بتصحيحه وشرحه لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ٧٦١٣هـ.
٢٨. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد الشيباني الجزري الموصلبي ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود



محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤٠٤هـ.
 ٢٩. نهج البلاغة، الإمام عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ (ع): أبو الحسن عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ بن عبد المطلب (ت ٤٠هـ)، مجموع ما اختاره الشريف أبو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي من كلام أمير المُؤمِنين أبي الحسن عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ (ع)، ضبط نصّه وابتكر فهارسه العلميّة وحققه صبحي الصالح، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٨٧هـ.

المَرَاجِعُ:

١. أدب الموعظة، محمد بن ابراهيم الحمد طبع ونشر مؤسسة الحرمين، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.
٢. الإعجاز العددي للقرآن الكريم، عبد الرزاق نوفل دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
٣. الأمثال والحكم المستخرجة من نهج البلاغة، محمد الغروي مؤسّسة النّشر الإسلامي، قم، ١٤١٥هـ.
٤. الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة، الشيخ جواد بن عباس الكربلائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٢٨هـ.
٥. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٧هـ.
٦. التفسير المبين، الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الناشر مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ١٤٠٣هـ.
٧. في ظلال نهج البلاغة، الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، مطبعة ستار، قم، ١٤٢٧هـ.



٨. معجم لغة الفقهاء، محمد قلعجي، دار النفائس للطبع والنشر، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٩. معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبد الرحمن عبد المنعم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
١٠. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، د.ت.
١١. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي (ت ١٣٢٤ هـ)، تحقيق السيد إبراهيم الميانجي، منشورات دار الهجرة، قم، ١٤٠٣ هـ.

شَبَكَةُ الْمَعْلُومَاتُ:

١. أخلاق الإمام (ع)، الخرسان: محمد صادق السيد محمد رضا، // <https://almerja.com>
٢. الخلاف، // <https://ar.wikipedia.org>
٣. العاقبة، // <https://www.islamweb.net>
٤. مفهوم الاختلاف في القرآن الكريم، // <https://maa-allah.com>

تحليل الأثر القرآني لأئمة المؤمنين في فكر الاقتصاد الإسلامي (الشهيد الصدر أنموذجاً)

أ.م.د. أصغر طهماسبي البُلداجي

الملخص:

إن الإمام عليّ عليه السلام هو القرآن الناطق الذي أحاط بظهر القرآن وبطنه، وعبر للناس عن تعاليمه بمختلف أبعادها. وترتكز سيرته عليه السلام الاقتصادية على القرآن وتعاليمه، إذ تشمل الأبعاد الفردية والاجتماعية للحياة الإسلامية. وبالرجوع إلى مفاهيم الآيات القرآنية فقد عبر الإمام عليه السلام عن خصائص الاقتصاد الإسلامي في أبعاد مختلفة، مثل الاهتمام بالعمل والإنتاج، ومكافحة الفساد الاقتصادي، والقضاء على الفقر والفجوة الطبقية في المجتمع، وتحقيق العدالة الاجتماعية والاقتصادية. وقد استفاد المفكرون المسلمون منذ البداية من أفكاره عليه السلام في مختلف المجالات وقدموا آراء ونظريات عن مختلف العلوم والمعارف.

ويعدُّ الشهيد محمد باقر الصدر أحد أهم منظري الاقتصاد الإسلامي في العصر الحالي الذي استشهد بكلام الإمام عليّ عليه السلام وآرائه وأفكاره وعبر عن نظرية الاقتصاد الإسلامي من خلال تحليل آيات القرآن الكريم وكلام الإمام عليه السلام وغيره من المعصومين عليهم السلام. وسنعرض في هذا البحث الأثر القرآني للإمام عليّ عليه السلام في تشكيل الفكر الاقتصادي الإسلامي وبيان خصائص الاقتصاد الإسلامي في فكره عليه السلام، وكذلك تحليل آراء الشهيد الصدر الاقتصادية في هذا الصدد، وبيان أبعاد تأثره بأفكار الإمام عليّ عليه السلام الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: الإمام عليّ عليه السلام، الاقتصاد الإسلامي، الشهيد محمد باقر الصدر.

Abstract:

Imam Ali (peace be upon him) is like the weight of the Quran and the speaking Quran, he surrounded the back and belly of the Quran, and expressed his teachings to people in its various dimensions. The economic biography of Imam Ali is based on the Quran and its teachings, which include the individual and social dimensions of Islamic life. By referring to the reasons and concepts of the Quranic verses, Imam Ali expressed the characteristics of Islamic economics in various dimensions, such as interest in work and production, combating economic corruption, eliminating poverty and the class gap in society, and achieving socio-economic justice. Muslim thinkers have benefited from the ideas of Imam Ali (peace be upon him) in various fields since the beginning and presented opinions and theories in various sciences and knowledge. Martyr Muhammad Baqir al-Sadr, one of the most important theorists of Islamic economics in the present era, cited the words of Imam Ali in his opinions and ideas and expressed the theory of Islamic economics by analyzing the verses of the Holy Quran and the words of Imam Ali (peace be upon him) and other infallibles. This research, with its descriptive-analytical approach, with a statement of the Quranic influence of Imam Ali in shaping Islamic economic thought and a statement of the characteristics of Islamic economics in Imam Ali's thought, has analyzed and investigated the economic views of Martyr Sadr in this regard and shows the dimensions of Martyr Sadr's influence on Imam Ali's economic thoughts.

Keywords: Imam Ali, Islamic economics, Nahjul Balagha, Martyr Muhammad Baqir al-Sadr, economics.



المقدمة

من أهم الأشياء التي يحتاجها البشر في الحياة و يواجه آثارها عن طيب خاطر أو غير قصد هو الاقتصاد أو تلبية الاحتياجات المالية للحياة. ففي التعاليم الدينية هناك اهتمام كبير بأهمية الاقتصاد وتأثيراته على الدنيا وحتى الآخرة؛ لدرجة أن الفقر هو أحد شرارين الدخول في الكفر^(١)، ويعدُّ الاقتصاد الصحي والنشط من أهم برامج الإسلام لسمو الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان.

في العصر الحاضر يعتبر الاقتصاد مهماً من وجهة نظر فردية واجتماعية، للاقتصاد الفردي من وجهة نظر دينية واجتماعية آثار لا يمكن إنكارها على قلب المجتمع والتي يعدُّ الأمن الفردي والاجتماعي من أهمها. وكذلك يؤدي الاقتصاد الاجتماعي بلا شك إلى الاستقلال الاقتصادي وبالتالي تعزيز الاستقلال السياسي والأمن للمجتمع الإسلامي. إن سيرة الإمام علي ﷺ كنموذج للمجتمعات الإسلامية هي خير مثال على الاهتمام بالاقتصاد الفردي والاجتماعي وتطوير المجتمع. حاول الإمام علي ﷺ في عهده تقديم حلول مختلفة لتوفير الأمن الاقتصادي في المجتمع. وكانت عدالة الإمام علي ﷺ من أهم المصدايق في إزالة الفجوة الطبقة ومحاربة الظلم والجور. ويمكن أن يكون الاهتمام بالحياة الاقتصادية للإمام علي ﷺ نموذجاً كاملاً في تميز الحياة الفردية والاجتماعية في العصر الحالي للمجتمعات الإسلامية ويمكن أن يكون تفسيرها وتنفيذها في الحياة عاملاً مهماً للتنمية الاقتصادية والأمن الاقتصادي والاجتماعي. على هذا فإن هذا البحث يدرس النظريات الاقتصادية للشهيد الصدر ويبحث في جودة وفعالية تعاليم الإمام علي ﷺ، ومع تحليل هذه النظريات فإنه يشرح أيضاً خصائص الاقتصاد الإسلامي من وجهة نظر الإمام ﷺ، في مطلبين، معتمداً المنهج الوصفي التحليلي في دراسته.



المطلب الأول: مفهوم الاقتصاد الإسلامي

لقد قدّم الاقتصاديون العديد من التعريفات حول مفهوم الاقتصاد؛ حيث عرّف هندرسن وكوانت علم الاقتصاد على النحو التالي: ((الاقتصاد: هو أحد العلوم الاجتماعية التي تدرس الأنشطة الفردية والجماعية المتعلقة بإنتاج وتبادل واستهلاك السلع والخدمات))^(١)، أمّا مفهوم الاقتصاد الإسلامي فقد قدّم المفكّرون المسلمون العديد من التعريفات؛ البعلي يكتب في تعريف الاقتصاد الإسلامي: ((الاقتصاد الإسلامي هو العلم الذي ينظّم علاقة الأشخاص بالمال في كسبه وفي إنفاقه وفق مقاصد الشريعة وأحكامها))^(٢)، وفي تعريف آخر جاء هكذا: ((الاقتصاد الإسلامي هو علم وسائل استخدام الإنسان لما استخلف فيه لسدّ حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية طبقاً لمنهج شرعيّ محدّد))^(٣)، كما تناول بعضهم خصائص الاقتصاد الإسلامي وأمثله من خلال عرض المؤشّرات^(٤)، ويفرّق الشهيد الصدر بين العلم الاقتصادي والمذهب الاقتصادي في كتابه (اقتصادنا)، ويكتب: ((إنّ المذهب الاقتصادي للمجتمع عبارة عن الطريقة التي يفضّل المجتمع إتباعها في حياته الاقتصادية وحلّ مشاكلها العمليّة، وعلم الاقتصاد هو العلم الذي يتناول تفسير الحياة الاقتصادية وأحداثها وظواهرها، وربط تلك الأحداث والظواهر بالأسباب والعوامل العامّة التي تتحكّم فيه))^(٥)، ويشرح

(١) نظرية الاقتصاد الجزئي: ٩.

(٢) أصول الاقتصاد الإسلامي: ١٢٢.

(٣) أسس ومبادئ وأهداف الاقتصاد الإسلامي: ٤٠.

(٤) التنظير في الاقتصاد الإسلامي: ١٣٢ - ١٣٤، أسلمة علم الاقتصاد: ١٢٣، الاقتصاد الإسلامي تعريفه ومنهجه: ١٦٧ - ١٦٩.

(٥) اقتصادنا: ٤١٧ - ٤١٨.



الشهيد الصدر أبعاد الاقتصاد الإسلامي في عدة محاور؛

أولاً: لا يعتبر الشهيد الصدر أن الاقتصاد الإسلامي اقتصاد ذو بعد واحد أو منفصل عن مجموعة الدين، لكنه يعتقد أن الاقتصاد جزء من الكل، وهذا يعني أن الاقتصاد هو جزء من مجموعة متماسكة يتم فحصها جنباً إلى جنب مع القضايا الدينية الأخرى. فيكتب عن هذا: ((إننا في وعينا للاقتصاد الإسلامي لا يجوز أن ندرسه مجزئاً بعضه عن بعض، نظير أن ندرس حكم الإسلام بحرمة الربا، أو سماحه بالملكية الخاصة، بصورة منفصلة عن سائر أجزاء المخطط العام. كما لا يجوز أيضاً أن ندرس مجموع الاقتصاد الإسلامي بوصفه شيئاً منفصلاً وكياناً مذهبياً مستقلاً عن سائر كيانات المذاهب: الاجتماعية والسياسية الأخرى، وعن طبيعة العلاقات القائمة بين تلك الكيانات وإنما يجب أن نعي الاقتصاد الإسلامي ضمن الصيغة الإسلامية العامة التي تنظم شتى نواحي الحياة في المجتمع))^(١)، وكذلك يكتب عن أهمية النظرة الشاملة تجاه الاقتصاد الإسلامي: ((هكذا يتضح أن الاقتصاد الإسلامي مترابط في خطوطه وتفصيله، وهو بدوره جزء من صيغة عامة للحياة، وهذه الصيغة لها أرضية خاصة بها، ويوجد المجتمع الإسلامي الكامل حين يكتسب الصيغة والأرضية معاً، حين يحصل على النبتة والتربة كليهما. ويستقيم منهج البحث في الاقتصاد الإسلامي حين يدرس الاقتصاد الإسلامي بما هو مخطط مترابط، وبوصفه جزءاً من الصيغة الإسلامية العامة للحياة التي تركز بدورها على التربة والأرضية التي أعدها الإسلام للمجتمع الإسلامي الصحيح))^(٢).

ثانياً: يؤكد الشهيد الصدر في دراسته للتمايز بين نظرية الإسلام و الماركسية

(١) اقتصادنا: ٣٣٧.

(٢) م. ن: ٣٣٨.



حول الثروة و الهدف النهائي للإنتاج، والثروة على هذا المبدأ بأن الغرض من الثروة في الإسلام هو خدمة الإنسان، بمعنى آخر: الثروة وسيلة لخدمة الإنسان و ليس الإنسان في خدمة الثروة^(١)، يقول: إن الثروة في الإسلام هي هدف الطريق و ليس نهاية الطريق؛ يعني: أن الثروة هي وسيلة للوصول إلى الهدف النهائي للخلق^(٢)، و يرى الشهيد الصدر أن الثروة في الإسلام وسيلة لتحقيق العدل و الكرامة الإنسانية^(٣).

ثالثاً: لا يعتبر الشهيد الصدر أن النمو الاقتصادي هو الهدف النهائي ولكن في رأيه إن النمو الاقتصادي الذي يتسبب في تباعد الطبقات و الفقر أمر غير مقبول و لا يعتبر مثلاً على الاقتصاد السليم، و يكتب في هذا الصدد: ((وأمّا مركز الإنسان في النظرة الإسلامية فهو مركز الغاية لا الوسيلة، فليس هو في مستوى سائر الوسائل المادية لتوزيع الثروة المنتجة بين الإنسان و تلك الوسائل جميعاً على نسق واحد، بل إن الوسائل المادية تعتبر خادمة للإنسان في إنجاز عملية الإنتاج؛ لأنّ عملية الإنتاج نفسها إنّما هي لأجل الإنسان. بذلك يختلف نصيب الإنسان المنتج عن نصيب الوسائل المادية في الأساس النظري، فالوسائل المادية إذا كانت ملكاً لغير العامل و قدّمها صاحبها لخدمة الإنتاج كان من حقه على الإنسان المنتج أن يكافأه على خدمته، فالمكافأة هنا دين على ذمّة المنتج يسدده لقاء خدمة، و لا تعني نظرياً مشاركة الوسيلة المادية في الثروة المنتجة))^(٤).

هذه النظرة الشاملة للاقتصاد تجعل الاقتصاد ليس الهدف الوحيد في المجتمع أو لا يعتبر الاقتصاد منفصلاً عن الأبعاد الأخرى للمجتمع و يلعب هذا الارتباط

(١) اقتصادنا: ٦٦٣.

(٢) م. ن: ٧٤٦.

(٣) م. ن: ٧٤٦.

(٤) م. ن: ٦٥٠.



للاقتصاد بجميع جوانب الحياة دورًا مهمًا في تكوين اقتصاد سليم و متماسك وشامل.

المطلب الثاني: مؤشرات الاقتصاد الإسلامي في فكر الشهيد الصدر استنادًا إلى تعاليم الإمام عليّ ﷺ

يشير الشهيد الصدر إلى عدّة مؤشرات في تطوّر الاقتصاد وتقدّمه لتنظيم النظرية الاقتصادية الإسلامية، وتستند هذه المؤشرات إلى التعاليم الدينية. وفي كثير من الأحيان يستعين الشهيد الصدر بالآيات القرآنية وأحاديث المعصومين ﷺ للتعبير عن نظريّاته؛ وفي هذه الأثناء يستخدم في بعض الأحيان كلام الإمام عليّ ﷺ للتعبير عن المؤشرات الاقتصادية، والتي يشار إليها أيضًا بمنهج العمل القرآني للإمام عليّ ﷺ في الفكر الاقتصادي الإسلامي للشهيد الصدر.

أولاً: مكوّنات العمل لخلق فرص التوظيف والإنتاج:

من أهمّ أهداف الاقتصاد الإسلامي القضاء على البطالة وخلق فرص التوظيف في المجتمع^(١)، وأهمّ استراتيجيات العمل لخلق فرص العمل في تعاليم الإمام عليّ ﷺ هي:

١ - تطوير ثقافة الجهد والسعي:

يعتمد الازدهار الاقتصادي لأيّ مجتمع على جهود أفراد ذلك المجتمع. إنّ استقلالية المجتمع تعتمد على العمل والجهد الفاعلين، وسيرة أمير المؤمنين ﷺ مصداق حقيقيّ من الاجتهاد والجهد في كلّ المجالات؛ إذ قام الإمام ﷺ بالجهد والمحاولة لإنشاء مزارع وحقول وبحسب بعض الروايات كان مئات من الأشخاص

(١) اقتصادنا: ٧٢٤.



يَعْمَلُونَ فِي تِلْكَ الْمَزَارِعِ^(١)، إِنَّ خَلْقَ ثِقَافَةِ الْجُهْدِ وَخَلَقَ فُرْصَ التَّوْظِيفِ فِي الْمُجْتَمَعِ عَلَى أَسَاسِ تَعَالِيمِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ يُمَكِّنُ دِرَاسَتَهَا فِي عِدَّةِ أَعْيَادٍ:

فِي الْبُعْدِ الْأَوَّلِ: يَتِمُّ التَّعْبِيرُ عَنِ التَّشْجِيعِ عَلَى الْعَمَلِ وَالْجُهْدِ وَالتَّخْطِيطِ لِكَسْبِ لِقْمَةِ الْعَيْشِ لِلْأُسْرَةِ؛ وَمِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ تَحْدِيدُ مَوْعِدِ لَهَا نَهَارًا وَ لَيْلًا وَ مُتَابَعَتُهَا هُوَ الْعَمَلُ وَالْجُهْدُ لِلْحَيَاةِ وَالْأُسْرَةِ وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ قَدْ أَهْتَمَّ بِهَذَا التَّقْسِيمِ لِلْوَقْتِ الْبَشَرِيِّ: ((لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ؛ فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ، وَسَاعَةٌ يُرْمُ فِيهَا مَعَايِشَهُ (مَعَايِشُهُ)، وَسَاعَةٌ يُحَلِّي فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَ بَيْنَ لَدَيْهَا فِيمَا يَحِلُّ وَ يَجْمَلُ، وَكَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاحِصًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ؛ مَرْمَّةٍ لِمَعَاشٍ أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ))^(٢)، وَفِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ قَدْ أَكَّدَ عَلَى الْجُهْدِ وَالْمُحَاوَلَةِ بِشَكْلِ مُطْلَقٍ وَبِتِمُّ التَّرْكِيزُ عَلَى هَذَا السَّعْيِ عَلَى أَنَّهُ جُهْدٌ جَمَاعِي وَأَمْتَعَةٌ لِلْآخِرَةِ: ((فَعَلَيْكُمْ بِالْجَدِّ وَالْإِجْتِهَادِ وَالتَّأَهُبِ وَالِاسْتِعْدَادِ وَالتَّرْوُدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ))^(٣).

إِنَّ الْعَمَلَ وَالسَّعْيَ فِي تَعَالِيمِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع) لَيْسَ فَقَطَ لِتَلْبِيَةِ الْإِحْتِيَاجَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالْعَائِلِيَّةِ، لَكِنِ الْجَانِبُ الْاجْتِمَاعِي لِلْعَمَلِ يُؤْخَذُ بِعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ وَحَيْثُ أَثَرَتْ ثِمَارُ الْعَمَلِ وَالْجُهْدِ أَيْضًا عَلَى الطَّبَقَاتِ ذَاتِ الدَّخْلِ الْمُنْخَفَضِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ فِي السَّيْرَةِ الْعَمَلِيَّةِ لِلْإِمَامِ (ع)، فَالْإِمَامُ (ع) خِلَالَ حَيَاتِهِ قَدْ عَمَلَ بِالإِضَافَةِ إِلَى رِسَالَةِ الْقِيَادَةِ وَالْإِمَامَةِ فِي الزَّرَاعَةِ وَالْبَسْتَنَةِ وَصَرَفَ دَخْلَهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْأَيْتَامِ وَ الطَّبَقَاتِ السُّفْلَى مِنَ الْمُجْتَمَعِ^(٤).

إِنَّ مِعْيَارَ تَفَوُّقِ الْأَفْرَادِ، بَعْضُهُمْ عَلَى الْبَعْضِ الْآخِرِ فِي الْمُجْتَمَعِ هُوَ الْعَمَلُ

(١) الكافي: ٧ / ٤٩.

(٢) نهج البلاغة، حكمة: ٣٩٠.

(٣) م. ن، الخطبة: ٢٣٠.

(٤) العمل والأدب للعامل: ٦.



المُقدَّم، وليس الامتيازات القبليّة والموروثيّة بحيث يكون أجر الأفراد مبنياً على مقدار عملهم: ((من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه))^(١)، بالإضافة إلى ذلك تتناسب طريقة العمل وتوزيعه مع القدرات البدنية للإنسان؛ ولكن في بعض الثقافات الخاطئة اليوم يكون المعيار الواحد هو العمل فقط ولا تؤخذ القدرة البشرية في الاعتبار؛ إن واحدة من هذه هي تفويض المهام الصعبة إلى النساء وهي بالإضافة إلى تدمير شخصية الأنثى تدمر وحدة الأسرة وتحدث أضراراً اجتماعية عديدة في مجال تربية الأبناء ونحو ذلك. لكن في الثقافة العلوية قد عبر عن العمل وفقاً للمرأة وليس كل عمل، كما يقول الإمام عليه السلام في هذا الصدد: ((لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة))^(٢).

في البعد الثاني: قد ذكرت الآفات والعوائق للتوظيف وأهمها البطالة ((آفة العمل البطالة))^(٣)، والكسل والخمول: ((من أطاع التواني ضيع الحقوق))^(٤)، والتواني: هو التسامح والتكاسل عن العمل، ومن انقاد لهذا الخلق السييء لا يقدم على ما يجب عليه من أداء الحقوق المتعلقة به لنفسه أو لغيره، فيترك تدبير نفسه بأداء العبادة والمحافظة على النظافة وتدبير أمر عياله وإصلاح ماله^(٥).

وقد تأثر الشهيد الصدر بتعاليم الإمام عليه السلام وغيره من المعصومين عليهم السلام في هذا الشأن، وأكد على أهمية العمل والجهد في اتجاه التنمية الاقتصادية. ويثمن الشهيد الصدر العمل والجهد ويعتبر العمل من عوامل تنمية المجتمع وإنتاجه ويكتب في هذا

(١) نهج البلاغة، حكمة: ٣٨٩.

(٢) م.ن، رسالة: ٣١.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم: ٢ / ١٠٤٣.

(٤) نهج البلاغة، حكمة: ٢٣٩.

(٥) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ٢١ / ٣٠٨.



الشأن: ((حث الإسلام على العمل والإنتاج وقيمه بقيمة كبيرة، وربطه بكرامة الإنسان وشأنه عند الله وحتى عقله. بذلك خلق الأرضية البشرية الصالحة لدفع الإنتاج وتنمية الثروة، وأعطى مقاييس خلقية وتقديرات معيَّنة عن العمل والبطالة لم تكن معروفة من قبله، وأصبح العمل في ضوء تلك المقاييس والتقديرات عبادة يثاب عليها المرء وأصبح العامل في سبيل قوته أفضل عند الله من المتعبد الذي لا يعمل، وصار الخمول أو الترفع عن العمل نقصاً في إنسانية الإنسان وسبباً في تفاهته))^(١)، وفي هذا الصدد يشير إلى العديد من روايات المعصومين عليهم السلام حول أهمية العمل وقيمه الروحية^(٢)، وبحسب ما قاله الشهيد الصدر فقد تمت الموافقة على عمل في الإسلام على أنه هادف للربح (انتفاعي) وتوفّر النمو الاقتصادي: ((ومصدر الحقوق الخاصة في النظرية هو العمل الذي ينتمي إلى النوع الأوّل، كاحتطاب الخشب من الغابة، ونقل الأحجار من الصحراء، وإحياء الأرض الميتة. أمّا النوع الثاني من العمل فلا قيمة له؛ لأنّه مظهر من مظاهر القوّة وليس نشاطاً اقتصادياً من نشاطات الانتفاع والاستثمار للطبيعة وثروته))^(٣)، فإنّ العمل هو مصدر الحقوق الخاصة وملكية الثروات الطبيعية، فيكتب عن أهمية العمل والجهد وتحقيق رأس المال والاستفادة من المصادر الطبيعية: ((ربط الحقوق الخاصة للفرد في الثروات الطبيعية الخام بالعمل، فما لم يقدم عملاً لا يحصل على شيء، وإذا اندمج مع ثروة طبيعية في عملية من العمليات، استطاع أن يظفر بحق خاص فيها، فالعلاقة بين العمل والحقوق الخاصة بشكل عام، هي المضمون المشترك لكلّ تلك الأحكام والعنصر الثابت فيها))^(٤).

(١) اقتصادنا: ٧٢٤.

(٢) م. ن: ٧٢٥.

(٣) م. ن: ٥٩٦.

(٤) م. ن: ٥٩٠.



يشير الشهيد الصدر إلى أضرار خلق فرص العمل، أي: البطالة والكسل ويذكرها على أنها أضرار اقتصادية للمجتمع ولا ينبغي أن توجد في المجتمع، كما نهى في هذا الصدد عن الإنغلاق وعدم الانتفاع بالثروات الطبيعية: ((كما قاوم الإسلام فكرة البطالة وحث على العمل، كذلك قاوم فكرة تعطيل بعض ثروات الطبيعة وتجميد بعض الأموال وسحبها عن مجال الانتفاع والاستثمار، ودفع إلى توظيف أكبر قدر ممكن من قوى الطبيعة وثرواتها للإنتاج وخدمة الإنسان في مجالات الانتفاع والاستثمار، واعتبر الإسلام فكرة التعطيل أو إهمال بعض مصادر الطبيعة أو ثرواتها، لونها من الجحود وكفراناً بالنعمة التي أنعم الله تعالى بها على عباده))^(١)، وتُظهر هذه الحالات بوضوح أن الشهيد الصدر استخدم تعاليم الإمام عليّ ﷺ في التعبير عن نظريّاته.

٢- الاهتمام بالإننتاج ودوره الاقتصادي:

خلافًا لإعتقاد البعض أن الإسلام لا يهتم إلا بالآخرة ولا ينظر إلى الدنيا والأشياء المادية فإن القرآن يؤكد على استخدامه: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥]، ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨]، وفي مكان آخر يؤكد القرآن الكريم على استخدام المواهب التي وهبها الله حيث يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤]، ومن فلسفات خلق الأرض وحدائقها وسهولها وبركاتها في نهج البلاغة هي إنتاجية الإنسان: ((فهي تبهج بزينة رياضها وتردهي بما ألبسته من ريط أزاهيرها وحليّة ما سمطت به من ناضر أنوارها وجعل ذلك بلاغاً



لِلْأَنْبَاءِ وَرِزْقًا لِلْأَنْعَامِ وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا))^(١).

إِنَّ الْاهْتِمَامَ بِالْإِنْتِاجِ وَأَصْحَابِ الْوِظَائِفِ الْإِنْتِاجِيَّةِ وَاضِحٌ فِي حَيَاةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ذَاتَ نَهْجَيْنِ مُهِمَّيْنِ فِي تَطْوِيرِ الْإِنْتِاجِ:

النَهْجُ الْأَوَّلُ: هُوَ الْإِهْتِمَامُ بِالْإِحْتِيَاجَاتِ الْأَسَاسِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ وَتَنْمِيَةِ الْأَرْضِيَّةِ وَإِنْتِاجِهَا؛ وَهُوَ يَذْكَرُ فِي رِسَالَةٍ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ أَنَّ الْإِهْتِمَامَ بِالتَّنْمِيَةِ وَالْإِنْتِاجِ لَهُ الْأَسْبَقِيَّةُ عَلَى الْجِزْيَةِ؛ لِأَنَّ وُجُودَ الْجِزْيَةِ يَعْتَمِدُ أَيْضًا عَلَى تَطَوُّرِ الْأَرْضِ: ((وَلْيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَذْرُكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا))^(٢).

النَهْجُ الثَّانِي: هُوَ دَعْمُ الْمَشَاغِلِ الْمُنتَجَةِ مِنْ خِلَالِ سِيَاسَاتٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ مُخْتَلَفَةٍ مِنْهَا التَّخْفِيزَاتُ الضَّرْبِيَّةُ، وَهُوَ فِي حَالَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ يُعْطَى أَوْامِرَ عَدِيدَةً لِلتُّجَّارِ وَالصَّنَاعِيِّينَ وَالْمُزَارِعِينَ وَيُرِيدُ إِعْطَائَهُمْ تَخْفِيزَاتٍ ضَرْبِيَّةً عِنْدَمَا يَكُونُ النَّاسُ فِي وَرَطَةٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ؛ يَعْتَقِدُ الْإِمَامُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ هَذَا التَّخْفِيزَ فِي الضَّرَائِبِ وَالْمُسَاعَدَاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ لِلْمُنتَجِينَ سَيُؤَدِّي إِلَى تَنْمِيَةِ الْمُجْتَمَعِ وَنَشْرِ الْعَدَالَةِ وَزِيَادَةِ الرِّفَاهِيَّةِ وَالرَّاحَةِ: ((فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوْ انْقِطَاعَ شَرْبٍ أَوْ بَالَةً أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يَصْلَحَ بِهِ أَمْرُهُمْ وَ لَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّتْ بِهِ الْمَثُونَةُ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَ تَزْيِينِ وَلا يَتِيكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنُ ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِنْفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِدًا

(١) نهج البلاغة، خطبة: ٩١.

(٢) م، ن، رسالة: ٥٣.



فَضَلَ قُوَّتَهُمْ بِمَا ذَخَرَتْ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرَفَقِكَ بِهِمْ))^(١)، ((أمره أن يخفف عنهم متى لحقهم شيء من ذلك فإنَّ التخفيف يصلح أمورهم وهو وإن كان يدخل على المال نقصاً في العاجل إلاَّ أنَّه يقتضي توفير زيادة في الآجل فهو بمنزلة التجارة التي لا بد فيها من إخراج رأس المال وانتظار عوده وعود ربحه، قال: ومع ذلك فإنه يفضي إلى تزين بلادك بعمارتها وإلى أنك تبجح بين الولاة بإفاضة العدل في رعيّتك معتمداً فضل قوتهم ومعتمداً منصوب على الحال من الضمير في خفت الأولى، أي: خفت عنهم معتمداً بالتخفيف فضل قوتهم))^(٢).

ويؤكد الشهيد الصدر على أهميّة الإنتاج في المجتمع ويشير إلى عدّة آيات من القرآن وروايات من المعصومين عليهم السلام^(٣)، وقد كتب عن أهميّة الإنتاج من منظر الإسلام: ((والإسلام حين تبني هذا المبدأ ووضع تنمية الثروة والاستمتاع بالطبيعة هدفاً للمجتمع الإسلامي، جند كل إمكاناته المذهبية لتحقيق هذا الهدف وإيجاد المقوّمات والوسائل التي يتوقّف عليها))^(٤)، ويشير إلى عدّة حالات لتطوير الإنتاج من منظور الإسلام، كل منها يمكن أن يساعد في تطوير الإنتاج بتدخل الحكومة والشعب، ويشير في هذا الصدد إلى عشرين استراتيجية لتطوير الإنتاج التي تقوم على أساسها في الفقه الإسلامي واتّجاه التنمية الاقتصادية للمجتمع^(٥).

وكذلك يذكر الشهيد الصدر دور الحكومة ومراقبتها في تطوير الإنتاج بهذا

(١) نهج البلاغة.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٧٢.

(٣) اقتصادنا: ٧٢٢-٧٢٣.

(٤) م. ن: ٧٢٣-٧٢٤.

(٥) م. ن: ٧٣٤-٧٣٩.



الصدد حتّى تتخذ قرارات مهمة لتطوير الإنتاج والنمو الاقتصادي وفق ظروف المجتمع: ((وترك بعد ذلك للدولة أن تدرس الشروط الموضوعية للحياة الاقتصادية، وتحصي ما في البلاد من ثروات طبيعية، وتستوعب ما يخترنه للمجتمع من طاقات وما يعيشه من مشاكل، وتضع على ضوء ذلك كله وفي الحدود المذهبية، السياسة الاقتصادية التي تؤدّي إلى زيادة الإنتاج ونمو الثروة، وتضمن يسر الحياة ورخاء المعيشة))^(١).

ويكتب الشهيد الصدر في موضع آخر نقلاً عن كلام الإمام عليه السلام في نهج البلاغة: ((فمن النصوص المذهبية التي تعكس هذا المفهوم وتحدّد النظرة الإسلامية إلى التداول، ما جاء في كتاب علي عليه السلام إلى واليه على مصر مالك الأشر، وهو يضع له برنامج العمل، ويحدّد له مفاهيم الإسلام: (ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بماله والمترقق ببدنه؛ فإنهم موادّ المنافع، وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطرح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترّون عليها))^(٢)، وواضح من هذا النصّ أنّ فئة التجار جعلت في صف واحد مع ذوي الصناعات، أي: المنتجين، وأطلق عليهم جميعاً أئهم (موادّ المنافع)، ((فالتاجر يخلق منفعة كما يخلق الصانع، عقب ذلك بشرح المنافع التي يخلقها التجار، والعمليات التي يمارسونها في جلب المال من المباعد والمطرح، ومن حيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترّون عليها، فالتجارة في نظر الإسلام - إذن - نوع من الإنتاج والعمل المثمر، ومكاسبها إنّما هي في الأصل نتيجة لذلك، لا للعملية في نطاقها

(١) اقتصادنا: ٧٤٠.

(٢) م: ٧٥٧-٧٥٩.



القانوني فحسب. وهذا المفهوم الإسلامي عن التداول ليس مجرد تصوّر نظري فحسب، وإنما يعبر عن اتجاه عملي عام؛ لأنه يقدم الأساس الذي تملأ الدولة على ضوءه الفراغ المتروك لها في حدود صلاحياتها، كما ألمعنا إلى ذلك سابقاً^(١).

ثانياً: المكوّنات الإجرائية لإزالة الأضرار الاقتصادية:

تُشير الأضرار الاقتصادية إلى الآفات التي تُهدّد الأمن الاقتصادي بالإضافة إلى الخسائر الشخصية والاجتماعية وتكون عقبةً مهمّةً أمام خلق فرص العمل والإنتاج. ترتبط بعض هذه الآفات بالحياة الفردية وبعضهم بالحياة الاجتماعية. ومن أهم استراتيجيات العمل للقضاء على الأضرار الاقتصادية المبنية على حياة الإمام علي عليه السلام هي:

١ - محاربة الفساد الاقتصادي:

الفساد من أصل (فَسَدَ) يعني: منع فعل الصواب والصحيح، ويستخدم في اللغة الإنجليزية مع كلمة (Corruption) والجذر اللاتيني (Rumpere) ويعني الكسر والانتهاك. روبرت. ب. زوليكر رئيس البنك الدولي يرى أن الفساد الاقتصادي سرطان ينهب الفقراء ويستهلك الحكومة والشؤون الأخلاقية ويقضي على الثقة. في مكان آخر تم تفسير الفساد على أنه إساءة استخدام للسلطة لتحقيق مكاسب شخصية ويتضمّن قضايا مثل الرشوة والاحتيال والابتزاز والاختلاس وما إلى ذلك^(٢).

وللفساد الاقتصادي العديد من الحالات التي يمكن أن توجد في أي مجتمع. يتعارض الفساد الاقتصادي مع الاقتصاد الإسلامي ويضرب الاقتصاد السليم

(١) اقتصادنا: ٧٥٧-٧٥٩.

(٢) دراسة في الفساد الاقتصادي وطرق محاربه: ١٠٣.



والديناميكي ضربة. تعدُّ التجارة غيرِ الصحيَّةِ وَ كَسْبُ الدَّخْلِ غيرِ المَشْرُوعِ مِنْ أَهْمِّ الأَمْثَلَةِ عَلَى الفَسَادِ الإِقْتِصَادِي. إِنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ يُحَرِّمُ الإِقْتِصَادَ غيرِ الصَّحِي وَ الزَائِفِ وَيَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فِي هَذِهِ الآيَةِ المُبَارَكَةِ يُعْرَفُ أَكْلُ بَعْضِنَا البَعْضَ بِطَرِيقَةٍ كاذِبَةٍ حَرَامًا وَفِي مُقَابِلِهَا يُوصَى بِالتِّجَارَةِ السَّلِيمَةِ وَ المُتَبَادَلَةِ. فِيهِ التَّعَالِيمُ الدِّينِيَّةُ يَعْتَبِرُ الرِّبَا وَ القَمَارُ وَ الغَلَاءُ وَ السَّرِقَةُ وَ الإِخْتِلَاسُ أَمْثَلَةً عَلَى الإِقْتِصَادِ غيرِ الصَّحِي وَ الفَسَادِ الإِقْتِصَادِي، وَ قَدْ أَكَّدَ عَلَى مُكَافَحَتِهَا وَ القَضَاءِ عَلَيْهَا مِنَ المُجْتَمَعِ. فَقَدْ عَارَضَ الإِمَامُ عَلِيٌّ عليه السلام بِشِدَّةِ الرِّشْوَةِ وَ المَفَاسِدِ الإِقْتِصَادِيَّةِ النَاجِمَةِ عَنْهَا، فَمَثَلًا فِي الخُطْبَةِ (٢٢٤) عَاتَبَ وَ أَدَانَ الشَّخْصَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ الرِّشْوَةَ وَقَالَ: ((وَاعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ طَارِقُ طَرْفًا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وَعَائِهَا وَ مَعْجُونَةٍ شَنِئْتَهَا كَأَنَّمَا عَجِنْتَ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا فَقُلْتَ أَصْلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ البَيْتِ فَقَالَ لَا ذَا وَ لَا ذَاكَ وَ لَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ فَقُلْتَ هِبَلْتِكَ الهُبُولُ أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي أُحْتَبِطُ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفلاكِهَا عَلَى أَنْ أُعْصِيَ اللَّهُ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتَهُ وَإِنْ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَ لِنَعِيمٍ يَفْنَى وَ لِدَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ العَقْلِ وَ قُبْحِ الزَّلْلِ وَ بِهِ نَسْتَعِينُ))^(١)، فِي هَذَا الخُطَابِ بِالإِضَافَةِ إِلَى الإِشَارَةِ إِلَى أَمْثَلَةِ الفَسَادِ الإِقْتِصَادِي، يُشِيرُ الإِمَامُ عليه السلام إِلَى خِصَائِصِ الحَاكِمِ الإِسْلَامِيِّ وَ كَذَلِكَ المَسْئُولِينَ السِّيَاسِيِّينَ وَ الإِقْتِصَادِيِّينَ فِي المُجْتَمَعِ، الَّذِينَ لَا يَسْتَسْلِمُونَ لِلقَمْعِ وَ الظُّلْمِ تَحْتَ أَيِّ ظَرْفٍ مِنَ الظُّرُوفِ؛ بَلْ مِنْ صِفَاتِ الحَاكِمِ الإِسْلَامِيِّ التَّعَامُلُ مَعَ الظُّلْمِ وَ الفَسَادِ الإِقْتِصَادِي. تَعَامَلُ الإِمَامُ بِقِسْوَةٍ مَعَ المَسْئُولِينَ الَّذِينَ تَوَرَّطُوا فِي الفَسَادِ

(١) نهج البلاغة، خطبة: ٢٢٤.



الاقتصادي وأسأوا استخدام بيت المال، فخطب أحد السماسرة في الرسالة رقم (٤١) ووبّخه على إساءة استخدام بيت المال: ((إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ، وَتَنوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيِّئِهِمْ، فَلَمَّا أَمَكَّتَكَ الشَّدَّةُ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ، أَسْرَعْتَ الْكِرَّةَ، وَعَاجَلْتَ الْوَثْبَةَ، وَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ الْمَصُونَةِ لِأَرْمَالِهِمْ وَأَيَّتَامِهِمْ؛ اخْتِطَافَ الذُّبِّ الْأَزْلَ دَامِيَةَ الْمُعْزَى الْكَسِيرَةَ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى الْحِجَازِ رَحِيبَ صَدْرٍ بِحَمَلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ، كَأَنَّكَ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثِكُ مِنْ أَيْبِكَ وَأُمَّكَ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا تَوْمَنُ بِالْمَعَادِ؟ أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ؟ أَيُّهَا الْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ أُوْلِي الْأَلْبَابِ، كَيْفَ تُسَيِّغُ شَرَابًا وَطَعَامًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا؟ وَتَشْرَبُ حَرَامًا، وَتَتَبَاعُ الْإِمَاءَ وَتَتَكْحَبُ النِّسَاءَ مِنْ أَمْوَالِ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ، الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْأَمْوَالِ، وَأَحْرَزَ بِهِمْ هَذِهِ الْبِلَادَ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَارْزُدْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْكَ لِأَعْدِرَنَّ إِلَى اللَّهِ فِيكَ، وَلَا ضَرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ))^(١).

يُمْكِنُ أَنْ يُسَبِّبَ الْإِحْتِكَارُ فِي الْمَوَاقِفِ الْحَسَّاسَةِ أَضْرَارًا جَسِيمَةً لِاِقْتِصَادِ الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ^(٢)، فِيهِ الرِّسَالَةُ (٥٣) مِنْ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ طَالِبَهُ الْإِمَامُ ﷺ بِمُعَالَجَةِ الْأَضْرَارِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ بِمَا فِي ذَلِكَ: الْاِحْتِكَارُ وَالْغَلَاءُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقَضَايَا تَعْطَلُ النِّظَامَ الْاِقْتِصَادِيَّ لِلْمُجْتَمَعِ وَتَضُرُّ بِاِقْتِصَادِ الشَّعْبِ. فَيَقُولُ عَنْ هَذَا: ((وَأَعْلَمُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا وَشَحًّا قَبِيحًا وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ وَتَحْكَمًا فِي الْبِيَاعَاتِ وَذَلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ فَا مَنَعٌ مِنَ الْاِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ وَلِيَكُنَّ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا بِمَوَازِينٍ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ

(١) نهج البلاغة، الرسالة: ٤١.

(٢) اقتصادنا: ٧٣١.



لَا تُجْحَفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكَّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ مِنْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ))^(١)، بِالإِضَافَةِ إِلَى هَذِهِ التَّأَكِيدَاتِ وَبِحَسَبِ بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَارَضَ الْإِمَامُ أَيْضًا مَعَ الْمُحْتَكِرِينَ^(٢)، إِذْ يَقُولُ الْإِمَامُ عليه السلام حَوْلَ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ وَمِحَارِبَةِ الْبَاطِلِ: ((وَاللَّهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أُدْفَعَ بَاطِلًا))^(٣)، وَيَقُولُ عليه السلام إِنَّ الْإِهْتِمَامَ بِنَيْتِ الْمَالِ وَتَقْسِيمَهَا تَقْسِيمًا صَحِيحًا مِنْ أَهْمِ مَهَامِ الْحَاكِمِ الْإِسْلَامِيِّ: ((لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ - [ثُمَّ قَالَ عليه السلام] أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ))^(٤)، وَوَجْهَ ذَلِكَ أَنَّ التَّسْوِيَةَ هِيَ الْعَدْلُ الَّذِي تَجْتَمِعُ بِهِ النُّفُوسُ عَلَى النُّصْرَةِ وَتَتَأَلَّفُ الْهَمَمُ عَلَى مَقَاوِمَةِ الْعَدُوِّ دُونَ التَّفْضِيلِ الْمَسْتَلْزَمِ لِانْكَسَارِ قُلُوبِ الْمَفْضُولِينَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ، فَلَوْ كَانَ الْمَالُ لَهُ مَعَ كَوْنِهِ بَطْبَاعَ الْبَشَرِيَّةِ الْمِيَالَةَ إِلَى شَخْصٍ دُونَ شَخْصٍ لَمْ يَسُوِّ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَالْمَالُ لِلَّهِ الَّذِي تَسَاوَى نِسْبَةُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ وَمَا لَهُمْ الَّذِي فَرَضَهُ اللَّهُ لَهُمْ عَلَى سِوَاهُمْ، وَهُوَ كَالِاعْتِذَارِ الْحَاسِمِ لِمَادَّةِ الطَّمَعِ فِي التَّفْضِيلِ^(٥).

وَيُؤَكِّدُ الشَّهِيدُ الصِّدْرُ عَلَى مِحَارِبَةِ الْفَسَادِ الْاِقْتِصَادِيِّ فِي الْمَجْتَمَعِ فِي حَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَوَفَّقًا لَهُ فَإِنَّ إِحْدَى فِلَسَفَاتِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ هِيَ مِحَارِبَةُ الْفَسَادِ: ((وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَوْعِبَ هُنَا مَجْمُوعَةَ التَّشْرِيعَاتِ ذَاتِ الصَّلَةِ بِمَبْدَأِ التَّوَاظُنِ، وَنَكْشِفُ عَنْ أَوْجِهِ الْاِرْتِبَاطِ بَيْنَهَا وَبَيْنِهِ، وَإِنَّمَا يَكْفِي أَنْ نَشِيرَ هُنَا إِلَى مِحَارِبَةِ الْإِسْلَامِ لِاِكْتِنَازِ النُّقُودِ،

(١) نهج البلاغة، رسالة: ٥٣.

(٢) المحلّى بالآثار: ٧ / ٥٧٣.

(٣) نهج البلاغة، خطبة: ٣٣.

(٤) م. ن، خطبة: ١٢٦.

(٥) شرح نهج البلاغة: ٣ / ١٣٢.



وإلغاءه للفائدة، وتشريعه لأحكام الإرث، وإعطاء الدولة صلاحيات ضمن منطقة الفراغ المتروكة لها في التشريع الإسلامي، وإلغاء الاستثمار الرأسمالي للشروات الطبيعية الخام، (إلى غير ذلك من الأحكام)^(١)، وأيضاً يكتب في هذا الصدد: ((فقد تكون عقوبة السارق بقطع يده قاسية إلى حد ما في بيئة رأسمالية تركت فيها الكثرة الهائلة من أفراد المجتمع لرحمة القدر وزحمة الصراع، وأما حيث تكون البيئة إسلامية، وتوجد التربة الصالحة للاقتصاد الإسلامي، ويعيش المجتمع في كنف الإسلام فليس من القسوة في شيء أن يعامل السارق بصرامة، بعد أن وفر له الاقتصاد الإسلامي أسباب الحياة الحرة الكريمة، ومحام من حياته كل الدوافع التي تضطره إلى السرقة))^(٢).

ويشير الشهيد الصدر إلى تعاليم الإمام عليّ ﷺ ويكتب عنها: ((جاءت في عهد الإمام ﷺ إلى مالك الأشر أوامر مؤكدة بتحديد الأسعار، وفقاً لمقتضيات العدالة، فقد تحدّث الإمام ﷺ إلى واليه عن التجار، وأوصاه بهم، ثم عقّب ذلك قائلاً)): «وَأَعْلَمَ - مَعَ ذَلِكَ - أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضَيْقًا فَاحِشًا، وَشُحًا قَبِيحًا، وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَضْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوَلَاةِ. فَامْنَعْ مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَنَعَ مِنْهُ. وَلِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ))، ومن الواضح فقهياً أنّ البائع يباح له البيع بأيّ سعر أحبّ، ولا تمنع الشريعة منعاً عاماً عن بيع المالك للسلعة بسعر مجحف، فأمر الإمام ﷺ بتحديد السعر، ومنع التجار عن البيع بثمن أكبر، صادر منه بوصفه وليّ الأمر، فهو استعمال لصلاحيّاته في ملء منطقة الفراغ، على وفق مقتضيات العدالة الاجتماعية التي يتبنّاها الإسلام^(٣).

(١) اقتصادنا: ٦٧٨.

(٢) م. ن: ٢٩٨.

(٣) م. ن: ٨٠٧.



٢- اخْتِيَارُ الْعُمَّالِ الْمُنَاسِبِينَ وَ الْإِشْرَافُ عَلَيْهِمْ:

لَا يُمَكِّنُ لِلْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ أَنْ يَعِيشَ دُونَ الْقَوَانِينِ وَ مَجْرِي الْقَانُونِ، وَكَذَلِكَ فَإِنَّ وُجُودَ الْعُمَّالِ وَ مُنْفَذِي الْقَانُونِ صَرُورِي فِي مَنْطِقَةٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ. وَتُؤَكِّدُ تَعَالِيمَ الْإِسْلَامِ عَلَى اخْتِيَارِ أَنْسَبِ الْأَشْخَاصِ لِلْمَنَاصِبِ الْحُكُومِيَّةِ وَالتَّنْفِيزِيَّةِ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ.

إِنَّ وُجُودَ عَنَاصِرٍ فَاسِدَةٍ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ وَفِي الْمَنَاصِبِ الْحُكُومِيَّةِ وَ الْقَضَائِيَّةِ يَعْنِي قِيَادَةَ الْمُجْتَمَعِ الْإِلَهِيِّ إِلَى الْمُجْتَمَعِ الْمُسْتَبَدِّ وَ الشَّرِيرِ الَّذِي يُنْجِزُ الْأَوَامِرَ الشَّرِيرَةَ وَ الشَّهِيَّةَ بَدَلًا مِنَ الْأَوَامِرِ الْإِلَهِيَّةِ. إِنَّ ظُهُورَ الْأَحْزَابِ السِّيَاسِيَّةِ وَ الْمَحْسُوبِيَّةِ وَ مَا إِلَى ذَلِكَ، يَتَعَارَضُ تَمَامًا مَعَ رُوحِ التَّرْبِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَ الَّتِي لَا تَجْلِبُ السَّعَادَةَ لِلْمُجْتَمَعِ فَحَسَبَ بَلْ تَتَسَبَّبُ أَيْضًا فِي تَدَهُورِهِ؛ لِذَلِكَ فَإِنَّ الْاهْتِمَامَ بِعَامِلِي الْإِلْتِمَازِ الدِّيْنِيِّ الْأَخْلَاقِيِّ وَ التَّخْصُّصِ الْمَنْصِبِيِّ وَ الْمَهْنِيِّ مِنْ أَهَمِّ الْأُمُورِ الَّتِي يَجِبُ مُرَاعَاتُهَا عِنْدَ اخْتِيَارِ الْمَسْئُولِينَ، وَ أَصْلُ هَذَا الْمَوْقِفِ هُوَ الْقُرْآنُ.

عِنْدَمَا عَرَضَ النَّبِيُّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَلِكِ مِصْرَ تَوَلَّى الْخَزَانَةَ اعْتَبَرَ خَاصِيَّتِي الْإِلْتِمَازِ وَ التَّخْصُّصِ لِنَفْسِهِ، وَ قَدَّمَ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ هَذَا الْمَنْصِبَ: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥].

تُظْهِرُ سِيرَةَ الْحُكُومَةِ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْاهْتِمَامَ الْكَامِلَ بِهَدْيِ الْعُنْصَرَيْنِ وَ اخْتِيَارِ الْأَفْضَلِ لِلْمَنَاصِبِ الْحُكُومِيَّةِ، وَ بِسَبَبِ هَذِهِ الْإِخْتِيَارَاتِ كَانَ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُعَارَضَةِ لَهُمْ، وَ مِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي خُطَابِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَالِكِ الْأَشْتَرِ فِي اخْتِيَارِ الْأَفْضَلِ الْأَشْخَاصِ كَمَسْئُولِينَ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ بُرُوزًا مِنْ حَيْثُ الْمَعْرِفَةِ وَ الرَّحْمَةِ: ((ثُمَّ أَنْظَرُ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمَلْتَهُمْ اخْتِيَارًا وَلَا تَوَلَّيْتَهُمْ مَحَابَةً وَ آثَرَةً فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَ الْخِيَانَةِ، وَ تَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَ الْحَيَاءِ



مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحُ
أَعْرَاضًا وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا))^(١)، يُعَبِّرُ الْإِمَامُ
عَلِيٌّ ﷺ فِي أَبْعَادٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الْخَصَائِصِ الْمُهَمَّةِ لِمَسْئُولِ الْمُجْتَمَعِ:

١. الْحَيَاةُ الْبَسِيطَةُ وَأَسْلُوبُ الْحَيَاةِ مِثْلَ النَّاسِ الْعَادِيِّينَ فِي الْمُجْتَمَعِ^(٢).
٢. اسْتِقْرَارُ الشَّخْصِيَّةِ أَثْنَاءَ السُّلْطَةِ وَالثَّرْوَةِ وَالْإِهْتِمَامُ بِشُؤُونِ النَّاسِ^(٣).
٣. الْوَعْيُ الْكَامِلُ بِمَشَاكِلِ النَّاسِ وَكَوْنِهِ شَعْبِيًّا^(٤).
٤. اللَّطْفُ مَعَ النَّاسِ وَالتَّوَاضُّعُ تَجَاهِهِمْ^(٥).
٥. الْمُسَاوَاةُ مَعَ الْجَمِيعِ وَعَدَمُ الْفَرْقِ بَيْنَهُمْ حَتَّى فِي النِّظَرَةِ إِلَيْهِمْ^(٦).
٦. الْإِلْتِزَامُ الْكَامِلُ بِالْعَدَالَةِ وَإِقَامَةُ الْحَقِّ^(٧).

ويؤكد الشهيد الصدر على أن الاستعانة بالخبراء والعلماء في تطوير الإنتاج والاقتصاد مستوحى من التعاليم الدينية، وبحسب رأيه فإن الاستعانة بالنخب والخبراء في مجال الاقتصاد والمسؤوليات المهمة في المجتمع أمر مهم؛ لأن الاستخدام الأفضل للخبرات سيقود المجتمع إلى التقدم وزيادة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع، ويكتب عن هذا: ((أوجب الإسلام على المسلمين - كفايةً - تعلّم جميع الفنون والصناعات التي تنتظم بها الحياة، بل إن الإسلام لم يكتف بذلك، بل أوجب على المسلمين الحصول على أكبر قدر ممكن وأعلى مستوى من

(١) نهج البلاغة، الرسالة: ٥٣.

(٢) م. ن، خطبة: ٢٠٩.

(٣) م. ن، الرسالة: ٥٠.

(٤) م. ن، الرسالة: ٥٣.

(٥) م. ن، الرسالة: ٥٣.

(٦) م. ن، الرسالة: ٥٣.

(٧) م. ن، الرسالة: ٥٣.



الخبرة الحياتية العامة في كل الميادين؛ لبتاح للمجتمع الإسلامي امتلاك جميع الوسائل المعنوية والعلمية والمادية التي تساعد على دوره القيادي للعالم، بما فيها وسائل الإنتاج وإمكاناته المتنوعة. قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ﴾، والقوة هنا جاءت في النص مطلقاً دون تحديد، فهي تشمل كل ألوان القوة التي تزيد من قدرة الأمة القائدة على حمل رسالتها إلى كل شعوب العالم. وفي طبيعة تلك القوى الوسائل المعنوية والمادية لتنمية الثروة، ووضع الطبيعة في خدمة الإنسان^(١)، ومما لا شك فيه أنه إذا تم تعيين أشخاص غير متخصصين وغير ملتزمين في مناصب اقتصادية وسياسية حساسة في المجتمع فلن يتقدم المجتمع مطلقاً، وكذلك ستزداد المشاكل الاقتصادية أكثر فأكثر؛ لذلك فإن الاعتماد على العلم والالتزام في عملية التعيينات الاقتصادية والسياسية أمر مهم.

٣- خلق ثقافة الاستخدام الأمثل للنعم الإلهية:

عَامِلٌ مُّهِمٌّ آخَرٌ فِي تَحْقِيقِ الْأَمْنِ الْاِقْتِصَادِيِّ هُوَ خَلْقُ ثِقَافَةِ الْاِسْتِخْدَامِ السَّلِيمِ لِلبَرَكَاتِ الْاِلَهِيَّةِ. فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْحَالَاتِ دَعَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ النَّاسَ إِلَى حُسْنِ اسْتِخْدَامِ النَّعْمِ وَحَذْرٍ مِّنَ الْاِسْرَافِ وَالتَّبْذِيرِ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

مِنَ أَهْمِ الْأُمُتَةِ عَلَى تَحْرِيمِ الْاِسْرَافِ؛ الْعَيْشُ الْبَسِيطُ وَعَدَمُ الْاِنْتِمَاءِ لِلْكَمَالِيَّاتِ، فَالْحَيَاةُ الْبَسِيطَةُ هِيَ إِحْدَى الْعَادَاتِ الْاِسْلَامِيَّةِ، وَالْمَيْلُ إِلَى الطُّقُوسِ مِنَ الْعُقُوبَاتِ الْجَدِيَّةِ لِإِصْلَاحِ أَنْمَاطِ الْاِسْتِهْلَاكِ وَالتَّقَدُّمِ الْاِقْتِصَادِيِّ فَالْوُقُوعُ فِي فَخِّ الطُّقُوسِ وَالْكَمَالِيَّاتِ لَيْسَ سِوَى الْاِبْتِعَادِ عَنِ الْاِنْتِاجِ. وَفِي تَعَالِيمِ الْاِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام قَدْ أَكَّدَ عَلَى الْاِسْتِخْدَامِ الصَّحِيحِ مِنْ جِهَةٍ وَالْقَنَاعَةِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى. وَهَاتَانِ رَكِيزَتَانِ مُهِمَّتَانِ

(١) اقتصادنا: ٧٣٩.



لِاِقْتِصَادِ الْأُسْرَةِ وَالْمُجْتَمَعِ. فَقَدْ أَكَّدَ ﷺ عَلَى بَسَاطَةِ الْحَيَاةِ فِي جَمِيعِ طَبَقَاتِ الْمُجْتَمَعِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَفِي عِدَّةِ رَسَائِلَ، فَقَدْ دَعَا الْإِمَامَ عَلِيٌّ ﷺ حُكَامَهُ فِي الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الْحَيَاةِ الْبَسِيطَةِ وَإِلَى الْقَنَاعَةِ^(١)، وَيَقُولُ فِي تَحْرِيمِ الْإِسْرَافِ وَالنَّصِيحِ بِالْاِكْتِفَاءِ وَالْعَيْشِ الْبَسِيطِ: ((فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا وَادْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضُرُورَتِكَ وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ))^(٢)، وَالسَّبَبُ فِي التَّأَكِيدِ عَلَى الْقَنَاعَةِ وَالْعَيْشِ الْبَسِيطِ وَتَحْرِيمِ الْإِسْرَافِ هُوَ الْآثَارُ الْمُهْمَةُ لِهَذِهِ الْحَالَاتِ عَلَى اِقْتِصَادِ الْأُسْرَةِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْجُزْئِيِّ وَاِقْتِصَادِ الْمُجْتَمَعِ عَلَى الْمُسْتَوَى الْكُلِّيِّ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ ﷺ: ((الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ))^(٣)، وَ((كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا، وَسئِلَ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾، فَقَالَ: هِيَ الْقَنَاعَةُ))^(٤)، وَقَدْ ذَكَرَ ﷺ أَيْضًا آثَارًا مُهْمَةً أُخْرَى لِلْقَنَاعَةِ وَالْاِعْتِدَالِ^(٥)؛ لِذَلِكَ تَعَبَّرَ مُحَارِبَةُ الْإِسْرَافِ وَالرَّفَاهِيَةِ وَالتَّأَكِيدُ عَلَى الرِّضَا وَبَسَاطَةِ الْحَيَاةِ فِي سِيرَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ ﷺ مِنْ أَهَمِّ سُبُلِ تَحْقِيقِ الْأَمْنِ الْاِقْتِصَادِيِّ فِي الْحَيَاةِ.

ويصف الشهيد الصدر فلسفة تحريم الإسراف في الإسلام بهذه الطريقة: ((وقد قام الإسلام من ناحيته بالعمل لتحقيق هذا الهدف، بضغط مستوى المعيشة من أعلى بتحريم الإسراف، وبضغط المستوى من أسفل، بالارتفاع بالأفراد الذين يميون مستوى منخفضًا من المعيشة إلى مستوى أرفع، وبذلك تتقارب المستويات حتى تندمج أخيرًا في مستوى واحد، قد يضم درجات لكنه

(١) نهج البلاغة، رسالة: ٣ ورسالة: ٤٥.

(٢) م. ن: الرسالة: ٢١.

(٣) م. ن: حكمة: ٥٧.

(٤) م. ن: حكمة: ٢٢٩.

(٥) ينظر: م. ن، الحكمة: ٣٧١، والرسالة: ٣١.



لا يحتوي على التناقضات الرأسمالية الصارخة في مستويات المعيشة))^(١)، ويكتب أيضاً: ((حرم الإسلام الإسراف والتبذير، وهذا التحريم يحد من الحاجات الاستهلاكية، ويهيئ كثيراً من الأموال للانفاق الإنتاجي بدلاً عن الإنفاق الاستهلاكي في مجالات الإسراف والتبذير))^(٢).

ثالثاً: المكوّنات العمليّة لاستئصال الفقر والفجوة الاجتماعيّة:

كان أحد أهداف بعثة الأنبياء تطبيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الفواصل الطبقيّة. وكانت السيرة العلميّة والعمليّة للإمام عليّ عليه السلام هي غاية العدالة الإسلاميّة التي تهدف إلى القضاء على الفقر والانقسام الطبقي، وفي هذا الصدد قد ذكّرت استراتيجيات هامة هي:

١ - تطبيق العدالة الاقتصاديّة:

تعدّ العدالة الاجتماعيّة من أهمّ عوامل السلم الاجتماعي في المجتمع والتوزيع السليم للمرافق الماديّة ورأس المال. وتعود كثير من الاضطرابات والاحتجاجات في المجتمع إلى انعدام العدالة و إلى الظلم، وعلى وفق مقولات بعض الاقتصاديين وعلماء الاجتماع فإنّ تحوّل العالم في اتّجاهين متعاكسين يرجع عموماً إلى أنّ البلدان المنخفضة النمو لم تكن فيها حركة لخلق فرص وإمكانيّات متساوية كما هو الحال في البلدان الغنيّة، وكذلك ففي معظم البلدان الفقيرة هناك تفاوتات هائلة بين الناس من مختلف الطبقات الاجتماعيّة والمناطق وبعضها يتزايد باستمرار^(٣).

(١) اقتصادنا: ٦٦٩.

(٢) م. ن: ٦٣١.

(٣) النظرية الاقتصاديّة والدول المتخلفة: ١٢.



وفي المكتبة القرآنية قد دُعِيَ الناسَ ومسؤولو النظام الاقتصادي لإقامة العدل، إذ يقول القرآن الكريم عن هذا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، ويقول في آية أخرى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذِكْرَكُمْ وَصَأَكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، فالعدالة الاقتصادية في المجتمع هي رمز ازدهار المجتمع وتقدمه، كما أن الحكم العادل لأمر المؤمنين الإمام عليّ ﷺ هو نموذج شامل في هذا الصدد، ويقوم مبدأ العدل في الثقافة العلوية على عدالة الحكام^(١)، والعدالة في الناس^(٢).

ويقول ﷺ عن التطبيق الشامل للعدالة ومساعدة المحرومين: ((وَأَيْمُ اللَّهِ لَا نُصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَا قُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ حَتَّىٰ أُرِدَّهُ مِنْهُلِ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا))^(٣)، ويقول في مكان آخر: ((وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيَتْ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَىٰ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهُ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنْ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهُونَ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمٍ جَرَادَةٍ تَقْضُمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَىٰ وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَىٰ نَعُودٌ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ))^(٤)، ففي الثقافة العلوية تعني العدالة مساعدة الفقراء للخروج من العزلة الاقتصادية، إذ كتب الإمام ﷺ في رسالة إلى أحد ولاته: ((وَأَنْظُرْ إِلَىٰ مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَاصْرِفْهُ إِلَىٰ مَنْ قَبْلَكَ مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيبًا بِهِ مَوَاضِعَ الْمَفَاقِرِ الْفَاقَةِ وَالْخَلَاتِ وَمَا فَضَّلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٦.

(٢) م. ن، الرسالة: ٢٧.

(٣) م. ن، الخطبة: ١٣٦.

(٤) م. ن، الخطبة: ٢٢٤.



لِنَفْسِمَهُ فِيمَنْ قَبْلَنَا))^(١)، تُعْتَبَرُ الْعَدَالَةُ الْاِقْتِصَادِيَّةُ مُهِمَّةً لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ مِنْ خِلَالِ مُرَاقِبَتِهَا سَيَخْتَفِي الْفَقْرُ وَالْجِرْمَانُ مِنَ الْمُجْتَمَعِ، وَبِالتَّالِي سَيَقْلُ الْفَسَادُ الْاِقْتِصَادِي بِشَكْلِ كَبِيرٍ، الْهَدَفُ مِنَ الْعَدَالَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ هُوَ مُجْتَمَعٌ مُتَجَانِسٌ بَعِيدًا عَنِ الْفَجْوَةِ الطَّبَقِيَّةِ وَهُوَ مَا تُؤَكِّدُهُ التَّعَالِيمُ الدِّيْنِيَّةُ.

إِنَّ رُؤْيَا الشَّهِيدِ الصِّدْرِ فِي تَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ لَيْسَتْ نَظْرَةً نَظْرِيَّةً وَكِلَاسِيكِيَّةً بَحْتَةً، لَكِنَّهَا تَسْعَى إِلَى تَقْدِيمِ نَمُوذَجٍ شَامِلٍ لِتَطْبِيقِ الْعَدَالَةِ، وَلَيْسَتْ شَعَارًا لِلْعَدَالَةِ؛ وَعَلَيْهِ فَقَدْ وَضَعَ اسْتِرَاطِيَجِيَّاتٍ تَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي مُخْتَلَفِ الْمَجَالَاتِ. وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْعَدَالَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ تَشْمَلُ الْعَدَالَةَ الْاِقْتِصَادِيَّةَ، بِمَعْنَى أَنَّهَا بِالإِضَافَةِ إِلَى الْاِقْتِصَادِ تَشْمَلُ الْمَجَالَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ؛ وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الْعَدَالَةَ فِي رَأْيِ الشَّهِيدِ الصِّدْرِ لَا تَعْنِي الْمَسَاوَاةَ بَلْ تَعْنِي الْاِسْتِحْقَاقَ، فَكُلُّ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ يَجِبُ أَنْ يَتَمَتَّعُوا بِمُرَافِقٍ مَلَائِمَةٍ حَسَبَ ظُرُوفِهِمْ وَمَعَايِيرِهِمْ، وَبِمَعْنَى آخَرَ: فَإِنَّ الْعَدَالَةَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ لَا تَعْنِي الْمَسَاوَاةَ فِي الدَّخْلِ وَلَكِنْ خَلَقَ الرِّفَاهَ الْاجْتِمَاعِيَّ لِلْجَمِيعِ. وَفِيمَا يَأْتِي نَذَرُ بَعْضِ أَسَالِيبِ الشَّهِيدِ الصِّدْرِ فِي تَحْقِيقِ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ:

أ. الضمان الاجتماعي:

من استراتيجيات الشهيد الصدر في تحقيق العدالة الاجتماعية موضوع الضمان الاجتماعي، فهو يذكر هذا المحور تحت مسؤولية الحكومة، ويكشف فحص هذا المبدأ أن هذا المبدأ يتحقق بالفعل بتعاون الحكومة والشعب؛ لأنه في الجزء الأول، أي: الرعاية العامة.

ويشير الشهيد الصدر إلى مسؤوليات الناس تجاه المحتاجين، فيكتب عن

(١) نهج البلاغة، الرسالة: ٧٦.



ذلك: ((هو المبدأ الذي يفرض فيه الإسلام على المسلمين كفاية كفالة البعض لبعض، ويجعل من هذه الكفالة فريضة على المسلم في حدود ظروفه وإمكاناته، ويجب عليه أن يؤدّيها على أيّ حال كما يؤدّي سائر فرائضه))^(١)، ويعتبر الشهيد الصدر أنّ الوفاء بالرعاية العامّة واجب على الحكومة لإلزام الناس بممارسة واجباتهم القانونيّة، فيكتب عن هذا: ((والضمان الاجتماعي الذي تمارسه الدولة على أساس هذا المبدأ للتكافل العام بين المسلمين يعبر في الحقيقة عن دور الدولة في إلزام رعاياها بامثال ما يكلفون به شرعاً، ورعايتها لتطبيق المسلمين أحكام الإسلام على أنفسهم))^(٢).

وكذلك يشير الشهيد الصدر إلى المبدأ الثاني لتحقيق الضمان الاجتماعي، وفيه يشرح واجب الحكومة تجاه الفئات المحرومة والمحتاجة في المجتمع، ((وفق هذا المبدأ تكون الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن ضمان معيشة المعوزين والعاجزين، بقطع النظر عن الكفالة الواجبة على أفراد المسلمين أنفسهم فإنّ هذه المسؤولية لا تفرض على الدولة ضمان الفرد في حدود حاجاته الحيّاتية فحسب، بل تفرض عليها أن تضمن للفرد مستوى الكفاية من المعيشة الذي يحياه أفراد المجتمع الإسلامي؛ لأنّ ضمان الدولة هنا ضمان إعالة، وإعالة الفرد هي القيام بمعيشته وإمداده بكفايته، والكفاية من المفاهيم المرنة، التي يتّسع مضمونها كلّما ازدادت الحياة العامة في المجتمع الإسلامي يسراً ورخاءً، وعلى هذا الأساس يجب على الدولة أن تشبع الحاجات الأساسيّة للفرد، من غذاءٍ ومسكنٍ ولباسٍ، وأن يكون إشباعها لهذه الحاجات من الناحية النوعيّة والكميّة في مستوى الكفاية بالنسبة إلى

(١) اقتصادنا: ٦٦٨.

(٢) م. ن.



ظروف المجتمع الإسلامي. كما يجب على الدولة إشباع غير الحاجات الأساسية من ساير الحاجات، التي تدخل في مفهوم المجتمع الإسلامي عن الكفاية، تبعاً لمدى ارتفاع مستوى المعيشة فيه))^(١).

وعن الحلّ العملي لتحقيق هذا المبدأ أشار إلى خلق قطاعات عامة في الاقتصاد الإسلامي. ويكتب الشهيد الصدر عن المصادر المستخدمة في هذا القسم مستشهداً بآيات من القرآن: ((وقد يكون أروع نصّ تشريعي في إشعاعه المحتوى المذهبي للأساس والفكرة، والطريقة جميعاً هو المقطع القرآني في سورة الحشر، الذي يحدّد وظيفة الفيء ودوره في المجتمع الإسلامي بوصفه قطاعاً عاماً، وإليكم النصّ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ [الحشر: ٦ - ٧]، في هذا النصّ القرآني قد نجد إشعاعاً بالأساس الذي تقوم عليه فكرة الضمان، هو حقّ الجماعة كلّها في الثروة؛ ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ وتفسيراً التشريع القطّاع العام في الفيء، بكونه طريقة لضمان هذا الحقّ، والمنع عن احتكار بعض أفراد الجماعة للثروة وتأكيداً على وجوب تسخير القطّاع العام لمصلحة اليتامى والمساكين وابن السبيل؛ ليظفر جميع أفراد الجماعة بحقوقهم في الانتفاع بالطبيعة، التي خلقها الله لخدمة الإنسان))^(٢)، مستشهداً بآراء بعض الفقهاء مثل الشيخ الحرّ العاملي الذي اعتبر أنّ تحقيق هذا المبدأ ليس فقط للمسلمين، بل استشهد أيضاً برواية من سيرة الإمام عليّ عليه السلام لتشمل

(١) اقتصادنا: ٦٦٢.

(٢) م. ن: ٦٦٥-٦٦٦.



أهل الذمة الذين يعيشون في أراضي الحكومة الإسلامية^(١)؛ لذلك وفقاً لهذا المبدأ يتم إنشاء الضمان الاجتماعي في المجتمع بمشاركة الشعب والحكومة.

ومن خلال مساعدة المحتاجين والفقراء يرفع مستوى المعيشة للناس، وتستطيع الحكومة توفير النمو الاقتصادي لهذه الفئة الضعيفة من المجتمع من خلال إدارة رأس المال والدخل والاهتمام بالفقراء والمحتاجين من أجل خلق مجتمع يتحقق فيه الضمان الاجتماعي.

ب. التوازن الاجتماعي:

إنّ التوازن الاجتماعي لا يعني المساواة الاقتصادية، بعبارة أخرى، لا يسعى التوازن الاجتماعي إلى المساواة الاقتصادية، ولكنه يسعى إلى تحقيق الاستحقاق الاقتصادي من جهة والمنفعة العامة من جهة أخرى، أي: إنّ المجتمع لا ينبغي أن يكون على هذا النحو بحيث يكون بعضهم في ذروة الازدهار والتنمية المالية و ثروتهم تتزايد كل يوم، وعلى النقيض من ذلك يحتاج بعضهم إلى الاحتياجات الأساسية؛ وعليه فإنّ الشهيد الصدر في مناقشة التوازن الاجتماعي يذكر حقيقتين:

((الأولى: تفاوت أفراد النوع البشري في مختلف الخصائص والصفات النفسية والفكرية والجسدية، فهم يختلفون في الصبر والشجاعة، وفي قوة العزيمة والأمل. ويختلفون في حدة الذكاء وسرعة البديهة، وفي القدرة على الإبداع والاختراع. ويختلفون في قوة العضلات وفي ثبات الأعصاب، إلى غير ذلك من مقومات الشخصية الإنسانية التي وزعت بدرجات متفاوتة على الأفراد))^(٢)، ويذكر أنّ نتيجة هذا المبدأ هي قبول الاختلافات بين الأفراد.

(١) ينظر: اقتصادنا: ٦٦٦.

(٢) م. ن: ٦٦٧.



المبدأ الثاني: القاعدة المذهبية للتوزيع القائلة: ((بأن العمل هو أساس الملكية وما لها من حقوق))^(١)، ثم يكتب في وصفه عن كيفية التوازن الاجتماعي: ((إن نتيجة الإيمان بهاتين الحقيقتين هي: السماح بظهور التفاوت بين الأفراد في الثروة، فإذا افترضنا جماعة استوطنوا أرضاً وعمروها، وأنشأوا عليها مجتمعاً، وأقاموا علاقاتهم على أساس أن العمل هو مصدر الملكية، ولم يمارس أحدهم أي لون من ألوان الاستغلال للآخر. فسوف نجد أن هؤلاء يختلفون بعد برهة من الزمن في ثروتهم، تبعاً لاختلافهم في الخصائص الفكرية والروحية والجسدية، وهذا التفاوت يقره الإسلام؛ لأنه وليد الحقيقتين اللتين يؤمن بهما معاً، ولا يرى فيه خطراً على التوازن الاجتماعي ولا تناقضاً معه. وعلى هذا الأساس يقرّر الإسلام أن التوازن الاجتماعي يجب أن يفهم في حدود الاعتراف بهاتين الحقيقتين))^(٢)، وأيضاً يكتب في هذا الصدد: ((ويخلص الإسلام من ذلك إلى القول: بأن التوازن الاجتماعي هو التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى المعيشة، لا في مستوى الدخل. والتوازن في مستوى المعيشة معناه: أن يكون المال موجوداً لدى أفراد المجتمع ومتداولاً بينهم، إلى درجة تتيح لكل فرد العيش في المستوى العام، أي: أن يحيا جميع الأفراد مستوى واحداً من المعيشة، مع الاحتفاظ بدرجات داخل هذا المستوى الواحد، تتفاوت بموجبها المعيشة، ولكنه تفاوت درجة، وليس تناقضاً كلياً في المستوى، كالتناقضات الصارخة بين مستويات المعيشة في المجتمع الرأسمالي. وهذا لا يعني أن الإسلام يفرض إيجاد هذه الحالة من التوازن في لحظة. وإنما يعني جعل التوازن الاجتماعي في مستوى المعيشة، هدفاً تسعى الدولة - في حدود صلاحياتها - إلى

(١) اقتصادنا: ٦٦٨.

(٢) م. ن.



تحقيقه والوصول إليه، بمختلف الطرق والأساليب المشروعة التي تدخل ضمن صلاحياتها^(١).

٢- الدَعْمُ الإِقْتِصَادِي لِلْفِئَاتِ الضَّعِيفَةِ:

مِنْ جَوَانِبِ تَحْقِيقِ الأَمْنِ الإِقْتِصَادِي سَدُّ الفَجْوَةِ الطَّبَقِيَّةِ؛ لِأَنَّ المُجْتَمَعَ لَهُ أَقْسَامٌ وَطَبَقَاتٌ، أَحَدُهَا الفُقَرَاءُ وَالمَحْرُومُونَ.

لِلْفَقِيرِ بِشَكْلِ عَامِ ضَرَرَانِ جَسِيمَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الفَرْدِي؛ لِأَنَّ الفَقِيرَ قَدْ يَنْجُرُ إِلَى وَادِي الكُفْرِ وَالصَّلَالِ فِي الإِيمَانِ وَارْتِكَابِ أَعْمَالٍ غَيْرِ لائِقَةٍ كَالسَّرِقَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ مِنْ وَجْهَةِ نَظَرِ الإِجْتِمَاعِيَّةِ يَتَسَبَّبُ الفَقْرُ بِالإِضَافَةِ إِلَى المُشْكَلاتِ الإِقْتِصَادِيَّةِ فِي المُجْتَمَعِ يُسَبِّبُ أَضْرَارًا إِجْتِمَاعِيَّةً وَاِقْتِصَادِيَّةً، وَيُؤَدِّي إِلَى عَدَمِ قِيَادَةِ المُجْتَمَعِ لِطَرِيقِ الكَمَالِ وَالسَّعَادَةِ وَيَسْوَدُ انْعِدَامِ الأَمْنِ وَالإِضْطْرَابِ فِي المُجْتَمَعِ. وَبَسَبَبِ هَذِهِ الأَثَارِ السَّيِّئَةِ لِلْفَقْرِ قَدْ أُكِّدَتْ إِدَانَتُهُ فِي الثَّقَافَةِ العَلَوِيَّةِ، إِذِ يَعْتَبَرُ الإِمَامُ عَلِيٌّ ؑ ((الفقر أكبر موت))^(٢)، وَيَعْتَبَرُهُ سَبَبًا فِي ((ارتباك العقل وسبب العداوة))^(٣).

لَقَدْ ذُكِرَتْ فِي تَعَالِيمِ الإِمَامِ عَلِيٍّ ؑ فِي نَهْجِ البَلَاغَةِ وَمَوَاطِنِ أُخْرَى ثَلَاثَ إِسْتِرَاطِيَجِيَّاتٍ أُسَاسِيَّةٍ لِلْقَضَاءِ عَلَى الفَقْرِ فِي المُجْتَمَعِ:

الحل الأول: يَتَعَلَّقُ بِالفُقَرَاءِ وَالَّذِي يُؤَكِّدُ لَهُمْ أَنْ يَمِيلُوا إِلَى العَمَلِ الصَّحِيحِ فِي أَيِّ مَوْقِفٍ وَيَتَجَنَّبُوا الكَسَلَ وَالضَّعْفَ، بِمَعْنَى آخَرَ: أُولَئِكَ القَادِرُونَ عَلَى العَمَلِ وَغَيْرِ المَعْوَقِينَ جَسَدِيًّا، يَلْجَأُونَ إِلَى العَمَلِ وَالجُهْدِ وَيَكْسِبُونَ الحَلَالَ. حَيْثُ أَنَّ وَاجِبَ الآخِرِينَ فِي المَرَحَلَةِ الأُولَى هُوَ المُسَاعَدَةُ فِي التَّوْظِيفِ لِلْفُقَرَاءِ، وَكَيْسَ

(١) اقتصادنا: ٦٦٨-٦٦٩.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة: ١٦٣.

(٣) م.ن، الحكمة: ٣١٩.



المُساعدَةُ المَالِيَّةُ. وَهَذَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يُوفِّرُونَ الظُّرُوفَ لِخَلْقِ فُرْصِ العَمَلِ لِلْمُحْتَاجِينَ بِحَيْثُ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى مُسَاعَدَةٍ مَالِيَّةٍ.

الحلُّ الثَّانِي: وَيَتَعَلَّقُ بِالْأَغْنِيَاءِ وَهُوَ الْقَضَاءُ عَلَى الْفَقْرِ بِالتَّبَرُّعِ بِثَرَوَاتِهِمْ. إِنَّ الْإِنْفَاقَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْعِهِ أَيُّ مَخَاطِرِ اجْتِمَاعِيَّةٍ وَنَفْسِيَّةٍ، سَيَكُونُ عَمَلًا هَامًّا فِي التَّمَتُّعِ بِبَرَكَاتِ اللَّهِ الْخَالِدَةِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ عَوَامِلِ تَحْقِيقِ التَّنْمِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْمَنْشُودَةِ؛ كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٦]، إِذْ يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام فِي تَوْصِيَةِ الْفُقَرَاءِ وَتَلْبِيَةِ اِحْتِيَاجَاتِهِمْ وَأَثَارِ إِعَانَةِ الْمُحْتَاجِينَ: ((وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُؤَافِيكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاعْتَنِمْهُ وَحَمَلْهُ إِيَّاهُ وَأَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ))^(١)، وَهَذَا الْقَوْلُ يَدُلُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالِاهْتِمَامِ بِالْمُحْتَاجِينَ، فِيهِ الْوَاقِعُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى تَوْفِيرِ الدَّعْمِ الْاِقْتِصَادِيِّ لِلْفِئَاتِ الضَّعِيفَةِ؛ فَإِنَّ الصَّدَقَةَ سَتُؤَدِّي أَيْضًا إِلَى التَّنْمِيَةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ.

الحلُّ الثَّالِثُ: إِنَّ الْقَضَاءَ عَلَى الْفَقْرِ هُوَ وَاجِبُ الْحُكُومَةِ تَجَاهَ الْمُحْتَاجِينَ، إِذْ كَتَبَ الْإِمَامُ عليه السلام عَنْ هَذَا رِسَالَةً إِلَى أَحَدِ وَلَاتِهِ: ((وَإِنَّ لَكَ فِي هَذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَحَقًّا مَعْلُومًا وَشُرَكَاءَ أَهْلِ مَسْكَنَةٍ وَضِعْفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ وَإِنَّا مُؤَفُّوكَ حَقًّا فَوْفَهُمْ حُقُوقَهُمْ وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))^(٢)، وَمِنْ خِلَالِ اقْتِبَاسِ تَعَالِيمِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام يُؤَكِّدُ الشَّهِيدُ الصِّدْرُ عَلَى إِزَالَةِ الْفَقْرِ مِنَ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ؛ فَيَكْتُبُ عَنْ هَذَا مُسْتَشْهَدًا بِحَدِيثٍ مِنَ الْإِمَامِ عليه السلام: ((وَيَعْلَنُ الْاِقْتِصَادُ

(١) نهج البلاغة، رسالة: ٣١.

(٢) م. ن، رسالة: ٢٦.



الإسلامي بوضوح: أن الفقر والحرمان ليس نابعاً من الطبيعة نفسها، وإنما هو نتيجة سوء التوزيع والانحراف عن العلاقات الصالحة التي يجب أن تربط الأغنياء بالفقراء، فيقول - على ما جاء في الحديث: ((ما جاعَ فقيرٌ إلا بما مُتّع به غنيٌّ))، (١) إن هذا الوعي الإسلامي لقضايا العدالة الاجتماعية في التوزيع الذي لم يوجد نظيره حتى في مجتمعات أرقى من المجتمع الإسلامي في شروطه المادية، لا يمكن أن يكون وليد المحراث والتجارة البدائية أو الصناعة اليدوية وما إليها من وسائل المعيشة التي كانت كل المجتمعات تعرفها))^(١).

وفي الحديث عن الضمان الاجتماعي يذكر الشهيد الصدر أن من واجبات الحكومة رعاية الفقراء، وفي إشارة إلى كلام الإمام عليّ عليه السلام إلى مالك الأشتر في نهج البلاغة: ((والنصوص التشريعية التي تدلّ على المسؤولية المباشرة للدولة في الضمان هذا هو مبدأ الضمان الاجتماعي، الذي تعتبر الدولة مسؤولة بصورة مباشرة عن تطبيقه، وممارسته في المجتمع الإسلامي، وجاء في كتاب الإمام عليّ عليه السلام إلى واليه على مصر: ((ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ، وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلَ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا وَمُعْتَرًّا، وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْمًا مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى، وَكُلُّ قَدْ اسْتُرْعِيَتْ حَقُّهُ، فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطْرٌ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهِمِّ فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرَّجَالُ، فَفَرِّغْ لَأَوْلِيكَ ثِقَّتَكَ مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضِعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اَعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هُوَ لَأَعْلَى مِنْ



بَيْنَ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجَ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاعِدِزٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ وَتَعَهْدِ أَهْلِ الْيَتْمِ وَذَوِي الرَّقَّةِ فِي السَّنِّ مَنْ لَمْ يَجِدْ لَهُ، وَلَا يَنْصَبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ)). فهذه النصوص تقرّر بكلّ وضوح مبدأ الضمان الاجتماعي، وتشرح المسؤولية المباشرة للدولة في إعالة الفرد وتوفير حدّ الكفاية له^(١).

نتائج البحث:

بناءً على ما سبق، يمكن سرد أهم نتائج هذا البحث في النقاط الآتية:

١. تعتبر النظريات الاقتصادية للشهيد محمد باقر الصدر من أهم الأفكار المبتكرة في مجال الاقتصاد الإسلامي، ويمكن اعتبار الشهيد الصدر من أوائل المنظرين في مجال الاقتصاد الإسلامي، ويعتقد الشهيد الصدر أنّ الاقتصاد الإسلامي جزء من الكلّ وله علاقة متماسكة مع المكونات الأخرى للثقافة الإسلامية، ومن وجهة نظره فإنّ هدف الاقتصاد الإسلامي ليس إنتاج الثروة بل تحقيق العدالة الاجتماعية والقضاء على الفقر والرفاهية العامّة؛ على هذا الأساس يعتبر الاقتصاد الإسلامي اقتصاداً سليماً وبعيداً عن الأضرار الاقتصادية، وقد استفاد من التعاليم الدينية، خاصة تعاليم الإمام عليّ (ع).

٢. إنّ تنمية العمل والتوظيف في المجتمع والاعتماد على الإنتاج من الحلول الأساسية في هذا الصدد، فمن خلال خلق فرص العمل في المجتمع سيتم تقليل البطالة وما ينجم عنها من أضرار اجتماعية واقتصادية، ومن خلال خلق الإنتاج والاهتمام به سيتم الحفاظ على الاستقلال الاقتصادي للمجتمع وأمنه ضد العقوبات الاقتصادية أو غيرها من العوامل. ويعتبر الإمام عليّ (ع) أنّ الاهتمام بالإنتاج والمنتجين له الأولوية في تحصيل الضرائب، وهذه استراتيجيته الخاصة في دعم الإنتاج وحاجات المجتمع

(١) اقتصادنا: ٧٧٩.



الأساسية حتى لا يتضرر الأمن الاقتصادي. كما إن الاهتمام بأهمية العمل وتطوير الإنتاج وتوظيف النخب في الشؤون الاقتصادية والسياسية والدعم الحكومي للإنتاج هي من أهم استراتيجيات الشهيد الصدر من أجل تطوير الإنتاج وخلق فرص العمل، ويتجلى ذلك عن طريق الاهتمام بالعوامل البشرية والطبيعية. ويقترح منهجاً فكرياً وعملياً للعامل البشري المرتبط بالعمل والإنتاج؛ ففي المجال الطبيعي يشير إلى الموارد الطبيعية والقدرة على استخدام الطبيعة لتطوير الإنتاج. وغاية الشهيد الصدر هو الاهتمام بالإنتاج اللائق، مما يؤدي إلى الاكتفاء الذاتي الاقتصادي وخلق فرص العمل وتوليد الدخل للناس. ويشير إلى الاستراتيجيات المهمة لتطوير الإنتاج والتي يمكن أن يساهم الاستخدام الصحيح لها في التنمية الاقتصادية بأبعاد مختلفة. وفي هذا الصدد فإن استخدام وجهات نظر الشهيد الصدر ومطابقتها مع الوضع الراهن في العراق والبلدان الإسلامية يمكن أن يساعد في تطوير الإنتاج والتوظيف من خلال استخدام طاقات وإمكانات هذا البلد في مجال احتياطات النفط والمصادر الطبيعية والزراعة والسياحة.

٣. من أهم الأمور التي يمكن أن تعرض الأمن الاقتصادي للمجتمع للخطر هو الفقر، الذي له العديد من الأضرار الثقافية والاجتماعية على المجتمع؛ بعبارة أخرى فإن زيادة الفقر في مجتمع ما تعني إضعاف الأمن الاقتصادي لذلك المجتمع.

٤. تعدُّ نظرية العدالة الاجتماعية من أهم النظريات الاقتصادية عند الشهيد الصدر والتي قد تحدت عنها بالتفصيل في كتاب (اقتصادنا)، وبحسب رأي الشهيد الصدر فإن تحقيق العدالة الاجتماعية في المجتمع لا يعني المساواة في الدخل، بل يعني الحق في المساواة من جهة وتحقيق الرفاهية العامة من جهة أخرى، بحيث تجعل جميع أفراد المجتمع يتمتعون بالازدهار النسبي بناءً على قدراتهم؛ ولتحقيق ذلك الأمر يشير



- الشهيد الصدر إلى مبدئين هامين هما: مبادئ الضمان الاجتماعي والتوازن الاجتماعي .
- ٥ . إن تنفيذ هذه القضايا في البلاد بالإضافة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية سيحقق أيضاً السلام الاجتماعي والفردية والحيوية الاجتماعية التي تمكن الناس من تحقيق المكافآت المناسبة بناءً على جهودهم .
- ٦ . إن الاهتمام بالإنفاق وتشجيع الناس على فعل ذلك لمساعدة الفقراء وتحسين مستوياتهم المعيشية من أهم طرق تحقيق العدالة الاجتماعية .

قائمة المراجع و المصادر:

* القرآن الكريم .

- ١ . الأخلاق الاقتصادية من منظور القرآن والحديث، جواد الإيرواني، منشورات جامعة الرضوي للعلوم الإسلامية، مشهد، ٢٠٠٥م .
- ٢ . أسس مبادئ وأهداف الاقتصاد الإسلامي، عبدالله عبد المحسن الطريقي، مؤسسة الجريسي للتوزيع .
- ٣ . أسلمة الاقتصاد مفهومًا ومنهجًا، أنس محمد زرقا، مجلة الاقتصاد الإسلامي، الفصلية، ترجمة منصور زراء نجاد، طهران، معهد أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي، العدد ١٥، ١٣٨٣ ش .
- ٤ . أصول الاقتصاد الإسلامي، عبدالحميد محمود بعلي، دار الراوي، الرياض، ١٤٢١ق .
- ٥ . أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، المنشورات العلمية الإسلامية، طهران، ١٣٦٤ ش .
- ٦ . الاقتصاد الإسلامي تعريفه ومنهجه، منذر قحف، مجلة الاقتصاد الإسلامي، الفصلية، ترجمة سيد حسين معزي، معهد طهران للثقافة والفكر الإسلامي، العدد ٢٣، ١٣٨٥ ش .



٧. اقتصادنا، محمد باقر الصدر، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
٨. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، معهد الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ ق.
٩. البنك اللاربوي، محمد باقر الصدر، دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤١٠ هـ.
١٠. مَجَلِّي الصَّدَق فِي شَخْصِيَّةِ مَوْلَايِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي الطَّالِبِ عليه السلام، سيد علي أكبر البرقي القمي، منشورات حافظ، طهران.
١١. التنظير في الاقتصاد الإسلامي، أحمد شوقي دنيا، مجلة الاقتصاد الإسلامي الفصلية، ترجمة خداداد جلالی، طهران: معهد أبحاث الثقافة والفكر الإسلامي، العدد ٢٣، ١٣٨٥ ش.
١٢. الخصال، محمد بن بابويه الصدوق، جامعة المدرسين، قم، ١٣٦٢ ق.
١٣. دراسة في الفساد الاقتصادي وطرق محاربهه، نرجس رحيمان، المجلة الاقتصادية، العدد ٩ و ١٠، ١٣٩٣ ش.
١٤. دلائل النبوة، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ١٤١٢ ق.
١٥. دور الحكومات في التنمية الاقتصادية الديناميكية، محمود المتوسلي، مجلة البحوث الاقتصادية، طهران، العدد ٥٢، ١٣٧٧ ش.
١٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، مكتبة آية الله مرعشي نجفي، قم.
١٧. شرح نهج البلاغة، ابن ميثم البحراني، منشورات دارالحبيب، ١٤٣٠ ق.
١٨. العمل والأدب للعامل، شريف القرشي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٩٨٧ م.
١٩. عوالمى اللثالى، ابن أبى جمهور الاحسائى، تح: مجتبى عراقى، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٣ ق.



٢٠. غرر الحكم و درر الكلم، عبد الواحد الأمدي، منشورات المحدث، ط ١، ١٣٧٩ق.
٢١. كنز العمال، علاء الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩ق.
٢٢. المحاسن، أحمد بن محمد البرقي، دارالكتب الإسلامية، قم، ١٣٧١ق.
٢٣. المحلّي بالآثار، أبو محمد بن حزم الأندلسي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ق.
٢٤. من لا يحضره الفقيه، محمد بن علي بابويه الصدوق، مطبعة الأفتاب، طهران، ١٣٧٦ق.
٢٥. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ميرزا حبيب الله هاشمي الخويي، المكتبة الإسلامية، طهران، ١٤٠٠ق.
٢٦. نظرية الاقتصاد الجزئي، هندرسن، جيمز. م، كوانت، ريجارد.ا، ترجمة: مرتضي قره باغيان وجمشيد بجويان، منشورات معهد رسا للخدمات الثقافية.
٢٧. النظرية الاقتصادية والدول المتخلفة، غونار ميردال، ترجمة: غلام رضا سعدي، منشورات نشر انديشه، طهران، ١٣٤٩ش.
٢٨. نهج البلاغة، الشريف الرضي، منشورات هجرت، قم، ١٤١٤ق.
٢٩. الوجه المتغير للأمن القومي، رابرت ماندل، مدرسة البحوث الاستراتيجية، ١٣٨٧ش.

الإجراءات المالية والاقتصادية للإمام عليؑ وأثرها في فهم النص القرآني

أ.م.د. جمعة ثجيل عكلة الحمداني

الملخص:

لقد نصّ القرآن الكريم في آيات عديدة على أهمية المال والاقتصاد في حياة الناس، وذلك لأنّ المال هو أكثر العناصر تأثيراً على سلوك الإنسان، وبسببه يمكن أن يسير المجتمع عامّة والفرد المسلم خاصّة، في طريق الهدى والصلاح أو في طريق الشقاء والانحراف والجريمة. لذلك اهتمّ القرآن الكريم برسم علاقة الإنسان السويّة بالمال، وتحديد طرق كسبه وإنفاقه.

وانطلاقاً من قول رسول الله ﷺ: ((عليّ مع القرآن والقرآن مع علي))، هذا القول الذي أفاضت به جميع المصادر الأوليّة، فإنّ سيرة الإمام عليؑ العظيمة وفكره القرآنيّ، وتطبيقه منهج القرآن في جانبه الماليّ والاقتصاديّ وعزمه على مواصلة هذا التطبيق العادل بكلّ جرأة وشفافيّة وبكلّ وضوح، وكان لإجراءاته الماليّة والاقتصاديّة أثرٌ واضحٌ ومهمٌ في فهم النصّ القرآنيّ في جانبه الاقتصاديّ، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تُعدّ الزكاة في جانبها العباديّ والماليّ معاً عبادة ماليّة عظيمة تأتي مباشرة بعد الصلاة، بل ومقدّمة على الصيام حسب النصّ القرآنيّ، وهذا دليل على أهمية المال والاقتصاد في النصّ القرآنيّ، نلاحظ أنّ مروياتهؑ تتناغم تماماً مع نهج القرآن الكريم.



ولأنَّ الإمامَ عليَّ (ع) تسلَّم إدارة مؤسسات الدولة لأكثر من أربع سنوات، ولأنَّ قيام الدول ونجاح مؤسساتها يقوم بالدرجة الأولى على ما تمتلكه هذه الدول من أموال، فقد أثبت الإمام عليَّ (ع) في هذه المدَّة قدرته الواضحة في تطبيق المنهج القرآنيَّ في الإصلاح الاقتصاديِّ والماليِّ، ومن هنا نفهم كيفيَّة توظيف الإمام (ع) النصَّ القرآنيَّ في إدارته الماليَّة والاقتصاديَّة.

الكلمات المفتاحية: الإجراءات الماليَّة والاقتصاديَّة، الإمام عليَّ (ع)، النصَّ القرآنيَّ

Abstract:

The Holy Quran has stated in many verses the importance of money and economy in people's lives, because money is the most influential element on human behavior, and because of it, society in general and the Muslim individual in particular can proceed on the path of guidance and righteousness or on the path of misery, deviation and crime. Therefore, the Holy Quran was concerned with outlining the proper relationship between man and money, and defining the ways of earning and spending it.

Based on the saying of the Messenger of God, may God bless him and his family and grant them peace: "Ali is with the Qur'an and the Qur'an is with Ali." This saying, which is abundant in primary sources, the great biography of Imam Ali (peace be upon him), his Qur'anic thought, his application of the Qur'anic method in its financial and economic aspects, and his determination to continue this just application with all boldness, transparency, and clarity, His financial and economic procedures had a clear and important impact on understanding the Qur'anic text in its economic aspect: for example, zakat (obligatory payment made annually under Islamic law on certain kinds



of property and used for charitable and religious purposes.) , in its religious and financial aspects together, is a great financial act of worship that comes directly after prayer, and even precedes fasting according to the Qur'anic text. This is evidence of the importance of money and economics in the Qur'anic text. We notice that his narrations, peace be upon him, are in complete harmony with the approach of the Holy Qur'an.

Whereas Imam Ali (PBUH) assumed the management of state institutions for more than four years, and because the establishment of states and the success of their institutions are primarily based on the money these states possess, Imam Ali (PBUH) demonstrated during this period his clear ability to apply the Qur'anic approach to economic and financial reform. From here we understand how the Imam (PBUH) employed the Qur'anic text in his financial and economic management .

Keywords: Financial and Economic Procedures, Imam Ali (PBUH), The Quranic Text.

المقدّمة:

إنّ الثقافة الإسلاميّة الموروثة عند معظم المذاهب الإسلاميّة هي ثقافة مُكبّلة بالمفاهيم السلطويّة والقبليّة والعقديّة، وفي الوقت الذي يتحدّث الفكر المحمّديّ الصحيح الذي ينتهجه الإمام عليّ ؑ عن فكر قرآنيّ خالص في أثناء اللجوء إلى النصّ القرآنيّ في تفسير الأحداث التاريخيّة - ومنها الأحداث والإجراءات الاقتصاديّة والماليّة - نرى أنّ المؤلّفات الإسلاميّة غزت الفكر المجتمعيّ من طريق المرويات الكثيرة البعيدة عن الصحّة، تلك المرويات التي غدّتها السلطات الحاكمة في القرون الأولى من تاريخ الإسلام، وهنا يبرز أثر سيّد البلغاء والمتكلّمين أمير المؤمنين ؑ



ومروياته وخطبه ومقولاته التي تتناغم وتتلائم دائماً مع النهج القرآني السماوي، الأمر الذي يُسهّل على الباحث حلّ الإشكاليّة الكبيرة في التناقضات التفسيرية للآيات القرآنية، فالذي يطّلع على كتب التفسير يرى بوضوح أنّ هناك أسباباً عدّة لنزول الآية الواحدة، وعدّة آيات قرآنية لها سبب نزول واحد، ولم يتمّ الحصول على الحلّ النهائي لهذه الإشكاليّة إلاّ باللجوء إلى مرويات الإمام عليّ عليه السلام وأثرها في فهم النصّ القرآني، وهذه هي مشكلة البحث وفرضيته في آنٍ واحد.

لذلك سعى البحث إلى تحقيق هذا الهدف، وهو أنّ الإجراءات الماليّة والاقتصاديّة التي اتخذها الإمام عليّ عليه السلام طيلة مدّة حكمه تُعدّ عاملاً حاسماً في فهم النصّ القرآني؛ لأنّها إجراءات لا تتعارض مع هذا النهج الإلهي، وذلك من طريق تشخيص هذه الإجراءات وربطها بالنصّ القرآني وتحديد المعاني والدلالات الفكرية لها، والتعرّف على الأبعاد المعرفية لمقولات أمير المؤمنين عليه السلام وأثرها في فهم النصّ القرآني.

أهميّة البحث: تتجلّى أهميّة هذه الدراسة في بيان قيم العدالة الإنسانيّة التي سلكها الإمام عليّ عليه السلام في جانبها المالي والاقتصادي وتوضيحها، وهي تستند إلى النصّ القرآني الذي لا يُفرّق بين إنسان وآخر؛ ولذلك كانت إجراءاته الاقتصاديّة والماليّة لها أثر واضح في أثناء تطبيقها في فهم معاني النصّ القرآني وعدم الخروج عليه، وهذه تُعدّ عمليّة ترجمة واقعيّة وعمليّة لما يتغيه القرآن الكريم من منافع للناس بشكل عام، من دون تحديد فئة على فئة أو تمييز جهة عن جهة أخرى، لذلك سيركّز البحث على إجراءات أمير المؤمنين عليه السلام الاقتصاديّة في الميدان المالي والاقتصاديّ في أثناء حكمه وذلك من طريق نقطتين مهمّتين هما:

أولاً: الثروات غير المشروعة التي تكوّنت في المدّة السابقة لحكمه، ولا سيما في أثناء خلافة الخليفة الثالث عثمان بن عفان.



وثانيًا: أسلوب توزيع العطاء التفضيليِّ، وهذا على وفق مبحثين هما: الإجراءات الاقتصاديَّة في بداية حكمه عليه السلام ومعالجته لمشكلة الفقر وآثارها .

التمهيد:

تعرِّض القرآن الكريم في آيات الأحكام إلى جميع أنواع ما يصدر عن الإنسان من أعمال، إلى العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحجٍّ، إلى الأمور المدنية كبيع وإجارة ورباء، إلى الأمور الجنائيَّة من قتل وسرقة وزنا وقطع طريق، إلى نظام الأسرة من زواج وطلاق وميراث، إلى الشؤون الدوليَّة كالقتال، وعلاقة المسلمين بالمحاربين وما بينهم من عهود وغنائم الحرب، فهو في هذا كله لا يتعرِّض كثيرًا للتفاصيل الجزئيَّة، إنَّما يتعرِّض غالبًا إلى الأمور الكلِّيَّة، فهو لا يتعرِّض في الصلاة مثلاً إلى أوقاتها وهيئاتها، وفي الزكاة إلى المقدار الواجب فيها وأنواع ما يجب، وهكذا بقيَّة الأبواب، بل ترك ذلك إلى الرسول صلى الله عليه وآله، يُبيِّنه بقوله وفعله^(١).

ومن غير المشكوك فيه أبداً أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله رحل إلى جوار ربِّه تعالى، وهو لما يستوف بعد المهمَّات التاريخيَّة المناطة بالرسالة الإسلاميَّة على المستوى النظريِّ والعمليِّ معاً، فعلى الصعيد النظريِّ لم يتسنَّ للرسول صلى الله عليه وآله أن يبيِّن للأمة الإسلاميَّة سوى الخطوط العريضة للتشريع الإسلاميِّ، مضافاً إليها بعض التفاصيل الفقهيَّة لعدد من المسائل الحياتيَّة لإنسان الإسلام فرداً وجماعة^(٢)، أمَّا المستوى العمليِّ فإنَّ الدعوة الانقلابيَّة التي كان الرسول صلى الله عليه وآله يباشرها لتغيير الواقع الاجتماعيِّ فكراً وعملاً، وإنشاء الإنسان الرساليِّ الجديد في فكره ومفاهيمه وأنماط سلوكه، هذه المهمة لم تتحقَّق هي الأخرى للرسول صلى الله عليه وآله حتَّى على مستوى مجتمع عاصمة الدولة

(١) ينظر: بدائع الصنائع: ٩١/١، وفجر الإسلام: ٢٢٣ .

(٢) ينظر: الإمامة والتشريع والسياسة: ٣٣ .



(المدينة المنورة)، فضلاً على أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى^(١).

ومن المقطوع به أن قصر المدّة الزمنية التي عاشها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين ظهري مجتمع المدينة لم تكن فيها الكفاية لتحقيق العملية التغييرية في ذلك المجتمع، وهنا طبيعة الحال لا بد أن تُعهد القيادة الفكرية والسياسية إلى أشخاص ينهضون بالدور الذي نهض به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائد، ويكون لهم من المؤهلات والصلاحيات ما يمكنهم من مواصلة الحركة التغييرية التي بدأها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأمة على الصعيد العملي، وبيان الأحكام الإسلامية التفصيلية في الحوادث المستجدة في مسيرة الأمة على الصعيد الفكري والتشريعي، وهؤلاء الأشخاص القياديون هم العترة الطاهرة؛ لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعتري أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً))^(٢)، لكي يقوموا بأهدافهم التغييرية الكبرى.

لقد خصّ الله جلّ وعلا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بكرامات جمّة، في مقدّماتها كرامة التطهير التي نصّ عليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]؛ ومن هنا فإن ما يتحدث به أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في شؤون الحياة اليومية كافة، ومنها الحياة الاقتصادية والمالية سيكون داخلاً ضمن هذا المنهج القرآني الذي اختطّه الله تعالى لأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

تركّز هذه الدراسة على الإجراءات المالية والاقتصادية لأمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أثناء مدّة حكمه وأثرها في فهم النصّ القرآني، فأمر المؤمنين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما هو معروف، يعمل في منهج محدّد وواضح هو النهج القرآني القويم، وذلك من أجل أن يصل إلى غاية الحقّ الإلهي في إدارته للدولة، وهذا يتطلّب المعرفة التامة بآليات هذا النهج،

(١) ينظر: بحث في الولاية: ٦٠.

(٢) الخلاف: ٢٧/١.



وهذه المعرفة هي التي اختصّ بها الإمام عليّ عليه السلام منذ بداية الدعوة الإسلاميّة. إنّ ممّا تفرّد به الإمام عليّ عليه السلام دون غيره في إدارته للدولة الإسلاميّة في جانبها المالي والاقتصاديّ هو أنّه ضمن الحقوق للجميع بصرف النظر عن المعتقدات والملل، بل تعدّى ذلك إلى عمله الواضح من أجل ضمان الحقوق الأساسيّة للمعارضة السياسيّة لحكمه والوضع العام في الدولة، وهذا ما لم يعمله أحد في تلك المرحلة التاريخيّة، تلك المرحلة التي لا تعترف بحقوق المعارضة، بل لا تسمّيها معارضة، وإنّما يُطلق عليهم ألقاب (كالمرتدين والزنادقة).

إنّ حقّ الاعتراض في مجمل الأمور ومنها حقّ المعارضة السياسيّة بشكل خاصّ هي من الأمور التي نادى بها الإمام عليّ عليه السلام وعمل على تطبيقها، وكيف لا وهو القائل: ((الناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق))^(١)، وقد عمل الإمام عليّ عليه السلام على تطبيق هذا النهج قبل أن يتولّى الخلافة، وبعد أن تولّاها إلى يوم استشهاده عليه السلام، وذلك تطبيقاً للمنهج القرآنيّ الذي يخدم الإنسان وحقوقه وحرّيته والكرامة البشريّة بشكل عام.

المبحث الأوّل: الإجراءات الاقتصاديّة منذ بداية حكمه عليه السلام

لما آل الأمر إلى أمير المؤمنين عليه السلام أعاد الأمر إلى ما كان عليه في عهد رسول الله من الناحية الماليّة والاقتصاديّة والإجراءات المتّبعة فيها، فرفض الإمام عليّ عليه السلام كلّ أنواع الطبقية التي أنشأها عمر بن الخطّاب، وصار المال يُقسّم بالسويّة والعدل بين المسلمين، ولم يكن لديه ميزان في ذلك سوى العدالة التي نصّ عليها الإسلام وطبّقها الرسول صلى الله عليه وآله في منهجه. وهذا الإجراء نفّذه أمير المؤمنين عليه السلام في أوّل تسلّمه للسلطة، وقد أوضح منهجيّته في ثاني يوم من تسلّمه للحكومة، إذ صعد المنبر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤/ ١٧٥؛ وجامع أحاديث الشيعة: ١٧/ ٣٣٠.



فخطب بالمسلمين وبعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وتكلم بفضله، فقال: ((ألا لا يقولن رجال منكم غداً قد غمرتهم الدنيا، فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون فينقمون ذلك، ويستنكرون ويقولون: حرماً ابن أبي طالب حقوقنا، ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإنَّ له الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق حلتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله والمال مال الله يُقسَم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً وما عند الله خير الأبرار))^(١)، وهكذا بين أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، استراتيجيته المالية منذ أول تسلّمه للسلطة، وكانت تنبني على المساواة في العطاء لكل من اعتنق الإسلام، حتى أنه صادر جميع ما أقطعه عثمان من القطائع وعلى ما وهبه من الأموال العظيمة لطبقة الارستقراطيين، وعالهم بسياسته في توزيع المال بقوله: ((أيها الناس إنني رجل منكم، لي ما لكم وعلي ما عليكم، وإنني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما أمره، ألا وإن كل قطعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من حال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء وملك الإمام وفرق في البلدان لرددته، فإنه في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق))^(٢)، ولعل قادة الطبقة الثرية، فكّرت في مساومة

(١) بحار الأنوار: ٣٢/١٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/١٠، وأعيان الشيعة: ١/٤٤٨، والغدير: ٩/٢٧٣.



الإمام عليّ ؑ على بذل طاعتهم له على أن يغضبي عمّا سلف منهم، فأرسلوا إليه الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وقال له: ((يا أبا الحسن، إنك قد وترتنا جميعاً ونحن إخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبنا من المال أيام عثمان، وأن تقتل قتلته وإنا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام))^(١)، فلم يكثر الإمام عليّ ؑ لهذا وأصرّ على تطبيق المنهج القرآنيّ بكلّ حزم، فقد أكد لهم في خطبة له بكلّ وضوح على عزمه في مواصلة تطبيق المنهج القرآنيّ والنبويّ الذي بدأ به فقال: ((فأمّا هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه إثرة، وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأتمّ عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقرنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا فمن لم يرض به فليتولّ كيف يشاء))^(٢).

وتبعاً لمنطلقات العدل الإلهي المتكامل الظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ [المدرّث: ٣٨]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، كان عليّ بن أبي طالب ؑ يركّز على عمليّة التغيير الاجتماعيّ، وهي عمليّة إحقاق الحقّ بين طبقات الأمّة، على وفق دور تلك الطبقات في البناء الاجتماعيّ المتوازن.

ويختلف معنى الطبقة في زمن الإمام عليّ ؑ عن المعاني المتغيّرة للطبقات المتطوّرة والمستحدثة، في العصور المختلفة، ولاسيما في العصر الراهن، فكانت الرعيّة مجموع الطبقات التي يصلح بعضها للبعض الآخر، وكانت تشمل حينذاك: الجند، والكتّاب، والعمّال وأهل الصناعات، وكانت من بينهم جماعات أهل الجزية، وأهل الخراج، أي إنّ الدلالة الاقتصاديّة والدينيّة، متداخلة تبعاً لتداخل الفئات

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ٥٩ / ١.

(٢) م. ن: ٣٧ / ٧ - ٣٩ - ٤٠.



المذكورة في المجرى العام للحركة الإسلامية لعموم المجتمع والدولة، ويركز علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ على (الوحدة) و (التنوع) في التركيبة الاجتماعية للرعية، فهو يرفض عمومية التحدث عن وحدة الرعية، مقدّمًا رؤية واقعية عن مكانة كل طبقة، وفعاليتها الاجتماعية والاقتصادية، فهو يُشخّص بعد نظر شديد طبيعة كل طبقة وموقف السلطة منها، مُلغياً النظرة العمومية السطحية، التي يتحكّم بها الوعي المصلحي، الطبقي الضيق^(١)، لذلك فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ يستعرض وجود الطبقات قائلاً: ((واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا لبعض، ولا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة، ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة، وكلُّ قد سمى الله سهمه، ووضع على حدّه وفريضته في كتابه أو سنة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عهدًا منه عندنا محفوظًا))^(٢).

إن مشكلة تطبيق العدل، إضافة إلى كونها مشكلة عظمى، هي مشكلة خاصة أيضًا، بالنسبة إلى الناس العاديين الذين يرومون تطبيق العدل، فينجحون في جانب منه، ويخفقون في جانب آخر؛ لأنهم قد يرون جانبًا ولا يرون آخر. أمّا عدل علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ فنابع من صلب العدل المحمدي، وهو المثل الإنساني الخالد في التعبير عن (كلية العدل) ووحدة فروعه في الأفكار وفي الممارسة، وفي العلاقة على الصعيدين الفردي والجماعي، لذلك أعلن علي بن أبي طالب في اليوم الثاني من بيعته خليفة للمسلمين قائلاً: ((أنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم عليكم بالسوية))^(٣).

(١) ينظر: علي سلطة الحق: ٤٢٠ .

(٢) تحف العقول: ١٣١، ووسائل الشيعة: ٢٧/٢٢٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٧/٧، والصحيح من سيرة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٩/٢٠ .



ولم يعلن فكرته تلك، وبيّاش تطبيقها، بسبب منطلقات الخلافة، بل كانت تلك المنطلقات مبدورة في نفسه مزروعة فيها، فأتى التجاوب بين الأفكار والممارسة مثل تجاوب نموّ أعضاء الكائن الحيّ الصحيح، بالتكامل الطبيعيّ، ذلك لأنّ الأفكار الشريفة عن العدل - عند أولئك العادلين - ليست صاحبة الصلاحيّة المطلقة في قراراتهم، وفي اختياراتهم، وفي تطبيقاتهم، فهناك مرحلة ما قبل نشأة تلك الأفكار في نفوسهم، تلك المرحلة الأولى في تكوّن النفس والعقل^(١).

ويعلن أمير المؤمنين عليه السلام بكلّ وضوح أنّ الفقر والحرمان ليسا نابعين من الطبيعة نفسها، وإنّما نتيجة سوء التوزيع والانحراف عن العلاقات الصالحة التي تربط الأغنياء بالفقراء، فيقول: ((ما جاع فقير إلّا بما مُنع به غنيّ))^(٢) و ((ولو كان الفقر رجلاً لقتلته))^(٣) و ((الاحتكار جريمة))^(٤) و ((ما رأيت نعمة موفورة إلّا ورأيت إلى جانبها حقّ مُضَيّع))^(٥).

إنّ هذا الوعي الإسلاميّ لقضايا العدالة الاجتماعيّة في التوزيع يستند إلى النصّ القرآنيّ الذي حرّم الاحتكار وحارب الفقر والفساد والعوز الماديّ لكلّ طبقات المجتمع، فتجسّدت هذه المفاهيم هذه الأقوال الصادرة عن الإمام عليّ عليه السلام مستنداً إلى الشرعيّة السماويّة التي أوجدت الأرزاق للجميع^(٦).

رسمت خطب الإمام عليّ عليه السلام معالم الدولة الإسلاميّة وطريقة منهجها

(١) ينظر: علي سلطة الحق: ٤١٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٠ / ١٩ .

(٣) م. ن: ٢٤٠ / ١٩ .

(٤) روائع نهج البلاغة: ٨٤ .

(٥) نهج البلاغة، خطبة رقم ٣٢٨؛ ودراسات في نهج البلاغة: ٤٠ .

(٦) ينظر: اقتصادنا: ٣٢١ .



الاقتصادي والمالي منذ اليوم الأول الذي تسلّم فيه مقاليد الحكم، فقد بدت في خطبه سمات الفكر الاقتصادي والمالي حين قال عليه السلام: ((فأما هذا الفيء فليس لأحد على أحد فيه إثره، وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله وأتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض به فليتول كيف يشاء))^(١)، لهذا يبدو واضحا أن من أهداف دولة الإمام عليه السلام الحرص على إقامة مقاصد القرآن الكريم التي تسهم في إقامة المجتمع الإسلامي وتوطيد دعائم الحكم الصحيح، فلا وجود للإسلام في مجتمع يسوده الظلم ولا يعرف العدل. وقد نبّه الإسلام مرارا وتكرارا على الحد من هذه الظاهرة والحالة الخطيرة - حالة الابتعاد عند النهج القرآني الإلهي - وقد وردت العديد من الأحاديث التي تحذّر من مقايضة الدين بالرجال، لهذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يوضح دائما في خطبه أن يكون الحق والعدل هو المقياس والمرجع لتقييم العباد، وذلك في قوله المشهورة: ((إنّ دين الله لا يُعرف بالرجال، فأعرف الحقّ تعرف أهله))^(٢)، وقال أيضا: ((أيها الناس إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تُتبع وأحكام تُبتدع يخالف فيها كتاب الله ويتولى فيها رجال رجالا...))^(٣)، لهذا فإن إقامة العدل بين الناس في الدين الإسلامي تعدّ من أقدس الواجبات وأهمّها، وقد أجمعت الأمة على وجوب العدل، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

تشكّل أقوال الإمام عليه السلام مدخلا لفهم النصوص القرآنية وتفسيرها، فمن طريق قوله على الظلم: ((الظلم الذي لا يُغتفر ظلم العباد بعضهم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٥ / ٧ .

(٢) الأمالي للطوسي: ٤٦ .

(٣) الكافي: ١ / ٥٤ .



لبعض))^(١) يجد الباحث جانباً إيجابياً للوصول إلى تفسير الآية القرآنيَّة: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿نَّالِلَّهِ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

ويجد الباحث كذلك في قول الإمام عليٍّ عليه السلام مدخلاً لفهم النصوص القرآنيَّة بشكل أوضح في الآية القرآنيَّة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء: ٣٠]، ومدخلاً لفهم أقوال المصطفى صلى الله عليه وآله التي منها قوله: ((اتَّقُوا الظلم فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتَّقُوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلَّوا من محارمهم))^(٢).

وفي قوله الذي تمَّت الإشارة إليه: ((ما رأيت نعمة موفورة إلا وإلى جانبها حقٌّ مضيع)) يوجِّه الإمام عليٍّ عليه السلام الناس للوقوف على أسباب مشكلة اقتصاديَّة محدَّدة لا يستطيع بحكم ظروف واجباته العظيمة أن يذكر التفاصيل الكاملة لفكرته، لذلك لجأ عليه السلام في معظم أقواله إلى اختصار الفكرة وتوضيحها بأقلِّ الكلمات، والمتابع لكلام أمير المؤمنين يلحظ بوضوح أن كلماته قليلة وقصيره ولكنها ذات معنى واسع جدًّا، وهذا الأمر يقودنا إلى فهم النصِّ القرآنيِّ الذي ذكر العديد من الأحداث التاريخيَّة من دون الدخول في تفاصيلها، لذلك فقوله عليه السلام المشار إليه يقودنا إلى فهم النصِّ القرآنيِّ في الآيات القرآنيَّة، ومنها قوله تعالى في سورتي النساء: ٦ والنور: ٣٢، إذ أشارت هذه الآية إلى القيام ببعض الأعمال ذات الصبغة الاقتصاديَّة

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٦.

(٢) الكافي: ٢/٣٣٠؛ والمجموع: ٦/٢٤٣.



والمالِيَّة، كالحرص على حال الأيتام، وتزويج الإماء، وإقامة الشهادة بالعدل، وقد تضمّن بعضها تخصيص الفقراء بتوجيه معيّن، وهذا واضح في نصّ الآية المباركة: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى... يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٢].

ومن هذا نصل إلى نتيجة مفادها أنّ ما شرّعه الإسلام في أمر الأموال يحقّق العدالة الاجتماعيّة، ويكفي لاقتلاع جذور الفقر من بين البشر، وقد ورد في بعض الأخبار ما يدلّ على أنّ الناس لو التزموا بأحكام الله وشرائعه، وعملوا بما فرضه الله في الأحوال، وأخرجوا حقّ الله منها، وأوصلوه إلى أهله لم يبق في الدنيا فقير على الإطلاق، ومن هذه النصوص قول أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((ما جاع فقير إلا بما متّع به غني))، الذي سبقت الإشارة إليه، وهذا هو تفسير مثاليّ لقول الله تعالى في ذكر أصناف المستحقّين للزكاة وسهامهم، بحيث لا يبقى فقير من فقراء الناس، ولم يبق فقير من فقراء قرابة الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا وقد استغنى^(١).

المبحث الثاني: معالجته عَلَيْهِ السَّلَامُ لمشكلة الفقر وآثارها على وفق النصّ القرآنيّ

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متّع به غني، والله سائلهم عن ذلك))^(٢)، وروى الخطيب البغداديّ بسنده عن محمّد بن الحنفية عن أبيه عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أنّه سمع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: ((إنّ الله فرض للفقراء في أموال الأغنياء قدر ما يسعهم، فإن منعوهم هذا يجوعوا ويعرّوا ويجهدوا حاسبهم الله حسابًا شديد أو عدّهم عذابًا نُكْرًا))^(٣).

(١) ينظر: الأمالي للطوسي: ٨٧؛ والصحيح من سيرة النبي الأعظم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢٨ / ٢٩٤.

(٢) مستدرک الوسائل: ٧ / ٩، وينظر: مصادر نهج البلاغة: ٤ / ٢٥٢، والغدير: ٨ / ٢٥٦.

(٣) تاريخ بغداد: ٥ / ٣٠٨.



وعلى هذا الأساس جعل الإمام عليٌّ عليه السلام أمام الوعي مشكلة الفقر وأسبابه؛ لأنَّ الإصلاح الاقتصاديَّ أساس للإصلاح الاجتماعيِّ، وقد كان من الطبيعيِّ جدًّا - حتَّى عند المفكرين والمصلحين في عصر الإمام وقبله - أن يوجد أناس جائعون فقراء، وأن يوجد أغنياء يجارون كيف ينفقون أموالهم، فلم يكن الفقر بذاته والغنى بذاته مشكلة اجتماعيَّة تطلب حلًّا؛ لأنَّها في نظرهم أمر طبيعي لا محيد عنه، إنَّما المشكلة هي: كيف السبيل إلى إسكات الفقراء وحماية الأغنياء؟ فكان الإمام - بعد النبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله - هو أوَّل من كشف أنَّ الفقر والغنى مشكلة اجتماعيَّة خطيرة، ونظر إليها على أساس أفاعيلها الاجتماعيَّة، لذلك فإنَّ فلسفة الفقر عند الإمام عليٍّ عليه السلام اجتمعت في هاتين الكلمتين: ((إنَّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جماع فقير إلا بما مُتَّع به غني)) أو (ما رأيت نعمه موفورة إلا وإلى جانبها حقٌّ مُضَيِّع)، ومن هنا أصبح من أبرز المشاكل التي حفل بها منهجه الإصلاحِيَّ يوم وُلِّي الحكم مشكلة الفقر والغنى^(١).

قال أبو ذر: أما إنِّي صلَّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللّهُم اشهد بأنِّي سألت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان عليٌّ عليه السلام راکعاً فأوحى إليه بخنصره اليمنى وكان يَخْتَممُ بيها، فأقبل السائل حتَّى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين النبيِّ صلى الله عليه وآله، فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: ((اللّهُم موسى سألك فقال: ربِّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري وأحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدِّد به أزري وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا

(١) ينظر: دراسات في نهج البلاغة: ٤٠ .



يصلون إليكما...، اللَّهُمَّ وأنا محمد نبيك و صفيك، اللَّهُم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً علياً أشدد به ظهري، قال أبو ذر: فما استتم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلامه حتى نزل جبرائيل من عند الله عز وجل فقال: يا محمد، اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]]^(١). وطبيعي أن سبب نزول هذه الآية قد نُقل بطرق مختلفة، بحيث تختلف الروايات أحياناً بعضها عن بعض في جزئيات الموضوع، لكنها جميعاً متفقة من حيث الأساس والمبدأ.

يقوم جمع الزكاة في فكر الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على دعامة أخلاقية متينة تحول بين جامعيتها والقسوة في جبايتها، وقد أعطى الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ للزكاة مكانة هامة جعلته يتتبع جمعها من المسلمين منذ بداية العملية حتى اللحظة الأخيرة من توزيعها على مستحقيها؛ لأنها في الأساس تطهير للنفس من الشح، وإبعادها عن حب الذات بالتكالب على المادة، فمن وصيته لعماله على الصدقات يأمرهم بالقول: ((عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته لآخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه، فإذا قال قائل: لا، فلا تراجع، وإن أنعم لك فانطلق معه))^(٢)، ثم أن على ذلك العامل ألا يأخذ من المتصدق أكثر من حق الله المفروض في حاله^(٣)، ولا يأخذ من المال إلا ما هو يرضي صاحبه^(٤).

ولم تقتصر عند الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ الموافقة على أداء الزكاة، بل تعدتها إلى التخيير المتناهي في عدالته، وشملت أيضاً طريقة التعامل مع المال والحيوان، إلا أن ذلك

(١) ينظر: عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٢١ .

(٢) بحار الأنوار: ٩٣ / ٩٠ .

(٣) ينظر: منهاج البراعة: ١٨ / ٣٧٩ .

(٤) ينظر: م. ن: ١٨ / ٣٧٩ .



لا يعني - في فكر الإمام عليّ عليه السلام - القبول بأيّ شيء لا يتناسب ومصلحة مستحقيّ الصدقة، ففي زكاة الحيوان على سبيل المثال يجب عدم قبول المعيب أو المريض^(١)، إذ من واجب عامل الزكاة أن لا يقبل إلا ما هو صالح للناس.

ويستمرّ الإمام عليّ عليه السلام في منهجه الاقتصاديّ لإدارة هذه الفريضة، فيسير مع عامله على الصدقات خطوة خطوة في رحلته الشاقّة، فينصحه بأن لا يوكل ما اجتمع عنده من مال المسلمين: ((إلا ناصحاً شفيقاً أميناً حفيظاً، وغير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب))^(٢).

فإذا اكتملت عمليّة جمع الزكاة في كلّ ولايات الدولة، واستقرّت الأموال في بيوتها، فعلى القائم بالأمر أن يباشر بتقسيمها على الأصناف التي خصّهم الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠] ولا يتعدّى المسؤول في توزيعها على تلك الأصناف الثمانية، وكما يبدو من كلام الإمام عليّ عليه السلام في وصية أخرى إلى عمّاله على الصدقات، أنّ المتولّي على جمع صدقات البقعة أو الحيّ، هو الذي يقوم بتوزيع ما اجتمع عنده على المحتاجين، والضعفاء وذوي الفاقة من أهل المنطقة ذاتها، وإنّ على المتولّي أن لا يأخذ حقّه من الصدقات إلا بإذن وليّ الأمر، وبالمقدار الذي يفرضه له، وفي ذلك يقول لعامله على الصدقات: ((إنّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً وحقاً معلوماً وشركاء أهل مسكنة وضعفاء وذوي فاقه، وإنّا موفّوك حقّك فوفّهم حقّهم))^(٣).

(١) ينظر: تحرير الأحكام: ٤٢٣/٢ .

(٢) المقنعة: ٢٥٦ .

(٣) دعائم الإسلام: ٢٥٢/١ .



إنَّ الدعوات التي وجَّهها الإمام علي (ع) للأغنياء لم تكن تعني إنكار الإمام للتملك أو إلغاء الملكية الخاصة، إذ إنَّه كان يهدف في موقفه من الأغنياء إلى تحقيق جملة أهداف منها حثُّهم على إنفاق أموالهم من دون إسراف أو تبذير، والحدِّ من الرغبات النهممة والانغماس في الشهوات المؤدِّية للفساد الاجتماعي، فقد استكثر الإمام (ع) ما أنفقه القاضي شريح لشراء دار له بلغ ثمنها ثمانون ديناراً، فبعث إليه كتاباً ذكر شريح بمسكنه بعد موته وهو القبر^(١)، وفعل مثل ذلك مع أحد عمَّاله الذي قيل إنَّه بنى بيتاً ضخماً^(٢)، فالإمام (ع) يعلم أنَّ الإنسان مجبول على حبِّ المال وجمعه في قوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢]، وقول رسول الله (ص): ((ولو كان لابن آدم واديان من ذهب لأحبَّ أن يكون له ثالث، ولا يملأ فاه إلا التراب، ويتوب على الله من تاب))^(٣).

وقد قرن الله تعالى المال مع الأولاد بأنَّهما زينة الحياة الدنيا بقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾ [الفجر: ٤٦]، ووصف الباري عزَّ وجلَّ المال والبنون زينة الحياة الدنيا، قال تعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]، فالمال يمكن أن يفتن صاحبه ويبعده عن خطِّ الشريعة المقدَّسة، وأكد رسول الله (ص) هذا المعنى بقوله: ((إنَّ لكلَّ أمةٍ فتنه، وفتنة أمتي المال))^(٤).

(١) ينظر: نهج البلاغة: ٣٦٤، وبحار الأنوار: ١ / ٤٤١ .

(٢) ينظر: نهج البلاغة: ٧٨ / ٤ .

(٣) سنن الترمذي: ٦٣٨ .

(٤) م. ن: ٦٣٨ .



والإمام عليّ ؑ يرى أنّه على المال أن يؤدّي دوره الاجتماعيّ للإصلاح لا الفساد، إذ نقل عنه: ((من كان له مال فيّاه والفساد، فإنّ إعطاء المال في غير حقّه تذيير وإسراف، وهو وإن كان ذكرًا لصاحبه في الدنيا والآخرة فهو يضعه عند الله عزّ وجلّ، ولم يضع رجل ماله في غير حقّه وعند غير أهله إلّا حرم الله شكرهم وكان لغيره ودّهم، فإن بقي معه من يودّه يظهر له الشكر، فإنما هو ملقّ وكذب يريد التقربّ به إليه لينال منه مثل الذي كان يأتي إليه من قبل... ومن ضيّع المعروف فيما ارتآه، فليصل به وليحسن به الضيافة، وليفكّ به العاني، وليعن به الغارم وابن السبيل والفقير والمجاهدين في سبيل الله، وليصبر نفسه على النوائب والحقوق، فإنّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الأخلاق ودرك فضائل الآخرة))^(١).

ومن الإجراءات الاقتصاديّة والماليّة التي اتّخذها الإمام عليّ ؑ والتي استند فيها إلى النصّ القرآنيّ، هو ما ذكرته المصادر من أنّه ؑ حرّم ابن عمر وسعد والمغيرة بن شعبة من العطاء لاعتزالهم، فجاؤوا لمحااجته، فقال سعد: ((يا عليّ، اعطني سيفًا يعرف الكافر من المؤمن، فأجاب الإمام ؑ: أأستم تعلمون أنّ عثمان كان إمامًا بايعتموه على السمع والطاعة، فعلامّ خذلتموه إن كان محسنًا؟ وكيف تقاتلوه إذا كان مسيئًا؟ أفإن كان عثمان أصاب بما صنع فقد ظلمتم إذا لم تنصروا إمامكم، وإن كان مسيئًا فقد ظلمتم إذا لم تقدّموا بيننا وبين عدوّنا بما أمركم الله به، فإنّه قال: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] فردّهم ولم يعطهم))^(٢).

(١) الأماي للطوسيّ: ١٩٨.

(٢) ينظر: النظم الادارية والمالية في عهد الإمام عليّ ؑ: ٤٥٠.



حفل كلام الإمام علي عليه السلام بالدعوة إلى إلزامية نشر العدل وتطبيق بنوده والإنصاف بين الرعية؛ لأن ترك ذلك يؤدي إلى ظلمها وإرهاقها في جميع المجالات، خاصة وأن أول ما يهدف إليه الإسلام هو إقامة العدل وتطبيق بنوده على واقع الحياة اليومية، فالفقر مثلاً وسوء الحالة الاقتصادية من أهم الأسباب التي تؤدي إلى شقاء الإنسان وانحطاطه واضطرابه، فقد جاء في الحديث الشريف: ((الفقر هو الموت الأكبر))^(١)، ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((ما ضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر))^(٢)، ويقول عليه السلام: ((لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته))^(٣)، ويقول أبو ذر الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وآله وخريج مدرسته: ((عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه))^(٤)، وورد في بعض الأدعية عن أهل البيت عليهم السلام: ((اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر))^(٥).

إن الفقر مرادف للكفر، فما دخل الفقر بلداً إلا صحب معه الإلحاد والمبادئ الشاذة كما نصت الأحاديث الشريفة، إن وجود الثراء الفاحش بجانب الفقر المدقع يؤدي حتماً إلى تآزم الأوضاع وشيوع الاضطرابات، وانتشار الشذوذ والجرائم، وإقصاء الفضيلة والمثل الخيرة من البلاد، وقد عمل الإسلام منذ فجر تاريخه على إذابة الفقر وتحطيمه وإزالة شبحه، وذلك بما سنه من النظم الاقتصادية الخلاقة التي لا تبقى أثراً للفقر والحرمان^(٦).

(١) معارج نهج البلاغة: ٤٣٥ .

(٢) النظام السياسي في الإسلام: ٢٤٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١٠ / ٣ ؛ وروائع نهج البلاغة: ٨٤ .

(٤) النظام السياسي: ٢٤٧ .

(٥) المقنعة: ٤٠١ .

(٦) ينظر: النظام السياسي في الإسلام: ٢٤٧ .



الخلاصة والاستنتاج:

بعد استعراض الإجراءات الماليّة والاقتصاديّة التي قام بها الإمام عليّ عليه السلام على وفق المنظور القرآنيّ، توصلّ البحث إلى النتائج التالية:

١- إنّ القرآن الكريم ينظر إلى الثروات المتكدّسة بعدّها نوعاً من الترف المادّي، فلا بدّ من معالجته باتّخاذ الإجراءات الشرعيّة من أجل أن تكون حصّة الفقراء مكفولة في أحوال الأغنياء.

٢- إنّ التفاوت الطبقيّ والاجتماعيّ ناتج عن سوء التوزيع، لذلك كانت العديد من الإجراءات التي أشار إليها الإمام تصبّ في مصلحة المجتمع بشكل عام، وهو ما أشار إليه القرآن في آيات عديدة.

٣- ركّز الإمام عليّ عليه السلام على دراسة الجوانب التفصيليّة للجانب الماليّ والاقتصاديّ، فالقرآن دائماً يشير إلى العموميّات لا التفاصيل، لذلك وظّف الإمام عليه السلام فكر القرآن من أجل دراسة الجزئيّات بتفاصيلها، فأكدّ على محاربة الفقر والبطالة والاحتكار وغيرها.

٤- كان الهدف الأسمى للإمام عليّ عليه السلام هو التركيز على الجانب الاجتماعيّ، فهو الكفيل بخلق فكر الإنسان وديمومته الثقافيّة، وتمّ ذلك من طريق تركيز القرآن على العدالة والمساواة بين الناس.



المصادر والمراجع:

*القران الكريم

١. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تح: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، (د.ت).
٢. اقتصادنا، محمد باقر الصدر، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط٢، ٢٠٠٦ م.
٣. الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، ط١، قم، ١٩٩٤ م.
٤. بحار الأنوار للدرر الأئمة الأطهار عليهم السلام، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، تح: السيد إبراهيم الميانجي، والسيد محمد باقر البهبوتي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م.
٥. بحث حول الولاية، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٧٧ م.
٦. تاريخ بغداد أو مدينة السلام، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٩٩٧ م).
٧. تحرير الأحكام الشرعية على مذاهب الإمامية، الحسن بن يوسف بن علي المطهر العلامة الحلي (ت ٧٢٦ هـ)، تح: إبراهيم البهادلي، مطبعة اعتماد، قم، ط١، ٢٠٠٠ م.
٨. تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني، تح: علي أكبر غفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٩٨٤ م.
٩. جامع أحاديث الشيعة، السيد حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم، ١٩٧٩ م.
١٠. الخلاف، محمد بن الحسن الطوسي، تح: السيد علي الخراساني، وجواد الشهرستاني، ومهدي نجف، مؤسسة النشر الإعلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٩٨٠ م.



١١. دراسات في نهج البلاغة، محمد مهدي شمس الدين، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.
١٢. دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام من أهل بيت الرسول عليه أفضل السلام، أبو حنيفة بن محمد بن منصور التميمي المغربي (٣٦٣هـ)، تح: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٣م.
١٣. روائع نهج البلاغة، جورج جرداق، مطبعة باقري، قم المقدسة، ط٢، ١٩٩٧م.
١٤. السنن الكبرى، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
١٥. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، (ت٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، (د.ت).
١٦. الصحيح من سيرة الإمام ؑ، جعفر مرتضى العامليّ، مطبعة تليغات إسلامي، قم، ط١، ٢٠١١م.
١٧. ضحى الإسلام، أحمد أمين، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.
١٨. علي سلطة الحق، عزيز السيد جاسم، تح: صادر جعفر الروازق، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط١، ٢٠٠٧م.
١٩. عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، يحيى بن الحسن الأسدي الحلبي ابن البطريق (ت٦٠٠هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ١٩٨٧م.
٢٠. الغدير في الكتاب والسنة، الوضّاعون وأحاديثهم، عبد الحسين أحمد النجفي الأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٩٧٧م.
٢١. الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري، طهران، ط٣، ١٩٧٨م.



٢٢. المجموع شرح المهذب، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ت).
٢٣. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، الميرزا النوري الطبرسي، مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، ط ١، ١٩٨٧ م.
٢٤. مصادر نهج البلاغة وأسانيده، السيد عبد الزهراء الخطيب الحسيني، دار الزهراء، بيروت، ط ٤، ١٩٨٨ م.
٢٥. معارج نهج البلاغة، علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥هـ)، مطبعة بهمن، قم، ط ١، ١٩٨٨ م.
٢٦. المقنعة، أبو عبد الله محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، ط ٢، ١٩٩٠ م.
٢٧. منهج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ٤، ١٩٧٨ م.
٢٨. النظام السياسي في الإسلام، باقر شريف القرشي، دار التعارف للمطبوعات، ط ٢، ١٩٧٨ م.
٢٩. النظم الإدارية والمالية في عهد الإمام علي عليه السلام، علاء كامل صالح العيساوي، مطبعة التميمي للنشر والتوزيع، النجف الأشرف، ط ١، ٢٠١٦ م.
٣٠. نهج البلاغة، محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، (د.ت).

دور الإمام عليؑ في مواجهة الإرهاب الفكري

أ.م.د. حسين رشك خضير

كلية التربية الأساسية / جامعة ميسان

الملخص:

نظراً للدور الذي مارسه الإمام علي بن أبي طالبؑ في مواجهة الإرهاب الفكري، وبمختلف الفعاليات وبمعالجات آنيّة، وجدنا من الضرورة تسليط الضوء على هكذا موضوع مهم؛ ليكون لنا أساساً تطبيقياً صحيحاً نستسقي منه الدروس والعبر في تأسيس حياة كريمة أساسها الأمن الفكري والذي ينعكس بدوره على بقيّة أبعاد الحياة الأخرى، الأمر الذي جعلنا نؤطر ذلك من طريق مباحث ثلاثة: الأوّل منها تطرّقنا من خلاله إلى مفهوم الإرهاب الفكري وأسبابه، ومبحث ثاني تطرّقنا من خلاله استراتيجيّة الإمام عليؑ في الأمن الفكري، أمّا المبحث الثالث فقد تناول شخصيّة الإمام عليؑ في مواجهة الإرهاب الفكري. وأهمّ ما توصلنا إليه هو أنّ التعامل الإنسانيّ بهذا المستوى ومع كلّ الأطراف وبمختلف المواقف دليل على سموّ شخصيّة الإمام علي بن أبي طالبؑ وعظمتها وأحقّيّة ولايته التي ثبتتها السلوكيّات المختلفة التي تنمّ عن المسؤوليّة الكبيرة التي كان يحملها اتجاه الفكر الإسلاميّ، وأنّ السرعة والبديهيّة في معالجة الانحراف الفكريّ الصادر ضرورة مهمة كشفها لنا الإمام علي بن أبي طالبؑ، وأنّ الحزم وعدم التهاون أمام معالجة هكذا شرخ هو ما يفترض أن نكون عليه لتأسيس مجتمع متسامح وآمن. والاستراتيجيّة



التي عمل بها الإمام علي (ع) من التركيز على الفكرة الأساسية والتعامل بالعموميات والمشاركات وعدم التهميش للآخرين وفتح باب الحوار والمناقشة التي تعدّ بمثابة أساس يمكن أن نضع عليه ما نسعى لبنائه وفي مختلف المجالات.

الكلمات المفتاحية: الإمام علي (ع)، الإرهاب الفكري

Abstract:

Given the pivotal role played by Imam Ali bin Abi Talib (PBUH) in confronting intellectual terrorism through various activities and immediate interventions, we found it essential to highlight this significant topic. Our objective is to establish a sound practical foundation from which to draw lessons for building a dignified life based on intellectual security, which, in turn, reflects on all other dimensions of life.

The research is structured into three main sections:

The First Section: Discusses the concept of intellectual terrorism and its underlying causes.

The Second Section: Examines Imam Ali's (PBUH) strategy for achieving intellectual security.

The Third Section: Analyzes the personality of Imam Ali (PBUH) in the face of intellectual terrorism.

The most significant findings of this research include:

Imam Ali's humanitarian approach toward all parties and in various situations is a testament to the greatness of his character and the legitimacy of his leadership (Wilayah), which was validated by behaviors reflecting his immense responsibility toward Islamic thought.



The necessity of swiftness and intuition in addressing intellectual deviations, as demonstrated by the Imam.

The importance of firmness and lack of complacency in dealing with such intellectual fractures to establish a peaceful and secure society.

The effectiveness of the strategy adopted by Imam Ali (PBUH), which focused on core ideas, emphasized commonalities, avoided marginalizing others, and prioritized open dialogue and discussion. This strategy serves as a foundation for building progress across various fields.

Keywords: Imam Ali (PBUH), Intellectual Terrorism.

المقدمة:

التطرّف من أخطر الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتقتل روح التسامح بين الناس، وتخلق أنماطاً من العقول المتعصّبة المملأى بالكراهية والحقد نحو الآخر، وهو آفة اجتماعية وأخلاقية تُشير إلى الخروج عن القيم والسلوكيات الإيجابية في مجتمع معين، وبالمقابل تبني قيماً ومعايير سلبية دخيلة على المجتمع، وقد يتحوّل إلى أفعال ظاهرية قد يصل الدفاع عنها إلى حدّ اللجوء إلى العنف، بغرض فرض المبادئ التي يؤمن بها المتطرّف بقوة على الآخرين، وقد تتفاقم المسألة لدرجة اللجوء للإرهاب الفعليّ.

التطرّف ينشأ وتنبت جذوره في المجتمعات التي تنعدم فيها كلّ أنواع التسامح، وما يقترن بذلك من إقصاء الآخر وتهميشه، والمتطرّف يكون على استعداد دائم لمواجهة الاختلاف في المعتقد أو الرأي بالعنف، ويسعى دائماً إلى فرض هذا المعتقد بالقوة على الآخرين، وأن يكون مصدرًا لذلك فمصدره طبيعة الفكر الذي



يتبنّاه الفرد، فالفكر هو أصل الأفعال وتحديد نوعيّتها وبيان طبيعتها.

ومن ذلك نجد الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في محطّات من حياته وبمواقف مختلفة حاول غرس الفكر الذي يُعزّز ثقافة التسامح والابتعاد عن روح التعصّب والتعامل بمرونة مع المواقف بعيداً عن التهميش والتكفير في التصحيح أو المعالجة الفوريّة للمواقف التي تتطلّب ذلك من طريق إظهار قيمة الإنسان وجعلها مبدأ من المبادئ التي ينطلق منها الإنسان في تعامله مع الآخرين والنظر لهم بدافع القاصر لا بدافع المقصّر في تحليل الأفعال والأقوال والأفكار، وهنا وجدنا ضرورة أن نقف على مواقفه عَلَيْهِ السَّلَامُ المشرقة في هذا الجانب، فلا بدّ من الإحاطة بمفهوم الإرهاب الفكريّ، لأنّ عمليّة التعاطي مع هذه المعضلة الاجتماعيّة العالميّة ضرورة ملحة، إذ لا يجب الاقتصار فقط على الجهود الأمنيّة المبدولة من الدول للحدّ من خطورتها وانتشارها، بل أصبح من الضروريّ نشر قيم التسامح بين شرائح وفئات المجتمع في جميع النواحي كافّة وتعزيزها، ولاسيما أنّ الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يمثّل الأنموذج والمثال العالمي الذي نجد تراثه وآثار أفكاره تتعاطى على مختلف مراحل التاريخ ومن كلّ بلدان العالم المختلفة، كيف لا وهو باب مدينة علم رسول الله وأمير العدل والسلام الذي شهد له الرسول الكريم محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مواطن كثير ومشاهد مختلفة، وما يجب على كلّ فرد وبحسب درجة القرب والبعد من هذه الشخصيّة العظيمة أن يتثقف بثقافة هذه الشخصيّة وأن يعمل بما ينسجم وذوق التعامل الذي تتعامل به مع الأطراف التي تقابلها بالفكر، ولدقّة الإمام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في التعامل مع المسائل الحسّاسة التي تنعكس أثارها بشكل سلبيّ على المجتمعات نجده تعامل مع الإرهاب الفكريّ بطرق مختلفة؛ لأنّه يجد فيه الخطورة التي تأخذ بيد المجتمعات نحو التفكك والتعصّب والتسافل باتجاه الوحشيّة الحيوانيّة والابتعاد عن قيم الإنسانيّة التي كرّمها الله



سبحانه، ومن هذا تناول الباحث ما يؤطر فكر هذه الشخصية اتجاه هكذا موضوع مهمّ عبر التطرّق إلى مفهوم الإرهاب الفكريّ وكذلك استراتيجية الإمام عليّ في الأمن الفكريّ .

المبحث الأوّل: الإمام عليّ (عليه السلام) و استراتيجية الأمن الفكريّ

قبل الحديث عن استراتيجية الأمن الفكريّ في المنهج الرساليّ للإمام عليّ (عليه السلام) لابدّ من الإحاطة بمفهوم الأمن الفكريّ بوصفه مطلباً من المطالب الإنسانية الفطريّة التي تُعدّ بعداً من أبعاد الأمن العام الذي يسعى أيّ مجتمع إنسانيّ إلى أن يُحقّقه على وفق المصلحة التي يتغيها ذلك المجتمع، فهو حاجة من الحاجات الضروريّة التي يمكن الحفاظ بها ما لا ينبغي الخروج عنه، ومن ذلك نجد أنّ ((فكرة تحقيق الأمن الفكريّ في المجتمعات صارت أمراً إلزامياً شائعاً تسعى إليه الدولة الحديثة المعاصرة حتّى عُرف بأنّه جزء من سياسة الحكومة يستهدف إيجاد شروط سياسيّة دوليّة وطنيّة ملائمة، لحماية القيم الحيويّة ضدّ الأعداء الحاليين أو المحتملين))^(١).

أهميّة الأمن الفكريّ:

تنبع أهميّة الأمن الفكريّ من قيمته النفعيّة التي تنعكس على أبعاد الحياة التي يعيشها المجتمع، فهو بذلك يتحقّق من طريقه أمور عدّة:

١. ((يحقّق للمجتمع خصائصه، بتحقيق الوحدة والتلاحم في الفكر والمنهج والغاية.

٢. عند غياب الأمن الفكريّ سيكون هناك خلل في الأمن في جميع أنواعه، لأنّه هو الأساس لجميع أنواع الأمن الأخرى.

(١) الخطاب التشكيلي العربي المعاصر في مواجهة الإرهاب الفكري: ٥٢٦٦.



٣. من خلال الأمن الفكريّ يمكن القضاء على الانحراف الفكريّ الذي يُعدّ من أبرز وسائل تهديد الأمن الوطني بمقوماته المختلفة، إذ يؤدي إلى زعزعة القناعات الفكريّة، والمقومات الأخلاقيّة والاجتماعيّة، والثوابت العقديّة^(١).

معوّقات الأمن الفكريّ:

معوّقات الأمن الفكريّ كثيرة وترجع بتعدّدها إلى عوامل رئيسية يمكن أن نجملها بالآتي:

١. الجهل.
٢. عدم فهم ضوابط الدين الإسلاميّ.
٣. إغلاق منافذ الحوار والمناقشة بين أفراد المجتمع.
٤. عدم وضوح حدود الخطأ والصحيح بقيم المجتمع.
٥. التشدّد الدينيّ والتطرّف^(٢).

وبالنظر إلى أهميّة الأمن الفكريّ والمعوّقات التي تُسبّب انعدامه نجد الإمام عليّ عليه السلام قد سعى إلى تحقيق الأمن الفكريّ من أمور عدّة يمكن أن تُشكّل تصوّراً واضحاً لإستراتيجيّة يمكن أن تُستثمر كمجال فكريّ تعليميّ أو تطبيقيّ، وهذه الأمور هي:

أولاً: التركيز على الفكرة المحوريّة:

إذ نجد الإمام عليّ عليه السلام في معظم الإحداث التي واكبت وجوده قد سلك مسلكاً متذبذباً مع طبيعتها ومع نتائج مخارجها، فجاءت سلوكيّاته تنسجم وفقاً لمبادئ عليا لا يمكن حصرها على وفق الحدث الآتي الذي حدث فيه، ومن ذلك

(١) مفهوم الإرهاب الفكري في الفكر الإسلامي والعقلية الغربية: ٢٨٢ .

(٢) م:ن: ٢٨٣ .



نجد أنّ فكرة قبول الحكم أو الخلافة لغيره مع أحقيّته بذلك ليس قبولاً برضى شخصيٍّ بقدر ما هو قبول على وفق مصلحة عليا وهي مصلحة الحفاظ على التجربة الإسلاميّة؛ لأنّ ظرف هذا الحدث لا يسمح بالتصادم الذي لا يجزّ معه شيئاً سوى أنّه يجزّ إلى فكرة أنّ الإسلام ليس نظاماً إلهياً بقدر ما هو نظام سياسيٍّ جديد بدلاً عن النظام الذي سبقه، فتحوّل فكرة الإسلام من فكرة تسعى باتجاه المجتمع وتنميته، إلى فكرة تكون بخدمة المنفعة الشخصيّة، وأنّ المحافظة عليها ليس لقيمتها كنظام إنسانيٍّ يكفل الحياة الكريمة بقدر ما يكون المحافظة عليها أساسه المنفعة.

ومن ذلك نجده ﷺ يقول: ((لقد علمتم أنّي أحقّ الناس بها من غيري، ووالله لأسلمنّ ما سلّمتم أمور المسلمين ولم يكن فيها جوراً إلّا عليّ خاصّة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً في ما تنافستموه من زخرفه وزبرجه))^(١)، فهو ﷺ يحاول التركيز على الفكرة العليا وهي فكرة التجربة الإسلاميّة والمحافظة على هذه الفكرة ولو بالتنازل عن حقّه الشخصي الذي لا يريد فيه سوى أنّه يدعم تلك الفكرة التي تخلّى عنها للمصلحة العامّة.

ثانياً: التأكيد على الغايات والأهداف العليا:

الإمام عليؑ حاول بكلّ ما يلزم أن يغرس بذهنيّة الأمة فكرة الحرّيّة، ولاسيما الحرّيّة الفكريّة باتجاه الغايات والأهداف العليا مؤكّداً على الابتعاد من أن يعلّق كلّ الأمور الفكريّة وحصرها (بالأشخاص) مع أنّه يعلم أنّ منهجه منهج حقّ، وأنّ شخصه هو الميزان، الذي أكّد رسول الله ﷺ على عدالته في أكثر من نصّ، منها قوله: ((يا علي، لا يعرفك إلّا الله وأنا))^(٢)، فهو يريد بذلك تحقيق الأمن الفكريّ

(١) شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد: ٦ / ١٦٦ .

(٢) مدينة المعاجز أهل البيت: ٢ / ٦٩ .



للإنسان حتى لا يستعبد من شخص غير، وهذا ما نلتمسه في معركة الجمل حينما جاء إليه حارث الهمداني وسأله عن الحق في حرب الجمل، فأجابته: ((هل هو مع هذا الجيش؟ كان هذا الرجل يعيش في حالة تردّد بين طرفي المعركة، يريد أن يوازن بينهما، أيهما أفضل؟ حتى يحكم بأن الطرف الآخر مع الحق أو الإمام عليّ مع الحق، جهود أيهما أفضل للإسلام؟ قال له الإمام: اعرف الحق تعرف أهله))^(١)، فهو أعطى العمل الشخصي طابعاً رسالياً ليحرّر ذهن هذا الإنسان من القيد الشخصي، فهو أمان فكريّ له ليصل إلى نتيجة هو يتغيها.

ثالثاً: الحثّ على الابتعاد عن لغة القسر والإكراه:

تأمين الحريّات من الأسس المهمّة في تعزيز الأمن الفكريّ سواء أكانت الحريّة الاجتماعيّة أو الاقتصاديّة أو السياسيّة، وبما لا يتعارض مع المصالح العامّة فحقّ الردّ مكفول، وحقّ الاختيار مؤكّد، وحقّ التعامل قائم على وفق ما يتطلّبه الموقف، وكلّ ذلك قد شجّع عليه الإمام عليّ ع وتأكّد في منهجه الفعليّ في مواقف كثيرة كموقفه من رفض البيعة من قبل عبد الله بن عمر، وجماعة أخرى من أمثاله، فهو لم يجبرهم على البيعة، بل تركهم وشأنهم، فهو لا يريد لغة القسر والإكراه التي تجري على لسان حال المجتمع الإسلاميّ، بل يؤكّد على مبدأ الحريّة الفكرية بغضّ النظر عن شخصيّة الإنسان وانتماؤه، وهذا ما تأكّد في الرواية التي تقول إنه ((خطب أمير المؤمنين ع ذات مرّة فقال: سلوني فإنّي لا أسأل عن شيء دون العرش إلّا أجبته فيه، لا يقولها بعدي إلّا جاهل مدّع، أو كذاب مفتر، فقام رجل من جانب مجلسه وفي عنقه كتاب كأنه مصحف - وهو رجل آدم ضرب، أي: خفيف اللحم، طوال جعد الشعر كأنه من مهودة العرب، فقال رافعاً صوته لعليّ: أيها المدعي ما لا



يعلم، والمقلد ما لا يفهم، أنا السائل فأجب! فوثب إليه أصحاب الإمام من كل ناحية فهموا به، فنهروهم الإمام عليّ (عليه السلام)، وقال لهم: دعوه ولا تعجلوه؛ فالطيش لا يقوم به حجج الله، ولا به تظهر براهين الله، ثم التفت إلى الرجل وقال له: سل بكلّ لسانك وما في جوانحك فإني أجيبك، فسأله الرجل عن مسائل فأجابه الإمام، فأطرق الرجل برأسه هنيئة ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله^(١).

وروي في ذلك أيضاً: ((أن الحارث بن راشد السامي كان عدواً للإمام، فجاءه قائلاً له:

والله لا أطعت أمرك، ولا صلّيت خلفك، فلم يغضب لذلك الإمام عليّ (عليه السلام)، ولم يبطش به ولم يأمر به بالسجن أو العقوبة وإنما دعاه إلى أن يناظر، حتى يظهر أيهما على الحقّ، ويبيّن له وجه الحقّ لعلّه يتوب، فقال له الحارث أعود إليك غداً، فقبل منه الإمام فانصرف الرجل إلى قومه، ولم يعد^(٢). كل هذه الأفعال والسلوكيات التي صدرت عن الإمام عليّ (عليه السلام) إنما هي تعكس ما يسعى إليه من تحقيق الأمن الفكريّ للمجتمع والذي تقوم عليه كل إبعاد الأمن الأخرى.

رابعاً: الحثّ على الحوار والمناقشة:

الأمن الفكريّ لا يتحقّق إلاّ بالفهم والتفاهم والتبادل الفكريّ بين الأطراف المتقابلة، أو المختلفة بحسب نوع الموضوع المطروح؛ لأنّ غلق باب المناقشة والتبادل الفكريّ هو عين مصادرة الحقّ الفكريّ للآخرين، وهذا ما يخلّ بالأمن الذي يجب أن يعمّ في نفوس المجتمعات؛ لأنّ الإنسان بطبيعته يميل إلى فعل ما يفهم لا إلى ما لا يفهم، ولا سيما إذا كان يعتقد أنّ ذلك مضرّاً بمصلحته، وهذا المبدأ

(١) بحار الأنوار: ١٠/١٢٦.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢/٧١٤.



نجده قد اعتمده الإمام عليّ (ع) في كثير من المواطن المختلفة في مسيرة حياته، ومن تلك المشاهد ما قد اعترف به رجل أمام معاوية بعيداً عن دائرة سلطته (ع) وحدود حكمه وهو الحجاج بن الضمّة حينما دخل على معاوية في بداية تمرّده على الإمام فقال له: ((إني أخبرك يا أمير المؤمنين أنك تقوى على عليّ بدون ما يقوى به عليك، لأنّ معك قومًا لا يقولون إذا قلت، ولا يسألون إذا أمرت، وأنّ مع عليّ قومًا يقولون إذا قال، ويسألون إذا أمر، فقليل ممّن معك خير من كثير ممّن معه))^(١). وهذا يشير إلى الحرّية المكفولة لكلّ مستفهم أمام سلطة الإمام عليّ (ع)، وهذا ما ورد أيضًا فيما نصّ عليه في موضع آخر إذ قال: ((فلا تكفّوا عن مقالة بحقّ، أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي فوق أن أخطى، ولا آمن ذلك من فعلي، إلّا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي، فإنّما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا ربّ غيره، يملك منّا ما لا نملك من أنفسنا))^(٢). فالحوار والمناقشة أسّ من الأسس التي أكّد عليها الإمام عليّ (ع) والذي يكون بمثابة الدعوة إلى تحقيق الأمن الفكريّ والابتعاد عن لغة التعصّب والقسر والإكراه.

خامسًا: الابتعاد عن لغة التهميش:

الأمن الفكريّ يتحقّق بإثبات الوجود والاعتراف بالآخرين كيانًا وفكرًا، وهذا لا يقوم مع ترسيخ فكرة الإلغاء وعدم الاعتراف بهم أو تهميشهم؛ لأنّ ذلك يولّد تمرّدًا أو تعزيرًا لفكر تلك الأطراف، حتّى لو كان ما يحملونه من فكر خاطئ، وهذا ما يؤدّي إلى فقدان الأمن بإبعاده المختلفة؛ لأنّ كلّ شيء سيقوم على مبدأ عدم الثقة وعدم تحقيق حقوق المبادلة بين الأطراف، من ذلك نجده (ع) يقول في خطبة له

(١) نهج البلاغه: خطبه ٧٤ / ١١٠ .

(٢) أئمتنا: ٨٦ .



خطبها بين أصحابه: ((أما بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم... فالحقّ أوسع الأشياء في التواصل وأضيقتها في التنصّف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه، لقدرته على عباده، ولعدله في كلّ ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه جعل حقّه على العباد أن يُطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسّعاً بما هو من المزيد أهله. ثمّ جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تكافأً في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلّا بعض))^(١). وهذا معناه أنّه أشار إلى وجوب احترام الآخر والشعور به كحقّ في التبادل بصرف النظر عن مستوى الأطراف المتعايشة بين كيانات المجتمع، أو بين المجتمع وسلطته، وأيضاً تأكّد ذلك في قوله ﷺ: ((ولا تظنّوا بي استثقلاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظام نفسي، فإنّه من استثقل الحقّ أن يُقال له، أو العدل أن يُعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه))^(٢).

فغاية الإمام عليؑ في ترسيخ الأمن الفكريّ جوهرها الكشف عن النور الإلهيّ وبيان سموّ الدين الإسلاميّ الذي يُحقّق الانتماء إليه سعادة الإنسان على مستوى الفرد والمجتمع، فهو ﷺ في تأكّيده على الفكرة المحوريّة وهي فكرة توحيد الله سبحانه وتعالى، وكذلك التأكيد على العموميّات من أجل الابتعاد عن لغة التعصّب، ولغة التحيز، ولغة الحصر في أطار فكريّ يتحدّد بحدود شخصيّة معيّنة، من أجل الدفع بالانتماء إلى الله سبحانه وتعالى، وأيضاً نجده ﷺ يؤكّد على لغة

(١) أئمة أهل البيت ودورهم في تحصيل الرسالة الإسلامية: ٢٤٦.

(٢) نهج البلاغة: ٢/٢٠٢.



التسامح والتعامل بالودِّ والاحترام مع كلِّ الأطراف بصرف النظر عن التوجّهات والانتماءات، والابتعاد عن لغة الإكراه والقسر في التعامل وفتح الحوار بدلاً من ذلك ليكون تعزيزاً لبيان عظمة هذا المنهج الذي جاء به النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكد على احترام الوجود الفكريّ أو الإنسانيّ بشكل عام، ولا تعارض له في ذلك، وكلّ ذلك يُحقِّق الأمن الفكريّ الذي جوهره بيان عظمة هذا الدين الحنيف الذي يهدف إلى توحيد الله سبحانه وتعالى.

المبحث الثاني: الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ ومواجهة الإرهاب الفكريّ:

الحديث عن الإرهاب الفكريّ حديث عن مفهوم معاصر تمّ تناوله في كثير من المجالات التي تناقش حلّ مشكلات التعصّب، والتعدّي الفكريّ، والإلغاء والتهميش الذي يتبنّاه طرف معيّن اتّجاه طرف آخر، قبل بيان ما تعامل به الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من معاملات وأساليب مختلفة لمواجهة كعامل يخلّ بالأمن الفكريّ للمجتمع، وما يكفل سلامة تعايش أفراده ضمن الأطر الخاصّة والعامّة، لا بدّ من الوقوف على بعض تعريفات هذا النوع من الإرهاب وأسبابه ليتّضح من طريق ذلك قيمة حساسيّة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ وحزمه في معالجة هكذا خطر يواجه المجتمع .

فالإرهاب الفكريّ يُعرّف بأنّه ((بثّ مفاهيم فكرية بصورة قسريّة وإخضاع المتلقّي لمنهج معيّن بالإكراه))^(١)، وعرّف أيضاً بأنّه ((نوع من أنواع الأيديولوجية التي تؤمن بعدم احترام الرأي الآخر وتسلبه حقّه بحرية التعبير، وحرية العقيدة وهو يحجر على العقول والحرّيات ويحرم عليها التعبير عن ذاتها بحجّة أنّ هذا مخالف لثقافة أو المذهب أو عقيدة أو رأي ما يحمل الإرهاب الفكريّ مفاهيم مثل التعصّب

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين: ٣٤٧ .



والتطرّف والتكفير، ويحمل عدم احترام التراث والتاريخ والحضارة))^(١)، وممّا جاء في تعريفه أيضاً أنّه ((كل نشاط يستهدف إفساد المعتقد، أو السلوك باستخدام الوسائل والأساليب المعنويّة، يخلّ بالأمن العام))^(٢)، أو أنّه ((المغالاة في التمسك بجملة من الآراء والأفكار المخالفة للمبادئ و القيم النبيلة والعرف و التقاليد والإصرار عليها، وإقصاء آراء وأفكار الآخرين، و الحجر عليها))^(٣).

وكّل ذلك يُشير إلى أنّ مفهوم الإرهاب الفكريّ هو نوع من أنواع الفرض النابع عن التشدّد والتعصّب الفكريّ المغلوط من طرفٍ اتّجاه طرفٍ آخر، ويشير إلى الأسباب أو العوامل التي تؤدّي إلى هذا النوع من الإرهاب والتي يمكن التماسها بحسب بيان هذا المفهوم ومنها التعصّب للرأي و التفسيرات والفهم الخاطيء للنصوص والفراغ الفكريّ للمجتمع، والانحراف الدينيّ والعقائديّ، والقمع الفكريّ، وعوامل اجتماعيّة مختلفة كالبطالة والتفكّك الأسريّ وضعف التربية الصالحة والتوجيه، وأصدقاء السوء ونحوه ذلك))^(٤)، جميع هذه العوامل تشكّل تربة خصبة لنموّ أفكار هذا النوع من الإرهاب .

وبناء على فهم الإرهاب الفكريّ وأسبابه نجد الكثير من التطبيقات التي جسّدها الإمام عليّ (عليه السلام) لمواجهة هذا النوع من الانحراف المجتمعيّ، والمتمثّل بالإرهاب الفكريّ، انطلاقاً من تأكيده على حقّ الإنسان بما هو إنسان بصرف النظر عن انتمائه ومعتقده، وقد جاء في موقفه ((عندما مرّ عليه شيخ مكفوف كبير يسأل، أي يستجدي الصدقة من الناس، فانزعج الإمام (عليه السلام) من هذا المشهد وقال: ما هذا؟

(١) علي إمام المتقين: ٥ .

(٢) نهج البلاغة: ٣٦٣ .

(٣) م.ن: ٣٦٠ .

(٤) م.ن: ٣٦٣ .



ولم يقل من هذا؟ أجابه أصحابه: يا أمير المؤمنين هذا نصراني! ردّهم الإمام غاضباً بقوله: استعملتموه حتى إذا كُبر وعجز منعتموه! أنفقوا عليه من بيت المال))^(١).

هنا نجد الإمام (ع) قد عالج قضية مهمّة، وواجه فكراً إرهابياً خطراً يظهر التعامل على أساس المعتقد الديني، وعلى أساس المنفعة والقوّة والضعف، ففي الوقت الذي يتعاملون معه على أساس أنّه نصرانيّ نجده (ع) تعامل على أساس أنّه إنسان، والإنسان له قيمة ويجب أن لا يُتعامَل معه على أساس القوّة والضعف، لذا نجده تجاوز المعتقد الذي يعتقد به الرجل، وركّز على القيمة والاستعمال في محاولة منه لغرس درس قيم يظهر للجميع من طريقه حقاً في هذا الكون، وأنّ الله وهب كلّ شيء ليقوم بينهم بالعدل؛ لأنّه الأولى في العطاء مادام الإنسان يسلك في أرضه مسلماً مسالماً، ونجده (ع) حاول بفكره الإلهي أن يعلمنا أنّ السلام والأمان وعدم التعصّب يجب أن ينطلق منّا باتجاه الآخرين الذين يختلفون معنا في المعتقد والدين والأفكار، وأنّ التعامل معهم على أساس ما ينبغي التعامل به مع غيرهم.

ومن التطبيقات الأخرى التي تحمل المضمون نفسه والتي قد طبّق فيها أبسط ما يجب أن يكون عليه الفرد المسلم في آداب السفر أنّه ((شاهد في الطريق المشترك بين البصرة والكوفة رجلاً، فسأله عن وجهته، فقال: إنّهُ يقصد البصرة، وفي المقابل كان الإمام يقصد الكوفة، وبعد أن سأله الإمام عن اسمه وقبيلته تبين أنّه ليس مسلماً، بل هو ذميّ، كان الطريق مشتركاً، وحينما وصلا إلى المفترق انصرف الرجل نحو طريق البصرة ففوجئ بالإمام ينصرف معه في ذات الطريق .

فقال للإمام، ولم يكن يعرفه بعد: ألم تقل إنّك تقصد الكوفة؟

قال الإمام: بلى .

(١) تهذيب الأحكام: ٦/ ٢٩٣ .



فقال الرجل: .. ولكنّ هذا طريق البصرة.

قال الإمام: قد عرفت، ولكنّ نبيّنا أمرنا أن نُشيع أصحابنا أربعين خطوة.

فقال الرجل: وهل أصبحتُ صاحبك؟

قال الإمام: نعم، أنت صاحبي في هذا الطريق.

فسأل الإمام عن اسمه، فتبيّن له أنّه أمير المؤمنين، فأسلم على يديه وقال:

والله إنّها أخلاق الأنبياء))^(١).

فيظهر من ذلك صورة واضحة وجميلة وناصعة بأنّ فكر التقاطع والتدابير والتعصّب ليس حلاً، ولا سبيلاً في شقّ الحياة؛ لأنّ ذلك يولّد الحقد والضعينة والاختلاف السيّء بين أبناء المجتمع الواحد.

فإمام هكذا موقف وفعل من الإمام عليؑ أو الأوهام والفواصل التي وضعت والتي سُفكت من أجلها دماء بين أبناء الأمم، وبين أبناء المجتمع الواحد لا معنى لها سوى أنّه يراد منها السوء لهذه المجتمعات، ومن هنا حاول بقدر ما يمكن أن لا تشيع مثل هكذا أمور بين أبناء المجتمع، للمردود السيّء الذي أساسه الخسران والتسافل وفقدان القيمة الإنسانيّة التي تميّز بها بني آدم، وذلك ما أوضحه حينما سئل في معركة الجمل عن أهل الجمل.

قالوا: أمشركون هم يا أير المؤمنين؟

قال: من الشرك فرّوا.

قالوا: أمانفون؟

قال: إنّ المنافقين لا يذكرون الله آلاً قليلاً.

(١) أخلاقيات الإمام عليؑ أمير المؤمنين: ٥١ .



قالوا: فمن هم يا أمير المؤمنين؟

قال: (أخواننا بغوا علينا) فقاتلناهم على بغيهم. فاذكروا عني إذا لقيتموهم من بعدي أئتم طلبوا الحقّ فأخطأوا...))^(١).

فهو يريد أن يذوّب الأوهام والمسمّيات التي لا أثر لها سوى الخسران بين أبناء المجتمع الواحد وآلامه الواحدة التي أساس وجودها وقيمتها مبنيّ على نشر العدل والسلام، وهو بذلك أراد أن يقول لهم أنّه لا يُقابل كلّ من يُختلف معنا بالتكفير والشرك و النفاق، بل نحمل الطرف الآخر على أيّ محمل له أساسه أو دافعه النفسيّ الذي جعله يبغى علينا.

وهذا ما تأكّد مع ما حدث مع الخوارج أيضًا عندما كان الإمام عليّ عليه السلام، على المنبر و جاء رجل فقال: لا حكم إلّا لله، ثم أقام آخر فقال: لا حكم إلّا لله، ثم قاموا من نواحي المسجد يحكّمون الله، فأشار عليهم بيده: اجلسوا، نعم، لا حكم إلّا لله، كلمة حقّ يراد بها باطل، حكم الله أن يذكر فيكم، إلّا أن لكم عندي ثلاث خلال: ما كنتم معنا لن نمنعكم شيئًا، ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتّى تقاتلوا، ثم أخذ في خطبته))^(٢).

فهو بذلك أطفأ نار الفتنة التي أرادها أصحاب المنافع الخاصّة وأصحاب الفكر المنحرف، فهو واجه فكرًا إرهابيًا بطريقة متحصّرة مبنية على أساس أنّ الاختلاف أمر طبيعيّ ما دام لم يؤدّي إلى القتل والتعدّي، و يجب أن يكون التعامل معه بطريقة تضمن اجتنائه، فلغة القتل ولغة التهديد ولغة التعصّب المبنية على أساس الفكر والاعتقاد والانتماء لغة ليست صحيّة، و يجب أن لا تكون في مقدّمة

(١) أخلاقيات الإمام عليّ عليه السلام: ٤٤-٤٥ .

(٢) مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٣٤١ .



طرق التعامل مع الآخرين؛ لأن ذلك يخلق التعصّب المنبوذ ولا أخلاقي وهو ما تعامل به الإمام عليؑ مع أصحابه عندما كان جالساً بهم فمرت بهم امرأة جميلة، فرمقها القوم بإبصارهم فقال ﷺ: ((إنّ أبصار الفحول طوامح، وأنّ ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهلها، فإنّما هي امرأة كامرأته، فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافرًا ما افقّهه؟ فوثب القوم ليقتلوه لسبّه الإمام وتكفيره له، فمنعهم الإمام قائلاً: رويداً إنّما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب))^(١)، مريدًا بذلك أن يلغي أو يعالج فكر الانتقام الذي يثار على أساس أبسط ما يحدث بين الأطراف، ولا سيما أنّ هنالك بابًا لنبد العنف والتخاصم، ومن ذلك أوصل لهم درسه البليغ بما معناه اتركوا ما بينكم وبين الرجل من خلاف وتعاملوا معه بما يؤطرّ الحدث الآنيّ الذي حدث، وبذلك تجدونه أمّا يستحقّ الردّ أو لا يستحقّ، فهو بذلك عالج الاندفاع بالانتقام على أبسط ما يحدث.

وأنّ مفهوم الحوار والتفكّر ونشر الفكر الصحيح هو ما كان يسعى إليه، والذي يجب أن يغلب على كلّ لغات الخوف والتهديد والوعيد؛ لأنّ التعامل بها يكون تعاملًا مستمرًّا وأنّ القتل يولد القتل، ومن ثمّ تكون سلسلة من الانتقامات التي لا نهاية لها والخاسر هو المجتمع نفسه، إلا أنّ النبيّ محمد ﷺ وكذلك الإمام عليؑ لم يريدوا ذلك، وبذلك نجدهم عندما غيروا نظام المجتمع في قريش لم يدخلوا لمكّة بمدخل القوّة والقتل، بل بمدخل السلم غايه من ذلك أنّهم يريدوا تأسيس دولة لتحلّ محلّ أخرى، بل أرادوا تأسيس نظام فكريّ صحيح محلّ فكر خاطئ وكان سائدًا وهو ما جعل النبيّ يتعامل مع سادة قريش ورؤسائهم بالعفو؛ لأنّ هدفه ليس الانتقام وتغيير دولة بقدر ما يريد تغيير فكر لأنّه لو قتلهم لقبل دولة محمد تخلّصت من دولة أبي سفيان.

(١) السبيل إلى إنهاض المسلمين: ٣٤٠.



من ذلك فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يؤسس فكرًا صحيحًا حتى لا يكون مثل ذلك، وهو ما تجسّد في التعامل الحذر والدقيق ((حينما دخل المسلمون مكة كانت إحدى الرايات في يد سعد بن عبادة وهو ينادي برفيع صوته: اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحلّ الحرمة، يا معشر الأوس والخزرج، تأركم يوم الجبل، فأتى العباس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبره بمقالة سعد، فقال: ليس بما قال سعد شيء، ثم قال للإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: أدرك سعدًا فخذ الراية منه وأدخلها إدخالًا رقيقًا، فأخذ أمير المؤمنين الراية منه وأخذ ينادي برفيع صوته: اليوم يوم المرحمة، اليوم تصان الحرمة))^(١)، فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما نادى (اليوم يوم المرحمة.. اليوم تصان الحرمة) عالج الموقف معالجة آنية ليقطع بذلك شيوع فكرة الإرهاب القائم على التسلُّط والقوّة.

ومن جملة التطبيقات التي أكّدت على اجتثاث الفكر السطحيّ في التعامل مع الأمور، والحثّ على الرؤية بعمق وتحليل، والأخذ بالنوايا الصالحة في التعامل، والابتعاد عن التعامل الشكليّ المبنيّ على أسس عقلية حادّة، وهو ما حدث حينما مرّ وهو في طريقه إلى الشام على كنيسته ((وقال بعض أصحابه: نعم، كان يشرك فيها الله كثيرًا، قال: وكان يذكر الله فيها كثيرًا))^(٢)، فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ أراد أن يظهر القصد من بناء الكنيسة، إلا أن الوسيلة أو طرق الوصول إلى الله قد تكون خاطئة، وبذلك يجب حمل الآخرين على أساس كمّ المعرفة أو مقدارها لديهم ومن ذلك يكون المجال الواسع والمرن لاحتواء الآخرين وتقبّلهم والتعامل معهم .

فالإمام عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ طالما وقف أمام نموّ حالات التطرّف والحدية لدى أصحابه في التعامل مع الناس، ودأب على توجيههم للالتزام بخلق القرآن

(١) بحار الأنوار: ٢١ / ١٠٥

(٢) أصحاب الإمام أمير المؤمنين والرواية عنه: ١ / ١٠٨



الداعي إلى سعة الصدر، والانفتاح على الآخرين، وتذويب الحواجز والفواصل بين أبناء المجتمع، فهو الرجل المتسامح والعاقل والديمقراطيّ الذي مسك قصب السبق بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الدعوة إلى نبذ العنف بأشكاله كافة، وما يميّز هذه الشخصية مبادئها الثابتة في محاربة الإرهاب الفكريّ وغير المتزعزع بين مواقعه الاجتماعيّة المختلفة، فكان له دور عظيم في مواجهة ذلك، والشاهد ما تركه لنا من مشاهد ومواقف تاريخيّة مشرقة .

الخاتمة:

بعد الاستعراض التاريخيّ للخطاب الإنسانيّ الذي صدر عن شخصيّة أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في مواجهة الإرهاب الفكريّ يمكن أن نجمل أموراً منها:

١. السرعة والبديهيّة في معالجة الانحراف الفكريّ الذي صدر من أبناء المجتمع وبمواقف مختلفة كانت مهمّة ضروريّة كشفها لنا الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)، وأنّ الحزم وعدم التهاون أمام معالجة هكذا شرح، هو ما يفترض أن نكون عليه لتأسيس مجتمع متسالم وآمن.

٢. الإستراتيجيّة التي عمل بها الإمام عليّ (عليه السلام) التي أساسها التركيز على الفكرة المحوريّة، والتعامل بالعموميّات والمشاركات، وعدم التهميش للآخرين وفتح باب الحوار والمناقشة، يمكن أن يُعدّ أساساً منهجياً تُبنى عليه العلاقات المختلفة الداخليّة منها والخارجيّة والخاصّة منها والعامة، ويكون ذلك من طريق توظيفه وتقديمه كفكر سياسيّ واقتصاديّ واجتماعيّ وكمحتوى إعلاميّ وثقافيّ.

٣. أنّ مواجهة الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) للإرهاب الفكريّ بهذا فعاليّات مختلفة، يمكن أن يكون منهجاً تعليمياً تربوياً يستسقى من خلاله جيلاً إنسانياً



لمجتمع إسلامي فاضل، مؤكِّدًا أن ثقافة نبذ العنف والتهميش واحترام حقوق الإنسان تمتد جذورها وأساسها إلى الفكر الإسلامي وقد جاء في الأساليب المختلفة التي تقدّم بها شخصه في مواجهة ذلك.

٤. أن التعامل الإنسانيّ بهذا المستوى ومع كل الأطراف، وبمختلف المواقف دليل على سمو شخصيّة الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَام) وعظّمته وحقّيقته بالولاية التي ثبّتها السلوكيات المختلفة التي تنم عن مسؤوليّة كبيرة يحملها اتّجاه الأُمَّة من طريق تطبيق الفكر الإسلاميّ.

٥. دعوته المختلفة إلى نبذ أساليب الانحراف الفكريّ، والتثقيف بثقافة الاحتواء للآخرين وطرق التعامل معهم، وهي تمثّل دعوة للتوحّد أمام خطر التفرقة والانشقاقات التي تؤدّي إلى نخر جسد المجتمعات، ومن ثمّ ضعفها أمام الأخطار التي تواجهها.



المصادر

١. أخلاقيات الإمام عليؑ أمير المؤمنين، هادي المدرسي، دار القارئ للطباعة والنشر، لبنان، ط١، ٢٠١٣.
٢. أصحاب الإمام أمير المؤمنين والرواة عنه، محمد هادي الأميني، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
٣. أئمة أهل البيت ودورهم في تحصيل الرسالة الإسلامية، محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ط٤، ١٤٣٥.
٤. أئمتنا، علي محمد علي دخيل، دار المرتضى،، بيروت، ط٢، ٢٠١١.
٥. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨٣ م.
٦. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي، تح: حسن الموسوي الخرساني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٤٢ هـ.
٧. الخطاب التشكيلي العربي المعاصر في مواجهة الإرهاب الفكري، ضياء حمود محمد، مجلة نابو للبحوث والدراسات مجلد (٣٠) العدد (٣٨)، ٢٠٢٢.
٨. دور الحوار التربوي في وقاية الشباب من الإرهاب الفكري، هلال حسين فلبمان، مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني، الرياض، ط١، ١٤٢٩ هـ.
٩. السبيل إلى إنهاض المسلمين، محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط١، ٢٠٠٩.
١٠. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، جبل عامل - لبنان.
١١. الشريعة الإسلامية وأثرها في تعزيز الأمن الفكري، عبد الرحمن عبد العزيز



- السديس، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٥ .
- ١٢ . علي إمام المتقين، عبد الرحمن الشرقاوي، دار غريب للطباعة، القاهرة.
- ١٣ . الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.
- ١٤ . مدينة المعاجز - معاجز أهل البيت، السيد هاشم البحراني، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩١ .
- ١٥ . مفهوم الإرهاب الفكري في الفكر الإسلامي والعقلية الغربية، علاء شنون مطر، مجلة مركز دراسات الكوفة، المجلد (١)، العدد (٤١)، العراق، ٢٠١٦ .
- ١٦ . مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع)، محمد بن سليمان الكوفي، النهضة، ط١، ١٤١٢ .
- ١٧ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تح: دار الحديث، مطبعة دار الحديث، قم، ط١، ١٤١٦ هـ.
- ١٨ . نهج البلاغة، محمد عبده، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠١٢ .

الولاية في فكر الإمام عليّ

أ.م.د. حيدر عليّ كاظم حسين التميمي
جامعة بغداد- كلية الآداب

الملخص:

في بحثنا عن الولاية في فكر الإمام عليّ تبيّنت لنا أمور أساسية عدّة، أهمّها معرفة الإمام عليّ من حيث الأب والأم والمولد وصفاته وشجاعته وأسمائه وألقابه، وكذلك تبيّنت لنا واجبات الوالي بحسب فكر الإمام، ومنها العدل وعدم نشر الرعب بين الناس والمساواة بين الرعية وتحقيق الأمن وعدم اتّباع الشهوات، وحقوق الوالي على الرعية، ومواصفات الوالي عند الإمام، وكذلك مدح بعض الولاية من قبل الإمام ومحاسبة بعض الولاية من حيث مراقبة عمّاله وكان يهدّدهم ويحاسبهم وكذلك وصايا الإمام عليّ للولاية، ومنها عدم سفك الدماء وأن يعملون بالسنة النبوية وعدم التعجّب بالنفس وترك المنّ على الرعية وأن لا يتعجّلون في أمر ما، وكذلك صفات الوالي في فكر الإمام من الاختيار من قبل الوالي لرعيته وأن لا يوليّ من جرت عليه الخيانه والكذب، ويركّز على أن يكون من أهل الحياء والتجربة وأن يتفقد عماله .

الكلمات المفتاحية: الإمام عليّ، الولاية.



Abstract:

Our research into the concept of governors (Wulaat) in the thought of Imam Ali (PBUH) reveals several fundamental aspects. It begins by exploring the biography of Imam Ali (PBUH), including his lineage, birth, noble attributes, valor, names, and titles. Furthermore, the study elucidates the duties of a governor as defined by the Imam's philosophy, most notably upholding justice, preventing the spread of terror among the people, ensuring equality among subjects, maintaining security, and resisting personal desires. The research also addresses the rights of the governor over his subjects and the specific qualifications required for leadership. It examines the Imam's interactions with his officials, including his praise for righteous governors and his strict accountability system, through which he monitored, warned, and held his agents responsible for their conduct.

Additionally, the study highlights the Imam's primary commandments to his governors, such as prohibiting the shedding of blood, adhering to the Prophetic Sunnah, avoiding vanity, refraining from reminding subjects of favors, and avoiding haste in decision-making. Finally, the research focuses on the criteria for selecting governors, emphasizing that those known for betrayal or falsehood must be excluded. Instead, the Imam prioritized individuals characterized by integrity, modesty, and extensive experience, while emphasizing the necessity of constant administrative oversight.

Keywords: Imam Ali (PBUH), Governors (Wulaat).



المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله، أما بعدُ

فقد نزل الدين الإسلامي الحنيف في الجزيرة العربية من طريق الملك جبرائيل عليه السلام إلى النبي محمد صلى الله عليه وآله، وكانت تعاليم الدين الإسلامي واضحة في الدين والدنيا وكان أول من أسلم من الرجال في الدين الإسلامي بعد النبي هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو مازال شاباً، فكانت التعاليم التي تلقاها الإمام عليّ عليه السلام كلها إسلامية بحته بعيدة عن الجاهلية وأثرها على مجتمع الجزيرة العربية في إدارة الدولة والدين الإسلامي الحنيف، وعليه تأثر الإمام عليّ عليه السلام تأثيراً كبيراً في تلك التعاليم وأصبح الرجل الثاني في الدين الإسلامي بعد النبي صلى الله عليه وآله، فكان بحثنا هو الولاية في فكر الإمام عليّ عليه السلام، وانقسم البحث على ثلاثة مباحث، المبحث الأول هو اسم الإمام عليّ عليه السلام من حيث النسب والأب والأم، ومولده في الكعبة الشريفة وصفاته عليه السلام وأسمائه وعلمه وشجاعته وبعض الأحاديث النبوية في حقه، والمبحث الثاني تضمّن واجبات الوالي بحسب فكر الإمام عليه السلام وحقوق والوالي وكذلك مواصفات الولاية، وفيما يخصّ المبحث الثالث والأخير فقد ركّزنا على وصايا الإمام عليّ عليه السلام للولاية من النواحي الدينية والدينية في إدارة الدولة بصورة عامّة .



المبحث الأول: الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ

نسبه:

هو سيّد العرب، يعسوب المؤمنين، مولى الموحدّين، أسد الله الغالب عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١)، أبو الحسن ابن عمّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخوه، أخاه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرّتين؛ فإنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخى بين المهاجرين، ثمّ أخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعليّ في كلّ واحدة منها: ((أنت أخي في الدنيا والآخرة))^(٢)، وهو وزير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووصيّه وخليفته في أمّته، وجامع فضائله وشمائله، ووارث علمه وحكمه، وختنه على ابنته فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، وأوّل خليفة من بني هاشم، هاجر الهجرتين، ماشياً حافياً، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق وبيعة الرضوان والمشاهد كلّها، إلّا معركة تبوك، فقد خلفه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة، كان ذلك أحد مواضع قوله له: ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي))^(٣) .
أمّه:

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم جدّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بن عبد مناف بن قصي الهاشميّة القرشيّة، وأمّها فاطمة بنت قيس بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن بغيض بن

(١) ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤ / ١٠٠؛ والبداية والنهاية: ٧ / ٢٢٣ .

(٢) البداية والنهاية: ٧ / ٢٢٣ .

(٣) أسد الغابة: ٤ / ٩١ .



عامر بن لؤي^(١)، إنَّ أمَّه فاطمة بنت أسدٍ لَمَّا ضربها الطلق، جاءت متعلِّقةً بأستار الكعبة الشريفة من شدَّة المخاض، مستجيرةً بالله وَجِلَّةً، خشيةً أن يراها أحد من الذين اعتادوا الاجتماع في أمسياتهم في أروقة البيت أو في داخله، فانحازت ناحية وتوارت عن العيون خلف أستار البيت، واهنَّه مرتعشةً أضنتها آلام المخاض؛ فألصقت نفسها بجدار الكعبة، وقيل قد انشَقَّ عن ظهره، ودخلت فاطمة فيه، وغابت عن أبصار الناس وعاد إلى حاله، فراموا أن يفتح لهم قفل الباب فلم يفتح، فعلموا أنَّ ذلك من أمر الله تعالى، ثمَّ خرجت في اليوم الرابع وعلى يدها أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالبؑ^(٢).

صفته:

نشأ^(٣) مكين البنيان، شاباً وكهلاً، حافظاً لتكوينه المكين حتَّى ناهز الستين من عمره الشريف، كان قويِّ البنية، ممتلئ الجسم، كثير الشعر، ربعة في الرجال لا هو بالطويل ولا بالقصير، عريض المنكبين، له مشاش كمشاش السبع الضاري، يغلظ من أعضائه ما استغلظ من أعضاء الأسد ويدقُّ منها ما استدقَّ هذا وتدلُّ أخباره على قوَّة جسديَّة، فربَّما رفع فارساً بيده فجلد به الأرض غير جاهد، وما صارع أحداً إلاَّ وصرعه، يتكفأ في مشيته على نحو ما يقارب مشية رسول الله ﷺ، الذي جعله أسوته وقدوته منذ أن نشأ وحتَّى مات، وذكر بعضهم أنَّه كان آدم - أي أسمر - شديد الأدمة، عظيم العينين غليظ الساعدين أقرب إلى القصر من الطول، عريض اللحية^(٣).

(١) ينظر: الطبقات الكبرى: ١٧٨/٨.

(٢) ينظر: كشف الغمة في معرفة الأئمةؑ: ٦٠/١.

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى: ١٨/٣ - ١٩.



أَسْمَاؤُهُ وَأَلْقَابُهُ:

كانت كثيرة أسماؤه وألقابه عَلَيْهِ السَّلَامُ ومختلف في بعضها بين العلماء، فقال مجاهد: ((إِنَّ أُمَّهُ سَمَّتَهُ عَلِيًّا عِنْدَ وِلَادَتِهِ، وَقَالَ عَطَاءٌ: إِنَّمَا سَمَّتَهُ أُمُّهُ حَيْدِرَةَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ يَوْمَ خَيْرٍ: أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدِرَةَ، فَلَمَّا عَلَا عَلَى كَتَفِي الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَسَّرَ الْأَصْنَامَ سُمِّيَ عَلِيًّا مِنَ الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ وَالشَّرْفِ))^(١).

وعن سلمان الفارسي: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرُودًا عَلَى نَبِيِّهَا أَوْلَاهَا إِسْلَامًا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ))^(٢)، وقال أبو ذر: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أَنْتَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي، وَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ يَصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْتَ الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ، وَأَنْتَ الْفَارُوقُ تَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَأَنْتَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالِ يَعْسُوبُ الْكَافِرِينَ))^(٣)، فقد كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يصرِّح في كثير من المناسبات بذلك فيقول عن نفسه: ((أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ، وَأَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ، لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَاذِبٌ مَفْتَرٌ، وَلَقَدْ صَلَّيْتُ قَبْلَ النَّاسِ سَبْعَ سِنِينَ))^(٤)، ويقول عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((أَنَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ، آمَنْتَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمِنَ أَبُو بَكْرٍ))^(٥).

المبحث الثاني: واجبات الوالي بحسب فكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ

ومن إحدى وصايا الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لواليه قوله: ((وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ

(١) تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة: ٤.

(٢) أسد الغابة: ١٠٣/٤.

(٣) إعلام الوری بأعلام الهدی: ١/٣٦٠.

(٤) سنن ابن ماجه: ١/٤٤-١٢٠.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ١/٦٢-٦٣.



يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ))^(١)، نلاحظ أنّ الإمام حثّه على منهج الوسطية في الإدارة، إذ أشار ابن أبي الحديد إلى ((أنّ الإمام عرفه بقانون الإمارة والاجتهاد في رضا العامة، فإنّه لا مبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة، فأما إذا سخطت العامة لم ينفعه رضا الخاصة وذلك مثل أن يكون في البلد عشرة أو عشرون من أغنيائه وذوي الثروة من أهله، يلازمون الوالي ويخدمونه ويسامرونه، وقد صار كالصديق لهم فإنّ هؤلاء ومن ضارهم من حواشي الوالي وأرباب الشفاعات والقربات عنده لا يغنون عنه شيئاً عند تنكّر العامة له وكذلك لا يضرّ سخط هؤلاء إذا رضيت العامة؛ وذلك لأنّ هؤلاء عنهم غنى ولهم بدل، والعامة لا غنى عنهم ولا بدل منهم، ولأنّهم إذا شغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب فلا يقاومه أحد، وليس الخاصة كذلك))^(٢)، وهنا الإمام يركّز على أمر مهم وهو إرضاء الناس كافّة وليس إرضاء أهل بيت الوالي والمقرّبين منه فقط ويذكره أنّه واجبه وليس أنّه صاحب الفضل على الناس بل العكس من ذلك .

واجبات الوالي في ضوء فكر الإمامؑ:

١- العدل بين الناس بعيداً عن الهوى، قال ﷺ في ذلك: ((فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل، فليكن أمر الناس عندك في الحقّ سواءً، فإنّه ليس في الجور عوض من العدل، فاجتنب ما تُنكر أمثاله، وابتدل نفسك فيما افترض الله عليك، راجياً ثوابه، ومتخوفاً عقابه))^(٣)، وقوله (إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل) قول صدق؛ لأنّه إذا لم يكن الخصمان عند الوالي سواءً في الحقّ جار

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧/٣-٤ .

(٢) م.ن: ٢٨/٣ .

(٣) م.ن: ١٠٤/٣ .



وظلم^(١)، ((وفي العدل كلَّ العوض من الجور))^(٢)، يذكر الإمام عليه السلام أنه من واجبات الوالي أن يُرضي الله سبحانه وتعالى ولا يطغى في معاملة الناس، ولا يشغل منصبه لأغراضه الشخصية .

ثم يتابع الإمام عليه السلام ((الصَّقُ بَدَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبَيْوَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاخَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ))^(٣)، وهنا يركّز الإمام عليه السلام على الوالي أن يتقرّب من الناس التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

٢- أن لا يجعل الرعب والخوف في قلوبهم، قال: ((وَاحْلُلْ عُقْدَةَ الْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ))^(٤)، فلا تخوّف الناس من الأمور التي ممكن أن تحدث.

٣- على الوالي أن يميل للعمامة دون الخاصة، إذ قال الإمام عليه السلام ((وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَنْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَرْوَنَةَ فِي الرَّخَاءِ، وَأَقْلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقْلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْأَعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُدْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مِلِمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْإِعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمِثْلَكَ مَعَهُمْ))^(٥)، ليس شيء أقل نفعاً ولا أكثر ضرراً على الوالي من خواصه أيام الولاية؛ لأنهم يثقلون عليه بالحاجات، والمسائل والشفاعات، فإذا عُزل هجره ورفضوه حتى لو لقوه في الطريق لم

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٤ / ٣ .

(٢) م. ن: ١٠٤ / ٣ .

(٣) م. ن: ٣٩ / ٣ .

(٤) م. ن: ٤١١ / ٣ .

(٥) م. ن: ٢٨ / ٣ .



يسلموا عليه^(١)، ويركز الإمام عليؑ على الوالي أن يتقرب للناس والعامّة ولا يجب أحداً عليه، ويسمع كلام الناس سواء سلباً أو إيجاباً؛ لأنّ ذلك هو واجبه أمام الله سبحانه وتعالى وأمام الخليفة، والإمام عليؑ يذكر بقوله: ((وَأَعْلَمُ أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ بَلِيَّةٌ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا قَطُّ فِيهَا سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرَعَتْهُ عَلَيْهِ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ أَبَدًا، وَمِنَ الْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ، وَالْاِحْتِسَابُ عَلَى الرَّعِيَّةِ بِجُهِدِكَ، فَإِنَّ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَصِلُ بِكَ))^(٢)، أمّا قوله: ((فإنّ الذي يصل إليك من ثواب الاحتساب على الرعيّة، وحفظ نفسك من مظالمهم والحيث عليهم أفضل من الذي يصل بك من حراسة دمائهم وأعراضهم وأموالهم ولا شبهة في ذلك لأنّ إحدى المنفعتين دائمة))^(٣)، ويؤكد الإمام عليؑ على الوالي أن يذكر الله سبحانه وتعالى في معاملة الناس وأن يجعل مخافة الله سبحانه وتعالى نصب عينيه في التعامل مع الناس ويذكره أنّ الدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فمن يعمل الخير يجده ومن يعمل الشرّ يجده، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

٤- يجب على الوالي أن يشعر الرعيّة بالأمن ويحقق أمانهم وأن يعفو عن أخطائهم مثل ما يحبّ أن يصفح عنه الله، قال: ((وَأَشْعُرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلُّ، وَتَعْرِضُ لَهُمْ الْعِلْلُ، يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/٣ .

(٢) م.ن: ١٠٤/٣ .

(٣) م.ن: ١٠٥/٣ .



وَلَاكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ))^(١)، ويذكر الإمام عليه السلام الوالي أن يكون معهم بالسراء والضراء ويكون معهم رحيمًا، فإن الرحمة من سمات الدين الإسلامي وأن لا يكون عليهم ذنبًا، وأثمهم وإن كانوا مسلمين فإنهم أهلك في الدين، وإن كانوا غير ذلك فإنهم نظير لك بالخلق، وكان الإمام عليه السلام يذكره بالآية القرآنية ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

٥ - قال عليه السلام: ((وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ))^(٢)، وحذر الإمام عليه السلام من أتباع الشهوات من ملذات الدنيا والمعاصي في سبيل إرضاء رغبته على الحق؛ فإنه هالك في الدنيا والآخرة من يفعل ذلك.

هذا ما أكده الإمام عليه السلام ثم قال: ((إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً، فِيهِمْ اسْتِثْنَاءٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةٌ إِنْصَافٌ فَاحْسِبْ مَادَّةَ أَوْلِيكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ، وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَتِكَ قَطِيعَةً، وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شَرْبِ أَوْ عَمَلِ مُشْتَرَكٍ، يَحْمِلُونَ مَوْوَنَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونُ مَهْنَأٌ ذَلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))^(٣)، إذ نهى الإمام عليه السلام أن يحمل أقاربه وحاشيته وخواصه على رقاب الناس، وأن يمكنهم من الاستئثار عليهم والتطاول والإذلال، ونهاه عن أن يقطع أحدًا منهم قطيعة أو يملكه ضيعه تضر بمن يجاورها من السادة والدهاقين، أو ضياع يضيفونها إلى ما ملكهم إياه وإعفاءهم من

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦/٣ .

(٢) م. ن: ٧٩/٣ .

(٣) م. ن: ٧٠/٣ .



مؤونه، أو حفر وغيره، فيعفيهم الولاة منه مراقبة لهم، فيكون مؤونة ذلك الواجب عليهم قد اسقطت عنهم، وحمل ثقلها على غيرهم^(١).

حقوق الوالي:

بعد أن تمت معرفة حقوق الرعية على الوالي فهناك حق الوالي على الرعية حتى تكون العدالة في خدمة الصالح العام فليس من الطبيعي أن يكون الحق على الوالي دون الرعية فهناك حقوق متبادلة بين الاثنين حتى يكون الأمر مستقرًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا في الولاية، وبذلك تتم الولاية الإسلامية وفق الدين الإسلامي الحنيف، يقول الإمام عليؑ: ((ثُمَّ جَعَلَ - سُبْحَانَهُ - مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ فَجَعَلَهَا تَكَافُؤًا فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِكُلِّ عَلَى كُلِّ فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأَلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ وَقُوَامًا لِسُنَنِ الْحَقِّ فِيهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا آدَتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَسَّتَ مَطَامِعُ الْأَعْدَاءِ))^(٢). الولاية أي المصدر المسؤول منها ذلك الوالي فيها العديد من الناس منهم العرب والروم والفرس وغيرهم من القوميات والديانات الأخرى وكذلك الغني والفقير وبخصوص ذلك يقول الإمام عليؑ: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ، وَمِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ،

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٠ / ٣.

(٢) م: ٦٨ / ٣.



وَمِنْهَا عُمَالُ الْإِنصَافِ وَالرَّفْقِ)) (١)، نجد الإمام في كل مرة يذكر الوالي بالرفق مع الرعية وأن يعلم ما يحدث ويجعل الحق والعدل هو أساس الفصل بين الأطراف في الولاية، ويجب أن يعلم ويسمع كل الأطراف فيقول عليه السلام: ((وَأِنَّمَا الْوَالِي بِشَرِّ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ)) (٢)، ويؤكد عليه السلام على الوالي أن يكون فطناً في تفكيره مع الرعية، ويذكر عليه السلام أيضاً: ((وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالْيَهَاءُ، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الْأَدْعَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعَمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِلَّتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلَا يَسْتَوْحِشُ لِعَظِيمِ حَقِّ عَطَلٍ، وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلِ فِعْلٍ)) (٣)، وفي حال حدوث ذلك فإن الطرفين الوالي والرعية (الناس) قد ظلموا بعضهم بعضاً، وبذلك تكون النتيجة سلبية بصورة عامة على الجميع .

مواصفات الوالي عنده الإمام عليه السلام:

١- أن لا يغضب وأن يصبر، قالك: ((سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يَبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ)) (٤)، من صفات الوالي عنده الإمام هو أن الوالي يستقبل الناس بوجه حسن وأن يكون مجلسه آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، ويحذره من الغضب فإن الغضب من طيرة الشيطان الذي بدوره يقربه من النار.

٢- عدم إحداث بدعة: قال عليه السلام: ((لَا تُحَدِّثَنَّ سُنَّةً تُضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِيِ تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونُ الْأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا)) (٥) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٠/٣ .

(٢) م.ن: ٦٩/٣ .

(٣) م.ن: ٤٥/٣ .

(٤) م.ن: ٦٣/٣ .

(٥) م.ن: ٤٣/٣ .



٣- ولا تبدل سنة مكان سنة أخرى فإن إثمها عليك، قال: ((وَلَا تَنْقُضَ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمَلٍ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ))^(١)، وليس يخرج الوالي من حقيقة ما ألزمه الله تعالى من ذلك، إلا بالاهتمام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق والصبر عليه فيها خفّ عليه أو ثقل^(٢).

٤- على الوالي أن لا يطيل الاحتجاب^(٣) عن الناس، إذ أوصى من يتولى هذا المنصب قائلاً: ((وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا، فَلَا تُطَوَّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الصَّيْقِ، وَقِلَّةٌ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالْاِحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصُّدُقِ مِنَ الْكُذِبِ))^(٤)، فيحذر الإمام عليه السلام الوالي الذي يستعمل الحجاب من طول احتجاب الناس عنده والدخول عليه؛ فإنه أمر غير صحيح وغير صالح وأن الرعية يكبر عنهم الصغير ويصغر عندهم الكبير، ثم إن الوالي بشر ولا يعلم الغيب ولا يعلم ما أتى به الرعية من أخبار أو مقترحات وما شابه ذلك.

٥- على الوالي أن يتفقد أعمال الجند ولا يقعد عنهم، قال عليه السلام: ((وَتَقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرْطِكَ))^(٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٤ / ٣ .

(٢) م. ن: ٤٦ / ٣ .

(٣) م. ن: ٩٠ / ١٧ .

(٤) م. ن: ٧٧ / ٣ .

(٥) م. ن: ٧٠ / ٣ .



٦- على الوالي أن يتواضع للرعيّة، قال: ((وَإخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَأَبْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَأَسِرْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالْإِشَارَةَ وَالتَّحِيَّةَ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يِيَّأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ))^(١)، وعلى الوالي أن يستقبل الرعية بإحسان الوجه بصورة عامة، وأن يواسي بينهم باللحظة والنظرة والإشارة والتحية، وذلك حتى لا يطمع العظماء من سكان الولاية في حيفك وأن لا يأس ضعفاء الناس من سكان الولاية في عدلك.

الإمام (ع) يمدح بعض الولاة:

يقول (ع): ((أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ وَفَرْتَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ وَأَطَعْتَ رَبَّكَ وَنَصَحْتَ إِمَامَكَ فَعَلَ الْمُنْتَزَهُ الْعَفِيفُ، فَقَدْ حَمَدْتَ أَثْرَكَ وَرَضِيْتَ إِمَامَكَ))^(٢)، لم يكن شيء يخفى عن الإمام (ع) في إدارة الدولة، وقد مدح وشجّع بعض الولاة على الولاية فيقول: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجَلَانَ الزُّرْقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ، بِلَا دَمٍ لَكَ، وَلَا تَثْرِبَ عَلَيْكَ، فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَيْنٍ، وَلَا مَلُومٍ، وَلَا مَثْمَمٍ، وَلَا مَأْثُومٍ، فَقَدْ أَرَدْتُ الْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِيَ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ، وَإِقَامَةِ عَمُودِ الدِّينِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ))^(٣)، وهنا الإمام يعمل بالآية الكريمة ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٣]، وهو أنه لا يبخس حق الولاة خاصة الذين أثبتوا إيمانهم الفعلي في إدارة الدولة في فكر الإمام علي (ع)، ويبدو أن الإمام (ع) أراد هذا الوالي لحسن إيمانه وصلابته عقيدته الدينية الإسلامية.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢ / ٤ .

(٢) أنساب الأشراف: ٣٩٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٨ / ٤ .



محاسبة الولاية:

كان الإمام عليؑ يتابع عن كثب أخبار ولاته ويتتبع أخبارهم وسيرهم مع الناس ويؤكد على الوالي أن يتابع عماله بأرض السواد؛ وذلك من أجل رفع الظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيقول: ((أما بعد، فاستخلف على عملي وأخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض السواد كورة كورة فسألهم عن عمالهم وتنظر في سيرتهم))^(١).

ولم يكتف بذلك الإمام عليؑ بل إنه يؤكد ذلك مراراً قال: ((ثُمَّ تَقَدَّ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السَّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُوءٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ))^(٢)، وفي مراقبة العمال والولاية والتابعين للإمام عليؑ نجد الإمام لم يترك شيئاً من دون نصيحة، وأنه نظر إلى الأمر من كل الجوانب سواء من جانب الوالي أم من جانب الرعية، ويؤكد على الوالي أن عليه أن يتبع الطريق السوي وأن يستعمل الغلظة والشدّة واللين حسب الموقف، ولا يكون فظاً شديد القلب وكأنه يذكره بالآية القرآنية: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال أيضاً: ((أما بعد، فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة، واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يقصوا ويحفظوا لعهدهم، فالبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدّة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء، إن شاء الله))^(٣).

(١) الخراج: ٧٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧٨ / ٤.

(٣) م: ١٠٩ / ٣.



وقال أيضاً: ((أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّكَ مَنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَحْوَةَ الْأَثِيمِ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ، وَاخْلَطِ الشَّدَّةَ بِضَعْفِ مَنْ اللَّيْنِ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرَّفْقُ أَرْفَقَ، وَاعْتَزِمِ بِالشَّدَّةِ حِينَ لَا تُغْنِي عَنْكَ إِلَّا الشَّدَّةُ، وَاخْفِضِ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ، وَابْسِطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَأَسْبِئْهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، وَالْإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ، وَلَا يَبْتَاسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ، وَالسَّلَامُ)) (١).

لم تكن سياسة الإمام مقتصرة على عماله وولاته من غير أقربائه فحسب فهنا نجد أنه يرسل كتاباً إلى ابن عمه عبدالله بن العباس قال فيه: ((فَارْبَعُ أَبَا الْعَبَّاسِ، رَحِمَكَ اللَّهُ، فِيمَا جَرَى عَلَى يَدِكَ وَلِسَانِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ! فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذَلِكَ، كُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ، وَالسَّلَامُ)) (٢).

ومع ذلك نجد أنه يحذر بعض عماله في حال أنه أساء التصرف في الولاية فيقول: ((وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ قَسَمًا صَادِقًا، لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، لِأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدْعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ^(٣) ثَقِيلَ الظَّهْرِ، ضَعِيلَ الْأَمْرِ، وَالسَّلَامُ)) (٤)، وهذا يدل على أن الإمام لم ينس شيئاً ولم يكن غافلاً عما يدور في الخلافة الإسلامية، ويقول أيضاً: ((وَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ، مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ، وَلَا ظَفِرًا مِنِّي بِإِرَادَةٍ، حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا، وَأَزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا)) (٥).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥١٢/٣.

(٢) م. ن: ٤٠١/٣.

(٣) الوفير: المال التام، يقال وفرت كذا تمتع وكملته، الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: ٥٤٣.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٨/٣.

(٥) م. ن: ١٩٠/٣.



لم يترك الإمامؑ حجة على الوالي في كل سبيل الولاية، فهنا يحذر من الإسراف ويعمل بالآية الكريمة ﴿وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]، قال: ((فَدَعَ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا، وَادُّكَّرَ فِي الْيَوْمِ غَدًا، وَأَمْسِكَ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضُرِّ وَرَتِكَ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ لِيَوْمٍ حَاجَتِكَ أَتْرَجُو أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ))^(١)، وفي خصوص ذلك يذكر الإمامؑ الوالي أن عليك الإنفاق في اليسير ولا تبذر واحفظ أموال اليوم الوفير إلى اليوم العسير، فيما جاء في كتاب آخر قولهؑ: ((أَمَّا بَعْدُ؛ فَاحْمِلْ مَا قَبْلَكَ مِنْ مَالِ اللَّهِ؛ فَإِنَّهُ فِيءٌ لِلْمُسْلِمِينَ، لَسْتَ بِأَوْفَرَ حَظًّا فِيهِ مِنْ رَجُلٍ فِيهِمْ، وَلَا تَحْسَبَنَّ يَا بَنَ أُمَّ قُدَامَةَ أَنْ مَالَ كَسَكَرَ^(٢) مُبَاحٌ لَكَ كَمَالٍ وَرِثَتُهُ عَنْ أَبِيكَ وَأُمَّكَ، فَعَجِّلْ حَمْلَهُ، وَأَعَجِّلْ فِي الْإِقْبَالِ إِلَيْنَا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ))^(٣).

وفي حال أسرف ذلك الوالي في حق أموال المسلمين نجد الإمامؑ يرسل إليه قائلاً: ((بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلَهَكَ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ: أَنَّكَ تَقْسِمُ فِيءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخِيُولُهُمْ، وَأَرِيقتَ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنْ اعْتَمَاكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ، لِيَنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَانًا، وَلَتَخْفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا، فَلَا تَسْتَهِنَنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلَا تُصَلِّحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا))^(٤).

ويذكره بأن مال المسلمين هذا ليس من حق أحد غيرهم، وأنه ليس مالك

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩٠/٣.

(٢) كسكر: عامل الزرع وهي كورة واسعة ينسب إليها الفراريج العسكرية لأنها تكثر بها جدًا، وقصبتها اليوم واسط التي بين الكوفة والبصرة، الحموي، معجم البلدان: ٤٦١/٤.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢٦/٣.

(٤) م.ن: ٤٥٥/٣.



الخاص بك ورثته من أبيك أو أمك حتى يكون لك الحق في التصرف به، وكذلك يحذّر الإمام عليه السلام بعض ولاته في التصرف في مال المسلمين حسب هواه؛ فإنه يُغضب الله سبحانه وتعالى ويُغضب خليفة المسلمين، قال: ((أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ عَرَّيَ مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُفِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ أَنْقِيادًا، وَلَا تَبْقِي لِأَخْرَتِكَ عَتَادًا، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ أَخْرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا، لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَعْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَتِهِ. فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ))^(١)، ومن هنا يتضح قول الإمام عليه السلام بحق هذا الوالي فإنه يذكره ببر أبيه وأن الإمام كان يأمل أن يكون مثل أبيه، ويحذّره من زينته الدنيا وزهوتها ويذكره بالآخرة وأنه ليس عليه أن يُقرب أهل بيته ويترك رعيّة الولاية، وأنه ليس محلّ أمانه وعليه استدعاه الإمام عليه السلام.

وفي حال خيانه يذكر الإمام عليه السلام: ((وَإِنْ أَعْظَمَ الْخِيَانَةَ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ، وَأَفْظَعَ الْغُشِّ غُشُّ الْأُمَّةِ... وَعِنْدَكَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَمِائَةَ أَلْفٍ فَأَبْعَثْ بِهَا إِلَى سَاعَةِ يَأْتِيكَ سُورِي، وَإِلَّا فَأَقْبِلْ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي، فَإِنِّي قَدْ قَدِمْتُ رَسُولِي إِلَيْكَ إِلَّا يَدْعُكَ أَنْ تَقِيمَ سَاعَةً وَاحِدَةً بَعْدَ قَدُومِهِ عَلَيْكَ إِلَّا إِنْ تَبَعْتَ بِالْمَالِ وَالسَّلَامِ عَلَيْكَ))^(٢)، يذكره الإمام عليه السلام أن أعظم خيانة هي خيانة الأمة الإسلامية وغيثها.

ويؤكّد الإمام عليه السلام على عدم إهمال الخائن ولا التهاون معه ولو بوقت يسير بقوله: ((فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٤٢/٣ .

(٢) م.ن: ١٤٠/٣ .



اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة^(١).

كان الإمامؑ يُراقب عماله ويهددهم بالعقوبة بقوله: ((أما بعد، فقد بلغني عنك أمر، إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك، بلغني أنك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فأزفع إليّ حسابك، وأعلم أنّ حساب الله أعظم من حساب الناس، والسلام))^(٢).

هنا يركّز الإمامؑ على الوالي بأن أخذه أموال الناس والأراضي معصية لله وأمانته، وأنه سيعاقب من الله سبحانه وتعالى أكثر من عقاب غيره من الناس؛ فينصه بالرجوع إلى الرشد وكف اليد عما هو به .

المبحث الثالث: وصايا الإمامؑ للوالي:

كان الإمامؑ حريصاً على أن يكون الوالي من أهل التقوى والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان كثير الوصايا للولاية الذين يمثلونه في ذلك المصر، ومن أهم وصايا الإمام ما يأتي:

١ - عدم سفك الدماء:

قال: ((إياك والدماء وسفكها بغير حِلِّها، فإنه ليس شيءٌ أَدعى لِنِقْمَةٍ، ولا أعظم لِنِبْعَةٍ، ولا أحرى بزوال نِعْمَةٍ، وانقطاع مُدَّة، من سفك الدماء بغير حَقِّها، والله سبحانه مُبتدئٌ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تُقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يُضعفه ويوهنه، بل يُزيله وينقله، ولا عُدْرَ لك عند الله ولا عندي في قتل العمد، لأن فيه قودَ البدن، وإن ابتليت بخطأ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٣/٣ .

(٢) م. ن. ٣/٤٤٣ .



وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ [أَوْ سَيْفُكَ] أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ، فَإِنَّ فِي الْوَكُزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ)) (١).

وهنا يذكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ للوالي بالآية القرآنية ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وأكد الإمام على الوالي أن لا يسفك الدماء بالظن أو الغفلة أو ماشابه ذلك إلا بالحق، فإن سفك الدماء يُذهب رحمة الله، فالإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ يحذّر الوالي من سفك الدماء بغير وجه، ثم يقول ما من شيء أصعب منه ومن تبعاته، وإن فعل ذلك في سبيل تقوية سلطانه فإن الأمور ستؤول إلى ضعف سلطانه لا بل وإزالته عنه، ((وكلام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يدل على أن المؤدّب من الولاة إذا تلف تحت يده إنسان في التأديب فعليه الديّة)) (٢).

٢- يتذكّر من كان قبله من السّنة:

قال: ((وَالْوَالِجُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ، مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ بِمَا عَمَلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَاهَدْتَ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هَذَا، وَاسْتَوْتَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلَا تُكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسْرُعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا)) (٣)، كان الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ربيب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكلّ الأحكام والمعارف التي يمتلكها الإمام هي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي نقلها له الملك جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الله عزّ وجلّ، وبدوره أراد الإمام أن ينقل تلك الأحكام الإسلامية إلى ولاته في أرجاء الخلافة الإسلامية، فيجب على الوالي أن يكون من سبقه من الصالحين مثلاً له وأن يعمل بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأن لا يخرج منها وفي حال اجتهاده لشيء ما فعليه أن يكون ذلك الاجتهاد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٢/٣.

(٢) م. ن: ٩٧/٣.

(٣) م. ن: ١٠٦/٣.



لا يغير سنة ولا يُحدث أمراً، وأن يجتهد ضمن حدوده وأن يحدث أثراً إيجابياً في الولاية.

٣- ترك العُجب وحبّ المديح والإطراء:

قال: ((وَأَيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثَّقَّةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثِقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ))^(١)، لم يترك الإمامؑ شيئاً إلا ونصح به الوالي، وهنا يقول للوالي إِيَّاكَ أَنْ تَعْجَبَ بِنَفْسِكَ وَكَأَنَّهُ يَذْكُرُهُ بِالْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]؛ لأنَّ الإعجاب بالنفس قد يُعطي فرصة للشيطان أن يدخل عليه من تلك النافذه، ومن ثمَّ يكون على خطأ تام .

٤- ترك المنّ على الرعيّة وإلزام الوالي بوعوده لرعيته:

قال: ((وَأَيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوِ التَّزْيِيدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ نَعِدَهُمْ فَتُبْعَ مَوْعِدِكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفُ يُوجِبُ الْمَقْتَّ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ))^(٢)، ومع ذلك كان الإمام حريصاً على الولاية فهنا يحذّر الوالي من أن يفتخر بجميل عمله لأهل الولاية، بل إنّه عمل ذلك الجميل لأهل الولاية بوصفه واجباً عليه، وبالوقت نفسه يحذّره من أن يوعده ويخلف وعده قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩١]، ويقولؑ: ((المسؤول حرّ حتى يُعَدَّ))^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٤/٣ .

(٢) م. ن: ١٠٢/٣ .

(٣) م. ن: ٢٤٣/٣ .



٥- لا يتعجل بالأمور ولا يتهاون:

قال: ((وَيَاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوْ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ امْتِكَانِهَا، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ، أَوْ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعُ كُلِّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ))^(١)، ومن خلال الوصية يركّز الإمام عليّ الوالي بأن لا يستعجل في أمر هام أو يتثاقل في أمر هام، وأن يضع الأمور في نصابها ولكل أمر يفعلها يجب أن يكون في محله.

صفات الوالي في فكر الإمام:

جاء اهتمام الإمام (ع) بفئة العمّال كونهم عماد الدولة وسند الحاكم في رعيته، وقد حدّد الإمام (ع) الصفات التي ينبغي توافرها في شخص العامل ومن ثم تقديم التوجيهات الإدراية ليتسنى له القيام بها.

١. كان أول ما أشار إليه (ع) هو الاختبار: ((ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا))^(٢).

٢. أن لا يوليهم هذا المنصب على أساس محبة بينه وبين العامل فيما يذكر السبب في ذلك لأنهم شعب خليط جرت عليه الخيانة والجور: ((وَلَا تُؤَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعْبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ...))^(٣).

٣. ثم يؤكّد (ع) اختيار أهل التجربة والحياء كونهم يمتازون بصفات غيرهم عن غيرهم، قال: ((وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا، وَأَصْحَحُ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠١/٣.

(٢) م. ن: ٦٥/٣.

(٣) م. ن: ٦١/٣.



إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا...))^(١)، في حين يشير الإمامؑ إلى عدم تأخير الوالي أو (الحاكم) العطاء لهم لأن ذلك يشجعهم على العمل من جهة ولم يطمعوا بما لديهم من أموال الرعية من جهة أخرى، قال: ((ثُمَّ أَسْبَغُ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ))^(٢).

٤. إنجاز العمل اليومي، يقولؑ: ((وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ))^(٣)؛ لأن الاهتمام بالوقت يساعد في إنجاز المشاريع ويأتي بنتائج مرضية.

ويتابع الإمام بما يجب على العامل فعله: ((وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ))^(٤).

فيما أشار الإمامؑ إلى مراقبة البيع في الأسواق فقال: ((وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ مَهِيكَ إِيَّاهُ فَنَكَّلْ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ))^(٥). وفي ذلك يقول ابن أبي الحديد يقصد الإمامؑ: ((قد يكون في كثير منهم نوع من الشح والبخل فيدعوهم ذلك إلى الاحتكار في الأقوات، والحيث في البياعات والاحتكار ابتياع الغلات في أيام خصّها وإدخارها في المخازن إلى أيام الغلاء والقحط))^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٠/٣.

(٢) م. ن: ٧٠/٣.

(٣) م. ن: ٧١/٣.

(٤) م. ن: ٤٩/٣.

(٥) م. ن: ٨٣/٣.

(٦) م. ن: ٨٣/٣.



قائمة المصادر:

* القرآن الكريم.

١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر القرطبي (٤٦٣هـ) تح: علي محمد البجاوي، مكتبة النهضة، القاهرة، ١٩٦٠ م.
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير (٦٣٠هـ)، دار صادر بيروت، (د.ت).
٣. إعلام الوری بأعلام الهدی، الشيخ الطبرسي، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤١٧هـ.
٤. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (٢٧٩هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (د.ت).
٥. البداية والنهاية، ابن كثير (٧٧٤هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر الطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، ١٩٩٩ م.
٦. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تح: محمد أبو الفضل، دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٩١٩ م.
٧. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن يعقوب بن واضح اليعقوبي (٢٩٢هـ)، تح: خليل منصور، دار الكتب العربية، بيروت، ١٩٩٩ م.
٨. تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن الشافعي ابن عساكر (٥٧١هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.
٩. تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، سبط ابن الجوزي (٦٥٤هـ)، تح: خالد عبد الغني محفوظ، منشورات محمد علي يوسف، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).



١٠. الخراج، يعقوب بن إبراهيم (١٨٢هـ)، تح: محمود الباجي، دار بو سلامة، تونس، ١٩٨٤م.
١١. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ)، حققه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
١٢. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
١٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت).
١٤. كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، الإريلي (ت ٦٩٢هـ)، تح: علي آل كوثر، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، دار التعارف، بيروت، ٢٠١٢م.
١٥. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تح: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
١٦. مناقب الإمام عليؑ، ابن المغازلي، طبعة حيدر آباد، الهند.
١٧. ينابيع المودة، الشبلنجي، طبعة استانبول.

أثر أمير المؤمنين عليه السلام القرآني في التخصصات العلمية (الجبـال أنموذجاً)

أ.م. د رعد جلال فتحي العطار

جامعة كركوك - كلية الآداب - قسم الجغرافية التطبيقية

الملخص:

وصف الله سبحانه وتعالى الجبال في كتابه العزيز شكلاً ووظيفة في آيات متعددة، مبيّناً شأنها في الخلق ووظيفتها، وكان أمير المؤمنين عليه السلام له أثر في شرحه الجبال بخطبه في نهج البلاغة و بصورة علمية مذهلة، على سمّت ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف عن دور الجبال في توازن الأرض، ويبيّن أيضاً الإمام عليه السلام الحقيقة العلمية في تشكّل الجبال بعد أن سكن الماء الحامل للأرض وأحاطها من جميع أطرافها، وقد تثبت الحقيقة في كلام الإمام عليه السلام اليوم من الناحية العلمية من جهات عديدة، وهذا مادّلت عليه النظريات الحديثة في تكوين المظاهر الجيومورفولوجية والجيولوجية كنظرية حركة الصفائح بأنّ الجبال في أصولها مرتبطة مع بعضها كالدرع المحكم، تحفظ الكرة الأرضية أمام الضغوط الناشئة من الحرارة الداخلية التي تتفجّر منها البراكين، كذلك العلم الحديث اكتشف أنّ الجبال تتركّب في الأرض بشكل الأوتاد توازي بشكلها الغطاء النباتي وما تخزنه من مياه، وهذا البحث سيلقي الضوء على ما قاله أمير المؤمنين بهذا الموضوع.

الكلمات المفتاحية: أمير المؤمنين عليه السلام، التخصصات العلمية، الجبال.



Abstract:

Allah, the Almighty, described mountains in the Holy Qur'an—both in form and function—across various verses, highlighting their creation and purpose. Commander of the Faithful, Imam Ali (pbuH), further elaborated on the nature of mountains in his sermons within Nahj al-Balagha with astonishing scientific precision. His descriptions align with the Holy Qur'an and Prophetic traditions regarding the role of mountains in Earth's equilibrium.

The Imam (pbuH) also explained the scientific reality of mountain formation after the receding of the waters that once encompassed the Earth. Today, the Imam's words are scientifically validated through various lenses, including modern theories on geomorphological and geological features. For instance, the Tectonic Plate Theory confirms that mountains are interconnected at their roots like a solid shield, protecting the Earth from pressures arising from internal heat and volcanic activity. Furthermore, modern science has discovered that mountains are embedded in the Earth like pegs (wedges), mirroring the structure of vegetation and acting as reservoirs for water. This research sheds light on the profound insights of the Commander of the Faithful regarding this subject.

Keywords: Commander of the Faithful (Amir al-Mu'minin), Scientific Disciplines, Mountains.



المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين
سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

لقد تحدّث القرآن الكريم هذا الكتاب المعجز والخالد في آيات عديدة عن
المظاهر الطبيعية الجيومورفولوجية التي تكوّنت بلغة التأكيد وبمناسبات عدّة -
والجبال كانت أنموذجاً من هذه المظاهر العظيمة، ومن خلال التمعّن والتدبّر في
القرآن الكريم، نجد فيه قضايا علمية تبهر العقول، فالقرآن الكريم يُخاطب الإنسانية
والعقل البشري، لكي يصل الإنسان بعقله وروحه إلى أقصى درجات الكمال في فهم
الآيات الإلهية التي تحدّثت عن الكون وصابغته، يقول سبحانه وتعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ
آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمَنَّ بِنَاءَهُ
بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٧-٨٨].

تعريف الجبال:

إنّ جميع التعريفات الحالية للجبال تنحصر في الشكل الخارجي لهذه
التضاريس، من دون الإشارة لامتداداتها تحت السطح، والتي ثبت أخيراً أنّها تزيد
على الارتفاع الظاهر بعدّة مرّات، ويُعرّف الجبل بأنّه تضريس أرضي يرتفع عمّا
حوله من الأرض في منطقة محدّدة. وتتميّز بقمم صخرية حادّة وسفوح شديدة
الانحدار وبها أيضاً قمم مرتفعة العلوّ. الجبل بصورة عامّة أكثر ارتفاعاً وحِدّةً من
الهضبة، وهناك اختلاف حول تحديد أقلّ ارتفاع للجبل لكي يتمّ اعتباره جبلاً،
فالموسوعة البريطانية تستعمل ارتفاع ٦١٠ متر عن سطح الأرض لإطلاق مصطلح
الجبل على المرتفع.



والجبل في قاموس أوكسفورد الإنجليزي: ((هو عبارة عن ارتفاع طبيعي عن سطح الأرض يرتفع أكثر أو أقل من سطح البحر ليحقق مستوى ارتفاع نسبي عن الارتفاعات المجاورة له))^(١). وفي الولايات المتحدة الأمريكية استخدم التعريف القادم لتحديد مسميات الجبل عن غيره من المرتفعات: مسطح ارتفاعه ٥٠٠ قدم يسمّى سهل، ونقطة ارتفاعها من ٥٠١-٩٩٩ قدم يسمّى تل، أما نقطة أعلى من ١٠٠٠ قدم أو أكثر يسمّى جبال^(٢).

الجبال تغطي ٦٤٪ من قارة آسيا و ٢٥٪ من قارة أوروبا و ٢٢٪ من قارة أمريكا الجنوبية و ١٧٪ من قارة أستراليا، و ٣٪ في قارة أفريقيا. وعلى ذلك فإن ٢٤٪ من مساحة الأرض الإجمالية جبلية و ١٠٪ من الناس يعيشون في المناطق الجبلية، ومعظم الأنهار في العالم تتغذى من المصادر الجبلية، وأكثر من نصف البشرية يعتمدون على الجبال في الحصول على المياه.

توجد بعض الجبال منعزلة ولكن الأغلب أمّا توجد في مجموعة أو صف، إمّا في شكل حيد واحد مركب أو سلسلة من الحيود المترابطة ومجموعة الجبال هي عدد من الصفوف الجبلية المترابطة من حيث الشكل والأصل، أما السلسلة فهي عدد من مجموعات الجبال التي تشغل منطقة عامّة بعينها، بعض الجبال بقايا لهضاب نحتها عوامل الطبيعة وبعضها الآخر أصله مخروقات بركانية أو تدخّلات من صخور نارية كوّنت قباً صخرية، وتتكوّن جبال الكتل الصدمية نتيجة رفع كتل ضخمة من سطح الأرض بالنسبة للكتل المجاورة لها.

(١) Flat”: GNIS Feature Class Definitions. geonames.usgs.gov. United States Geological Survey. Retrieved ٤ Jan ٢٠١٧. Relative level area within a region of greater relief (clearing, glade, playa).

(٢) Flat”: dictionary.cambridge.org. Cambridge University Press. Retrieved ٤ Jan ٢٠١٧. An area of low, level ground, often near water



علاقة الإنسان بالجبال:

لا بدّ من معرفة علاقة الإنسان بالجبال منذ القدم ومدى ارتباطه بها، وما الذي تقدّمه له لتكوين تلك العلاقة، ولتوثيق تلك العلاقة على المستوى الإنساني بشكل عام، والعربي بشكل خاص، وعليه يمكن القول: أما على المستوى الإنساني بشكل عام فيمكن معرفة ذلك من خلال كتاب الله، إذ نعمنا النظر في دلالة بعض آياته الكريمة، ندرك أنّ ثمة علاقة أزلية بين الإنسان والجبال، سببها التكوين الخُلقي للإنسان، فالإنسان من حيث التكوين الخُلقي، كما هو معلوم، يمتاز بأمرين اثنين: أحدهما: قوّي وهو العقل وبه يتفوّق على سائر مخلوقات الله المدركة لديه، والثاني: ضعيف وهو البنية الجسدية التي تقتضي الحماية والتزويد بالطاقة بشكل مستمر، هذا التكوين الخُلقي للإنسان جعله يضرب في الأرض لتعويض النقص في هذا الجانب وتقويته، كي يضمن الاستمرار والبقاء فوجد بغيته في الجبال، فاتخذ منها مأوى له لحماية نفسه من كلّ ما يهدّد حياته من الأخطار القاتلة، وهو أمر أرادّه الله له، وجعله وظيفة من وظائف الجبال، قال: ﴿وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١]، ثمّ مع تقدّم الأيام وتمكّن الإنسان في الأرض صار ينحت من تلك الجبال بيوتاً له، قال: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢] .

ومن الأدلة التي تشير إلى قِدَم علاقة الإنسان بالجبال أيضاً قوله تعالى حكاية على لسان نوح عليه السلام وابنه حين داهمهم الطوفان: ﴿قَالَ سَآوِي اِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣] .



تكوين الجبال:

تشير عبارة تكوين الجبال إلى العمليات الجيولوجية التي تُعتبر أساساً لتكوين الجبال، فهذه العمليات يُصاحبها تحركات واسعة النطاق لقشرة الأرض (تكتونيات الصفائح)، ويرتبط تكوين الجبال بتكتونيات الصفائح، ويعتبر الطي والتصدُّع والنشاط البركاني وتداخل الصخور النارية وتحول بنية الصخر جميعها أجزاء من عملية تكوّن الجبال^(١).

تتكوّن الجبال من كتل ضخمة من الحجارة مرفوعة أو مطوية فوق مستوى سطح الأرض المحيط بها، وتعرّض هذه الكتل لعوامل التعرية بفعل الماء والثلج، وأحياناً تأخذها الرياح أشكالاّ معيّنة، وكلّما تقادم العهد بالجبال أتت عليها عوامل التعرية حتّى تصل إلى مستوى السهل، وأحياناً يرفع هذا السهل مرّة أخرى، ويقتصر إطلاق اسم جبل على مثل هذه المناطق التي تتفاوت تفاوتاً كبيراً في ارتفاعها، أمّا المناطق التي ترفع ولكنها تحتفظ بسطحها المستوي فتسمى هضاباً. ويمكن أن تُنشئ الثورات البركانية جبلاً فردية كبيرة الحجم بسرعة، أمّا الجبال الأخرى فهي تتكوّن ببطيء شديد، حتّى أنّه لا يمكن التعرف على هذا النموّ بسهولة. وكخلاصة تكوّن الجبال نتيجة تحركات أرضية ضخمة فعملت على ضغط هائل أدّى إلى طي طبقاته وتصدُّعها، تتشكّل الجبال من خلال قوى الصفائح التكتونية أو التعرية أو بسبب العمليات البركانية، التي تعمل وفقاً لمقاييس زمنية تصل إلى عشرات الملايين من السنين.

(١) Kurt Stüwe (٢٠٠٧). Geomorphology". Geodynamics of the lithosphere: an introduction، pp٢، ١٨٧nd

أنواع الجبال:

تشكّل الجبال بطرق مختلفة، وبناءً على طريقة تشكّلها، يمكن تقسيم الجبال إلى ثلاثة أنواع رئيسية هي^(١):

الجبال البركانية: تشكّل هذه الجبال عندما تنفجر البراكين وتُدفع الصخور المنصهرة إلى أعلى سطح الأرض، وتتميّز هذه الجبال بأشكالها الحادة والمستدقة، مثل جبل إفرست في جبال الهيمالايا.

الجبال الالتوائية: تشكّل هذه الجبال عندما تتحرّك الصفائح التكتونية وتصطدم ببعضها البعض، ممّا يؤدي إلى طيّ الصخور وارتفاعها، وتتميّز هذه الجبال بأشكالها المنحنية والتموّجة، مثل جبال الألب في أوروبا.

الجبال الإنكسارية: تشكّل هذه الجبال عندما تنكسر الصخور وتنزلق إلى أسفل، ممّا يؤدي إلى تكوّن مرتفعات، وتتميّز هذه الجبال بأشكالها الحادة، مثل جبال الروكي في أمريكا الشمالية.

بالإضافة إلى هذه الأنواع الثلاثة الرئيسية، هناك أنواع أخرى من الجبال، مثل:

الجبال الكتلية: تشكّل هذه الجبال عندما ترتفع كتلة صخرية كبيرة عن سطح الأرض، وتتميّز هذه الجبال بأشكالها الضخمة، مثل جبل كينيا في أفريقيا.

الجبال المنفردة: تشكّل هذه الجبال عندما تنفصل كتلة صخرية كبيرة عن غيرها. وتتميّز هذه الجبال بأشكالها الفريدة، مثل جبل طارق في إسبانيا.

(١) Stephen،D، Butz (٢٠٠٤): "Mountain building". Science matters: earth and beyond; module ٤. Pearson South Africa.pp:٧٥. ISBN:٧-٦٠٥٩-٧٩٨٦-٠



دلالات الجبال في القرآن الكريم:

ورد ذكر الجبال في القرآن الكريم بأربع صيغ، هي: (صيغة اسم الجنس، صيغة اسم الذات، والصيغة الوصفية، والصيغة الوظيفية).

دلالة صيغة اسم الجنس:

ذُكرت كلمة الجبال في القرآن الكريم بصيغة اسم الجنس في تسع وثلاثين آية، ست آيات تذكر الجبل بالمفرد، وثلاث وثلاثين آية تذكر الجبال بالجمع، وقد وظفت في جميع هذه المواضع كوحدة قياس تقديرية لبيان عظم الشيء المتحدّث عنه، بعض الامثلة:

١- بيان عجز الطاقة الخلقية للإنسان في الدنيا عن تحمّل النظر المباشر إلى وجه الله الكريم، سبحانه وتعالى، وذلك في موضع واحد، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

٢- اتّخاذها موضعاً للبرهنة العملية لإبراهيم عليه السلام، على تحقيق جانب من جوانب القدرة ألا وهي إحياء الموتى، وذلك في موضع واحد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٣- بيان عظم الموج الذي كانت تجري فيه سفينة نوح عليه السلام، حين أرسل الله الطوفان على قومه: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].



٤- بيان فائدة من فوائد الجبال للناس، وتنبههم إلى بعض نعم الله عليهم من خلقها، وهي اتخذ الجبال أكنان: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

٥- جعلها وحدة قياس لتحقير شأن المتكبر ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَحْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

دلالة صيغة اسم الذات:

آيات الجبال في كتاب الله خُصَّت أربعة أسماء محدّدة من دون غيرها من جبال الأرض التي لا تُحصى، وهي: الطور، والصفاء، والمروة، والجودي، ولكل واحد منها وظيفة دلالية محدّدة أو أكثر في السياق المعرفي الذي ورد فيه، وذلك على النحو الآتي:

الطور:

ذكر في عشر آيات، في تسع منها ذكر باسم الطور، وفي آية واحدة ذكر باسم الجبل (جدول ١)، إن لجبل الطور رمزية دلالية وخصوصية كونية خصّه الله بها من دون غيره من جبال الأرض، إذ جعل منه آية حية تتفاعل مع الأحداث في عهد موسى عليه السلام، فقدّس جانبه الأيمن، وكلم منه موسى، واتّخذ منه موعداً لبني إسرائيل، وجعله أداة تهديد لهم عندما أشركوا بالله، وأقسم به، وأخرج منه شجرة الزيتون المباركة، وذكره باسمه المعروف تسع مرّات.



جدول رقم (١) السياق المعرفي لجبل الطور

ت	الآية	اسم السورة
١	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣)	البقرة
٢	وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)	البقرة
٣	وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (١٥٤)	النساء
٤	وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢)	مريم
٥	يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى (٨٠)	طه
٦	فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٢٩)	القصص
٧	وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)	القصص
٨	وَالتُّورِ (١)	الطور
٩	وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْأَكْلِيلِ (٢٠)	المؤمنون

سبع خصائص دلالية خصه الله بها لجبل الطور من دون غيره من الجبال،

وهي:



- ١ - رمزية دلالة القسم به، من دون غيره من الجبال (سورة الطور - ١)
- ٢ - رمزية دلالة إضفاء القدسية والبركة على جانبه الأيمن (سورة القصص ٢٩)
- ٣ - رمزية دلالة تكليم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام من شاطئه الأيمن، ذكر ذلك في ثلاث آيات (القصص ٢٩، ٤٦، مريم ٥٢).
- ٤ - رمزية دلالة اتخاذه موعداً لبني إسرائيل عندما نجّاهم من عدوهم (طه ٨٠)
- ٥ - رمزية دلالة التكليف الرباني له بالتق، فوق بني إسرائيل ليكون أداة تهديد لهم، إن لم يلتزموا بما جاء في التوراة والأخذ بها (البقرة ٦٣، النساء ١٥٤)
- ٦ - جعله أصلاً لخروج شجرة الزيتون المباركة، وكأن الشجرة الأولى خرجت منه، لأن القرآن قد عمم منبت سكنته فالنخيل والأعناب، وخصص منبت الزيتون بطور سيناء (المؤمنون ١٨ - ٣٠)
- ٧ - رمزية دلالة ذكر جبل الطور باسمه الخاص، وكثرة تكرار ذلك، إذ ذكر في تسع آيات باسمه المعروف الطور، ومرة واحدة أشير إليه باسم الجنس.

- الصفا والمروة:

فقد خصهما الله بالذكر باسمهما الصريح أيضاً، وجعل لهما وظيفة دينية تتعلق بعبادته، وهي الاستدلال بهما على منطقة السعي التي يجب التطواف بها عند أداء شعيرتي الحج والعمرة، ويمثل أيضاً رمزية بداية الحياة البشرية والحيوانية الثانية التي بدأت في الأرض بعد الطوفان ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].



- الجودي:

فالإحياءات الدلالية التي تفاد من ذكر الجودي في سياق هذه الآية الكريمة، هي أنه جعل أول شاطئ في بر الأمان بالنسبة لنوح عليه السلام ومن معه، فقد اكتسب مكانة عظيمة في نفوسهم، وهو أول بقعة في الأرض تستقبل طائفة من خلق الله، طائفة له منيية، بمعية نبي من أنبيائه، لتعمر الأرض من جديد، ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] .

الصيغة الوظيفية (أوجه الإعجاز العلمي القرآني) للجبال:

أولاً- الجبال أوتاد: يقول فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧]، وعلى الرغم من أن المفسرين القدامى مروا على هذه الآية مرور الكرام وتوصلوا، أو توصل بعضهم إلى تصور أن الجبال لها دور في تثبيت الأرض، لكنهم لم يستطيعوا شرح هذا الدور في إطاره العلمي الصحيح، ويعجب الإنسان حين يرى هذه الإشارة هي كلمتين: (والجبال أوتادًا)، فكما أن الوتد أغلبه مندرس في الأرض وأقله ظاهر على السطح، ووظيفته التثبيت. في أثناء دراسة القشرة الأرضية اكتشف العلماء في السنوات الماضية أن كل جبل ما هو إلا وتد يثبت الأرض في رحلة دورانها، وتبين أن للجبل كثافة تختلف عن الأرض من حوله، وأننا نرى من الجبل الجزء الظاهر فقط، أما معظم أجزاء هذه الجبال فتتغرغز في باطن الأرض لآلاف الأمتار ولا نراها! تمامًا كالوتد، معظمه في الأرض وجزء صغير منه يبرز فوقها.

الوتد هو الذي يثبت الخيمة على الأرض عندما يغرس في التراب (صورة ١)



صورة



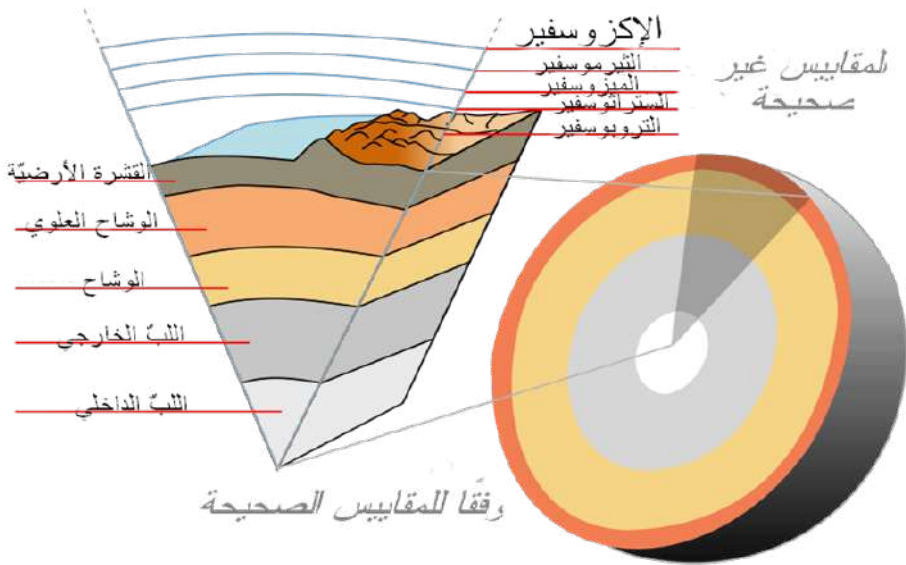
وتد يثبت خيمة في الأرض

يقول المفسرون إن الله جعل للجبال أوتاد في باطن الأرض، وذلك لكي يثبت القشرة الأرضية والقارات، ويمنعها من أن تطوف أثناء دوران الأرض، والأوتاد تمسك الخيمة وتثبتها أما الجبال فإتّما تمسك الأرض المحيطة بالجبال وتسهم أيضاً في تثبيت الغلاف الجويّ على سطح الأرض ومنعه من الهروب إلى الفضاء، وكأنّ الجبال أوتاد تثبت الخيمة الجوية التي تعلق رؤوسنا وتحفظنا من الإشعاعات الخطيرة والشهب، لقد ثبت علمياً في عام ١٩٥٦م بأنّ الجبل له جذر يخترق طبقات الأرض، ويمتدّ تحت سطح الأرض حتّى يصل إلى طبقة الغطاء (السيما) شكل (١)، وهذا الجذر يعادل ٥-١٠ أضعاف ارتفاع الجبل فوق سطح الأرض، وتمّ تصوير هذا الجذر بطريقة الهيلوغرافية (شكل ٢)، وكلّما كان ارتفاع فوق سطح الأرض كبيراً تضاعف الجزء الغائر في الأرض امتداد إلى داخلها ليخترق الغلاف الصخريّ للأرض بالكامل .



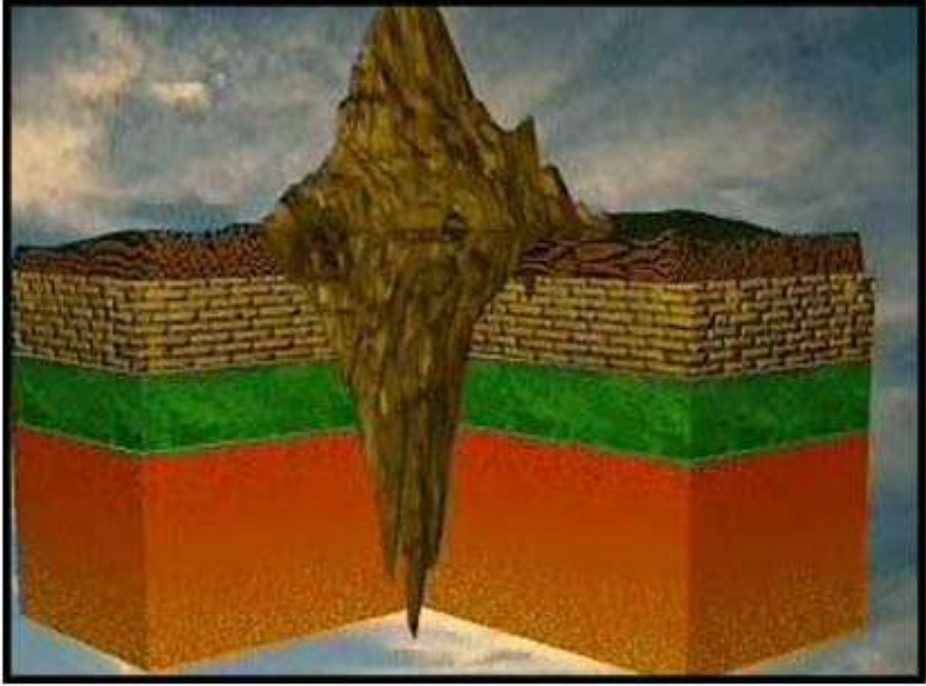
وبما أن طبقة القشرة توجد في الجبال وهي طبقة صلبة، وطبقة الغطاء التي تحتها طبقة لزجة، لذلك فعندما تدور الأرض حول نفسها، لا بد أن تحدث اضطرابات وزلازل وتصدّعات لطبقة القشرة التي ستنزلق على طبقة الغطاء، ومن هنا جاءت الحاجة إلى الجبال التي تلعب دوراً مهماً هاماً في ربط الطبقتين، ممّا يمنع الاهتزازات على طبقة القشرة؛ لذلك جعل الله عزّ وجلّ للجبال جذوراً تنزل في أعماق طبقة الغطاء، بحيث تصبح أوتاداً تثبت القارّات على الأرض وتمنعها من التحرك، كما تثبت الأوتاد الخيام على الأرض .

(شكل ١) طبقات الغلاف الصخري المصدر الجيولوجيا العامة





شكل



جذور الجبال العميقة في الأرض

الجبال واتزان الأرض:

توازن مدهش أبدعه الخالق في الأرض، إذ جعل الغلاف الصخري للأرض يطفو فوق غلافه اللدن المسمّى بالغلاف الطيّع (الأثينوسفير)، لأنّ كثافة الغلاف الأول أقلّ من كثافة الغلاف الثاني، لهذا تطفو القارات وقيعان البحار على وشاح الأرض كما يطفو جبل الجليد فوق الماء، و تضرب القارات جذورها في وشاح الأرض، ويلاحظ أنّ الجذور أسفل سلاسل الجبال أكثر عمقاً من الجذور تحت المناطق المستوية. هذا ما اكتشفه العلم، ولكنّ القرآن الكريم سجّل ذلك قبل العلم بأكثر من ألف وأربعمائة سنة حيث يقول الحق ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ وبالتأكيد لفظ



الوتد لا يعدله في الدقة اللفظ العلمي الجذر، وكلام الله لا يستطيع البشر الإتيان بمثله. وتشير كلمة (رواسي) في حد ذاتها إلا أن الأرض تطفو على نطاق تحتها توجد به الصخر في حالة سائلة (Mobile)، ويتأكد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ وتلك إشارة علمية قرآنية أثبتتها العلم الحديث، فالغلاف الصخريّ (Lithospher) الذي يشمل القشرة وآخر جزء من الوشاح، والذي يبلغ سمكه ١٠٠ كم يرتكز على الغلاف الطيِّع أو غلاف المور، والغلاف الطيِّع يمتد من قاعدة الغلاف الصخريّ عند عمق ١٠٠ كم، حتى عمق ٣٥٠ كم بسمك قدره ٢٥٠ كم، ويشبه في مظهره أسفلت الطريق في يوم صائف، وهذا الغلاف الأخير رقيق تحت المحيطات وسميك تحت القارّات وتقوم الجبال بضبط أوزان الأرض، فتبرز الجبال حينما يخفّ الثقل على سطح الأرض، فعلى سبيل المثال أدى تكوين الغطاء الجليديّ إلى هبوط الإقليم الإسكندنافي ببطء أثناء العصر الجليديّ، ثم بدأ الإقليم يرتفع بعد ذوبان هذا الغطاء الجليديّ منذ ١٠,٠٠٠ سنة، وما يزال الإقليم يحاول الوصول إلى حالة التوازن حيث ترتفع الأرض بمعدل ١ سم في السنة، وأيضاً تمرّ الجبال بدورة طويلة من التآكل، وتنقل مكوناتها فترسّب في الأماكن المجاورة، فتضغط على قشرة الأرض حتى تعيد التوازن مرّة أخرى، ويؤدّي الضغط إلى سريان مادّة الوشاح اللينة باتجاه قاعدة (وتد) الجبال فترفعها، ويستمرّ تآكل الجبال من قمّتها ورفعها من قاعدتها حتى ينكشف الجزء الذي كان مخفياً ويتآكل وتصبح الجبال قاعاً صنفصفاً، والأرض مترّنة أتراناً عجيباً، وتتوزّع الجبال على الأرض بنظام عجيب يجعل الأرض لا تميد بأهلها.



ثانياً- الجبال رواسي تثبت الأرض:

- تسمية الجبال بـ (الرواسي)، وتكرار ذلك في تسع آيات.
- ذكر العلة التي اقتضت الإرساء وهي (الميد)، وذلك في ثلاث آيات.
- تشبيه الجبال بالأوتاد، في آية واحدة، وهي الأخيرة، فالميد إذاً يعني التمايل وعدم التوازن، وأنه يسبب للإنسان الغثيان وعدم الاستقرار النفسي، لذا لا بد من علاجه بالإرساء.

إذاً الدور الرئيس الذي تؤديه الجبال هو تثبيت ألواح الغلاف الصخري للأرض؛ والمعلوم أن لفظ الأرض في اللغة يأتي بدلالات متباينة يحددها السياق فيحمل لفظ (الأرض) مثلاً على كوكب الأرض أحياناً، بينما في أحيان أخرى يستخدم للدلالة على الغلاف الصخري للأرض أو سطح الأرض، كقوله تعالى:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

إن أقصى سمك للقشرة الأرضية موجود تحت الجبال حوالي ١٥٠ كم، وأقل سمك لها موجود تحت المحيطات حوالي ٦٥ كم، إن هذه الحقائق العلمية لم تكتشف إلا في أوائل الستينات من القرن العشرين عندما اكتشف العلماء أن ألواح الغلاف الصخري للأرض هي في حركة مستمرة.

إن الغلاف الصخري للأرض يقسم إلى عدة ألواح (لوحة ١)، وهذه الألواح الصخرية تطفو على طبقة لدنة وتنزلق فوقها، وتنتقل على سطح الأرض بفعل عملية دوران الأرض حول محورها.



لوحة رقم (١) يبين الألواح الصغيرة والكبيرة في الغلاف الصخري



إن هذه الألواح الصخرية تؤدي إلى تصادم ألواح أخرى وهذا يؤدي إلى تكوين سلاسل الجبال العالية، بينما من جهة أخرى فإن تصادم هذه الألواح يؤدي إلى تشكيل القارات وتكوين الجزر البركانية.

إنه من المدهش أن تجد بأن التعبير القرآني قد استعمل كلمة (أرسي) في وصف إنشاء الجبال وتثبيتها، وهذا الفعل يطلق في اللغة العربية على السفن الرأسية، وكأن الجبال تشبه السفن الرأسية المثبتة على الشاطئ، لأن الجبال تطفو بواسطة الدفع الواقع على جذورها العميقة، وكأن الجبال تشبه السفن الرأسية على الشاطئ، ولأن الجبال تطفو بواسطة الدفع الواقع على جذورها، وبهذا فإن الأرض لا تهتز وتبقى مثبتة بواسطة الجبال. قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَمَا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدَ أَيْ تَضْرِبُ فَخَلَقَ الجِبَالُ فَعَادَ بِهَا عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ))^(١).

وتناول النص القرآني في عشرة مواضع صفة الجبال كـ (رواسي)، مؤكداً على وظيفتها الجيولوجية في تحقيق التوازن القشري للأرض، وحسب الجدول ٢:

(١) مسند أحمد: ٢٧٧/١٩.



جدول (٢) الآيات القرآنية التي ذكر فيها رواسي (جعل، ألقى)

ت	اسم السورة ورقم الآية
١	﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الرعد: ٣
٢	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ الحجر: ١٩
٣	﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ النحل: ١٥
٤	﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ الأنبياء: ٣١ .
٥	﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا إِيَّاهُ مَعَ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النمل: ٦١
٦	﴿خَلَقَ السَّمُوتَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ لقمان: ١٠
٧	﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللَّسَائِلِ﴾ فصلت: ١٠
٨	﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ق: ٧
٩	﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ المرسلات: ٢٧
١٠	﴿وَالْجِبَالَ أَرْسِيهَا﴾ النازعات: ٣٢



ثالثا- الجبال بين الإلقاء والجعل:

إنَّ أصلَ تكوينِ الجبالِ في الأرضِ يتمُّ بطريقتينِ لا ثالثَ لهما، الأولى: التحويلُ من حالةِ عدمِ الجبليَّةِ إلى الحالةِ الجبليَّةِ، بسببِ طارئٍ يقعُ على طبقاتِ الأرضِ، كالترسُّبِ، والانكسارِ والانزلاقِ، والالتواءِ. والثانية: الإلقاءُ الخارجيّ، وقد يكونُ الإلقاءُ من داخلِ الأرضِ إلى سطحها، أو من خارجها، ثم لعلَّ المراد، واللهُ تعالى أعلم، من ورودِ فعلِ جعلِ (في ست آيات)، وألقى (في أربع آيات) جدول (٢)، الإشارةُ إلى نسبةِ تكوينِ الجبالِ في الأرضِ، لأنَّه ما من شيءٍ إلَّا وقد خلقه اللهُ عزَّ وجلَّ بقدرِ معلوم، وموزونٍ أيضًا. ومن اللافتِ للنظرِ أنَّ الكلمةَ تردُّ دائماً من دونِ ألفٍ ولا (رواسي)، وذلكَ لحكمةٍ، فالرواسي يُختلفُ عددها من زمنٍ إلى زمنٍ، وتشكُّلُ الجبالِ العمودِ الفقريِّ لقاراتِ العالمِ قديماً وحديثاً لتحفظِ حفظِ الأرضِ لئلاَّ تميد، وتوجدُ علاقةٌ قويَّةٌ بينَ مدِّ الأرضِ وإلقاءِ الرواسي. والقرآنُ وهو يتحدَّثُ عن جعلِ الرواسي في الأرضِ يذكرُ في موضعٍ واحدٍ أنَّ هناكَ رواسي من فوقها، وفي جميعِ الآياتِ الخمسِ يذكرُ الرواسي في الأرضِ إلَّا في موضعٍ واحدٍ، يذكرُ فيه أنَّ الرواسي للأرضِ (وجعل لها رواسي).

رابعا- اختلاف ألوان الجبال (جدد الجبال):

يقولُ تعالى: ﴿الْمَ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، أثبتت الأبحاثُ العلميَّةُ على أنَّ اللهَ خلقَ الجبالَ كذلكَ مختلفةً الألوان، ولكي نفهمَ العطاءَ العلميَّ لتلكِ الآيةِ لا بدَّ من أن نعرفَ أنَّ مادةَ الصهيرِ التي هي مادةُ حجارةِ الأرضِ تتكوَّنُ في غرفٍ في باطنِ الأرضِ تسمَّى غرفِ الصهارةِ (Magma Chamber) توجدُ على أعماقٍ من باطنِ الأرضِ، وفي أثناءِ صعودِ الصهارةِ تحترقُ الصخورُ وتتداخلُ على أعماقٍ بعيدةٍ أو قريبةٍ من سطحِ الأرضِ، وتأخذُ تلكَ



المتداخلات النارية أشكالاً عدّة، منها ما يأخذ شكل طرائق على هيئة ألواح تتوازي أو تتقاطع مع الطبقات التي تحترقها، وفي حالة توازيها تسمى السدود (Sills)، وفي حالة عدم توازيها تسمى القواطع (Dikes)، وأن الجدد تشمل طبقات الصخور الرسوبية، وليس هناك أدق من التعبير القرآني (جُدَدٌ) لوصف هذه المتداخلات النارية. والجُدَد لا توجد في كلّ جبال العالم، بل توجد في بعضها، وبهذا تتضح دقة نظم القرآن في قوله (ومن الجبال) حيث من تفيد التبويض، ولم يكن الناس عند نزول القرآن ولا بعد نزوله بأكثر من ألف عام تدارسوا جميع جبال العالم حتى يتأكدوا أنّه ليس كلّ جبال تقطعها جدد. أمّا قوله: (وَعَرَابِيْبُ سُودٌ) فتشير إلى ظاهر شديد السواد، فالعرب يصفون شديد السواد بأنّه غريب، ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية من المقدّم والمؤخّر بمعنى أنّ (وَعَرَابِيْبُ سُودٌ) هي (سود غرابيب) وفيها نظر، وإذا قلت سود غرابيب تجعل السود بدلاً من غرابيب لأنّ توكيد الألوان لا يتقدّم، ومن ثمّ فنحن أمام ظاهرة في الجبال اسمها غرابيب ولونها أسود، والغامق في الصخور النارية هي الصخور فوق القاعدية أو المافية (Mafic) مثل الجابرو والبالزت، فإنّ عادت غرابيب سود على جدد فهذا يعني جدد من صخور غامقة اللون من الجابرو أو البالزت أو غيرهما من الصخور القاعدية وفوق القاعدية، وإذا عطفناها على (الجبال) أصبحنا أمام ظاهرة اسمها (غرابيب) ولونها أسود، قد تكون صورة من صور المتداخلات النارية التي يعرفها الجيولوجيون مثل اللاكوليت أو اللابوليث، أو قد تكون طفوحاً من البالزت.

أو قد يكون من الماء الذي ينزل من السماء هو الذي يسبب تكوين الجبال والتي تأخذ ألوانها من ألوان المعادن الموجودة في داخلها. إنّ هذه المعادن تتلون بمقدار تأكسدها، إذ إنّ الماء له علاقة بهذه الأكسدة، ولهذا كان دور الماء في تلوين الصخور الموجودة في الجبال اختلاف ألوان الجبال كغرابيب سود، وجبال جدد



بيض، وحمرة مختلف ألوانها، تعتمد على حسب معادنها، فالسواد والحمرة يغلبان على خامات العناصر مثل الحديد والنيحاس، وأمّا البياض فيغلب على خامات العناصر مثل الألمنيوم والمغنسيوم. الغالبية العظمى من مادة غلاف الأرض إمّا مكوّنة من صخور جرانيتية يغلب عليها اللون الأبيض أو الأحمر بدرجات متفاوتة، أو صخور قيعان البحار والمحيطات وهي صخور داكنة سوداء يغلب عليها الحديد والمغنسيوم، وهذه حقائق لم يدركها الناس إلّا في سنوات متأخرة للغاية، ولكنّ الغالبية العظمى من الأرض بين هذه الألوان الثلاثة، ومن الجبال جدد بيض وحمرة مختلفة ألوانها: هذه مادّة القارات، وغرايب سود هذه مادّة قيعان البحار والمحيطات، والصخور التي تنطلق من فوهات البراكين، هذه أعظم تقسيمات للصخور (شكل ٣)

شكل ٣: العلاقة بين ألوان الجبال وتركيب الصحارة التي تتكون منها الصخور.





خامسا- الجبال تمنع الرياح:

يقول علماء الجيولوجيين إنّ السلاسل الجبلية التي على السواحل تجعل المنطقة التي خلفها منطقة جافة بعيدة عن الرطوبة، وهذه السلاسل الجبلية تمنع هبوب العواصف والرياح على الأشجار والزرع الموجود بين هذه الجبال، ولولا ذلك لاقتلعت الأشجار من مكانها أو مالت إلى الأسفل. من هنا كان للجبال تأثير بالغ على التغيرات المناخية التي تحدث في مناطقها؛ لأنها تقاوم الرياح وتمنعها من تسبب الأضرار الزراعية، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

يتضح أنّ قضية الإعجاز العلمي للقرآن الكريم تظهر متجددة يوماً بعد يوم، وهذا ما ينبىء عن عظمة الدين الإسلامي وسعة آفاقه في جميع العلوم والمعارف إلاً وكان في هذا الكتاب الكريم بيانه. قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ - وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمٌ سَلَامَةٌ وَجَمَاعٌ كَرَامَةٌ - اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ وَبَيَّنَّ حُجَجَهُ - مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حُكْمٍ - لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ - فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ - لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ - وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ - قَدْ أَحْمَى جِوَاهِرَهُ وَأَرْعَى مَرَعَاهُ - فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفِي وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي))^(١).

يشير الإمام عليه السلام إلى أنّ القرآن المعجز الدائم على مدى العصور، ((لا تفني غرائبها، ولا تنقضي عجائبها))، لأنّ الكون من صنع البارئ سبحانه وتعالى، ومن خلال القرآن الكريم والعلوم الحديثة نستطيع الوقوف على أسرار هذا الكون البديع

(١) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام (تحقيق صالح) ٢١٢.



وروائعه، وفي هذا ما يؤكد على أن الكون هو كتاب الله الصامت، وأن القرآن هو كتاب الله الناطق بما يدل على علم الله بأسراره^(١).

وقد شرح الإمام علي عليه السلام بصورة علمية مذهلة ما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف عن دور الجبال في توازن الأرض، وكان أمير المؤمنين عليه السلام له أثر في شرحه الجبال بخطبه في نهج، ففي الخطبة رقم واحد نقرأ الآتي: ((وتد الجبال ميدان (إضطراب) أرضه))، وفي الخطبة رقم ٨٩: ((وعدل بالراسيات من جلاميدها))، وفي الخطبة رقم ٢٠٤: ((وجعلها للأرض عمادًا، وأزرها أوتادًا، فسكنت على حركتها)).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥]، إن هذه الآية التي لها نظائر كثيرة في القرآن، توضّح أن الجبال وسيلة لتثبيت الأرض، كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام: ((فلما سكن هياج الماء من تحت أكتافها وحمل شواهد الجبال الشمخ البذخ على أكتافها فجّر ينابيع العيون من عراني أنوفها، وفرّقها في سهوب بيدها وأخاديدها وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشم من صياخيدها، فسكنت من الميدان لرسوب الجبال في قطع أديمها، وتغلغلها متسرّبة في جوبات خياشيمها، وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها وفسح بين الجو وبينها، وأعد الهواء متنسّمًا لساكنها، وأخرج إليها أهلها على تمام مرافقها))^(٢).

وفي كلامه هذا بين الإمام عليه السلام الحقيقة العلمية في تشكّل الجبال بعد أن سكن الماء الحامل للأرض وأحاطها من جميع أطرافها، وقد تثبت الحقيقة في كلام

(١) القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم: ٤٨.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ١ / ١٧٥.



الإمام عليه السلام اليوم من الناحية العلمية من جهات عديدة:

١- اكتشف العلم الحديث أنّ الجبال تتركّب في الأرض من خلال الأوتاد، أن لكل جبل امتدادا في الأرض قد يصل إلى عمق ١٠ - ١٥ ضعف الطول الظاهر طريق فوق سطح الأرض (فهو وتد للأرض حقاً لا تشبيهاً ولا مجازاً).

٢- تأكّدت الحقيقة العلمية التي تقول أنّ وظيفة الجبال الأساسية في الأرض المحافظة على توازن الأرض في أثناء الدوران من أن تميد وتضطرب بأهلها فتسبّب لهم الإعياء، ومن جهة أخرى أنّ سطح الأرض معرّض للاضطراب بين الحين والآخر عن طريق حدوث الزلازل المدمّرة كانت ستبلغ حدّاً ربّما لا تدع معه للإنسان مجالاً للحياة، فثبّت الله سبحانه وتعالى الأرض بالجبال الرواسي، يقول عليه السلام فسكنت عن الاضطراب لنزول الجبال في أجزاء سطحها ودخولها في أصول الأرض.

٣- اكتشف العلم الحديث أنّ عملية تكوين الجبال في الأرض قد تمّت بأحد أمرين: الأوّل التكوين من طبقات الأرض نفسها، لأسباب متعدّدة، وهو ما عبّر عنه القرآن بفعل (جعل) الذي يفيد التصيير والتحويل من حال إلى حال، والآخر: (الإلقاء) وقد يكون هذا من باطن الأرض بسبب البراكين، أو أن يكون قد أُلقي من خارج الأرض.

٤- اكتشف العلم الحديث أنّ اختلاف ألوان الجبال يعتمد على نوعية الصخور الذي تكونت منها الجبال.



المصادر العربية:

١. أساسيات علم الأرض، الجيولوجيا الفيزيائية، محمد بن عبد الغني عثمان مشرف، دار المريخ، الرياض، ١٤١٨ هـ.
٢. الجيولوجيا العامة، روبرت ج. فوستر، ترجمة عبد القادر عابد، وشاكر رسمي المقبل، وسعد حسن الباشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٧٩ م.
٣. القرآن وإعجازه العلمي، محمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، (د ط).
٤. كتاب شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠١٦.
٥. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)، صبحي الصالح.
٦. هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصاييح والمشكاة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المحقق / المترجم: علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي، ومعه، دار ابن القيم - الدمام، ط ١، ١٤٢٢ هـ.



المصادر الاجنبية:

1- flat”. dictionary.cambridge.org. Cambridge University Press. Retrieved 4 Jan 2017. An area of low, level ground, often near wate.

2-: Flat:GNIS Feature Class Definitions geonames.usgs.gov. United States Geological Survey. Retrieved 4 Jan 2017

Relative level area within a region of greater relief. (clearing, glade, playa).

3- Kurt Stüwe (2007). Geomorphology”. Geodynamics of the lithosphere: an introduction, pp187, 2nd.

4- Stephen·D· Butz (2004): Mountain building”. Science matters: earth and beyond; module 4. Pearson South Africa.pp:75. ISBN:0-7986-6059-7.

توظيف الشاهد القرآني في خطب الإمام عليؑ دراسة تحليلية

أ. م. د. سحر ناجي فاضل المشهدي
الكلية التربوية المفتوحة / مركز النجف الدراسي

الملخص:

يسعى بحثنا الحالي إلى دراسة توظيف الشاهد القرآني الذي ورد في خطب نهج البلاغة، فقد استحضر الإمامؑ موضوعات معيّنة في الاستشهاد القرآني، ووجدنا في بعضها موضع تفسير في موضع فرادة، وفي بعضها الآخر موضع مقارنة أو مفارقة، ومن بين تلك الاستشهادات تفسيره للفظ: النبأ العظيم، ومثل خبير، وحمالة الحطب، والأمانة، و... إلخ.

وفي هذا التوظيف أيضًا إشارات إلى أمور خاصة بالإمامة، وبيعه في يوم غدیر خم. وسورة النبأ تؤكد ذلك، وتفسيره للفظ (الأمانة) وهي حمل التكليف أيضًا الأمر الذي أبت السموات والأرض والجبال عن حمله؛ لعظمته ومشقة حمله، وفيه ما يؤكد معنى (الولاية)، فهم طرق النجاة، وقد كشف البحث تفسير الفرادة لأمر المؤمنينؑ في مواضع معيّنة ثم مقارنة هذه الآراء بتفسيرات أخرى تؤكد ما فسره الإمامؑ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين.

الكلمات المفتاحية: التوظيف، الشاهد القرآني، خطب الإمام عليؑ.



Abstract:

The present research examines the employment of Quranic evidence (Al-Shahid al-Qur'ani) cited within the sermons of Nahj al-Balagha. Imam Ali (pbuH) invoked specific themes through Quranic citations; some were presented as unique interpretations (Furadah), while others served as points of comparison or contrast. Key examples include his interpretation of terms such as: The Great News (Al-Naba' al-Azim), One Aware (Khabeer), The Wood-Carrier (Hammalat al-Hatab), and The Trust (Al-Amanah), among others.

This employment also contains references to matters concerning the Imamate and the pledge of allegiance at Ghadir Khumm, a significance reinforced by Surah al-Naba'. Furthermore, the Imam's interpretation of "The Trust" as the carrying of divine obligations—which the heavens, the earth, and the mountains refused to bear due to its magnitude—underscores the essence of Wilayah (Divine Authority) as the path to salvation. The research highlights the unique interpretive instances of the Commander of the Faithful, subsequently comparing these views with other interpretations that validate his explanations.

Our final prayer is: Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon our master Muhammad and his pure, progeny.

Keywords: Employment, Quranic Evidence, Sermons of Imam Ali (pbuH).



المقدمة:

الحمد لله المتجلي لخلقه بهائه والصلاة وأتم التسليم على نبينا الكريم وآله الطيبين الطاهرين وبعده.

فإن الباحث المتمعن في تراث الإمام علي بن أبي طالبؑ يجد المعالجة الحقيقية للمشاكل المجتمعية الراهنة، في ضوء فهمه التفسيري في شتى تفاصيل الحياة، ودلت الشواهد التاريخية على أن جهوده التفسيرية الكبيرة قد سعى أعداؤه إلى إخفائها بشتى الوسائل السياسية والاجتماعية والفكرية وعلى جميع الأصعدة، خاصة مع وجود الفرق والمذاهب والجماعات المختلفة المناوئة إلى أهل البيتؑ.

ففي مدرسة أهل البيتؑ نجد القرآن الكريم والسنة النبوية القطعية المتواترة التي نصت على الإمامة الكلامية التي تقابل مدرستي الأشعرية والمعتزلة، والخلافة لهم بعد رسوله الكريمؑ سواء على البعد السياسي أو الفقهي أو الفكري. ويسير البحث على وفق المنهج الوصفي التحليلي في مبحثين يتقدمهما مقدمة وتوطئة ويختتمهما خاتمة بأبرز نتائج الدراسة.



توطئة: توظيف الشاهد القرآني

يعدّ الشاهد القرآني نقطة ارتكاز محورية في أنه كتاب سماوي أرسله الله تبارك وتعالى إلى الخلق جميعاً، بلسان بليغ فصيح يتحدّث العربية لقوله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وفي خطابه نجده عامّاً لا يحدّه زمان أو مكان بل هو معجز في كلّ زمان ومكان، وإنّما كانت أسباب نزوله سبباً في فهمه التاريخي والدلالي وفي تطبيقه العام.

ومن أهمّ أدوات فهمه تفسيره وبيانه ولغته وتأريخه فهي شواهد؛ لأنّها قرائن سياقية توضّح الجزئيات المحيطة بكلّ سورة وآية، وفي ضوء ذلك فإنّ الإحاطة بدلالاته الكلية رهينة تاريخ جزئي، فلا يستطيع النصّ أو الخطاب أو الرسالة التعبير عنها، فالدخول في مشكلة البيانية أيديولوجياً وفهم أسباب نزوله تعين في تفسيراته الجزئية ولا تنفع في التطبيق (توظيفه لا فهمه) (١).

ولما يحظى به الشاهد القرآني من مثل أعلى عند اللغويين فقد أثر عن الإمام عليّ (ع) استعماله في خطبه وحكمه ووصاياه؛ ونجد في كلام الإمام (ع) التوظيف المناسب في سياق النصّ القرآني قاعدة تكاد تكثر في كلام الإمام (ع) تأييداً وتوظيفاً، ويكاد يكون التوظيف القرآني خصيصة لا تنفك في كلام الإمام عليّ بن أبي طالب (ع) فنجده خطيباً فذاً، فنجد في خطابه توجيه المجتمع نحو القرآن الكريم، فيقول: ((تعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث وتفقهوا فيه فإنّه ربيع القلوب)) (٢).

وقد أشار القرآن في مواضع كثيرة إلى إعجازه الموضوعي العلمي، كما تضمّن تفسير الإمام (ع) عدد من الموضوعات التي تتعلّق بخلق الإنسان وطبيعة تكوينه

(١) ينظر: دراسات في الفقه الإسلامي: ١١٧ .

(٢) في ظلال نهج البلاغة: ٣ / ٣٥٣ .



وبناء السموات و فراش الأرض ورفع الكواكب وخلق النبات والحيوان؛ ليثبت بذلك حقائق تتعلق بالإعجاز الإلهي العلمي^(١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فكلماته: ((توحي بدلالة الآية على جواز السعي بين الصفا والمروة، مع أن هذا السعي واجب، لكن عندما نعرف السبب وأنه وجود الأصنام في المسعى وقلق المسلمين من السعي بينهما مع وجود الأصنام، نفهم أن الجناح في الآية ليس عن السعي، بل عن حالة وجود الأصنام وأنت تسعى، فيختلف فهمنا للآية الكريمة - نسبياً - إذا صحَّ سبب النزول هذا))^(٢).

وهنا لا بد للفقهاء من أن يتسلح بثقافة كبيرة عن كل الأوضاع سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم اقتصادية في المنطقة بعامتها فقد صحح القرآن الانحرافات، وهنا أصبح ضرورة فهم ثقافة المجتمع حين نزول هذه الآيات كجزء من فهم القرآن^(٣).

وفي بعض الأحيان يكون الحديث الشريف مصداق لتفسيره ومثاله الآيات التي أشار الحديث فيها إلى انحصارها بأهل البيت عليهم السلام فقد ورد اللسان بأنها عامة إلا أن مقصدها خاص، وهنا لا يمكن الحكم بعموميته ومثاله آيات الولاية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فهي خاصة بأهل البيت عليهم السلام ولا يمكن تطبيقها على أولي الأمر غيرهم فهو عمومٌ أريد به الخصوص.

(١) ينظر: التوظيف القرآني في بعض خطب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٢٥٥.

(٢) علوم القرآن: ٣٩ - ٤٠.

(٣) ينظر: م.ن: ٣٩ - ٤٠.



المبحث الأول: التوظيف القرآني الخاص بأهل البيت عليهم السلام

في هذا المبحث سيسلط الضوء على مجموعة من الألفاظ التي تُعنى بمسألة تفسير الإمام عليه السلام لبعض الألفاظ القرآنية، ومن بينها:

الأمانة:

يقول الإمام عليه السلام والحديث عن رفض السموات والأرض لحمل الأمانة مع إعجازها وقوتها وبنائها، قال فيها الإمام عليه السلام: ((ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا إِنَّمَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمُبِينَةِ وَالْأَرْضِينَ الْمَدْحُورَةِ... وَلَكِنْ أَشْفَقْنَا مِنَ الْعُقُوبَةِ وَعَقَلْنَا مَا جَهَلُ مَنْ هُوَ أضعفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))^(١)، وفي هذه الخطبة تفسير لامتناع السموات والأرض عن حمل الأمانة وهما من علامات الإعجاز العلمي؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، فقد حُمِلت الأمانة على معنيين، هما: التوحيد، والمعرفة. ولذلك قال أميرنا علي عليه السلام: ((رَأَى قَلْبِي رَبِّي))^(٢)، فقد رفع الحجاب بالتقوى، ومن ارتفع الحجاب بينه وبين ربه تجلَّى صورة الملك والملكوت (في قلبه) فيرى دلائل عظمته.

و(الأمانة) لفظ مشتق من الأمن وهو ضد الخوف؛ ليعلم أن الله تعالى لا يحمل أحدًا شيئاً قهراً وقسراً، بل يعرضه أولاً، فإن تولاه ولّاه، وإلا فلا، وهذا من رحمة الله وعدله^(٣)، والإباء من باب الشفاق يعني: انعدام القابلية، وعدم الاستعداد

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٣٢، ١٩٩.

(٢) المحجة البيضاء في ترتيب الأحياء: ٥ / ٢٧.

(٣) ينظر: شرح دعاء الصباح: ١٨٦.



فيه، والمراد من الإباء والإشفاق عدم القابلية في المقيس عليه تكويناً، وعدم الاستعداد، وعليه يكون المتحصّل من المعنى أنّ الله تعالى عرض معينين:

((الأوّل: أمانة الدّين والتكاليف، وقايسها على حال الأجرام العلويّة والسفليّة (السموات والأرض) فانكشف عدم قابليتها لحملها وقبولها، والتخلّق بأخلاقها والعمل بفروعها، فقد سبق في علم الله الأزلي عدم هذه القابلية فيها لو فرض العرض والمقايسة، لا أنّ الله تعالى احتاج إلى القياس فعلم به ما لم يكن يعلمه من قبل. ولكن الإنسان كان قابلاً لحملها والخروج عن عهدها في مراحل الاعتقاد والأخلاق والعمل؛ وذلك لأنّ الإنسان ظلوم جهول؛ فمورد الأمانة ينحرف اعتقاداً وأخلاقاً، وأن يترك ما اعتقده وعلمه عملاً، فيكون ظلوماً وواضعاً لنفسه في غير موضعه، وقابل لأن يجهل ولا يتعلّم ما يجب عليه تعلّمه، فيكون جهولاً. وهذا شاهد على وجود الاستعداد فيه، فإنّ العدل والظلم والعلم والجهل من قبيل العدم والملكية، وأمّا غيره من الجماد والحيوان فليس كذلك. هذا إذا كانت الأمانة بالمعنى الأوّل.

الثاني: الولاية الإلهية، لا تستعدّ لحملها الأجرام العلويّة والسفليّة، ويستعدّ لها الإنسان بلا إشكال، ولا فرق في ذلك الاستعداد بين المؤمن والكافر؛ لأمانة الولاية والخلافة الإلهية الحاصلة من الإيمان والعمل الصالح))^(١).

إذن الأمانة تعني: ((الولاية والخلافة الإلهية المتحصّلة من الإيمان والعمل الصالح))^(٢).

وتفسير ذلك من ناحية السياق ورود لفظة (الأمانة) بعد الحديث عن الطاعة، ممّا يوحي بأنّها تعني الطاعة لله وللرسول، وبالذات لرسول الله، لما في طاعته من

(١) رسائل قرآني: ٥٣.

(٢) مختصر الأمثل: ٨٤ / ٤.



خروج من سجن الذات، الأمر الذي يستصعبه البشر، فقد يكون سهلاً عليه الاستجابة للقيادة في الأمور العادية كالصلاة، والزكاة، والحج، ولكن من الصعب عليه الخضوع لإنسان مثله في الظاهر لو نصبه الرسول قائداً^(١)، وبهذا يتبين أن تفسير الإمام ع للأمانة، وهي الولاية أبت عنه الأرض المتصفة بالدحو، والسماء المتصفة بالبناء.

الخير:

يقول أمير المؤمنين ع في معرض وصفه للضالين: ((فَأَفْقُ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ، وَاخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ، وَأَنْعِمِ الْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ، وَخَالَفَ مَنْ خَالَفَ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ، وَدَعَا وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَضَعُ فَخْرَكَ، وَاحْطُطْ كِبْرَكَ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمْرَكَ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ، وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَا قَدَّمْتَ الْيَوْمَ تَقْدُمُ عَلَيْهِ غَدًا، فَاْمْهَدْ لِقَدَمِكَ، وَقَدَّمْ لِيَوْمِكَ. فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ! وَالْجِدَّ الْجِدَّ أَيُّهَا الْغَافِلُ! ﴿وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾^(٢))، فقد استحضر أمير المؤمنين ع قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾، وهي جزء من آية وردت في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنْبِتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

ولو تابعنا السياق وجدنا أن التوظيف الذي جاء به أمير المؤمنين ع وارد في سياق الرد على من يتخذون آلهة من دون الله تعالى للعبادة، فينبئهم الله تعالى بعاقبة

(١) ينظر: من هدى القرآن: ٧/ ٢٤٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٥٣، ١٥٢.



تلك الآلهة، وهنا لا يمكن أن يُخصَّص الكلام بالأصنام؛ لأنه جاء في سياق عام؛ ولذلك كل ما يطيعه الإنسان من دون الله تعالى فقد عبده بالطاعة والمتابعة؛ ولذلك فالكلام أشمل من أن يُخصَّص بالأصنام والعبادة.

ويبقى الكلام بخصوص قوله: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾، وقد أورد فيها المفسِّرون أقوالاً تنتهي إلى الإجماع على أنَّ المقصود بها الربُّ سبحانه وتعالى، وفي ذلك قالوا: ((يعني الربُّ نفسه - سبحانه - فلا أحد أخبر منه))^(١)، ومن ذلك أيضًا: ((وَلَا يُجْبِرُكَ يَا مُحَمَّدٌ عَنْ آلِهَةٍ هُوَ لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرٍ عَبْدَتَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مِنْ تَبَرُّئِهَا مِنْهُمْ، وَكُفْرِهَا بِهِمْ، مِثْلُ ذِي خَبْرَةٍ بِأَمْرِهَا وَأَمْرِهُمْ؛ وَذَلِكَ الْخَبِيرُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ كَانَ أَوْ يَكُونُ سُبْحَانَهُ))^(٢)، وقيل أيضًا: ((لا يكون نبأ أحد مثل نبأ الخبير، فاعمل به وأقبل عليه، ولا تقبل على نبأ غيره، والله أعلم))^(٣)، وعلى نحو هذا ((أجمع المفسِّرون على أنَّ ﴿خَبِيرٍ﴾ في الآية هو الله عزَّ وجلَّ))^(٤)، ولكن هذا التفسير ((فيه نظر؛ لأنَّ المثل يصير مضافاً إلى الله سبحانه. وهو منزَّه عن ذلك، ولا يمكن أن يقال ﴿مِثْلُ﴾ ها هنا زيادة كما قيل في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لفساد ذلك في المعنى، ولا يمكن أن يحمل مثل على الفعل؛ لأنَّ ذلك يستدعي نصب مثل وهو مرفوع بالإجماع، وأحسن ما يمكن أن يحمل عليه قول المفسِّرين: أن يقال: معناه ليس لله مثل في التَّبَنِّي، كما يقال لا يكتب هذا مثل زيد، أي: ليس لزيد مثل في الكتابة، وهذا أيضًا يستدعي مثل بالنصب؛ لأنَّ المعنى ليس لكتابته مثل. وقيل: معناه لا أحدًا خير من الله، وهذا يعرض للمعنى لا للفظ، والكلام يجري

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣ / ٥٥٥ .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٩ / ٣٥١، وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ٣ / ٦٠٦ .

(٣) تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة): ٨ / ٨٤٧ .

(٤) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٢ / ٩٤٨ .



في اللفظ، والوجه في الآية أن يجعل هذا مثلاً كما جاء، على الخير سقطت، ثم يكون المضروب له المثل هو الله عزَّ وجلَّ، وله المثل الأعلى))^(١).

وعلى أساس ما تقدّم تبين أن المقصود بالخير في الآية المتقدمة هو الله تعالى، ولكن هذا على نحو السياق المتقدم في الآية الآنف الذكر؛ أمّا في استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام فإنه استحضر سياق آخر يمثل أجود مصاديق الابتعاد عن الله تعالى، ومن مضامينه الغفلة والتمسك بالدنيا وملذاتها؛ ولذلك يوجه أمير المؤمنين عليه السلام المتلقّي نحو التمسك بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ يطرح نفسه مصداقاً للخير الفاحص العالم بدقائق الدين، وبذلك يكون (الخير) المفهوم العامّ ومصداقه الأعلى الله تعالى، ومن بعده يأتي الأنبياء والأوصياء، وعليه فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام أعطى أبعاداً أخرى تفسيرية عبر التوظيف للآية الكريمة، الذي جعل للخير مصاديق أخرى يمكن أن يكون منها أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله، وباب مدينة علمه، وعلى هذا الأساس يكون الاتصال بالعلم الديني من الله تعالى بوساطة النبيّ ثمَّ إلى خلفائه الشرعيّين، وهذا التفسير يعطي بعداً دلالياً جديداً للفظ (الخير) في التوظيف المذكور سابقاً.

النبأ العظيم:

وهي ولاية عليّ عليه السلام وفيه يقول أمير المؤمنين عليه السلام في مقطع من خطبة الوسيلة: ((أَلَا وَإِنِّي فِيكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ كَهَارُونَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ وَكَبَابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَسْفِيْنَةِ نُوحٍ فِي قَوْمِ نُوحٍ إِنِّي النَّبِيُّ الْعَظِيمُ وَالصِّدِّيقُ الْأَكْبَرُ وَعَنْ قَلِيلٍ سَتَعْلَمُونَ مَا تُوعَدُونَ))^(٢)، ف(النبأ العظيم) هو لفظ استوحاه الإمام عليه السلام من سورة النبأ؛ لقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١-٢].

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ٢ / ٩٤٨ - ٩٤٩

(٢) الكافي: ١ / ٩٠.



وروي عن أبي جعفرؑ قال: ((قلت له: جعلت فداك، إن الشيعة يسألونك عن تفسير هذه الآية ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾، قال: ذلك إليّ، إن شئت أخبرتهم، وإن شئت لم أخبرهم. ثم قال: لكنني أخبرك بتفسيرها. قلت: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟ قال: فقال: هي في أمير المؤمنينؑ. كان أمير المؤمنينؑ يقول: ما لله آية هي أكبر مني، ولا لله من نبأ أعظم مني))^(١).

والسياق وارد في معرض بيان الحجة ومناسبة الخطبة على ما رواه المفسرون في وقعة صفين ((فقد أراد رجل الخروج ليقاتل والرجل من أهل الشام وعليه سلاح ومن فوقه مصحف فقال له الإمام مكانك، وخرج بنفسه، وقال: أتعرف النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون؟ قال: لا. قال: والله إنني النبأ العظيم الذي في اختلافتم وعلى ولايتي تنازعتم وعن ولايتي رجعتم بعد ما قبلتم وبتبغيتكم هلكتم بعد ما بسيفي نجوتم، ويوم غدیر قد علمتم قد علمتم قد علمتم، ويوم القيامة تعلمون ما عملتم. ثم علاه بسيفه ورمى رأسه ويده، وعن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن عليؑ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى...))^(٢).

وهذا ما يؤكد أنّ الإمامؑ قد أقرت له الولاية ببيعة الغدير في غدیر خم. وما يؤكد ذلك حديث لأبي جعفرؑ: ((قال جدّي رسول الله (رحمه الله) عن علي بن أبي طالبؑ قال: أقبل صخر بن حرب حتى جلس إلى رسول الله ﷺ؛ فقال: يا محمد هذا الأمر بعدك لنا أم لمن؟ قال: يا صخر الأمر من بعدي لمن هو مني بمنزلة هارون من موسى، فأنزل الله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾))^(٣).

(١) تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب: ١٤ / ٩٤.

(٢) عيون الأخبار: ٢ / ٦ و ينظر: تفسير الإمام علي: ٨ / ٩.

(٣) شواهد التنزيل: ٢ / ٤١٨.



فهذا الشاهد دليل على وجوب ولايته واتباعه والافتداء والتمسك به؛ لأن به المحال أن يسأل الله تعالى عبده بعد الموت عن ولاية إمام لم يكن أمره باتباعه والافتداء به ونصب له علماً ظاهراً مكشوفاً في الدلالة على ذلك الإمام، ومولانا أمير المؤمنين (ع) علم ولايته ظاهر مكشوف، بدليل الكتاب العزيز والأخبار الواردة من الفريقين. ويبقى (النبأ العظيم) مجموعاً به على أن المقصود بها الإمام علي (ع)، وفيه إشارة لحديث المنزلة في يوم الغدير ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانيي بعدي))^(١).

ومما يجدر إليه استشهاد آخر بباب حطة الذي ورد في قوله تعالى: ﴿إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨]، ففي شرح المازندراني: ((أمر بنو إسرائيل بعد التيه بدخول قرية بيت المقدس أو أريحا. على اختلاف القولين - من بابها ساجدين لله تعالى عند الدخول قائلين: حطّة، وهي فعلة من الحطّ، كالجلسة بمعنى: حطّ عنا ذنوبنا حطّة، فأشار (ع) إلى أنه مثل هذا الباب))^(٢)، ((نحن باب حطّة وهو باب السلام، من دخله نجا ومن تخلف عنه هوى))^(٣).

المبحث الثاني: التوظيف القرآني العام

حَمَالَةُ الْحَطْبِ:

قال أمير المؤمنين (ع) في كتابه جواباً لمعاوية: ((وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمْ الْمُكَذِّبُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَخْلَافِ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صَبِيَّةُ النَّارِ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطْبِ))^(٤).

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢ / ٢٣٣ .

(٢) شرح أصول الكافي: ١١ / ٢٩٣ .

(٣) آداب أمير المؤمنين (ع): ١٧٩ .

(٤) نهج البلاغة: ك: ٢٨، ٢٨٨ .



وهذا المعنى وظّفه الإمام عليه السلام من سورة المسد في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥]، فقد قارن الإمام عليه السلام بين بني هاشم وبني أمية:

بنو أمية	بنو هاشم
منكم (كاف الخطاب)	منا (نا المتكلمين) للتعظيم
المكذب	النبّي محمد ﷺ
منكم أسد الأحلاف	منا أسد الله (الحمزة)
منكم صبية النار	منا سيّدا شباب أهل الجنة (الحسان)
منكم حمالة الحطب	منا خير نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام

فشتان بين النسبين؛ فالإمام عليه السلام يعرض المفارقة بين بني هاشم وبني أمية، ويقابل بينهما؛ فالفضائل أمام الرذائل وبدليل الألفاظ التي انتقاها أمير المؤمنين عليه السلام فد) المكذب هو أبو جهل، يقابله بالنبّي ﷺ، وأسد بن عبد العزى وهو (أسد الأحلاف) وهم بنو عبد مناف وزهرة وتيم والحارث بن فهر، يقابله ب(أسد الله) وهو الحمزة، سمّاه الرسول ﷺ لشجاعته ودفاعه عنه، وصبية النار وهم صبية (عقبة بن أبي معيط) يقابلهم ب(سيّدي شباب أهل الجنة وهما الحسن والحسين) عليه السلام، و(حمالة الحطب) لقب أطلق على أم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان بن حرب عمّة معاوية، قابلها بخير نساء العالمين وأراد فاطمة عليها السلام، وكانت في أشدّ العداوة لرسول الله ﷺ؛ فقد كانت تحمل حزمة من الشوك وتشره في طريق الرسول ﷺ، وقيل: إنّها تمش [بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتهيج نارها كما توقد النار بالحطب فاستعير لفظ الحطب لتلك النميمة^(١).

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٤٤١ .



ولمن يعترض على هذا التفسير بأنها كانت من الميسورين فالإجابة عنه تكون، بأنها كانت مع كثرة مالها إلا أنها خسيصة ومع شدة عداوتها تحمل الشوك، والحطب وتلقيه في طريق الرسول (صلى الله عليه وآله)، وفي مشيها بالنميمة؛ فتوقد النائرة، وكانت تعير رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالفقر؛ فكانت تحتطب، وما حملت من الآثام في عداوة الرسول (صلى الله عليه وآله)؛ فهي كالحطب تصيرها إلى النار؛ فشبّه فاعل الإثم بمن يمشي، والثقل على ظهره كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]، و﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]، و﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

ففي هذه المقارنة يتبين معنى الذم والتوبيخ. وهي نظرة في التفسير بحسب السياق الذي أورده الإمام (ع)، فقراءة الرفع في لفظ (حمالة) إما أن يكون عطفًا على الضمير (سيصلى)، أي: سيصلى هو وامراته، و(في جيدها): موضع الحال، أو الرفع على الابتداء، أو (في جيدها): الخبر^(١).

وتوظيف قراءة النصب له معنى سياقي، وهو وصف مقطوع عن الوصفية للذم، أي: أذم حمالة الحطب^(٢)، فالنصب هنا للذم وإنما ينصب المدح والذم والترحم والاختصاص، على إضمار (أعني)^(٣). كما نقول: مررت بأخيك الفاجر

(١) ينظر: التفسير الكبير ٣٢ / ١٥٣ .

(٢) ينظر: الميزان: ٢٠ / ٣٨٥ .

(٣) ينظر: الجمل في النحو: ٦٢ .



الفاسق، ولم يجعل ال(حمالة) خبراً للمرأة، ولكنه كأنه قال: أذكر حمالة الحطب شتماً لها وإن كان فعلاً لا يستعمل إظهاره^(١).

رد الشمس:

قال أمير المؤمنينؑ: ((ألا وإن بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم ﷺ والذي بعثه بالحق لتبلبن بلبلة، ولتغربن غربلة، ولتساطن سوط القدر حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم، وليسبقن سابقون كانوا قصروا، وليقصرن سابقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وشمة ولا كذبت كذبة، ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم، ألا وإن الخطايا خيل شمس حبل عليها أهلها، وخلعت لجمها))^(٢)، وقد وظف الإمامؑ فكرة هذا المعنى من قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٠ - ٣٣].

وقد نُقِلَ عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) قوله: ((سألت علي بن أبي طالب عن هذه الآية فقال: ما بلغك في هذا يا ابن عباس؟ فقلت له: سمعتُ كعب الأخبار يقول: إن سليمان اشتغل ذات يوم بعرض الأفراس والنظر إليها حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال لِمَا فاتته الصلاة: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ يعني: الأفراس، وكانت أربعة وعشرين، ويقول: أربعة عشر، فردوها عليه فأمر بضر سوقها وأعناقها بالسيف فقتلها، وأن الله سلبه ملكه أربعة عشر يوماً؛ لأنه ظلم الخيل بقتلها. فقال علي بن أبي طالب: كذب كعب

(١) ينظر: كتاب سيبويه: ٢: ٧٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٦، ١٧.



الأخبار، لكنّ سليمان اشتغل بعرض الأفراس ذات يوم؛ لأنّه أراد جهاد عدوّ حتّى توارت الشمس بالحجاب، فقال بأمر الله للملائكة الموطّنين بالشمس: ﴿رُدُّوْهَا عَلَيَّ﴾ يعني: الشمس، فردّوها عليه حتّى صلّى العصر في وقتها. فإنّ أنبياء الله لا يظلمون ولا يأمرّون بالظلم ولا يرضون بالظلم؛ لأنّهم معصومون مطهّرون^(١)، وهذا تأكيد على اجتناب المعاصي والآثام والتزام التقوى في الأمور (حقّ وباطل) فإن الله سبحانه حيث جعل الدنيا دار اختبار أسلس قياد كل من الحق والباطل ليختبر فيها الناس^(٢).

فركوب الفرس الجامح خطير، وتشدّد الخطورة إذا فقد لجامها الذي يلجم عنانها، ثمّ تتضاعف هذه الخطورة أكثر من ذي قبل إذا كان هذا الجموح في أرض تشتمل على بعض المطيَّات. وهذا هو التصوير الواقعي للذنب، فارتكاب الذنب يقود الإنسان إلى ذنب آخر وهكذا، على سبيل المثال قد يرتكب الإنسان خيانة فيكتمها، وإذا استجوب حال ما لا يحصى من الأكاذيب للتغطية على خيانتها كما يقسم كاذباً أو يلجأ إلى اتهام الآخرين، فاذا لم يجد ذلك نفعاً ربّما لا يتورّع عن سفك دم من يعلم بخيانتها وعكس الإمام عليه السلام الصورة فشبه فيها التقوى بالخيال الذلول فأوصلت ركبها موضعها^(٣)، وبهذا يتبين أنّ الإمام عليه السلام قد وظّف التفسير في مقام توضيح وبيان من باب نقد ما فسّره كعب الأخبار.

الشمس والقمر:

ومن مواضع عطفه على الشمس قوله عليه السلام: ((وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصَرَةً لِنَهَارِهَا - وَقَمَرَهَا آيَةً مُمَحَّوَةً مِنْ لَيْلِهَا - وَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا - وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا

(١) توضيح نهج البلاغة: ١: ١٠٣.

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٥٦٨.

(٣) ينظر: نفحات الولاية: ٣٥٤.



فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا - لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا - وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِّينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا^(١)، وهو تفسير لقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، فجعل شمس هذه الأجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائماً، وهنا آيتان دالتان على قدرته الكاملة، وفي إبصار النهار ومحو الليل وفيه وجوه: ومنها إبصار النهار وبقاء الشمس وتام ضيائها، ومحو الليل اختلاف القمر في أحواله اشراقاً ومحاقاً؛ ففي كل ليلة زيادة ونقصان، ونور القمر من ضوء الشمس؛ ففي كل ذلك تقدير للسير في بروجها ومنازلهما، فالشمس تسير في شهر لكل برج، والقمر في كل برج من يومين إلى ثلاثة^(٢).

ويقال: قمر السماء عند الامتلاء؛ لأنه يقمر ضوء الكواكب ويفوز به، ومنه قوله: ((وَاللَّهُ الْخَلْقِ وَرَازِقُهُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرَضَاتِهِ))^(٣)، ومن أسئلة ابن الكواء لأمير المؤمنينؑ: ((أخبرني عن المحو الذي يكون في القمر، فقال ﷺ: الله أكبر، الله أكبر، (الله أكبر)، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء، أما سمعت الله يقول: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ﴾^(٤)، وفي هذا ما يدل على علمه بتفاصيل الموجودات الدقيقة في الكون وهذا إن دل على شيء فيدل على أن الصانع أحكم صنعه في كل شيء. وعن الصادقؑ ((لما خلق الله القمر كتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله عليّ أمير المؤمنينؑ وهو السواد الذي ترونه))^(٥).

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٩١، ٨٦.

(٢) ينظر: شرح النهج: ٢ / ٣٦٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة: ٩٠، ٨١.

(٤) منهاج البراعة: ١١ / ٢٥.

(٥) التفسير الصافي: ٣ / ١٨١.



موضع بيت الله الحرام:

يقول الإمام (ع): ((ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا وَأَضْيَقَ بَطُونِ الْأُودِيَةِ قَطْرًا بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ وَرِمَالٍ دَمَثَةٍ وَعَيْوُنٍ وَشَلَّةٍ وَقُرَى مُنْقَطِعَةٍ لَا يَزُكُّو بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ (ع) وَوَلَدَهُ أَنْ يَتَنَوَّأَ أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ فَصَارَ مَثَابَةً لِمُتَتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، ... وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِي الثَّمَارِ مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلِ الْقُرَى بَيْنَ بَرَّةٍ سَمْرَاءَ وَرَوْضَةٍ خُضْرَاءَ وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ وَرِيَاضٍ نَاصِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ لَكَانَ قَدْ صَعَرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ))^(١)، وهو مصداق لقوله تعالى على لسان النبي إبراهيم (ع): ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، فهي للقيام والتعبد فقط.

وألفاظ (أوعر وأقل وأضيق) هي أفعال تفضيل تدل على ما فيه (جبال خشنة، وقرى منقطعة) وقابلها بـ(سهل قرار، ومتصل القرى)، فأرضه وعرة على العكس من السهلة المنبسطة، والتنائق من النتق وهو أن تطلع الشيء وترفعه من مكانه، هذا هو الأصل وأراد به ههنا البلاد لرفع بنائها وشهرتها^(٢)، وسميت المدن والأماكن المشهورة والمرتفعة تتائق؛ لارتفاع بنائها وشهرتها وعلوها عن غيرها من الأرض كأنها جذبت ورفعت^(٣).

ويقول البحراني: ((قال (ع): إِنَّ مَكَّةَ أَقْلَهَا إِصْلَاحًا لِلزَّرْعِ؛ لِأَنَّ أَرْضَهَا

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٥، ١٩٦.

(٢) ينظر: الكافي: ٤ / ١٩٩.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة: ٤ / ٢٦٩.



حجرية، والأظهر عندي أن يكون التناقض مأخوذة من قولهم أنتق فلان إذا حمل مظلة من الشمس، والمظلة بالفتح والكسر الكبير من الأخبية وتسمية البلاد بها لاشتمالها على الدور والأبنية التي تستظل بها^(١)، فقد وضع بيته الحرام (قبلة) للأنام بوادٍ أسماه (غير ذي زرع)، والحكمة من كل ذلك الابتلاء والاختبار. في أصعب وأغلظ مكان من حيث الحجر، أقل البلدان والمدن من حيث التراب والمدر، وبذلك لم يكن صلاحية الزرع والحرث كما قال إبراهيمؑ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ فمن حيث الناحية والجانب جبالها غليظة ورمالها ليثة؛ لأن الرمل كلما كان ألين وأسهل كان أبعد من أن ينبت ولا يزكو به الدواب أيضًا؛ لأنّها تتعب في المشي به فخلت من المرتع والمرعى^(٢).

(١) منهاج البراعة: ٣٣٢ .

(٢) ينظر: منهاج البراعة: ٣٤٠ .



الخاتمة:

من أهمّ النتائج التي توصل إليها البحث ما يأتي:

١. يكاد يكون التوظيف القرآني خصيصة لا تنفك في إرث الإمام عليّ بن أبي طالب (ع).
٢. أشار الإمام (ع) في تفسيره للآيات القرآنية إلى المعاني الدقيقة التفصيلية التي تدلّ على الولاية والخاصّة بأهل البيت (ع)، وتبيّن ذلك في كثير من الألفاظ القرآنية مثل: (الأمانة، والكلمات، والخبير والنبأ العظيم)، وبهذا يتبيّن بأنّ لهم ولاية خاصّة - إن لم تكن ظاهرًا في الألفاظ - فهي معاني باطنية ذكرها الباري تبارك وتعالى في إشارات دقيقة؛ ليتدبّروا ويفقهوا.
٣. تبين من خلال البحث أنّ خطب الإمام (ع) في نهج البلاغة الذي جمعه الشريف الرضي (رحمة الله عليه) تفسير للقرآن العظيم بأسلوب متفرد عميق.
٤. امتداد النبوة تمثّلت في أهل البيت (ع) فالإمام عليّ بن أبي طالب (ع) امتداد للنبي (ص) لقوله (ص): ((أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي)).
٥. في توظيف الإمام (ع) للآيات القرآنية نجد الإعجاز القرآني كاختياره (موضع بيت الله الحرام) فقد وظّفها توظيفاً دقيقاً، وفي بعض المواضع بيان ما اختلف في تفسيره ك(ردّ الشمس)، أو معرض التدبّر والتفكّر ك(خلق الشمس والقمر)، وهذا كلّ لا يفهمه إلا من أوتي حظّ عظيم.



المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

١. آداب أمير المؤمنينؑ (حديث الأربعمئة)، قاسم بن يحيى الراشدي، تح: مهدي خداميان، قم، ايران، ط١، ١٣٨٥ هـ.
٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، د. ت.
٣. تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، أبو منصور الماتريدي، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ.
٤. تفسير الإمام عليؑ للقرآن الكريم، علي عاشور، مركز الشرق الأوسط الثقافي، ط١، ٢٠٠٨ م.
٥. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تح: الشيخ حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط٢، ١٣٧٤ هـ.
٦. التفسير الكبير، الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)، دار الكتاب الثقافي، الأردن، أربد، ط١، ٢٠٠٨ م.
٧. تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (ت ١١٢٥ هـ)، تح: حسين دركاهي، مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، ١٩٩١ م.
٨. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت ١٥٠ هـ)، تح: عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
٩. التوظيف القرآني في بعض خطب الإمام علي بن أبي طالبؑ، جعفر علي عاشور وجواد عودة سبهان، مقال منشور في مجلة أهل البيتؑ، العدد ٩.
١٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار الترية والتراث، مكة المكرمة، د. ت.



١١. الجمل في النحو، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)،
تح: فخر الدين قباوة، ط ٥، ١٩٩٥م.
١٢. دراسات في الفقه الإسلامي، حيدر حبّ الله، دار الفقه الإسلامي المعاصر،
١٤٣٢ هـ.
١٣. رسائل قرآني، الشيخ علي المشكيني (ت ١٤٢٨هـ)، دار الحديث، قم، ط ١،
١٤٣٥ هـ.
١٤. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، د. ت.
١٥. شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)،
دار الحبيب، البحرين، ط ٢، ١٤٣٠ هـ.
١٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت عليهم السلام، عبيد
الله بن أحمد الحاكم الحسكاني (ق ٥هـ)، تح: محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء
الثقافة الإسلامية، د. ت.
١٧. علوم القرآن، السيد محمد باقر الحكيم، ط ٣، ١٤١٧ هـ.
١٨. عيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)،
شرح: د. يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ت.
١٩. غرائب التفسير وعجائب التأويل، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت
٥٠٥هـ)، دار القبلة الإسلامية، جدّة، د. ت.
٢٠. في ظلال نهج البلاغة - محاولة لفهم جديد، محمد جواد مغنّية، تح: سامي
الغريزي، دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٥م.
٢١. الكافي، الشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، ط ٥،
١٣٦٣ هـ.



٢٢. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي أبو بشر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٨م.
٢٣. كتاب سليم بن قيس الهلالي، سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت ٧٦هـ)، تح: محمد باقر أنصاري، الهادي، قم، ط ١، د. ت.
٢٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الريان، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧م.
٢٥. المحجّة البيضاء في ترتيب الأحياء، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، الحوزة العلميّة، قم، ط ٢، د. ت.
٢٦. مختصر الأمثل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، إيران، قم، ط ١، ١٤٢٨هـ.
٢٧. المعاد رؤية قرآنيّة، السيّد كمال الحيدري، تح: خليل عبد الأمير رزق، دار فراق للطباعة، قم، ط ١، د. ت.
٢٨. من هدى القرآن، السيّد محمد تقي المدرسي، دار القارئ، بيروت، ط ٢، ١٤٢٩هـ.
٢٩. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، تح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.
٣٠. الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د. ت.
٣١. نفحات الولاية، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام عليؑ، قم، ١٤٢٦هـ.
٣٢. نهج البلاغة والمعجم المفهرس لألفاظه، كاظم محمّدي ومحمّد دشتي، دار التعارف للمطبوعات، ط ١، ١٩٩٠م.

أخلاقيات الإعلام في فكر أمير المؤمنين

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

أ.م.د. علي شمخي الفتلاوي

الملخص:

لطالما استحوذت شخصية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على اهتمام الباحثين والمؤرخين فقد انفردت هذه الشخصية بصفات ومميزات جعلت منه عليه السلام أبرز شخصية بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وتأتي هذه الدراسة لتسلط الضوء على محور مهم استند إليه الإمام عليه السلام وهو محور الإعلام الإسلامي المستند إلى الأخلاق القرآنية في مواجهة سياسة التضليل التي مارسها أعداء الإسلام، وقد تناول الباحث في هذه الدراسة الظروف العصبية التي رافقت تولي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مقاليد الخلافة الإسلامية والصفات التي كان يتمتع بها عليه السلام في التعامل مع من يختلف معه، ومواقفه من حملات الدعاية التي كانت تشنها مجموعات الضلالة، وفي مباحث أخرى تناولت الدراسة السياسة الإعلامية الرشيدة التي انتهجها الإمام عليه السلام وكان يستهدف بها تبصير المسلمين بالحقائق، ودحض الاتهامات والتحريف بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية.

واستعرض الباحث في دراسته هذه نماذج حيّة للسلوك الإيماني الذي كان يتمتع به إمام المتقين عليه السلام تمثلت بالأقوال والخطب والرسائل التي بعثها الإمام عليه السلام إلى الولاة في الأمصار وتضمن محتواها جوهر الأخلاق القرآنية في التعامل مع الرعية ومع الآخر



المختلف، وركزت الدراسة أيضًا على نقاط مهمة تتجلى فيها أخلاقيات الإعلام، ومن أبرزها فترات الحروب التي واجه فيها الإمام (ع) أساليب منظّمة من الدعاية، كما تناولت في صفحات أخرى نهج أمير المؤمنين (ع) في التعامل مع الرعايا من غير المسلمين الذين كانوا يعيشون في كنف الخلافة الإسلامية، وفي جانب آخر تطرقت الدراسة إلى السبل التي اختارها أمير المؤمنين (ع) في قيادته للدولة، وسعيه إلى نشر الدعوة الإسلامية وتعاليم الإسلام السمحاء في الفتوحات الإسلامية.

الكلمات المفتاحية: أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (ع)، الأثر القرآني،

الإعلام .

Abstract:

The personality of Imam Ali bin Abi Talib (pbuH) has long captivated the attention of researchers and historians, as he possessed unique qualities that rendered him the most prominent figure after the Holy Prophet (pbuh). This study highlights a pivotal axis adopted by the Imam: Islamic Media based on Quranic Ethics in confronting the policies of misinformation and deception practiced by the enemies of Islam. The researcher examines the arduous circumstances accompanying the Imam's assumption of the Caliphate, his ethical conduct toward political opponents, and his stances against the propaganda campaigns launched by groups of misguidance. Furthermore, the study explores the rational media policy pursued by the Imam, aimed at enlightening Muslims with facts and refuting distortions through Quranic evidence and Prophetic traditions.

The research presents vivid models of the Imam's faith-driven conduct as manifested in his sermons, speeches, and letters to provincial governors. These documents encapsulate the



essence of Quranic ethics in dealing with both subjects and the "other." Special emphasis is placed on media ethics during war-time, where the Imam faced organized propaganda. Additionally, the study addresses his approach toward non-Muslim subjects living under the Islamic Caliphate, his administrative leadership style, and his dedication to spreading the tolerant teachings of Islam through expansion and outreach.

Keywords: Commander of the Faithful Imam Ali bin Abi Talib (pbuH), Quranic Impact, Media.

المقدمة:

يحمل تاريخنا العربي والإسلامي بالعديد من الدراسات التي تناولت شخصية أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) إلا أنّ هذه الدراسات بقيت شحيحة فيما يتعلق بالخطاب الإعلامي الإسلامي الذي انفرد فيه أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث أفاضت خطبه ورسائله بالكثير من المعاني الأخلاقية التي استمدّها من بيت النبوة حيث نهل (عليه السلام) من مدينة العلم ورسول الإسلام ﷺ علومه.

وسيسلّط هذا البحث الضوء على تاريخ الإعلام الإسلامي وفنون الإعلام الإسلامي من خلال دراسة فكر الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) الذي منح الإعلام صورته الأخلاقية الحقّة المؤطّرة بتعاليم الإسلام السمحاء، وارتبطت معاني كلماته وخطبه ورسائله بالمعاني السامية الواردة في آيات الذكر الحكيم، وقد تناول الباحث في ثلاثة مباحث موضوع الإعلام والدعاية في الإسلام حيث خصّص المبحث الأوّل للإطار المنهجي فصّل فيه الباحث أهميّة البحث ومشكلته وهدفه، والدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع.



فيما استعرض المبحث الثاني تعريف الإعلام الإسلامي وتاريخه، فيما خصّص المبحث الثالث إلى موضوع الإعلام بين فكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعاوية، وقف فيه الباحث عند أبرز المحطّات التاريخية التي تمّ فيها الاستعانة بوسائل الإعلام، وكيفية إدارة الصراع الإعلامي، وتوظيفه للتأثير في الرأي العام ونشر المعلومات ومحاولات تضليل الجمهور التي مارسها معاوية والمناصرين له، والسبل والأساليب التي انتهجها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لمواجهة الدعاية والتضليل التي انتهجها معاوية في حقبة مهمّة من التاريخ الإسلامي، وقد استعان الباحث بالمصادر التاريخية والإعلامية للوصول إلى أهداف بحثه هذا، ويودّ الباحث هنا أن يشير إلى أهميّة الربط بين أساليب الإعلام في العصر الحديث والأساليب التي وردت في سيرة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، بوصفها منهجاً علمياً راقياً في التخاطب والتعاطي مع الآخر المختلف، التي شكّلت وعاءً أخلاقياً يمكن الاهتداء به والابتعاد عن سجايا التعصّب والكراهية والتطرّف والغلو التي باتت مجتمعاتنا الإنسانية تواجهها في ظلّ انفراط عقد منظومة قانونية وأخلاقية تتحكّم بمنافذ الإعلام، تشجّعها سياسات إشاعة الحريات المنفلتة والمفتقدة لأية ضوابط أو التزامات تحترم الخصوصيّات الدينية والاجتماعية لكل دين أو مجتمع، وفي ختام الدراسة عزّز الباحث دراسته بمجموعة من النتائج التي تولّدت من ثنایا بحثه متطلّعاً أن تكون دراسته هذه إضافة جديدة للدراسات السابقة التي تناولت موضوع الإعلام والدعاية في التاريخ الإسلامي، والأثر القرآني في موضوع الخطاب الإسلامي والوسائل الأخلاقية لنشر المعلومات والتأثير في الجمهور ومواجهة خطاب التضليل والانحراف الإعلامي.



الإطار المنهجي:

مشكلة البحث:

لا تزال كثير من الدراسات تتناول العمق التاريخي للعلوم المستحدثة وتحاول رصد المتغيرات التطبيقية في هذه العلوم؛ ولأن التطورات كانت كبيرة وواسعة في مجال الإعلام فإن التعرف على الأسس التي قام عليها هذا العلم وهذا الفن ستكون مهمة حيوية في ظلِّ محاولات مشبوهة لحرف رسالة الإعلام الحقيقية عن مسارها الأخلاقي فإن المشكلة ستظل قائمة إذا تمَّ تغييب الأصل الحقيقي لفنِّ الإعلام ورسالته، وقد كان القرآن الكريم واحداً من أعظم وسائل الإعلام الإسلامي في نشر رسالة الإسلام فقد كان الأنبياء والأوصياء والمصلحين هم الأدوات المهمة لنشر الرسالات السماوية، وقد كان أمير المؤمنين عليه السلام خير خليفة للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله لإكمال مسيرة التبليغ والإصلاح، وحرّيّ بالباحثين الوقوف على هذه المحطّات المهمة حينما يراد التعرف على المشكلات الحقيقية للإعلام في عالمنا اليوم.

فرضية البحث:

تستند فرضية البحث إلى وجود إرث علمي وثقافي في علوم السياسة والإعلام والاجتماع والعلاقات العامة ينبغي التعرف على مساراته، وسيكون من الصحيح والسليم الانطلاق أولاً من القرآن الكريم وما ورد فيه من آيات تبصّر الناس بالمسالك الصحيحة لمخاطبة بعضهم للبعض الآخر، وإنّ الصدق هو المرتكز الحقيقي لبناء الإعلام الإسلامي وبناء علاقات حقيقية وإنّ التضليل والكذب هو السبيل الأقصر لهدم هذه العلاقات.

أهميّة البحث:

تتّسع الدراسات المعنية بعلوم القرآن الكريم وتتعاظم معها الأهميّة حينما



يجتهد الباحثون في الغوص في معاني القرآن الكريم وسبر أغوار المفاهيم التي وردت في الآيات المحكمات، ويمتد هذا الاهتمام لما ورد في السيرة النبوية وسيرة آل البيت الأطهار عليهم السلام وجدهم واجتهادهم في تفسير القرآن الكريم ومن بين هذه الاهتمامات البحث في السبل والوسائل التي انتهجها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في الدعوة إلى الإسلام، والتمسك بتعاليمه السمحاء في السلم والحرب، وكيفية التعامل مع من يحاول التضليل والكذب ومعاداة النهج القرآني وكيفية مخاطبة الجماهير وإقناعهم بمصداقية وكسب عواطفهم وتقريبهم وتحبيبهم بدينهم وعقائدهم، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة لتتبع هذه الأساليب وهذا المنهج.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى المشاركة في تزويد الباحثين بأهم ما ورد في الأثر القرآني في جانب من جوانب الدعوة الإسلامية وهو التبليغ والخطاب وأخلاقيات التعامل مع الآخر بما يتسق مع روح الرسالة الإسلامية ومضامينها وتتبع ما ذكر في المصادر التاريخية والدراسات الأكاديمية عما ورد في سيرة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في مجال الاتصال بالجماهير من خلال تتبع سيرته عليه السلام وما رافقها من أحداث تتعلق بالإعلام والاتصال بالجماهير، والدعوة والدعاية والسبل الناجعة في انجاح الحوار عند الاختلاف، وكيف سار عليها الإعلام الإسلامي.

الدراسات السابقة:

من خلال اطلاع الباحث على المراجع والمصادر البحثية التي تناولت موضوع أخلاقيات الإعلام في العصور المختلفة يورد الباحث هنا مجموعة من هذه الدراسات:

١- الإعلام في صدر الإسلام للدكتور عبد اللطيف حمزة أستاذ الإعلام والصحافة



في جامعة القاهرة، وهي دراسة منهجية علمية تناولت تاريخ الإعلام والدعاية في العصر الإسلامي قبل الإسلام وبعده ظهور الإسلام.

٢- تاريخ الإعلام الإسلامي المعاصر في العراق للدكتورة بيان العريض وهي بالأصل أطروحة دكتوراة للباحثة أوردت فيها أهم المنابر الإعلامية الإسلامية في تاريخ العراق الحديث.

المبحث الأول: الإعلام والإعلام الإسلامي نبذة تاريخية

تعريف الإعلام والإعلام الإسلامي:

وردت تعريفات عدّة للإعلام في المراجع اللغوية، وقد اشتقت لفظة إعلام من الفعل أعلم كذا أي: جعل له علمًا أو بمعنى إيصال العلم إلى الآخرين ويختلف هذا العلم فيمكن أن يكون خبرًا أو تحليلًا أو معلومة أو نصيحة أو حادثة أو تاريخ أو غير ذلك^(١)، وفي تعريفات أخرى ورد أن الإعلام اسم مشتق من الفعل أعلم يعلم إعلامًا، ويأتي بمعنى الأثر وسمي الجبل علمًا؛ لأنه يعلم به الطريق ف((العلم: الأثر الذي يعلم به الشيء))^(٢)، وفي الدراسات الأكاديمية الحديثة يعرف الإعلام بأنه: ((نشاط اتصالي يراد به نقل المعلومات من طرف إلى آخر وبهذا فهو يشمل معنيين الأول: جميع أنماط الاتصال، والثاني: الإخبار والإبلاغ))^(٣)، أمّا (أوتو غروت) فقد عرّف الإعلام ((إنه تعبير موضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت، وهو العملية التي يجري من خلالها نقل وتبادل الأفكار أو المعلومات أو الانطباعات أو الآراء بين الأطراف بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وباستخدام وسائل اتصالية والاعتماد

(١) مقدمة في الإعلام الإسلامي: ٨.

(٢) مختار الصحاح: ٤٥٢.

(٣) الاتصال الجماهيري: ٢٣.



على الكلمات والرموز أو الدعاية أو الاعلان أو الاقناع أو التأثير العقلي أو العاطفي أو الإيحاء بأفكار واتجاهات ومقاصد معيَّنة))^(١).

أمَّا (الإعلام الإسلامي) فقد كان محطَّ اهتمام الباحثين في العصور الحديثة، إذ يربط الباحثون بين الإعلام الإسلامي ونشوء الدعوة الإسلامية باعتبارها النافذة التي خرج منها الإعلام الإسلامي كما يرتبط مفهوم الإعلام الإسلامي بمفهوم الدعوة حيث يتفق الباحثون هنا على إنَّ تعريف الدعوة بأنَّها الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ، أي: الدعوة إلى دين الله الذي هو الإسلام^(٢).

لقد تحدَّث التاريخ عن الإسلام من زوايا كثيرة، منها؛ الزاوية الدينيَّة والسياسيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والإداريَّة، ومنها؛ الزوايا العلميَّة والثقافيَّة والفلسفيَّة والمذهبيَّة، ومنها؛ الزاوية الخلقية والفنيَّة والحربيَّة، كما كتب الكثير عن تاريخ الأدب الإسلامي نفسه وبذلك أصبحت الثقافة الإسلامية من أوسع الثقافات التي عرفتها البشرية منذ ظهور الإسلام إلى اليوم^(٣)، ولكن بقيت من هذه الزوايا المتعدِّدة زاوية واحدة هي زاوية الإعلام أو الاتِّصال بالناس، ولم يكن ذلك تقصيرًا من القدماء بوجه من الوجوه، إذ إنَّ علم الاتِّصال علم حديث كلِّ الحداثة وإن كان الاتِّصال في ذاته قديمًا فقد مارسه جميع البشر منذ أن وُجدوا على ظهر الأرض ومنذ احتاج بعضهم إلى الاتِّصال ببعض، والآن وقد أصبح الاتِّصال علمًا من العلوم الحديثة المعروفة لم يبق هناك عذر للعلماء المحدثين إذا هم قصَّروا في البحث عن الأديان ومنها الإسلام، وذلك من الناحية الإعلامية أو من ناحية الدعاية، وهاتان

(١) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية: ١٢.

(٢) الاتِّصال - مجلة الفنون الإذاعية: ٤.

(٣) الإعلام في صدر الإسلام: ١٠.



الناحيتان هما جانب من جوانب الاتصال وقد جاء الإسلام فاستحدث صوراً جديدة في مجال الإعلام والاتصال بالناس ومن أوضح هذه الصور القرآن الكريم الذي هو أكبر وسائل الإعلام في الإسلام ثم الحديث الشريف، وقد اعتمدت عليه جميع العصور الإسلامية من الناحية الدعائية، وكانت القدوة من جانب الرسول صلى الله عليه وآله وكبار الصحابة من أكبر العوامل في نشر الدين الجديد، وقد اعتمد الرسول صلى الله عليه وآله إلى جانب ذلك على وسيلة معروفة في علم الاتصال أو الإعلام وهي وسيلة الاتصال بنوعيه الشخصي والجمعي، والنوع الأخير يتمثل بوجه خاص في الخطابة وعليها ارتكزت معظم جهوده صلى الله عليه وآله في مجال الإعلام والدعاية.

أليس معنى ذلك إن الإسلام دين إعلامي لأنه اعتمد على القرآن، والقرآن آية الله تعالى في البلاغة وفي التأثير في نفوس البشر إلى الدرجة التي سجد فيها العرب^(١)، وكان قد شاع بين الناس أن العرب في جاهليتها كانت أمة منعزلة عن العالم لا تتصل بغيرها أي اتصال، وإن الصحراء من جانب والبحر من جانب حصرها وجعلها منقطعة عن حولها والحق أن هذه الفكرة خاطئة وأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم مادياً أو أدبياً ومن الوسائل التي أخذها العرب في الاتصال وسيلة التجارة والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب^(٢).

وكذلك فإن الشعر في العصر الجاهلي كاد أن يكون هو الوسيلة الوحيدة من وسائل الإعلام والدعاية، والحق إنه لم توجد إلى جانب هذه الوسيلة غير وسيلة الخطابة، ولكن المنزلة الأولى في الجاهلية كانت للشعر دائماً، في بيئة لا يعرف القراءة والكتابة إلا قليلون يكادون يعدّون على الأصابع كان لا بد للشعر أولاً ثم

(١) الإعلام في صدر الإسلام: ١٤-١٥.

(٢) فجر الإسلام: ٢٢.



للخطابة بعد ذلك أن يقوموا بوظيفة الإعلام ووظيفة الدعاية للقبيلة، ولعل أكبر دليل على أهمية القصيدة العربية واهتمام العرب بها ما رواه التاريخ عن العرب إنهم كانوا يختارون أجود القصائد ويكتبونها (القباطي) بماء الذهب وكانوا يعلقونها على أستار الكعبة أو في بيوت الملوك، ومن أشهر هذه القصائد ما سمّي (بالمعلقات السبع أو العشر).

وقد ذكر البغدادي في خزانة الأدب: أن العرب كانت في الجاهلية يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا يعبأ به ولا ينشده أحد حتى يأتي قليلون في موسم الحج فيعرضه على أندية قريش فإذا استحسَنوه رُوِيَ وكان فخراً لقائله، وعلّق على ركن من أركان الكعبة حتى ينظر إليه، كما كان للأسواق والأعياد دور في اتخاذها وسيلة من وسائل الإعلام، واشتهر عند العرب سوق عكاظ وكانت بمثابة معرض عربي عام أيام الجاهلية^(١)، ومنذ ظهور الإسلام كان لا بدّ من أن يصبح للأعلام صور جديدة لم يعرفها من قبل، وتمّ استحداث أساليب جديدة في ميدان الإعلام والاتصال بالناس منذ عرض عليهم هذا الدين الجديد، وبذل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جهوداً كبيرة في سبيل الدعوة الإسلامية، ثم جاء الخلفاء من بعده فمارسوا (الإعلام) بأساليب متعدّدة ومن أمثلة ذلك؛ الأذان لإقامة الصلاة، وأسلوب الغزوات والسرايا الحربية لاستطلاع حال العدو، وقد مارس الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك أسلوب العلاقات الودية بدل العصبية التي كانت سائدة قبل الإسلام في سبيل نشر الدعوة^(٢)، ويمكن اجمال وسائل الاتصال بالجماهير في عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخلفاء الأكثر تأثيراً بالنفوس بالآتي:

(١) تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي: ١٢٣.

(٢) الإعلام في صدر الإسلام: ٣٩.



١. القرآن الكريم.
 ٢. الحديث الشريف والخطبة النبوية.
 ٣. القدوة الحسنة من جانب الرسول صلى الله عليه وآله.
 ٤. الاتصال الشخصي والجمعي.
 ٥. أسلوب القصص والقصيدة الشعرية.
- ولا شك إن القرآن الكريم هو الوسيلة العظمى والطريقة المثلى للدعوة الإسلامية وقد نصّ القرآن في كثير من آياته على أنّ الرسول صلى الله عليه وآله مكلف من قبل الله تعالى بشيء واحد فقط هو تبليغ الناس هذه الرسالة الجديدة، وأنه ليس مسؤولاً عن تصديق الناس لها أو عدم تصديقهم إيّاها، قال تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وكان لا بدّ لهذه الرسالة أن تكون مقرونة بطائفة من القيم الجديدة والمفاهيم الجديدة والمثل الجديدة التي يقوم عليها المجتمع الجديد، ويصبح بها مغايراً كلّ المغايرة للمجتمع الذي سبقه إلى الوجود، وهو المجتمع الجاهلي، يقول الأستاذ توماس أرنولد في كتابه (الدعوة الإسلامية): ((إنّ دعوة محمد كانت تعارض كثيراً ما كان ينظر إليه الغريب نظرة ملؤها التقدير والإجلال حتى ذلك الحين، كما كانت تعلم حديثي العهد بالإسلام أن يعدّوا الفضائل صفات كانت قبل إسلامهم ينظرون إليها نظرة الاحتقار، فكان العربي يتباهى بردّ الشرّ بالشرّ، وينظر إلى كل من يسلك خلاف ذلك نظرة الضعيف الذليل، ولقد خاطب النبي صلى الله عليه وآله أمثال هؤلاء بقول القرآن الكريم: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤])^(١).

(١) الدعوة إلى الإسلام: ٦٢.



((إنَّ الدعوة الإسلامية هي أحد أنماط الإعلام الإسلامي الموجه للمسلمين وغير المسلمين ويبقى الإعلام الإسلامي يؤدي وظائف وأهدافاً عدة أخرى، وأيضاً فإنَّ انغلاق مهمة الإعلام الإسلامي ووسائله على مهمة الدعوة الإسلامية يؤدي إلى قصور هذا المفهوم الحياتي والحيوي وبتربقية مهماته الاتصالية))^(١)، من هنا يمكننا أن نعرّف الإعلام الإسلامي بأنّه: ((ذلك النوع من الإعلام الذي يتخذ من الفكر الإسلامي ومصادره الأساسية منهجاً للعمل باستخدام وسيلة البث المسموع أو المرئي أو المقروء لخدمة الإسلام وقضاياها، وأسلوبه للتخاطب مع الأفراد كما تصوّره آيات القرآن الكريم))^(٢).

المبحث الثاني: أخلاقيات الإعلام بين أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية

يتحدّث التاريخ الإسلامي عن الظروف التي بويح فيها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويصفها بأنّها أسوء ظروف في أعقاب الفتنة الكبرى التي انتهت بقتل عثمان بن عفّان وقد سمع معاوية بن أبي سفيان بيعة المسلمين للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسأته أخبارها وظهر في الإسلام لأول مرّة في تاريخه خلاف شديد بين نظامين مختلفين، هما؛ نظام الخلافة الدينية ونظام الملك الدنيوي، الأوّل يمثله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، والثاني يمثله معاوية، وانقسم المسلمون وكان جمهور أمير المؤمنين عليه السلام القراء والفقهاء والنسّاب والحفّاظ وأمّا حزب معاوية فكانوا طلاب دنيا ومال وجاه، وكانوا يسمعون الحقّ كما يسمعون الباطل وكانوا لا يعرفون غير الطاعة العمياء لمعاوية بن أبي سفيان فلا يجيزون إلا ما أجازوه ولا يميّزون معه بين

(١) تاريخ الإعلام الإسلامي: ٢٠.

(٢) الخطاب الإسلامي: ١٩.



ناقة وجمل^(١)، ولم يكن هناك شيء أحبّ إلى الإمام عليّ (ع) من أن يُقيم حقاً ويزهق باطلاً، وكان (ع) لا ينفى (حق الاختلاف)، و لا يمنع (حق الاعتقاد)، أو (حرية الاعتقاد) باعتبار أنّ الإنسان أخ الإنسان إمّا بسبب الرابطة الدينية أو الرابطة الإنسانية الأهمّ و يجد حديث الإمام (ع) ضالته في القرآن الكريم وفي السنّة المحمّدية وكان يؤكّد على أهميّة سماع الرأي الآخر، وذلك حين يقول: ((من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الأخطاء))، وكان الإمام عليّ (ع) بعيداً عن روح التعصّب والمحسوبية والمنسوبيّة محبّاً للعلم ومقدّراً لدوره حيث وضعه في قمة أنواع الشرف، وذلك بقوله: ((لا حسب كالتواضع، ولا شرف كالعلم))، وكان يدعو لرفض القهر بمختلف أشكاله^(٢)، ويقول علي شريعتي في كتابه الإمام عليّ (ع) في محنه الثلاث ((علّمنا عليّ كيف يقدم الإمام أو القائد أو القدوة الإنسانية درساً عملياً من خلال النجاح والفوز والنصر أحياناً ومن خلال قبول أضدادها أحياناً أخرى، علّمنا كيف يكون الإمام معلماً بالكلام مرّة وبالسكوت أخرى، يتحدّث فيقدم الدرس في حديثه، ويصمت فيقدم الدرس في صمته، وترك لنا (نهج البلاغة) الذي يعدّ ثاني أعظم كتاب عندنا بعد القرآن))^(٣).

وإذا تمعّنا في جوهر الصراع بين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) ومعاوية بن أبي سفيان فإننا سنجد أنّ الفرق عظيم جدّاً بينهما من حيث الحكم ومن حيث الرعيّة التي كان يحكمها كلّ واحد منهما، ومن حيث البطانة التي كانت تحيط بكلّ منهما، ومن حيث الأخلاق والمبادئ التي أخذت بها كلّ بطانة على حدة، ومن حيث الموارد المالية التي كانت تملكها، ثمّ من ناحية الهدف الذي تهدف إليه آخر الأمر^(٤).

(١) الإعلام في صدر الإسلام: ٢٥٥.

(٢) الإسلام وحقوق الإنسان: ٩٤.

(٣) الإمام علي في محنه الثلاث: ١٨٥.

(٤) الإعلام في صدر الإسلام: ٢٦٠.



ويمكننا أيضًا أن نعرض في هذه الدراسة بعض الوسائل الإعلامية والدعائية التي مارسها الفريقان وصولاً إلى وصف أخلاقيات الإعلام التي كان يتحلّى بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) حيث كان الإعلام وسيلة الإمام (ع)، أمّا الدعاية فكانت وسيلة معاوية، وقد كانت طرق الدعاية تتسع أمام معاوية؛ لأنه كان يسعى إلى ملك دنيوي، وإن طرق الإعلام تضيق أمام عليّ (ع)؛ لأنه يتقلد أمر خلافة دينية قبل كل شيء، ولقد اتبع (ع) وسيلتين إعلاميتين، هما؛ الخطبة والرسالة.

وكان يساعده على النجاح في ممارسة هاتين الوسيلتين أمور كثيرة، منها:

١- قوة شخصيته.

٢- حسن أخلاقه وجميل سيرته.

وقد كان في هذه الصفة أشبه رجل برسول الله (ص)، وقد اشتمل نهج البلاغة على كثير من خطب الإمام عليّ (ع)، وهي بمجملها إعلام صادق، فالإعلام لا بد أن يُبنى على الصدق وحده، ورجل الإعلام هو الذي يزود الناس بالأخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة ويفسر هذه المعلومات، لكنه يترك لهم الحرية التامة في فهم هذه المعلومات وادراكها بعد أن قدّمها لهم وأعقب ذلك بشرحها وتفسيرها قدر المستطاع.

أمّا الدعاية فقد تُبنى على الصدق، وقد تُبنى على الكذب، وهي على الكذب أكثر اعتماداً في أغلب الأحيان، والقصد من الدعاية هو استهواء الناس والتأثير في نفوسهم وعقولهم؛ لغرض مشكوك فيه، وقد استغل معاوية في دعايته جهل الرعية في زمانه وقد كان العلم في الشام حيث الأعوان الملتفون بمعاوية أقل من العلم في الحجاز حيث كبار الصحابة وأبناء الصحابة الذين تألّف منهم جمهور عليّ (ع)، وصحيح إن من أمضى الأسلحة في مقاومة الدعاية هو الإعلام، فالإعلام هو القادر على إسكات الدعاية،



والكشف عمّا فيها من الكذب والزيغ عن الحقائق والبعد عن الصّحة ومخالفة الواقع، ولكنّ الإعلام في هذه الحالة لا بدّ أن يبذل من الجهود الكبيرة أضعاف ما تبذله الدعاية، وبغير ذلك تكون الغلبة للأخيرة في النهاية وهذا هو الموقف الحرج الذي وقفه الإمام عليّ عليه السلام من داهية الشام معاوية بن أبي سفيان، وممّا لا شكّ فيه أنّ الدعاية قوّة سياسية كبيرة في وسعها أن تقيم دولة وأن تهدم أخرى^(١).

والإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام وإن كان ابن عصره إلّا أنّه سبقه بمراحل طويلة من خلال نظرتة الإنسانية الثاقبة وأحكامه المتقدّمة ومثله الأصيل، وقد كان لحياته عليه السلام ومدرسته الفكرية والسياسية معنى إنساني كبير يمكن أن ينهل منه الكثير بما يساعد في معالجة الحاضر، بل والمستقبل أيضًا^(٢).

لقد جسّد كتاب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى عامله في مصر مالك الأشر النخعي أخلاقيات التخاطب والتعاطي مع الآخر بأسمى صور الانسانية ((وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة والمحبة لهم واللفظ بالإحسان إليهم، ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان؛ إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق، تفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، أعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولّاك بما عرفك من كتابه، وبصرك من سنن نبيّه صلى الله عليه وآله، عليك بما كتبنا لك في عهدنا هذا، لا تنصبنّ نفسك لحرب الله فإنّه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته))^(٣).

(١) الإعلام في صدر الإسلام: ١٠٧.

(٢) الإسلام وحقوق الإنسان: ٩٥.

(٣) جزء من نص كتاب الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى عامله الأشر.



أما معاوية فقد نشر الدعاية السيئة حول علي بن أبي طالب (ع) ومنها أسلوب الأحاديث الموضوعية أو الكاذبة، ومنها أسلوب تفسير آيات القرآن تفسيراً يسيء إلى سمعة علي (ع) ويشيع أيضاً صفات غير حقيقية عنه، مثل إشاعته على أنه قليل الدهاء، وكان الإمام (ع) يردّ عليه بقوله: ((والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهيتي الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن لا رأي لمن لا يطاع))، وزعم معاوية أنّ الذي أعانه على دراسة الناس وأخلاقهم إلى هذا الحدّ هم العيون والأرصاد، وهم الجواسيس بلغة العصر الحاضر يبعث بهم إلى البلاد فيأتونه بأخبار أهلها جميعاً، فيسوسهم على النحو الذي يرضيهم وبفضل هؤلاء الجواسيس كان معاوية يعرف كيف يختار الرجال القادرين على خلق القلاقل وصنع المكائد وإيجاد الفتن في بلاد الحجاز والعراق، حيث يقيم علي بن أبي طالب (ع) وكبار الصحابة، ويحبّب هؤلاء في المجرى إلى الشام، وترك الإمام (ع) .

وكذلك فقد اعتمد معاوية في دعايته على الطرق المسرحية، فما أن سمع بمقتل عثمان حتى بعث إلى المدينة من أتى له بقميص عثمان وعليه دمه وأمر الرسول فحمل القميص على علم ووصل به إلى معاوية، وفرشه على الأرض وجمع أصحابه وجلسوا يبكون على عثمان ويقولون علي بن أبي طالب هو القاتل^(١).

نتائج البحث

توصّل الباحث في ختام دراسته إلى مجموعة من النتائج، يوجزها بالنقاط

الآتية:

أولاً: القرآن الكريم منبع ربّاني من منابع الهداية لجميع البشرية والتمعّن في آياته المحكمات يمنح المتلقّي الطمأنينة والثبات في السلوك الإنساني.

(١) الإعلام في صدر الإسلام: ٢٦٣.



ثانياً: القرآن الكريم والنبى محمد ﷺ من أعظم وسائل الإعلام في الدعوة الإسلامية.
ثالثاً: إنّ أمير المؤمنين الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) مرجع تاريخي وأخلاقي في التعامل مع الرعيّة، ونهجه في إدارة الدولة هو نهج إنساني يسمو على كلّ عناوين الأديان والمذاهب والمعتقدات، وعدالته شملت الجميع من دون تفریق.

رابعاً: الصدق هو جوهر الإعلام، الذي استند إليه الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في خطابه مع المؤمنين وغير المؤمنين، والقرآن الكريم كان هو الوعاء الذي عرف منه (عليه السلام) الأحكام والمواقف تجاه الأحداث والفتن التي واجهت المسلمين أبان فترة تولّيه الخلافة والإمامة.

خامساً: إنّ دراسة أسس الصراع السياسي والإعلامي بين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومعاوية تمكّن الباحثين من الاطلاع والاستزادة أكثر من تحليل موضوع الإعلام والدعاية وتاريخها ومناهجها.

سادساً: باتت الحاجة ماسّة لتشجيع الباحثين في مجال الإعلام للرجوع إلى منابع الفكر الإسلامي وأهمّها كتاب الله الكريم لمواجهة هذا السيل الكبير من الغزو الثقافي الذي تحمله نصوص المحتوى الإعلامي في المواقع والمنصّات الإعلامية الإلكترونية من دون رقيب أو حسيب من أجل حماية منظومة المعتقدات الإسلامية التي نؤمن بها بوصفنا مجتمعاً إسلامياً يعتزّ بتعاليم دينه السمحاء.

سابعاً: إنّ خطب الإمام عليّ (عليه السلام) في خلافته وإمامته للمسلمين تشكّل منبراً إعلامياً حياً وخالداً في التعامل مع الآخر، وإنّ الاهتمام بها وتضمينها في مناهج الدراسة بمختلف مراحلها وشرح مضامينها هو أحد منافذ التثقيف الإعلامي، وتحصين الأجيال من الفكر المتطرّف.



المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

أولاً: الكتب:

١. الاتصال الجماهيري، هادي نعمان الهيتي، المنظور الجديد، عالم المعرفة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٨.
٢. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود رشيد، شركة الرشيد للطباعة والنشر، بغداد، ٢٠٠١.
٣. الإسلام وحقوق الإنسان، عبد الحسين شعبان، بيسان، بيروت، ٢٠١٤.
٤. الإعلام في صدر الإسلام، عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٧٨.
٥. الإمام عليّ في محنه الثلاث، علي شريعتي، ترجمة: علي الحسيني، دار المعرفة، بيروت، ط ٢، ٢٠١٠.
٦. تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، محمد هاشم عطية، القاهرة، ط ٢، ١٩٣١.
٧. تاريخ الإعلام الإسلامي المعاصر في العراق، بيان العريض، دار لارسا للطباعة والنشر، بغداد، ط ١، ٢٠١٩.
٨. الخطاب الإسلامي في عصر الإعلام والمعلوماتية: طه أحمد الزيدي، مركز البصيرة، دار الفجر للطباعة والنشر، العراق، ٢٠١٠.
٩. الدعوة إلى السلام، توماس أرنولد، ترجمة: حسن براهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، ١٩٥٨.
١٠. فجر الإسلام، أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١١.
١١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣.



١٢. مقدّمة في الإعلام الإسلامي، صلاح عبد الرزاق، مطبعة الشموع، بغداد،
٢٠٠٥.

ثانيًا: المجالات:

١- الاتّصال، مجلة الفنون الإذاعية، بغداد، ع ٩٤، ك ١، ١٩٧٥.

المفاهيم القرآنية في إحدى خطب نهج البلاغة

قراءة في الأبعاد التربوية

أ.م.د فاضل كاظم صادق العليّ

الملخص:

تُعدّ العلاقة بين القرآن الكريم وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام علاقة وثيقة وعميقة، إذ يتجلّى حضوره عليه السلام بوضوح في كتاب الله العزيز، والقرآن الكريم حاضر بجلاء في فكر الإمام عليّ، إذ يُعدّ بمثابة قرآن ناطق يفسّر ويشرح آيات القرآن المجيد. عند دراسة نهج البلاغة في خطبه ورسائله وحكمه، نجد أنّه مصدر غنيّ بالأفكار والنظريات والآراء، ممّا يجعله تجسيداً واضحاً لكتاب الله المجيد، ومن بينها الخطبة رقم (١٠٢) التي تتناول موضوع الزهد في الدنيا، إذ تطرّق أمير المؤمنين إلى مفاهيم قرآنية تمّ تلخيصها في مبحثين، مع التركيز على الأبعاد التربوية لكلّ مفهوم.

المبحث الأوّل يتناول مفهوم الزهد في هذه الخطبة، وهو من المفاهيم القرآنية الهامة، ويبحث في تأثيره التربويّ على بناء شخصيّة الفرد والمجتمع.

أمّا المبحث الثاني فيشرح مفهوم الاعتبار الذي تناولته الخطبة أيضاً، ويُعدّ من المفاهيم القرآنية الهامة، ويستعرض كيف يمكن لمنهج الاعتبار والموعظة أن يُسهم في تطوّر الأمم والشعوب وتقدّمها.

الكلمات المفتاحية: المفاهيم القرآنية، الأبعاد التربوية، نهج البلاغة.



Abstract:

The relationship between the Holy Qur'an and the Commander of the Faithful, Imam Ali ibn Abi Talib (PBUH), is characterized by its profound and intimate nature. His presence is vividly manifested within the Divine Book, just as the Qur'an is patently present in his thought; he is regarded as the "Speaking Qur'an" who interprets and elucidates its glorious verses.

Upon studying Nahj al-Balagha—including its sermons, letters, and aphorisms—we find a rich source of ideas, theories, and perspectives that make it a clear embodiment of the Holy Qur'an. This study focuses on Sermon 102, which addresses the theme of asceticism (Zuhd) in this world. In this sermon, the Commander of the Faithful touches upon several Qur'anic concepts, which are summarized here into two main sections, focusing on the educational and formative dimensions of each.

The First Section: Discusses the concept of Asceticism (Zuhd) as presented in the sermon. It examines this vital Qur'anic concept and its educational impact on the character building of both the individual and society.

The Second Section: Explains the concept of Taking Admonition (T'tibar), also featured in the sermon. It explores how the methodology of reflection and moral lessons can contribute to the development and progress of nations and peoples.

Keywords: Qur'anic Concepts, Educational Dimensions, Nahj al-Balagha.



المقدمة:

الحديث عن العلاقة بين الإمام عليّ عليه السلام والقرآن الكريم جميل وممتع، فهي متجدّرة تفاعل فيها عليه السلام مع كتاب الله الكريم حتّى صارت صوته وعدله فأثر فيه القرآن الكريم كثيرًا في معتقده وأخلاقه وبيانه وبلاغته حتّى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ مع القرآن والقرآن معه لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. وقد تطوّرت هذه العلاقة وكبرت فصار أمير المؤمنين مدافعًا عن القرآن وأهدافه وقداسته حتّى استشهاده.

وأوضح القرآن الكريم مكانة الإمام عليّ عليه السلام ومقامه متحدّدًا عن فضله وعلوّ قدره عند الباري عزّ وجلّ في عشرات الآيات، منها آية المباهلة وآية المودّة وآية التطهير وغيرها، فإذن من الطبيعيّ ونحن نوضّح عن قوّة هذا القرب والتماسك بين الإمام عليّ عليه السلام والقرآن أن يظهر القرآن بأفكاره ومبادئه من قيم ومفاهيم في نظريّاته وطروحاته.

ومن هذا المنطلق جاء موضوع البحث عن اثنين من المفاهيم والأثر القرآنيّ في إحدى خطب نهج البلاغة وهي الخطبة الثانية بعد المئة، وموضوعها عن الزهد والاعتبار، فمعلوم كيف تناول القرآن الكريم سجيّة الزهد وكذلك الاعتبار من حوادث الدين.

يحاول البحث قراءة ذلك في جنبته التربويّة من طريق أثرهما على الإنسان في جوانبه الإيجابيّة التي تبني منظومة القيم الإنسانيّة في صناعة إنسان مُنتج وعنصر فاعل في مجتمعه. جاء البحث في مبحثين الأول حديث عن الزهد في خطبته ومصادقيها القرآنيّة، أمّا الثاني فكان قراءة لمفهوم الاعتبار والإفادة من مواضع الحياة وتجاربها المختلفة وكيف أنّ القرآن كثيرًا ما أكّد على موضوع الاعتبار أيضًا من طريق أثر



ذلك في مقولات الإمام علي عليه السلام . وختم البحث بخلاصة تحدثت عن الآثار التربوية لمفهومَي الزهد والاعتبار في حياة الناس بصورة عامة.

المبحث الأول: الزهد بين القرآن الكريم ومقولات الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام «قراءة تربوية»

الزهد في اللغة ((خلاف الرغبة، وزهدَ في الشيء رغب عنه، والتزهيد في الأشياء الرغبة عنها خلاف الترغيب فيها))^(١)، استهل الإمام علي عليه السلام خطبته داعياً إلى التزهيد في الدنيا قائلاً: ((انظروا إلى الدنيا نظرَ الزاهدين عنها))^(٢)، والنظر هنا ليس الرؤية البصرية أو المشاهدة العينية بقدر ما هو التأمل والتروي القائم على البصيرة، فهو يرى عليه السلام أن ليس كل سامع بسميع ولا كل ناظر ببصير^(٣)، فالإنسان العاقل اللبيب يكون نظره كله تأمل وتفكر، هل أن عمله هذا في مصلحته ونفعه أو خلاف ذلك^(٤). فالإنسان الناظر إلى الدنيا بنظرة الزهادة من صفاته غلبته لنفسه الأتارة بالسوء ومنع نفسه من الشهوة، لماذا؟ لأنه ينظر بعقل قوي قادر على كبح نزوات النفس وميولها نحو غرائزها^(٥).

إذن أولى خطوات طريق الزهادة امتلاك القدرة على النظر إلى الدنيا بعقل ثاقب ورؤية سليمة تمنع الإنسان ابتداءً من الانزلاق في بحر مفاتها وبريق زخارفها، وفكرة النظر التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام نجدها واضحة في القرآن الكريم في مواضع متعددة، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ

(١) لسان العرب، مادة (زهذ).

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٢

(٣) ينظر: م.ن، الخطبة ٨٨

(٤) ينظر: م.ن، الخطبة ٨٨

(٥) ينظر: م.ن، الخطبة ١٦١



عُقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿[آل عمران: ١٣٧]، هنا جاء النظر بمعنى التأمل والتفكير، وفي المعنى نفسه قال سبحانه: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَحْدِثَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وجاء النظر بمعنى التفكير ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

بعد النظر جاء ذكر الدنيا في خطبته ﷺ: ((انظروا إلى الدنيا))^(١)، فما الدنيا في مفهوم الإمام علي؟ ولماذا زهد فيها؟ قال أمير المؤمنين: ((الدنيا خيرها زهيد وشرها عتيد وجمعها ينفذ ومُلْكُها يُسَلِّبُ وِعَامِهَا يَجْرِبُ))^(٢)، وفي المعنى نفسه قال: ((عباد الله أوصيكم بالرفض لهذه الدنيا التاركة لكم وإن لم تُحِبُّوا تركها، والمُبْلِيَّةُ لأجسامكم وإن كنتم تحبُّون تجديدها))^(٣)، الفكرة الأهم في القولين السابقين هي ترك الإنسان هذه الدنيا سواء شاء أم أبى، فالرحيل حتمي الوقوع لابد منه، فهي متغيِّرة بأهلها من وضع إلى آخر ليس لها قرار، خيرها قليل مهما زاد وكثر، وجمعها ومُلْكُها وِعَامِهَا إلى بَدَدٍ وسلب وخراب. فقد أوصى الإمام علي ﷺ بأهميَّة رفض الدنيا وتركها؛ لأنَّها في النهاية سوف تترك من أرادها، إذن فمن الأفضل وكرامة للإنسان طلاقها والهروب منها، وفي هذا قال ﷺ: ((وإنَّ السَّعْدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ))^(٤). وقضيَّة رفض الدنيا والحذر من مغرياتها علاجه في الزهد فيها، فهو من أنجع أسباب غلبتها والانتصار على شهواتها، فمن أفضل العبادات كما

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٢

(٢) م.ن، ١١٣

(٣) م.ن، الخطبة ٩٩

(٤) م.ن، الخطبة ١٢٣



ورد عنه عليه السلام قِصْرُ الأَمَلِ وَذِكْرُ المَوْتِ وَالزَّهْدُ فِي الدُّنْيَا^(١)، وَرَأْسُ العَقْلِ هُوَ الزَّهْدُ، فَهُوَ مِنْ دَلَالَاتِ صِحَّةِ العَقْلِ بِلِ رَأْسِهِ^(٢).

وَأَعْطَى أميرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِشَرَى لِلزَّاهِدِينَ مَثَلْتِ مَعَادِلَةٍ رَائِعَةٍ لِلسَّيْرِ فِي طَرِيقِ الزَّهْدِ قَائِلًا: ((وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا))^(٣)، فَالَّذِي نَقَصَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا الزَّائِلُ الْفَانِي وَزَادَ فِي الآخِرَةِ هُوَ خَيْرٌ لِلإِنْسَانِ مِمَّا يَنْقُصُ مِنَ الآخِرَةِ وَيُزِيدُ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، وَتِلْكَ مِنْ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ الَّتِي أَوْضَحَهَا عليه السلام إِذْ قَالَ: ((وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجَلِ الآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يَشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا بِآخِرَتِهِمْ))^(٤).

هَذِهِ المَعَادِلَةُ تُظْهِرُ فَوْزَ الزَّاهِدِينَ بِالدَّارَيْنِ، لَكِنَّ الَّذِينَ غَرَقُوا بِمِلْدَاتِ الدُّنْيَا وَبِهَرَجَتِهَا أَخَذُوا مِنْهَا فَقَطْ لَكِنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ، إِلَى ذَلِكَ أَشَارَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ الشُّورَى: ٢٠].

جَاءَتِ العَدِيدُ مِنَ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ الَّتِي تَحَدَّثُ عَنِ الزَّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَعَدَمِ إِثَارِهَا عَلَى الآخِرَةِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ مَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَ الأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَآئِمَاتٌ الغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]، وَقَوْلُهُ: ﴿... وَ فَرِحُوا بِالحَيَاةِ

(١) ينظر: الأمالي للمفيد: ١٣٩، وتحف العقول: ٢٢٠

(٢) ينظر: الأمالي للطوسي: ١١٨/٢

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١١٤

(٤) م.ن، الكتاب ٢٧



الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿الرعد: ٢٦﴾ في الآيتين الكريمتين يمثّ سبحانه وتعالى على الزهد في الدنيا وعدم الانغماس في ملذّاتها والغرق في ملذّاتها والاغترار بنعيمها، وهذا المعنى القرآنيّ نجده واضحاً في واحد من نصوص الخطبة المشار إليها بقوله ﷻ: ((فلا يغرّتكم كثرة ما يُعجبكم فيها لقلة ما يصحبكم منها))^(١).

إنّ في ثنائيّة الأضداد التي ذكرها الإمام عليّ ﷻ في أمر الكثرة والقلة الكثرة في نعيم الدنيا من أموال وأولاد وزينة ومفاخر والقلة فيما يصحب الإنسان من ذلك في حياته الآخرة، وهو مصداق لما أراد القرآن الكريم تصويره في الآيتين المباركتين السابقتين.

وفي معنى الزهد قال عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، هنا دعوة من الباري عزّ وجلّ إلى وجوب التقوى التي هي من مظاهر الزهد، فهناك علاقة وثقى بينهما، فالتقوى كما عرّفها أمير المؤمنين ﷻ: ((الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل))^(٢)، وكُلّ هذه المعاني من صور الزهد.

وأوضحت الآية المباركة أنّ من مظاهر الزهد والاستعداد والتأهب لليوم الآخر المراجعة الواعية الحقيقية لما عمِلَ الإنسان لآخرته، وماذا أخذ من دار مُمرّه إلى دار مُقرّه وهذا تجسّد في قول أمير المؤمنين ﷻ: ((الدنيا ممرّ والآخرة دار مقرّ فخذوا من ممرّكم لمقرّكم... وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم إنّ الجنّاة إذا حُملت قال الناس: ماذا ترك؟ وقالت

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٢

(٢) م.ن، خطبة ١٢٠



الملائكة: ماذا قدّم؟ فقدّموا بعضاً يكن لكم ولا تأخروا كلا يكن عليكم))^(١)، تضمّن هذا القول جملة من المعاني التي أشارت إليها الآية السابقة في أهمية تفكّر الإنسان ماذا قدّم لما بعد الموت التي سمّاها القرآن الغدّ، وهو ما يستقبل من الزمن بمعنى انتقال الإنسان إلى عالمه الآخر وصورة الزهد التي أشار إليها الإمام هي ضرورة خروج الدنيا من قلب الإنسان وعدم التعلّق قبل خروج الروح من الجسد وانتقال الأبدان إلى عالمها الآخر، فشفيع الإنسان في هذا الحال زهده في الحياة الذي يصل به إلى برّ الأمان، فهو قاربه الأمين المنجّي وهو من عوامل فوز الإنسان بحياة سعيدة أبدية. ويرى الإمام (ع) في الحياة أمّها محلّ ابتلاء وامتحان، فالزهد وعدم الانجرار إلى اللذائذ من مفاتن الدنيا هي من علائم النجاح وارتقاء النفس في كبحها عن نعيم لا يدوم وزينة تفتنى.

وربطاً مع تقدّم فقد نوّه الإمام (ع) إلى ضرورة تقديم الإنسان لنفسه ما يبقى له في الآخرة ويستفيد منه من فعل الخير والنفقة على المحتاجين مثلاً أو ضبط النفس وحبسها عن المنكر من الأعمال فيصبح نافعا في الحياة الأخرى، لكن حين يسوء الإنسان ما ينفعه من أعمال فإنّ هذا الكثير الذي جمعه في الدنيا سيكون عليه وبالاً في الآخرة.

وقد أوضح القرآن الكريم من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة وما نصيب كلّ واحد منهما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، فالذي يفكّر ويعمل من أجل الآخرة يزيد الله تعالى له في عمله ويبارك له في سعيه في الحسن والطيب من الفعل، أمّا الآخر الذي يبتغي حث الدنيا بمعنى يعمل للدنيا ويعطيه



الله منها رزقاً محدداً لكن ليس له في الآخرة من نصيب في رضا الله ورحمته، فالعمل للآخرة ينطلق أصلاً من الإيمان العميق في زهد الدنيا ومغرياتها، فحينما يكون الأهم للإنسان هو ما ادّخره لآخرته يكون قد ضمّن غفران ربّه وعفوه.

وجاء في كلام آخر لأمير المؤمنين يناغم ما تحدّث به القرآن الكريم عن الزهد في الدنيا استعداداً للآخرة وما بعد الموت، ففي رسالته إلى عبد الله بن عباس قال: ((أما بعد: فإن المرء قد يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فليكن سرورك بما نلت من دنياك فلا تكثر فيه فرحاً وما فاتك منها فلا تأسف عليه جزعاً وليكن همّك فيما بعد الموت))^(١)، فالفرح والحزن في نظر الإمام عليّ ليس لأسباب دنيويّة بل لأسباب أخرويّة فالسرور يُقاس ما حصل الإنسان من الآخرة والأسف والأسى، يُقاس كذلك على ما خسر الإنسان على ما فاتته من عمل لأجل الحياة الأخرويّة فلا يحزن على ما فاتته من متاع الدنيا ولا يفرح بما وصل عليه من مفاتنها.

وبناءً على ذلك نجد الإمام عليه السلام يلخص الزهد في الآية القرآنيّة قوله: ((الزهد كلّهُ بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣]، فمن لم ييأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه))^(٢).

ذلك توصيف رائع منه عليه السلام في تعريفه للزهد بمنظور قرآنيّ مبارك فلا ندم على الذي مضى ولا أسى وحزن، كذلك لا فرح بما أتى للإنسان من بهجة ونعيم، وفلسفة الزهد تقوم في تسخير الدنيا للآخرة، لهذا نراه يقول لأبن عباس: ((وما نلت من

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١١٧.

(٢) م.ن، الحكمة ٤٣٦.



ديناك فلا تكثر فيه فرحًا وما فاتك منها فلا تأسف عليه وليكن همك فيها بعد الموت))^(١).

إذن الرسالة الحقيقية للزهد العمل في الدنيا للفوز بالآخرة التي هي الهدف الأسمى من وجود الإنسان في الدنيا، فالزهد فيها أن يصل إلى قناعة تامة أن الدنيا كما وصفها الإمام علي بقوله: ((معكوسة منكوسة بقاؤها فناء تُردي راجبها وتخون الواثق بها وتزعج المطمئن إليها، إن جمعها إلى انصداع ووصلها إلى انقطاع))^(٢)، هذا المعنى نجد له نظيرًا في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنزِلْنَا مِنْ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرٌ نَاقِلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وفي قرينة أخرى جمعت القرآن الكريم مع أمير المؤمنين حديث الابتلاء في الدنيا بوصفه من بواعث الزهد، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٧]، هنا يأتي الابتلاء ليمتحن الناس في صبرهم وموقفهم في كيفية تعاطيهم مع زينة الحياة وزخرفها، فكلما زهدوا فيها كان صبرهم أجمل وأفضل، ومثل هذه الفكرة جاءت في قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((أيها الناس إن الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم ولم يُعذكم من أن يبتليكم))^(٣)، مستشهدًا عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠].

وفي المعنى نفسه قوله عليه السلام: ((إن الله تعالى جعل الدنيا لما بعدها وابتلى فيها

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤٠ / ١٥

(٢) ميزان الحكمة: ٩٢٢ / ٢

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٢ .



أهلها ليعلم أيهم أحسن عملاً))^(١)، يأتي الابتلاء هنا ليُصنّف الناس ويفرزهم إلى فريقين، فأما خاسر في الاختبار وأما منتصر على نفسه مرتفعاً فوق شهواته حاكماً نفسه، وقد أخذ بناصيتها لا يغرّه متاع الدنيا فأحسن عملاً من ترك طيلسانها وبريقها الزائف، فالطريق الأفضل والسلوك الأسلم للخلاص من مفاتن الحياة الدنيا في قوله ﷺ: ((إن الدنيا لا يسلم منها إلا بالزهد فيها، ابتلي الناس فيها فتنة فما أخذوا منها لما أخرجوا منها وحوسبوا عليه وما أخذوا منها لغيرها قدموا عليه وأقاموا فيه))^(٢).

ومن هنا تأتي الأهميّة التربويّة للزهد، فهو الخلاص الأمثل من سيطرة الدنيا على الإنسان واستمكاتها منه، ومن ثمّ الأخذ به نحو منزلق خطير، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى الصنف من هؤلاء الناس الذين أخذتهم الدنيا وفضولها على الآخرة، قال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥].

والمقصود في قوله تعالى إنّ الذي يطلب منافع الدنيا وأسباب زينتها فإنّ الله تعالى يعطيه ويمدّه استدراجاً له حتّى تكون نهايته الخسران والبوار جزاء ما كان يعمله في دنياه من انغماس في ملذّاتها، وقرين هذا المعنى قول أمير المؤمنين: ((إنّ الدنيا عيشها قصير وخيرها يسير وإقبالها خديعة وإدبارها فجيرة ولذّاتها فانية وتبعاتها باقية))^(٣)، فهذا العيش القصير والخير القليل والإقبال الخادع والإدبار الفاجع المحزن واللذة الفانية تتلوها تبعة خطيرة في نتائجها عظيمة في شدّتها متمثلة

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣٥ / ١٧ .

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٦٣ .

(٣) عيون الحكم والمواعظ: ١٤٦ .



في خسران رحمة الباري عز وجل وغضبه الذي لا راد له ولا مثيل في أمره.
وحتى يتفادى الإنسان كل ذلك من ويل وثبور عليه الاعتصام بسجية الزهد،
فراه عليه السلام يوصينا قائلاً: ((انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها الصارفين عنها))^(١)،
لماذا يريد منا عليه السلام أن نتعامل مع الدنيا على وفق هذا المنظور؟ يجيب هو قائلاً: ((فإنها
عمّا قليل تُزيل الثاوي الساكن وتفجع المُتَرَفِ إِلَّا من يرجع ما تولى منها فادبر ولا
يُدري ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوبٌ بالحزن وجلد الرجال فيها إلى الضعف
والوهن))^(٢).

إن هذه المتغيّرات الطارئة التي تُلَمّ بالإنسان وهي مؤكّدة الوقوع من الفجائع
والوقائع التي تُخرجه من طور إلى آخر، من أجواء الترف والملاذات والهناء إلى مسار
الحزن والآهات، ومن مظاهر القوّة إلى الضعف، لا يدري ما يحدث له مستقبلاً لهي
دنيا ليس لها من التعامل منها إلا بالزهد فيها في عدم الاطمئنان لها والركون إليها.
وفي هذا أوضح سبحانه وتعالى ماذا يحلّ بالذين يطمئنون إلى الدنيا قائلاً: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا
غُفْلُونَ * أُولَئِكَ مَاؤِهِمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧-٨].

إذن لا بدّ من الزهد بالحياة الدنيا وأسباب ذلك وردت في قول أمير
المؤمنين عليه السلام: ((إنّ الدنيا دار خبال ووبال وزوال وانتقال لا تساوي لذتها تنغيصها
ولا تفي سعودها بنحوسها ولا يقوم صعودها بهبوطها))^(٣).

ومما يدفع الإنسان إلى سلوك طريق الزهد هو حال الدنيا نفسها، فمن

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٠٢

(٢) م.ن، الخطبة ١٠٢

(٣) تصنيف درر الكلم: ١٣٢.



مظاهرها الوبال والزوال والانتقال، فالحياة بهذا الحال لا تستحقّ من الإنسان إعطائها كلّ اهتمامه والرغبة فيما دون الآخرة، وقد تَوَّهَ ﷺ إلى أمرٍ في غاية الأهميّة حين قارن بين لذّاتها وما فيها من تنغيص وألم حين فقدانها كذلك نحسها وكثرة آهاتها لا تساوي سعادتها ثم هبوطها في تقلّباتها وهجرانها من طلبها لا يساوي صعودها حين يحصل الإنسان على بعض لذّاتها الزائلة وشهواتها الفانية.

وقد وصف سبحانه وتعالى حال من فضّل الدنيا على الآخرة وحال من وظّف الدنيا لخدمة الآخرة وماذا يجني كلّ واحد منهما فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى* يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى* وَبُرَّرَتْ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى* فَأَمَّا مَنْ طَغَى* وَعَآثَرَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا* فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٤-٣٩].

وفي توصيف رائع عن حال هذين النموذجين قال الإمام عليّ عليه السلام: ((الناس طالبان طالب ومطلوب فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتّى يُجرجه عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي رزقه منها))^(١)، فالذي يطلب الدنيا بنعيمها وزخرفها ينشغل بها ناسياً لله تعالى وساهياً عن ذكره الكريم، فيأتيه الموت بغتة فيخسرها والآخرة معاً، لكنّ الذي يطلب الآخرة يحصل على الاثنين معاً الأولى برزقها الطيب والثانية بنعيمها الأبديّ وخلودها السرمديّ، وحتّى يأخذ الزهد مأخذه في عقل الإنسان ونظرته إلى الدنيا لا بدّ له من شعور ينتابه ورؤى تكون نصب عينيه عند تعامله مع نعم الحياة ولذّاتها فعليه أن يضع في باله وحسابه بعضاً من الحقائق التي لا مناص من حدوثها، وفي ذلك قال أمير المؤمنين: ((اذكر مع كلّ لذّة زوالها ومع كلّ نعمة انتقالها ومع كلّ بليّة كشفها، فإنّ ذلك أبقى للنعمة وأنفى

(١) تصنيف درر الكلم: ١٢٩ .



للشهوة وأذهب للبطر وأقرب إلى الفرج وأجدر بكشف نعمة ودرك المأمول))^(١).
 أعطى الإمام عليه السلام في هذا القول قواعد معينة للحفاظ على النعم عند التمتع بها،
 منها أنه على الإنسان إدراك زوال اللذائذ وانتقال النعم ورفع البلايا التي تمنع
 الإنسان ربما من الحصول على نعمك الدنيا، فحصول هذه القناعات من العواصم
 التي تمنع الإنسان من الانزلاق في الدنيا وهذا يأخذ به إلى طريق الزهادة.

هذه السلوكيات من نتائجها أنها تُبقي على النعمة وتمنعها من الزوال وتُذهب
 بالشهوة فتمضي عليها أو تضعفها وتمنع الإنسان من الوصول إلى مرحلة البطر في
 نعم الله تعالى، ومن أروع النتائج التي أوضحتها الإمام عليه السلام في هذا الجانب أن تلك
 الأفعال تُقرب الفرج من الشدائد والكربات التي قد يمر بها الإنسان وتكشف عنه
 الغمائم، وأخير حصوله على ما أمل به ويطمح إليه من سبل التوفيق.

المبحث الثاني: الاعتبار بين آيات القرآن الكريم ومقولات الإمام علي عليه السلام

الاعتبار في اللغة من الفعل (عبر)، والعبر جمع عبرة وهي الاعتبار بما مضى
 وهي كالموعظة مما يتحفظ به الإنسان ويعمل به ليستدل به على غيره^(٢)، وجاء في
 خطبة أمير المؤمنين عن الاعتبار قوله: ((رحم الله امرأةً تفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر،
 فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأن ما هو كائن من الآخرة عما قليل
 لم يزل، وكلّ معدود منقضى، وكلّ متوقع آتٍ، وكلّ آتٍ قريب دان))^(٣).

المتأمل في هذا النص يجد فيه جملة من المفاهيم التي تدعو إلى نهج طريق
 الاعتبار والإفادة من التجارب السابقة لغرض بناء الحاضر البعيد بشكل يهنيئ

(١) تصنيف درر الكلم: ١٥٥ .

(٢) ينظر: لسان العرب، مادة (عبر) .

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ١٠٢



لمستقبل أسعد، وإن هذه المفاهيم لو أمعنا النظر فيها لوجدناها قرآنيَّة الأصل ربانيَّة الدعوة، وهي مرّة من مقوّمات الاعتبار ومرّة أخرى نتاج له، فالتفكّر وهو أصل قرآنيّ قد سبق الاعتبار وهو من الأصول القرآنيَّة أيضًا، ثم جاء الاستعبار أو البصيرة كنتيجة في غاية الأهميَّة وهو الذي يقود إلى الإفادة من تجربة تغيّر أحوال الدينا وتقلّباتها، فالذي موجود الآن ويتعامل معه الإنسان يتحوّل بعد حين ويذهب إلى غير رجعة، إن هذ التقلّب والانتقال الذي أشار إليه الإمام عليه السلام هو كذلك من المعاني القرآنيَّة التي تحدّثت عنها الآيات القرآنيَّة المباركة.

تطرّق النصّ العلويّ إلى النقص الذي ينتاب الأيام المعدودة، ولعلّ أكثر الأمثلة واقعيَّة هو عمر الإنسان، فأيامه معدودة محسوبة كلّما مرّ منها يوم فهي في هدم مستمرّ، ومن الأصول القرآنيَّة في هذا النصّ إدراك المتوقّع وصوله أو وقوعه ولعلّ المثال الأمثل في هذا الأمر هو الموت الذي يُتوقّع حدوثه في أيّ وقت فهو دان قريب.

وهكذا نفهم غنى هذا النصّ من الخطبة المباركة بالمفاهيم والأصول القرآنيَّة التي تتعلّق بشكل واضح بموضوع الاعتبار، وسنحاول في هذا المبحث التطرّق إليها ثمّ نعرج أخيرًا إلى آثارها التربويَّة كخلاصة يستفيد منها الجميع.

طلب الإمام عليه السلام شمول رحمة ربّ العالمين لمن يتفكّر قائلاً: ((رحم الله امرءًا تفكّر))^(١)، والدعوة إلى التفكّر قد وردت في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خِشَعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، هاتان الآيتان

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١٠٢



الكريمتان تدعوان إلى التفكّر والتأمّل مليّاً في آيات الله تعالى وما تتضمّنه من دلائل واضحة تدعو الناس إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله .

ومن الآيات ما دعت إلى التفكّر في خلق الله تعالى وآلائه وألطافه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، كذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيًّا وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحِينَ اثْنينِ يُغْشِيانِ اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: ٣] .

وقد تحدّث أمير المؤمنين عن موضوع التفكّر في خلق الله وآلائه عادداً ذلك من أفضل العبادات وأكثرها نعمة وعطاء^(١)، مضيفاً عليه السلام أنّ التفكّر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين^(٢)، واصفاً شأنه قائلاً عنه لا علم كالتفكّر؛ لأنّه يصل بالإنسان إلى مرحلة القدرة على التمييز الحقيقي بين الفاني والباقي^(٣)، في إشارة منه عليه السلام إلى حطام الدينا ومتاعها فهو الفاني، أمّا الباقي فهو ما يصحب الإنسان من أعمال الخير والصلاح في دار البقاء والخلود في الحياة الأخروية.

وربطاً مع ما تقدّم نفهم جيّداً ومن طريق أمثلة الآيات القرآنية وأقوال الإمام عليّ عن التفكّر بوصفه من أهمّ مقوّمات العبرة والألفاظ، وقد وصف القرآن الكريم المعترين بأوصاف حميدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً

(١) غرر الحكم: ١١٤٧

(٢) م.ن: ١٤٩٢

(٣) نهج البلاغة الحكمة: ١١٣



لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿النور: ٤٤﴾، فهم أهل بصيرة نافذة وعقول قادرة وأصحاب خشية وخوف من الله تعالى، فمن تعبّر بذلك كان الأجدر من غيره على استيعاب سجيّة الاختيار وإفادته من مغزاها بوصفها درساً تربوياً يسهم في صناعة إنسان يمتلك من الإرادات القادرة على فعل الخير وبناء المجتمع .

ونلاحظ مفهوم الاعتبار في ما أشارت إليه الآيات القرآنيّة الأنفة واضحاً في مقولات الإمام عليّ عليه السلام الذي تحدّث مليّاً عن الاعتبار، ومنها قوله: ((لقد جاهرتكم العبر وزجرتكم بما فيه مزدجر))^(١)، هذه دلالة على كثرة العبر في الحياة فيما يصادف الإنسان منها إلى درجة وكأنها تزجره بصوت عالٍ لعدم تكرار خطأ ما فعله الآخرون من قبله، وقوله عليه السلام: ((فاتعظوا عباد الله بالعبر النوافع واعتبروا بالآي السواطع وازدجروا بالنذر البوالغ))^(٢)، فالذي يتفكّر يعتبر بغيره فيعتزل الأخطاء والذنوب هاجراً لها فيصل إلى شاطئ الأمن والسلامة قائلاً عليه السلام في هذا المعنى: ((الاعتبار يقود إلى الرشاد))^(٣)، وفي موضوع الاعتبار كثيراً ما ركّز القرآن الكريم على عاقبة الأقسام السابقة وما حلّ بهم من ويل وعذاب ودعانا سبحانه وتعالى إلى الاعتبار بمصير هؤلاء والسير في ديارهم لمشاهدة ما آل إليه أمرهم من البوار والخراب. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، فالآية المباركة تخاطب الكفار طالبة منهم السير في الأرض بمعنى الذهاب شرقاً وغرباً لغرض الاطلاع على آثار الأقسام الذين عاشوا في أزمنة بعيدة لغرض النظر في هذه الآثار، والنظر هنا ليس

(١) نهج البلاغة الخطبة: ٢ .

(٢) الحكمة: ٣٦٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩٢ / ٧٨ .



المشاهدة فقط بل التفكر والتأمل ملياً بما حلّ بهم وكيف كانت عاقبتهم من الويل والخسران مع ملاحظة مهمّة أشار إليها القرآن الكريم وهي عن إمكانات الأقوام السابقة من القوّة والافتقار أكثر تقدماً ورقباً في إعمار الأرض وبنائها وإصلاحها من الكافرين الذين حاربوا الإسلام ورسول الله النبي الأكرم.

إنّ موضوع الاعتبار بالماضين الذي أشارت إليه الآية المباركة يظهر واضحاً في مقولات للإمام علي منها: ((أو ليس لكم في آثار الأولين مزدجر وفي آبائكم الأولين تبصرة ومعتبر))^(١)، وفي المعنى نفسه ورد في وصيّته لابنه الإمام الحسن عليه السلام: ((أحيي قلبك بالموعظة... وذكره بما أصاب من كان قلبك من الأولين وسرّ في ديارهم وآثارهم))^(٢)، إذن في الخطابين القرآني والعلويّ اقتران واضح في الدعوة إلى الاعتبار من آثار الماضين وبما آل إليه حال الكافرين من الذين عصوا الله تعالى ولم يمثلوا أوامره ونواهيه.

وخاطب الإمام أمير المؤمنين ابنه الامام الحسن عليه السلام قائلاً: ((أي بني إني وإن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتّى عدت كأحدهم بل كآني بما انتهى أيّ من أمورهم قد عمدت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره ونفعه من ضرره))^(٣).

لعلّ أهمّ ما أكد عليه السلام القواعد الأساسيّة للاعتبار الحقيقيّ المبني على أسس عمليّة في حصول الفوائد المرجّوة منه فالإمام يرى رغم أنّه لم يُعمر عمراً من سبقه ولم يعش معهم لكن اتّبع مجموعة من الخطوات فوصل إلى درجة عليا في استلهاهم

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٩٩.

(٢) م.ن، الكتاب: ٣٥.

(٣) م.ن، الكتاب: ٣١.



الماضي ومعاشية بل الذوبان فيه فأصبح في حالة من استجلاء ما معنى وكأنه واحد من أفراد الماضين من الناس، كل ذلك لأجل الوصول إلى مراتب عليا للاعتبار وأخذ الموعدة.

هذه الخطوات الثلاث كما أوضحها ﷺ هي النظر في أعمالهم والتفكير في أخبارهم والسير في آثارهم، فالنظر القائم على الاستجلاء والتأمل والتفكير المدعوم بالبصيرة والعقل والسير في الآثار الذي يعتمد على المشاهد العيانية التي تُعطي للاعتبار أصالة وصدقاً من طريق رؤية الدلائل الاعتبارية من الشواهد الآثارية التي تحكي قصة أهلها وشعوبها ذهبت وبادت إلا آثاراً واخباراً يجب أن تكون خير واعظ ومنذر.

يتكرّر هذا المعنى في قول آخر للإمام عليّ يتحدّث منه عن خطوات أخرى للوصول إلى الاعتبار من الماضي حين سئل ﷺ عن الإيمان فأجاب قائلاً: ((الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهد واليقين منها على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأوّل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأوّلين، فمن تبصرة في الفطنة تبيّن له الحكمة ومن تبيّن له الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة فكأنما كان من الأوّلين))^(١).

في هذا النصّ ربط الإمام أمير المؤمنين الاعتبار بالحكمة التي هي أصلاً من شعب اليقين القائم على الإيمان موضعاً ما مرّ علينا من قوله السابق كيف يصل الإنسان إلى درجة وكأنه عاش مع الماضين لكن بطرق أخرى من طريق الإيمان الذي من دعائمه اليقين، فالفطنة المبصرة والحكمة الفاعلة وموعظة الاعتبار، فالبصير الفطن يتعرّف على الحكمة التي تقوده إلى معرفة الاعتبار حينها يصل إلى

(١) نهج البلاغة، الحكمة ٢٧، وتحف العقول: ١٦٥.



درجة قصوى من استيعاب الماضي بالشكل الذي يستفيد من تجاربه ودروسه .
كل ذلك يقود المعبر للتي هي أفضل وأقوم وهي أسباب نجاح من كان
صالحاً في أعماله وسيرته في التعرف عليها والأخذ من دروسها، هذه صورة مشرقة
والأخرى الصورة المظلمة البائسة التي وصلها آخرون من الأوّلين أيضاً فلا بدّ من
دراستها والتعرّف على أسباب هلاك من كان مصيره خسراً وبواراً، فالناجون من
أطاعوا والهالكون من عصوا^(١).

وفي المعنى نفسه قال أمير المؤمنين: ((أوصيكم بتقوى الله... واعتبروا
بمن أضعاعها ولا يعتبرنّ بكم من أطاعها))^(٢)، وتأتي تقوى الله عاملاً مهماً في
الاعتبار بالذين لم يتّقوا، ويركّز الإمام على وجوب ألا يكون الإنسان عبرة لغيره، بل
عليه الاعتبار بما وقع لغيره. إنّ الاتّعاظ بالآخرين والاعتبار بما وقع لهم ولاسيما
من الماضين والأوّلين منهم هو مفهوم قرآني ورد في العديد من الآيات القرآنيّة، منها
قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٥٢]، وقوله تعالى في
قوم نوح: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٥]، وعن مصير فرعون
وقومه: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾
[القصص: ٤٠].

وتحدّث الإمام عليّ عليه السلام عن فوائد الاعتبار قائلاً: ((الاعتبار يقود الرشاد))^(٣)،
يعني إلى طريق الصواب والسلامة والعمل المثمر، ومن كتاب له إلى معاوية بن أبي
سفيان، قال: ((لو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي))^(٤)، وهي دعوة بل أشدّ، فتلك

(١) ينظر: شرح أصول الكافي: ١٥٩/٨ .

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١ .

(٣) م.ن، الخطبة: ١٢١ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣٠/٢ .



حجّة عالية فعلاً؛ فلو اعتبر معاوية بأعماله السابقة وسياسته الماضية وأخذ منها الدرس والموعظة لكانت له فرصة في الحفاظ على ما بقي لهديه من عمر في التوبة وتصحيح ما وقع له من خطايا وموبقات، لكن أخذته الدنيا وغرورها فكان مصيره السوء وعاقبته البؤس والهوان.

هذا القول يدعوننا جميعاً إلى مراجعة ماضينا وأعمالنا السابقة في قراءة تقويمية لمسيرتنا و الدروس المستفادة، فالصور والمحطّات المشرقة تكون دافعاً لنا نحو العطاء والإنتاج، أمّا غيرها من محطّات الخطأ والنكوس فتأخذ منها عبرة وموعظة في أسبابها وما ترتّب عليها من تداعيات سلبية وهو عين ما أكدّه ﷺ: ((من كثر اعتباره قلّ عثاره))^(١)، فقلّة أخطاء الحياة في مختلف نواحيها إنّما تأتي من كثرة الاعتبار فيها، وذلك ما يقود إلى السعادة والعيش الرغيد، وتخلق منه شخصاً راضياً عن نفسه محباً لها صاحب ثقة وقدرة على التفاعل الإيجابي مع الناس، منتجاً في مجتمعه، قادراً على العطاء وفعل الخير أكثر من غيره^(٢).

كذلك في الاعتبار قناعة^(٣) كما يرى الإمام عليّ والقناعة هي من أهم الدرجات التي يصل إليها الإنسان، فهي نعمة كبرى لأنّ عدم القناعة يجعل الإنسان لاهئاً وراء مغريات الدنيا متعباً لا يقف عن حدود معينة.

فالقناعة من نتائج الاعتبار ولاسيما إذا ما عرفنا أهميّتها وأثرها الإيجابي في حياة الإنسان لعلمنا ما للاعتبار من مكانة كبرى في مسيرة الفرد والمجتمع، قال أمير المؤمنين ﷺ: ((أعون شيء على صلاح النفس القناعة))^(٤)، إذن هي صلاح ودواء

(١) درر الحكم: ٢١٦ .

(٢) بحار الأنوار: ١٢٣/٦٢ .

(٣) م. ن: ٨/٧٥ .

(٤) غرر الحكم: ٧١٢ .



للنفس الإنسانية الجائحة الطالبة دوماً لمفاتيح الدنيا وزخرفها، فالقناعة كابحة مانعة للإنسان عندما تُسوّل له نفسه الانغماس في شهوات الحياة وملذّاتها، وقوله عليه السلام: ((من قنع لم يغم))^(١)، فهي تبعد عن الإنسان الحزن والغم والكآبة حين يقنع الإنسان بما يملكه وما يحصل عليه من رزق، ويرى عليه السلام ورؤيته عين الصواب أنّ: ((القنوع راحة الأبدان))^(٢)، وكذلك: ((بالقناعة يكون العز))^(٣)، هذا مثال واحد عن ثمرات الاعتبار وهي تحصيل القناعة التي فيها سعادة الإنسان في الدارين الدنيا والآخرة، وعوداً على بدء فموضوع قراءة الماضي ومراجعته بشكل متأنّ دقيق متأمّل والتي حتّ عليها الإمام عليّ عليه السلام فهي أمر جليّ واضح في القرآن الكريم، مثلاً في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]، قراءة الماضي بما تعي أهميّة حركة التاريخ من أثر واضح في حياة الأمم الماضية هو ذات المعنى الذي أشارت إليه الآيتان السابقتان، فتلك القرون السابقة حباها الله تعالى برحمته الواسعة عندما مكّنهم في الأرض، ولنا أن نتصوّر ما يعنيه هذا التمكين السماويّ من قوّة وثبات حين أنزل عليهم السماء مدراراً من مياه الأمطار وجريان الأنهار من تحتهم حتّى ثاروا في نعيم وأمن وطمأنينة لكنّهم أذنبوا وكفروا فحقّ عليهم غضب الله فكانوا الهالكين، كذلك جاءهم خبر الأقوام السابقة من قبلهم

(١) غرر الحكم: ٧١٣ .

(٢) م.ن: ٧١٤٧

(٣) م.ن: ٦١٧٩



قوم نوح وعاد وشمود وإبراهيم وغيرهم فلم يعتبروا بما حلّ بهؤلاء فظلموا أنفسهم بما صاروا إليه من مصير سيّء وبائس.

وفي موضوع آخر قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٣-١٤]، بين الله تعالى سبب هلاك هؤلاء لظلمهم حين لم يلتفتوا إلى ما جاءت به رسالهم فأخذوا جزائهم الإلهي، بعدها خاطب الذين من بعدهم حين استخلفهم في الأرض بأهميّة الاعتبار من مصير الذين من قبلهم، إذ إنّ هؤلاء الخلفاء هم في مرحلة اختبار وامتحان، هل ينتفعوا بما وقع للآخرين من الأوّلين؟ فعمل الخلائف هو في نظر الله تعالى وبعينه راصداً لهم كيف لهم الاعتبار وفي آية مرحلة منه هم الآن.

هذه الآية المباركة لها أهميّة عظيمة في منهج الاختبار عند الباري عزّ وجلّ، فهو سبحانه يراقب ما صدر من الإنسان من أفعال ومدى تجاوبهم وتفاعلهم مع الشواهد والأمثلة القرآنيّة التي تريد من الناس الاعتبار من الحوادث الماضية التي جرت للذين سبقونا، لقد أعطى تعالى لهذا الأمر مساحة واضحة في آيات القرآن الكريم، مثلاً قال: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهَلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ١٢٨]، باستفهام مستغرب من أمر هؤلاء يتساءل سبحانه وتعالى: ألم يعرف هؤلاء ويهتدون إلى الطريق الصحيح.



الخاتمة:

توصّل البحث إلى عدد من النتائج كخلاصة تربويّة في كيفية الإفادة من مفهومي الزهد والاعتبار اللذين جاءا في حديث الإمام عليّ (ع) في الخطبة ذات الرقم ١٠٢ من خطب نهج البلاغة بوصفهما من المفاهيم والقيم القرآنيّة وهي .
 أولاً: ضرورة النظر الواعي المتأمل المبنيّ على أساس التفكير في حركة الحياة الدنيا، هذا النظر الذي يتعدّى المشاهدة العيانيّة إلى التفكير والنظر العقليّ بمعنى توظيف العقل في فهم ما يجري للإنسان ومن حوله من محيطه، فأولى خطواته التربوية الصالحة في موضوع الزهد وفهم الحياة على أساس القراءة الصحيحة التي تكمن في فلسفة خلق الله تعالى لبني البشر، ليس للغرق في مغريات الحياة وبهرجتها بقدر ما هو تسخيرها لخدمة الآخرة .

ثانياً: تقوم نظرية الزهد عند الإمام عليّ (ع) وكما أوضحها القرآن الكريم على زوال ما موجود من خيرات ونعم، فسيأتي اليوم الذي يترك الإنسان فيه كلّ ما يملك ذاهباً لمواجهة خالقه سبحانه وتعالى. ولأنّ الآخرة بهذه الصورة فإذن لابدّ من تربية النفس على أساس القناعة بما يتيسّر من متاع الدنيا، وهذا يتجسّد في فهم الإمام (ع) للزهد وهو أن لا تحزن على ما فاتك ولا تفرح بما أتاك .

ثالثاً: ضرورة ترويض النفس الإنسانيّة وتربيتها على أساس نظريّة أوضحها الإمام عليّ (ع) معناها موجود كذلك في القرآن الكريم، وهي أنّ كلّ شيء نقص في الدنيا لصالح الحياة الأخرى هو أفضل وأبقى للإنسان، وأنّ أيّ نقص من الآخرة لصالح الدنيا فذلك ليس في مصلحة الإنسان ومستقبله الأخرى .

رابعاً: وفي البناء التربويّ للنفس الإنسانيّة وحفاظاً على كرامتها وجد الإمام عليّ (ع) في الزهد وسيلة لتحقيق ذلك؛ لأنّ الدنيا في نهاية المطاف بكلّ زخرفها وشهواتها ولذائذها سوف تترك الإنسان وإن هو أبى ذلك .



خامساً: يرى الإمام عليّ عليه السلام وكما ورد في القرآن الكريم وجوب إيمان المسلم بأنّ الله تعالى قد خلق الدنيا لما بعدها (الحياة الأخرويّة)، فلم يخلق الإنسان ليُخلد في عيش أبديّ في الدنيا بل ليُجعل من وجوده في الدنيا سبيلاً إلى عيش بنعيم سرمديّ في الحياة الأخرى، وذلك لا يتمّ إلا في الزهد والقناعة.

سادساً: من الآثار الطيِّبة للاعتبار في جوانبه التربويّة دعوة الإمام عليّ عليه السلام إلى أهميّة التفكّر والتدبُّر في حوادث الدنيا في ماضيها وحاضرها ووجوب أخذ الاعتبار والمواعظ بما حلّ وحدث للماضين والتجربة خير ناصح ومنذر.

سابعاً: من الآثار التربويّة للاعتبار عند الإمام عليّ عليه السلام أهميّة الاطلاع على آثار الماضيين والدعوة إلى السير فيما تركوه من بقايا ومخلفات تحكي قصّة هؤلاء، وذلك الذي حثّ عليه القرآن الكريم.

ثامناً: من الدروس التربويّة التي يشترك فيها القرآن الكريم مع الإمام عليّ عليه السلام في موضوع الاعتبار قوّة فاعليّة الشواهد الاعتباريّة التي هدفت إلى تنبيه الإنسان ولفت انتباهه وبقوّة إلى عظمة دلائل المواعظ، فهي مزجرة منذرة حتّى يستوعب الإنسان قيمة الاعتبار وأيضاً لا يكون له حقّ على ربّه وعلى المرسلين والناصحين من الأولياء والأتقياء.

تاسعاً: من قواعد الوصول إلى درجات عليا في الاعتبار وكما نصّ عليها الإمام عليّ عليه السلام هي ثلاث، النظر في أعمال الماضيين، والتفكّر في أخبارهم، والسير في آثارهم، وهي في فواعلها التربويّة تُربيّ النفس على التأمل والتفكّر وتبعدها عن مغريات الدنيا.

عاشراً: من الصور التربويّة لمفهوم الاعتبار عند الإمام عليّ عليه السلام ألا يكون الإنسان عبزّةً لغيره وعليه الحرص على نفسه في هذا الجانب مستفيداً من تجارب الذين سبقوه، وتلك صورة قرآنيّة نجدتها تكرر في ثنايا القرآن الكريم.



مصادر البحث:

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب

١. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن ابن أبي الحسن الديلمي (ت ق ٨ هـ)، قم، ١٩٨٨ م.
٢. الأمالي، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، قم، ١٩٩٤ م.
٣. الأمالي، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣ هـ)، قم، ١٩٩٣ م.
٤. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، تح: إبراهيم الميانجي ومحمد باقر البهبودي، بيروت، ١٩٨٣.
٥. تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني (ت ق ٤ هـ)، قم، ١٩٨٤.
٦. تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد الأمدي (ت ٥٥٠ هـ)، قم، ١٩٨٧ م.
٧. شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، عز الدين بن عبد الحميد (ت ٦٥٦ هـ)، قم، (د ت)
٨. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي (ت ق ٦ هجري)، قم، ١٣٧٦ هـ.
٩. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، طهران، ١٣٨٨ هـ.
١٠. لسان العرب، جمال الدين محمد ابن منظور (ت ٧١١ هـ)، قم، ١٩٨٥ م.
١١. نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، جمع الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ)، تح: السيد هاشم الميلاني، النجف الأشرف - ٢٠١١ م.